

خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادى

١٠٣٠ - ١٠٩٣

تحقيق وشيخ

عبد السلام محمد هارون

الجزء الحادى عشر

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م

الناشر مكتبة النخاسى بالقاهرة

صف هذا الكتاب بطريقة الجمع التصويري

مكتبة الخانجي

رقم الإيداع ٢٤٣٦ / ٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحروف العاطفة

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد الثمانمائة ^(١) :

٨٨٦ (أو جَوْنَةٍ قَدَحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا)

على أَنَّ الواو لا تدلُّ على ترتيب ، بل قد تدخل على متقدِّم على ما قبله كما هنا ، فَإِنَّ فَضَّ الختام قبل القَدَح .

وهذا المصراع عجزٌ ، وصدره :

(أَغْلَى السِّبَاءَ بِكُلِّ أَدَكْنٍ عَاتِقٍ)

يقال : أَغْلَيْتُ الشَّيْءَ : اشترَيْتُهُ غَالِيًا . والسِّبَاءُ ، بكسر السين المهملة بعدها موحدة : اشتراء الخمر ، ولا يقال في غيرها . يقال سبأت الخمر بالهمز أسبؤها سِبَاءً بفتح عين الماضي والمضارع ، فيكون في الأول تجريد ، أى أدفع الثمن الغالى فى اشتراء الخمر . والباء فى بكَلْ ظرفية متعلقة بحالٍ محذوفة ، إذ المراد : أَغْلَى سِبَاءَ الخمر كائنةً فى أَدَكْنٍ ، بالبدال المهملة ، وهو الزَّقُّ .

قال الجوهري : الدُّكْنَةُ : لونٌ يضرب إلى السَّوَادِ . وقد ذَكَرَ الثَّوْبُ من باب فرح ، والشَّيْءُ أَدَكْنٌ . وأنشد البيت وقال : يعنى زَقًّا قد صلَحَ وجاد فى لونه ورائحته لِعَتَقِهِ . والزَّقُّ كما قال صاحب المصباح : هو بالكسر : الظَّرْفُ ، وبعضهم يقول : ظرف زِفَتٍ أو قِير . و (عَاتِقٍ) بمعنى عتيق ، صفة أَدَكْنٍ . قال الدِّيَنَوْرِيُّ (فى كتاب النبات) عند إنشاده هذا البيت : ذهب بعضهم إلى أَنَّ

(١) البيت من معلقة ليبيد . وانظر ابن يعيش ٨ : ٩٢ ووصف المبانى ١٤١ والمعنى ٤ : ١٢٥ .

العاتق الخمر التي لم تُقَضَّ بعدُ . ذهب إلى معنى الجارية العاتق ، وهي البكر ، وليس كذلك ، بل هو من عَتَقَ القَدَمَ ، يقال في كلِّ ما تقادَمَ : عَتَقَ يَعْتَقُ ويعْتَقُ ، أى من باب ضرب ونصر ، فهو عاتق . و (الأدكن) : الرِّق . وقد أخطأ العيني هنا في قوله : وإنما منع أدكن الجرَّ لامتناعه من الصَّرْف ، للعلمية ووزن الفعل .

وقوله : (أَوْجُونِي) بالجرِّ عطف على أدكن ، وهي بفتح الجيم . قال أبو حنيفة : هي الخاية ، والباطية المقيرة . وكذا قال الجوهري : الجونة : الخاية مطيئة بالقار . وقُدِّحَتْ ، بالبناء للمفعول ، الجملة صفةً لجونة . و (قُدِّحَتْ) : غُفِرَتْ . والمقدحة : المغرفة . قال أبو حنيفة : إذا استخمرت الخمرُ فَضُوا عنها خِتَامَهَا ثم استخرجوها من أعلى الوعاء اغترافاً ، وهو القُدْحُ ، وقد قُدِّحَتْ فهي مقدوحة . انتهى . وقيل معنى قُدِّحَتْ مُزِجَتْ ، وقيل معناه بُزِلَتْ . يقال بُزِلَتْ الشَّيْءُ بَزْلًا ، إذا ثَقَبْتَهُ واستخرجتَ ما فيه . والمِبْزَلُ : المِثْقَبُ . وفُضَّ بضم الفاء ، أى كسِر . و (ختامها) : طينها . والضمير للجونة . قال أبو حنيفة : الفتق والفكُّ والفضُّ شَيْءٌ واحد . وقد فتق دَنَّهُ وفضَّهُ ، فاقتدح ما فيه . في المصباح : فضضت الخَتَمَ فضًّا ، من باب قتل : كسرتَه . وفضضت البِكَارَةَ : أزلَّتها ، على التشبيه بالخَتَم . قال الفرزدق :

فَيْتَنَ بِجَانِبِي مُصْرَعَاتٍ وَبَتْ أَفْضُ أَغْلَاقِ الْخِتَامِ (١)

مأخوذ من فضضت اللؤلؤة ، إذا خرقتها . وفي الصحاح : الختام : الطَّيْنُ الذي يختم به . وقوله تعالى : ﴿ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ (٢) أى آخره ، لأنَّ آخر ما يجدونه رائحةُ المسك .

٣٩٧

(١) ديوان الفرزدق ٨٣٦ .

(٢) الآية ٢٦ من المطففين .

والبيت من معلقة ليبيد الصَّحَابِي ، قال شارحها أبو الحُسَيْن الرَّوْزَنِي :
 يقول : أشتري الخمر غالية السعر باشتراءِ كُلِّ زَقٍّ أدكنَ أو خابيةٍ سَوْدَاءَ قَدْ فُضَّ
 خِتَامُهَا ، وَأَغْتَرَفَ مِنْهَا . وتحرير المعنى اشتراءُ الخمرِ للثُّدْمَاءِ عندَ غَلَاءِ السَّعْرِ ،
 واشتراءِ كُلِّ زَقٍّ مَقْبَرَةٍ أو خابيةٍ مَقْبَرَةٍ . وإِنَّمَا قَبْرًا لثَلَا يَرشَحَا بما فيهما ، وليسرع
 صِلَاحَهُ وانتهأهُ ، وهو إدْرَاكُهُ . وقوله « قُدِّحَتْ وَفُضَّ خِتَامُهَا » فيه تقديمٌ
 وتأخير ، تقديره : فُضَّ خِتَامُهَا وَقُدِّحَتْ ، لِأَنَّهُ مَالِمَ يُكْسَرُ خِتَامُهَا لَا يُمْكِنُ
 اغْتِرَافُ مَا فِيهَا مِنَ الْخَمْرِ . انتهى .

وترجمة ليبيد تقدّمت في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة (١) .

وأنشد بعده :

(يَالْهَفَ زَيَابَةَ لِلْحَارِثِ الصَّائِبِ فَالْغَائِمِ فَالْآيِبِ)

وتقدم شرحه في الشاهد الحادى والخمسين بعد الثلاثمائة في أول باب
 العطف (٢) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثمانون بعد الثمانمائة ، وهو من

شواهد س (٣) :

(١) الخزائن ٢ : ٢٤٦ - ٢٥١ .

(٢) الخزائن ٥ : ١٠٧ - ١١٣ .

(٣) في كتابه ٢ : ٢٩٨ . وانظر مجالس ثعلب ١٣٧ ومجالس الزجاجي ٢٧٣ والمنصف ١ : ٢٢٤
 والمحتسب ٢ : ٤٩ ودلائل الإعجاز ٢٣٤ ، ٢٥٩ ، ٢٩٢ وأملّى ابن الشجرى ٢ : ٣٩ والإنصاف ٦٥٦ وابن
 يعيش ٢ : ١٢٨ / ٤ : ١٥ / ٩ : ٣٣ ، ٧٨ ، ١٠ / ٨٩ : ٢١ وشرح شواهد الشافعية ٢٤٢ ووصف المباني ٣٥٣
 والمغنى ١٦١ ، ١٦٢ ، ٣٥٦ والعينى ٤ : ٤١٤ والتصريح ٢ : ١٣٦ والهمع ٢ : ١٢٩ والأشمونى ٣ : ١٠٩ .

٨٨٧ (قفا نَبْكِ من ذَكَرَى حبيبٍ ومنزل بسِقْطِ اللَّوَى بين الدُّخُولِ فَحَوْمِلِ
 فتُوضِحْ فالمِقْرَةَ لم يَغْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ)
 على أَنَّ (الفاء) الداخلة على الأماكن بمعنى إلى ، أى منازل بين الدخول
 إلى حومل إلى توضيح إلى المقرة .

وهذا أحد جوابين أجاب بهما الشارح عن إشكاله (١) ، وهو أَنَّ الفاء
 تقتضى التفريق ، وهو منافٍ لما تُفهِمُهُ بَيْنَ من الاجتماع ، لأنَّ البينية نسبة ، وأقلُّ
 ما تستدعيه منتسبان . وأنت إذا قلت : المال بين زيد وعمرو ، فقد أفدت
 احتواءهما عليه ، واجتماعهما على ملكه . ولهذا الإشكال أنكر الأصمعيُّ ومن
 تبعه رواية الفاء ، وقال : إنّما الرواية : « وحومل وتوضح والمقرة » .

قال العسكري (فى كتاب التصحيف) : تكلم الناس فى قوله : بين
 الدخول فحومل ، قال أبو إسحاق الزَّيَادِي : الرواية « بين الدخول وحومل » ،
 ولا يكون « فحومل » . لأنَّك لا تقول : رأيتك بين زيد وعمرو . وهذا سمعه
 الزَّيَادِيُّ من الأصمعيِّ ، فسألت ابن دُرَيْدٍ عن الرواية فحكى ما قال الأصمعيُّ ولم
 يزد عليه ، فسألت أبا بكر محمد بن على بن إسماعيل (٢) فقلت : قال الأصمعيُّ :
 لا يجوز أن تقول رأيته بين زيد وعمرو . وكان ينكر بين الدخول فحومل . فأملى
 علىَّ الجواب فقال : إنّ لكلِّ حرفٍ من حروف العطف معنى ، فالواوُ تُجْمَعُ بَيْنَ
 الشيئين نحو قام زيد وعمرو ، فجائز أن يكونا كلاهما قاما فى حالة واحدة ، وأن
 يكون قام الأوّل بعد الثانى ، وبالعكس . و (الفاء) إنّما هى دالة على أنّ الثانى
 بعد الأوّل ولا مهلة بينهما . فقال الأصمعيُّ - وكان ضعيفاً فى

(١) ش : « عن إشكال » .

(٢) هو النحوى المعروف بمَبْرَمَانَ ، تلميذ المبرد والزجاج ، وأستاذ الفارسيّ والسيرافي . توفى

النحو غير أنه كان ذا فطنة : أطبقت الرواة على بين الدخول وحومل ، ولا يجوز فحومل ، لأنه ليس يقصد أن يكون بياناً لشيئين أحدهما بعد الآخر ثم يكون الشيء بينهما ، إنما يريد أنهما لا يجتمعان وهو بينهما ، كما تقول زيد بين الكوفة والبصرة ، ولا تقول فالبصرة . فقد أجاد فطنة . انتهى .

٣٩٨

وقد أجاب الشارح على تقدير صحة رواية الفاء بجوابين :

(أحدهما ^(١)) أنها بمعنى إلى ، لدخولها في الأماكن ، فلا تدل على الترتيب المقتضى للتفريق . وهذا الجواب مركّب من قولين ، لأنّ الذى يقول : إنّ الفاء بمعنى إلى لا يشترط في مدخولها أن يكون مكاناً . ومن ذكر دخولها على المكان لا يقول إنها بمعنى إلى ، وإنما هى عنده بمعنى الواو لمطلق الجمع ، ولا تفيد ترتيباً ، والأوّل قول بعض البغداديين . قال العسكرى : قال بعض البغداديين : أراد قفا نيك [ما ^(٢)] بين الدخول إلى حومل إلى توضيح إلى المقرّة . فالفاء في موضع إلى ، فأضمر ما مع بين كقولك : هو أحسن الناس قرناً فقدماً ، ولم يَضْمَر بين . فأراد فابكيا هذا إلى ذا . انتهى .

ونقله ابن هشام أيضاً (فى المغنى) فقال : وقال بعض البغداديين : الأصل ما بين الدخول ، فحذف ما دُونَ بين كما عكس مَنْ قال :
* يا أحسن النَّاسِ ما قرناً إلى قَدَمٍ ^(٣) *

أصله ما بين قرنين ، فحذف بيناً وأقام قرناً مقامها . ومثله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

(١) سيأتى الجواب الثانى فى ص ١٥ مما سيأتى .

(٢) التكملة من ش .

(٣) صدر بيت مجهول القائل . وعجزه كما فى الدرر اللوامع ٢ : ١٧٠ :

• ولا حبال محب واصل تصل •

لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ^(١) ﴿١﴾ قَالَ : وَالْفَاءُ نَائِبَةٌ عَنْ إِلَى . وَيُحْتَاجُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ إِلَى أَنْ يُقَالَ : وَصَحَّتْ إِضَافَةُ بَيْنَ إِلَى الدَّخُولِ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى مَوَاضِعَ ، أَوْ لِأَنَّ التَّقْدِيرَ بَيْنَ مَوَاضِعِ الدَّخُولِ . انْتَهَى .

و (الثاني) هو قول الجَرْمِيِّ ، قَالَ أَبُو حَيَّان (فِي الْإِرْتِشَافِ) وَابْنُ هِشَامٍ (فِي الْمَغْنَى) : وَقَالَ الْجَرْمِيُّ : لَا تَفِيدُ الْفَاءُ التَّرْتِيبَ فِي الْبَقَاعِ وَلَا فِي الْأَمْطَارِ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ : بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ ، وَقَوْلُهُمْ : مُطِيرْنَا مَكَانَ كَذَا فَمَكَانَ كَذَا ، وَإِنْ كَانَ وَقُوعُ الْمَطَرِ فِيهِمَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . انْتَهَى .

وهذا أقرب من القولين الآخرين وأسهل . والقول الثاني يحتاج إلى مَعُونَةٍ ، وَقَدْ بَيَّنَّهَا ابْنُ هِشَامٍ بِقَوْلِهِ : وَيُحْتَاجُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ إِلَى أَنْ يُقَالَ : وَصَحَّتْ إِضَافَةُ بَيْنَ إِلَى الدَّخُولِ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى الْمَوَاضِعِ إِنْخِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ الدَّخُولَ مُفْرَدٌ ، وَالْفَاءُ غَايَةٌ ، وَبَيْنَ مَوْضِعٍ لِلتَّوَسُّطِ إِمَّا بَيْنَ اثْنَيْنِ مُنْفَصِلَيْنِ نَحْوُ : الْمَالِ بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَإِمَّا بَيْنَ اثْنَيْنِ مُجْتَمِعَيْنِ فِي لَفْظَةٍ ، نَحْوُ : الْمَالِ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ ، وَإِمَّا بَيْنَ جَمَاعَةٍ مُفَرَّقَةٍ نَحْوُ : الْمَالِ بَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو وَبَكْرٍ ، وَإِمَّا بَيْنَ ^(٢) جَمَاعَةٍ مُجْتَمِعَةٍ فِي لَفْظَةٍ نَحْوُ : الْمَالِ بَيْنَ الرِّجَالِ ، أَوْ بَيْنَ الْقَوْمِ ، فَلَا تَضَافُ إِلَى مُفْرَدٍ لَفْظًا وَمَعْنًى إِلَّا أَنْ أَوَّلُ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّعَدُّدِ . وَفِيهِ أَيْضًا تَكْلُفٌ ، وَهُوَ ادِّعَاءُ حَذْفِ مَا . وَهَذَا لَا يَجُوزُ عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ ، سِوَاكَ كَانَتْ مَا مَوْصُولَةً إِذْ لَا يَحْذَفُ الْمَوْصُولُ وَتَبْقَى صِلَتُهُ ، أَمْ مَوْصُوفَةً إِذَا شَرَطَ حَذْفُ الْمَوْصُوفِ بِالْجُمْلَةِ أَوْ بِالظَّرْفِ ^(٣) أَنْ يَكُونَ بَعْضًا مِنْ مَجْرُورٍ بِمَنْ أَوْ فِي . وَإِنَّمَا احتَاجَ إِلَى تَقْدِيرِهَا لِأَنَّ نَبْكَ فَعْلٌ مُتَعَدٍّ بِنَفْسِهِ يَطْلُبُ مَفْعُولًا ، يُقَالُ :

(١) الآية ٢٦ من سورة البقرة .

(٢) كلمة « بين » هنا ساقطة من ش .

(٣) ش : « أو الظرف » .

بكَيْتُهُ ، ويتعدَّى بالحرف أيضا يقال : بكيت عليه وله . وأما بكَيْتُهُ بالتشديد فمعناه جعلته باكياً ، كأبكَيْتُهُ بالهمزة .

وتقديرُ الشارح « أى منازل بين الدخول » خيرٌ منه . أشار به إلى أن بين مفعول لنبك بتقدير مضاف ، أى قفا نبكِ منازل بين الدخول .

وفى القولين إشارةً إلى أن (بين) ليس حالاً من سَقَط اللوى ولا صفةً له .

قال ابن المُلّا تبعاً للعيني : بسَقَط اللوى صفةٌ منزل ، وبين الدخول صفة سَقَط اللوى ، أى من منزل كائن بسَقَط اللوى الكائن بين الدَّخول . وإنما قدَرنا متعلّق الصفة الثانية اسماً معرّفاً وإن كان المشهور تقديره فعلاً أو اسماً منكراً رعايةً لجانب المعنى . ولا يحسن جعلُ الظرف حالا ، إذ ليس القصد إلى التقييد . هذا كلامه .

ولنا عنهما غنيةٌ بجعله صفةً ثانيةً لمنزل ، أو بدلا من سَقَط اللوى ، مع أن فى قوله مخالفةً لقولهم : « الجمل والظروف بعد المعارف أحوال ، وبعد النكرات صفات » . ولا يخفى أنه لا حاجة إلى ادّعاء حذفٍ ما ، أو حذفٍ مضاف ، لأنَّ المبكى من أجله مذكور ، وهو قوله : من ذكرى حبيب ومنزل ، ومن فيه بمعنى اللام تعليليةً ، والمبكى من أجله والمبكى عليه مألّهما واحد .

والأولى حملُ تقدير الشارح هذا المضاف عليه ، بجعله ظرفاً لنبكٍ أو بدلاً من منزل ، فيقرأ بالجر ^(١) ، فيكون أشار به إلى أن المبكى من أجله منازل لا منزل واحد ، لأنَّ المواضع أربعة وأقلُّ منازلها مثلها .

والقول الثالث ، وهو قول الشارح المركّب منهما ، محتاجٌ إلى المَعونة التى ذكرناها ، إذ لا يصحّ إلّا بتقدير بين أماكن الدَّخول إلى حومل . وقد أشار إليها

(١) ش : « ويقرأ بالجر » .

ابن جنى (فى سر الصناعة) ، قال : إذا قُلْتَ : مُطَرْنَا بَيْنَ زُبَالَةٍ فَالْتَّعْلَبِيَّةُ ، أَرَدْتَ أَنَّ الْمَطَرَ انْتَضَمَ الْأَمَاكِنَ الَّتِي مَا بَيْنَ الْقَرِيَتَيْنِ ، يَقْرُوهَا ^(١) شَيْئاً فَشَيْئاً بِلَا فُرْجَةٍ . فَإِذَا قُلْتَ : مُطَرْنَا مَا بَيْنَ زُبَالَةٍ فَالْتَّعْلَبِيَّةُ ^(٢) أَرَدْتَ أَنَّ الْمَطَرَ وَقَعَ بَيْنَهُمَا ، وَلَمْ تَرِدْ أَنَّهُ اتَّصَلَ فِي هَذِهِ الْأَمَاكِنَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا . انْتَهَى .

وإذا آل الجواب إليه رجع إلى الجواب الثانى الآتى . وحيث لا فائدة لجعل ^(٣) الفاء بمعنى إلى .

وفى صنيع الشارح أمور :

(أحدها) : قوله : « وقد تحيىء الفاء العاطفة للمفرد بمعنى إلى » أراد أنها كانت عاطفة قبل مجيئها بمعنى إلى وأما بعده فهي متمحضة للغاية ، كما هو ظاهر من كلامه على البيت . ولا ينافيه قوله : فحذفه ، أى حذف الواو مع فاء العطف إلخ ، لأن المراد فاء العطف صورة لا حقيقة . وفيه أنه لا ضرورة إلى تقدير واو العطف معها فإنها عاطفة . ولا يمنع من عطفها كونها بمعنى إلى ، فإن أو العاطفة تأتي بمعنى إلى وبمعنى إلّا ، ولم يقل أحد إنها مجردة من العطف فيهما ، والعطف بها واقع قطعاً كما فى المثال والشعر ، وهى نائبة عن إلى ، لا أنها بمعناها .

(ثانيها) : قوله : « على ما حكى الزجاجى : مُطَرْنَا مَا بَيْنَ زُبَالَةٍ فَالْتَّعْلَبِيَّةُ » ، هذه الحكاية والتوجيه إنما هما للكسائى والفراء ، قال فى تفسير الآية : وأما الوجه الثالث وهو أحبها إلى فأن تجعل المعنى على : إن الله

(١) يقرؤها : يتبعها ، قراها يقرؤها قروا ، كما يقال يقرئها قروا . ط : « يعروها » صوابه ، فى ش وسر الصناعة ١ : ٢٥٣ .

(٢) ط : « والتعلبية » ، صوابه بالفاء كما فى ش وسر الصناعة ، وبحث ابن جنى هنا إنما هو فى الفاء .

(٣) ش : « فى جعل » .

لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بين بعوضة إلى ما فوقها . والعرب إذا ألفت بين من كلام تصلح إلى في آخره ، نصبوا الحرفين المخفوضين اللذين خُفِضَ أحدهما بين والآخر بإلى ، فيقولون : مطرنا ما زبالة فالثعلبية ، وله عشرون ما ناقةً فجملأً ، وهى أحسن الناس ما قرناً فقدماً ، يراد به ما بين قرنهما إلى قدمها . ويجوز أن تجعل القرن والقدم معرفة فتقول : هى حسنة ما قرنها فقدّمها . فإذا لم تصلح إلى في آخر الكلام لم يجز سقوط بين . من ذلك أن تقول : دارى ما بين الكوفة والمدينة ، فلا يجوز أن تقول : دارى ما بين الكوفة والمدينة ، لأنّ إلى إنّما تصلح إذا كان ما بين المدينة والكوفة كلّهُ من دارك ، كما كان المطر آخذاً ما بين زبالة إلى الثعلبية . قال الكسائى : سمعت أعرابياً يقول ورأى الهلال : الحمد لله ما إهلالك إلى سِرارك ، يريد : ما بين إهلالك إلى سِرارك . فجعلوا النصب الذى فى بين فيما بعدها إذا سقطت ، ليُعلم أن معنى بين يراد . وحكى الكسائى عن بعض العرب: ٤٠٠ الشنق ما خمساً إلى خمس وعشرين . والشنق ما لم تجب ^(١) فيه الفريضة من الإبل . ولا تصلح الفاء مكان الواو فيما لم تصلح فيه إلى ، كقولك ^(٢) : دار فلان بين الحيرة فالكوفة محال ، وجلست بين عبد الله فزيد مُحال ، إلا أن يكون مقعدك آخذاً للفضاء الذى بينهما . وإنّما امتنعت الفاء من الذى لا تصلح فيه إلى لأنّ الفعل فيه لا يأتى فيتصل ، وإلى يحتاج إلى اسمين يكون الفعل بينهما كطرفة عين . وصلحت الفاء فى إلى لأنك تقول : أخذ المطر أوله فكذا إلى آخره . فلمّا كان الفعل كثيراً شيئاً بعد شيء فى المعنى ، كان فيه تأويل من الجزاء . انتهى كلام الفراء .

(١) فى النسختين : « لم تجد » وكتب الشنقيطى تعليقا عليه : « كذا بخط المؤلف ، وصوابه : لم تجب » ، بالباء الموحدة . وكتبه محمد محمود . وما أثبتته الشنقيطى من الصواب يطابق ما فى معانى الفراء ١ :

(٢) كذا فى النسختين : « كقولك » ، وهو المطابق لما فى معانى الفراء ١ : ٢٢ . والوجه : « فقولك » .

وفيه فوائد: منها قوله : « هـى حَسَنَةٌ ما قرَنَها ففقدَها » . وبه يُردُّ على الدمامينى فى قوله على ما قرناً إلى قدم : كونُ أصله ما بين قرنِ دعوى لا دليلَ عليها . ويجوز أن تكون ما زائدةً وقرناً تمييز أو منصوب على نزع الخافض . انتهى .
وبأتى فى كلام أبى حيان حقيقة ما . والقرن بفتح القاف وسكون الراء : الخُصلة من الشعر ، بضم الخاء المعجمة .

ومنها ضابطُ سقوط بين ، وهو غير موجودٍ فى الشرح .

ثالثها : قوله : « ولا يجوز حذف ما لكونه موصولاً » ، فإنه لم يشبع الكلام على ما الواقعة مع بين ، فإنه يجوز حذفها فى غير هذين المثالين . ولم يشرَح وجه موصوليتها فيهما .

وقد تكفل بيان ذلك جميعه أبو حيان (فى تذكرته) قال : إذا أتيتَ بينَ صلةً لما فقيل : أعجبني ما بينكما ، فسقوط ما جائز ، وتقضى ^(١) على بين بالرفع ، ولفظها منصوب . ولك أن ترفع بينَ بالفعل وتُعطى حقَّ الأسماء فتضمَر ما ولا تضمَر الذى ، فإنَّها تكون وقتاً ومحلاً . فالأول كقولهم : لا أكلمك ما دام للزيت عاصر ، فما موضوعةٌ فى موضع أبداً ، وانتصابها فيه كانتصاب : لا أكلمك القارظَ العَنزى ^(٢) والثانى كقولهم : جلسَ ما بين الدَّارين ، واستوى ما بينَ المنزلتين ، وأقام ما بين المسجدين ، فلما أتت ما محلاً ووقتاً ضارعت المحل الذى بعدها فكفى منها . واختصت بين بالنيابة عن ما ، لأنَّ ما تكون شرطاً ، وبين يُشترط بها فى قولهم : بينما أنصفنى ظلمنى ، وبينما اتَّصل بى قطعنى . وأما

(١) ش : « ويقضى » مع البناء للمجهول .

(٢) الدرة الفاخرة ٢٨١ وجمهرة العسكرية ١ : ١٢٣ وفصل المقال ٤٧٣ والميدانى فى أوائل (لا)

والمستقصى ٢ : ٥٨ واللسان (قرظ) .

الذى فلا يُعرف له ذلك ولا يُستعمل فيه . ولِما معنى ثانٍ هو الجزء فى أصل البنية وإقرارها على لفظ الذى ، وذلك قول العرب : مطرنا ما زبالة فالتعلبية فزروء^(١) . حكاها الكسائى عن العرب ، ومعناه مطرنا ما بين زبالة إلى الثعلبية ، فنابت زبالة عن بين ، وجعل نصب بين فيها ، ونُسِقت الثعلبية فزروء^(٢) عليها ، ونصبت ما بمطرنا على أن لفظها الذى ، ولزمت الفاء مكان إلى ، ولم يصلح مكانها واو ولا ثم ولا أو ، ولا لا ، لأنها تحفظ تأويل الجزء ، وتجرى فى هذا الكلام مجراها فى : إن زرتنى فأنت محسن ، ولا يجوز : وأنت ، لأنه لا يُوصَل^(٣) الشرط إلا بالفاء إذ^(٤) كانت تفعل ذلك فى ضربته فبكى . وأصل الكلام : إن اتصل المطر إلى زبالة فالتعلبية فهو مَطَرنا . فذلك الذى ينبغى . فتحولت ما إلى لفظ الذى وأصلها الشرط ، ولزمت الفاء مراقبةً لذلك الأصل ونابت عن إلى ، ولولا الشرط الذى بنيت المسألة عليه لم يعطف واحدٌ بالفاء على مخفوض بين ، إذ لا يقال فيما تعرئ من معنى الشرط : المال بين أبيك فأخيك .

وحكى الكسائى والفراء عن العرب : هى أحسن الناس ما قرناً فقدماً ، معناه ما بين قرن إلى قدم ، فلزمت الفاء لأن ما شرطاً فى الأصل ، ومحسنة ذلك ، حُسِنَ إلى فى موضع الفاء . وانتصب « ما » فى هذه المسألة على التفسير ، وانتصب القرن بنصب بين المُسَقَط ، وعُطِفَت القدم على القرن .

ثم نقل كلام الفراء وقال : وما فى ذا المعنى لا تسقط ، فخطأ أن يقال : مطرنا زبالة فالتعلبية ، لأن ما وبين اسم واحد يدخل طرفاه فيه ، وما هى الحد بين

(١) ط : « فزود » فى هذا الموضع وتاليه فى ش مع أثر تصحيح . وزرود : موضع بين ديار بنى عبس

وديار بنى يربوع .

(٢) فى النسختين : « يواصل » .

(٣) ط : « إذا » ، وقد صححت بذلك فى ش .

الشيئين . دليلُ هذا : أن الذى يقول : له على ما بين الألف إلى الألفين ، يدلُّ بما على استيفاء ما بين الألف والألفين . ولو قال ^(١) : جلستُ ما بين الدارين ، لم يكن ^(١) جامعاً لكل ما بينهما . فأتت الفاء لمذهب الشرط وإن لم يُذكر حرف الشرط ، كما لزمت الفاء مع أمّا فقليل : أمّا عبد الله فقائم ، لأنّ المعنى : مهما يكن من شيء فعبد الله قائم . والفرق بين جلستُ ما بين عبد الله فزيد ، وجلست بين عبد الله فزيد : أن ما إذا حضرت كان الذى بين الطرفين مجلوساً فى جميعه ، وإذا لم تكن ما احتمل الكلامُ جلوساً فى بعض الذى بين المكانين . فإذا قيل : عبد الله ^(٢) ما بين أخيك وأبيك ، فما منتصبه على انتصاب المحل وأصلها الشرط ، وما بين الأخ والأب كله لعبد الله موضع . فإن قيل : عبد الله بين أخيك فأبيك ، فموضع عبد الله بعض ما بين الموضعين ، ويجوز استغراق المكان كله . ولم يذكر الفراء زيد ما أخاك وأباك . قال أبو بكر : هو عندى خطأ ، لأنّ ما موضوعة للعموم ، وبين لا تحذف إلّا بعدها اعتماداً عليها مع خلافة الذى يليها لها . وبين من أسماء المواضع التى ليست ناساً فلا يخلف بين بعدها إلّا ما لا يكون من أسماء الأناسى مثل القرن والقدم ، والإهلال والسرار ، والناقة والجمال وما يجرى مجرى ذلك . ومن قال : دارى ما الكوفة فالحيرة ، وهو يذهب إلى ما بين الكوفة إلى الحيرة لم يصب ؛ لأنّ هذا الكلام لا يستقيم إلّا بأن تكون الدار مائة كلّ الموضع الذى بين الكوفة والحيرة ، وما شوهدت دارٌ كذا . فإن لم تذكر « ما » لم يطل أن يقال دارى بين الكوفة فالحيرة على أن الدار آخذة بعض ما بين الكوفة والحيرة . ولو قال : له على ما الألف والألفين ، يريد ما بين الألف إلى الألفين كان

(١) فى النسختين : « وقال جلست ما بين الدارين ولم يكن » ، والوجه ما أثبت .

(٢) فى النسختين : « زيد » ، ولا يستقيم مع بقية الكلام .

الكلام مستقيماً ، لوقوع ما وبين على جميع ما بين الطرفين ودخول الطرفين فيهما ، أعنى في ما وبين .

هذا ما لخصناه من (تذكرة أبى حيان) ، وفيها فوائد تتعلق ببيان دون ما ، تركناها لعدم تعلّق غرضنا بها .

وقول الشارح : « ومثل قوله قفا نبك » إلخ مثل مبتدأ مضاف . وقوله « الفاء فيه بمعنى إلى » هذه الجملة خبر المبتدأ . ويروى في بعض النسخ : « ومثله قوله » ، بالضمير على أنّه مبتدأ وخبر . وهذه رواية فاسدة .

وقوله : « البيتان » مبتدأ محذوف الخبر أى مقروءان ، والمعهود في مثله البيتين بالنصب ، بتقدير اقرأ . والجملة فيهما اعتراض . وإنمّا لم يكتبهما لشهرتهما .

وهذا هو الجواب الأول .

وأما (الجواب الثانى ^(١)) فهو قوله : ويجوز أن يكون المعنى قفا نبك بين منازل الدخول ، يريد أنّ المتعّد الذى تضاف إليه بين محذوف دلّ عليه ما قبله ، وقُدّر في المواضع الأربع ، لأنّ المعطوف شرطه غالباً أن يحلّ موضع المعطوف عليه . وقُدّر بعضهم بين مواضع الدّخول ، فتكون بين مضافة إلى متعّد محذوف . وأجاب بعضهم بأنّ كلاً من الدّخول وحومل وتوضح والمقراة موضع وسينع ٤٠٢ يشتمل على منازل [وموضع ^(٢)] ، فأضيف بين إليها لاشتراكه على متعّد تقديراً ، فلا حذف . وعليهما تكون الفاء عاطفة ، وتفيد ترتيب البكاء بين منازل هذه المواضع .

(١) انظر ما سبق في ص ٧ .

(٢) التكملة من ش .

ولم يقدر الشارح هنا مفعولاً لنبك فيحتمل أنه جعل المفعول بين (١) ويحتمل أن نبك لازم ، أى نُحْدِثُ البكاءَ بين منازل هذه المواضع ، فتكون (٢) بين ظرفاً للبكاء . وهذا أولى ، لأن المبكى من أجله تقدّم .
وهذا الجواب هو الجيد ، والجواب الأول غير جيد كما بيّناه .

وقول الشارح المحقق : « وكذا فى غير هذا الموضع » أشار به إلى ما تقدّم من قولهم : مطرنا ما بين زبالة فالثعلبية ، فإن التقدير ما بين أماكن زبالة فأماكن الثعلبية . ومن قولهم : هى أحسن الناس ما بين قرن إلى قدم ، فإنك تقدّر ما بين أجزاء قرن وما بين قرن فقدّم ، أى ما بين أجزاء قرن فأجزاء قدم ، وما قرناً فقدماً : ما بين أجزاء قرن فأجزاء قدم . وكذا تقدّر فى قوله تعالى : ﴿ مثلاً ما بعوضة فما فوقها ﴾ (٣) على قول الفراء : ما بين أمثال بعوضة فأمثال فوقها . وكذا يقدر فى قولهم : الحمد لله ما إهلالك إلى سيرارك : ما بين أوقات إهلالك .

وسكت ابن هشام عن الآية وعن قولهم : ما قرناً إلى قدم ، لوضوح التقدير .

وقال الدمامينى : لم يتعرض إلى الاعتذار عن بعوضة وقرن على هذا القول . فتأمل .

وقد تأمل به بعضهم فقال : وغاية ما يظهر أن تكون إلى التى الفاء بمعناها للمعية على ما يقول الكوفيون ، ومعنى ما بين قرن مع قدم ، وما بين بعوضة مع ما فوقها : ما بينهما . وأما إن بقيت إلى على معناها فلا يظهر لصحة إضافة بين

(١) ش : « بينا » ، تحريف .

(٢) ط : « فيكون » .

(٣) الآية ٢٦ من سورة البقرة .

إلى قرن وبِعُوضَةٍ وَجَهٌ ، إذ لا يمكن اعتبار تعدُّد المضاف إليه ، ولا أن يقدر معه متعَدَّد .

هذا كلامه ، وهو غنيٌّ عن الردّ لظهور خَلَلِهِ .

هذا وقد أوردَ سيبويه المصراع الأوَّل (في باب وجوه القوافي في الإنشاد من أواخر كتابه) قال : أَمَّا إِذَا تَرْتَمَوْا فَإِنَّهُمْ يُلْحَقُونَ الْأَلْفَ وَالْيَاءَ وَالْوَاوَ ، مَا يَنْوَنُ وَمَا لَا يَنْوَنُ ^(١) ، لَأَنَّهُمْ أَرَادُوا مَدَّ الصَّوْتِ ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :

* قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلي * ... البيت .

إلى آخر ما ذكره .

قال الأعلام : الشاهد فيه وصل اللام في حال الكسر بالياء للترنم ، وهو مدُّ الصوت .

وقوله : (قفا نبك) فيه أربعة أقوال : أحدها لأكثر أهل اللغة أنه خطابٌ لرفيقٍ واحدٍ ، قالوا : لَأَنَّ الْعَرَبَ تَخَاطَبُ الْوَاحِدَ بِخُطَابِ الْاِثْنَيْنِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطَبًا لِمَالِكٍ : ﴿ اَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ ^(٢) ﴾ ، وقال الشاعر ^(٣) :

فَإِنْ تَرَجَرَانِي يَا ابْنَ عَفَّانَ أَنْتَزَجِرْ وَإِنْ تَدْعَانِي أُحِمَّ عِرْضًا مَمْنَعًا

وقال آخر ^(٤) .

وَقُلْتُ لَصَاحِبِي لَا تَحْبِسَانَا بِنَزْعِ أَصُولِهِ وَاجْدَزْ شَيْحَا

(١) ط : « وما ينون وما لا ينون » بإقحام الواو الأولى ، صوابه في ش وسيبويه ٢ : ٢٩٨ .

(٢) الآية ٢٤ من سورة ق .

(٣) هو سويد بن كراع ، كما في معجم الشواهد .

(٤) هو مضر بن ربيعي الفقعسي ، كما في معجم الشواهد .

وحكى عن الحجاج أنه قال : يا حرسى اضرىبا عنقه . والعلة فيه أن أقل أعوان الرجل فى إبله وماله اثنان ، وأقل الرفقة ثلاثة ، فجرى كلام الرجل على ما قد ألف من خطابه لصاحبيه . قالوا : والدليل على أن امرأ القيس خاطب واحداً ، قوله فى هذه القصيدة :

* أصاح ترى برقاً أريك وميضه * ... البيت .

وقال ابن النحاس : هذا شئ ينكره حذائق البصريين ، لأنه إذا خاطب الواحد مخاطبة الاثنين وقع الإشكال . وفيه نظر ، فإن القرينة تدفع اللبس . ٤٠٣

ثانيها : للمبرد قال : الشنية لتأكيد الفعل ، والأصل : قف قف ، بالتكرير للتأكيد . فلما كان الفعل لا يثنى ثنى ضميره . وكذا ألقيا ، واضربا ، وتزجرانى ، وتدعانى ، وتحيسانى .

ثالثها : للزجاج أنه مثنى حقيقة خطاباً لصاحبيه . وكذا ألقيا خطاباً للملكين . ويرد عليه ما عداهما فإنه لا يتصور فيه ما زعمه .

رابعها : أن أصله قفن بنون التوكيد الخفيفة ، فأبدل النون ألفاً إجراءً للوصول مجرى الوقف . ونبك مجزوم فى جواب الشرط . وبه استشهد المرادى (فى شرح الألفية) .

و (السقط) مثلث الأول : ما تساقط من الرمل . و (اللوى) كإلى : ما التوى من الرمل . وسقط اللوى : حيث يسترق الرمل فيخرج منه إلى الجدد . وإنما وصف المنزل به ^(١) لأنهم كانوا لا ينزلون إلا فى صلابية من الأرض ، لتكون أثبت لأوتاد الأبنية والحيايم ، وأمكن لحفر التوى ، وإنما يكون ذلك حيث ينقطع الرمل ويرق .

(١) ط : « بهم » ، صوابه فى ش .

قال التبريزي (في شرح المعلقات) : الباء من « بسقط » يجوز أن تتعلّق بقفا ، ونبك ، وبنزل . وقال الزوزني : هي صفة لمنزل أو لحبيب ، أو متعلّق بنبك . فتأملها مع ما سبق .

و (الدّخول) بفتح الدال وضم الحاء المعجمة ، قال أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم) : هو موضعٌ اختلف في تحديده ، فقال محمد بن حبيب : الدّخول وحومل في بلاد أوى بكر بن كلاب . وأنشد لكثير :

أَمِنْ آلِ قَتْلَةٍ بِالذَّخُولِ رُسُومٌ وَحَوْمِلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدِيمٌ ^(١)

وقال أبو الحسن : الدّخول وحومل : بلدان بالشام . وأنشد : قفا نيك البيتین . وقال أبو الفرج : هذه كلّها مواضع ما بين أمرة إلى أسود العين ، إلا أنّ أبا عبيدة يقول : إنّ المقرأة ليس موضعاً ، وإنّما يريد الحوض الذي يجتمع فيه الماء .

وقال في (أمرة) : بفتح الهمزة والميم والراء المهملة : هي بلدٌ كريم سهلٌ في حمى ضريبة من ناحية البصرة ، وبينه وبين الستار الذي هو جبلٌ من حمى ضريبة خمسة أميال . وأسود العين : جبلٌ على طريق الحاج البصريّ للمُصعد ، بينه وبين حمى ضريبة سبعة وعشرون ميلاً ، فيكون ما بين أمرة وأسود اثنين وعشرين ميلاً . وقال في (حومل) : هو اسم رملة تركب القف ، وهي بأطراف الشّقيق وناحية الحزن ، لبنى يربوع وبنى أسد .

وقال في (توضح) : بضم أوله وكسر الضاد المعجمة بعدها حاء مهملة : موضعٌ ما بين رمل السَّبْحَةِ وأود . وقال الحريري : توضح من حمى ضريبة .

(١) ديوان كثير ٢٠٥ برواية : « أمن آل قيلة » . ولم يرد اسمها في الديوان إلا مرة واحدة ، وبالياء المثناة

وقال في (أود) : هو بضم الهمزة وبالدال المهملة : موضعٌ ببلاد مازن .
وقال ابن حبيب : أود لبنى يربوع بالحزن . وقيل أودٌ والمقرة : حدًا ايمامة . وفي
شعر جرير أود لبنى يربوع ^(١) .

وضبط المقرء ، هي بكسر الميم وإسكان القاف .

وقال التبريزي : هذه المواضع التي ذكرها ما بين أمرة إلى أسود العين ، وهو
جبل ، وهي منازل بنى كلاب . والمقرة في غير هذا الموضع : الغدير الذي يجتمع
فيه الماء ، من قولهم : قريت الماء في الحوض ، إذا جمعته .

وزيالة بضمّ الزاى المعجمة بعدها باءٌ موحدة ، قال البكري : بلد ، ويدلُّك
أنها قريب من زرود قولُ الشماخ يصف ناقته :

وراحت رَواحاً مِنْ زُرُودَ فَنازَعَتْ زِيالةً جِلْبَاباً مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرَ ^(٢)

قال محمد بن سهل : زيالة من أعمال المدينة ، سميت بضبطها الماء
وأخذها منه كثيراً ؛ من قولهم : إن فلاناً لشديد الزَّيْل للقرَّب . وقال ابن الكلبي
عن أبيه : سميت بزيالة بنت مسعود من العماليق ، نزلت موضعها فسميت بها . ٤٠٤

وقال أيضا في (التعلبية) : بفتح الثاء الثالثة وسكون العين المهملة ، هي
بئر منسوبة إلى ثعلبة بن مالك بن دُودان بن أسد ، هو أوَّل من احتفرها ، وهي من
أعمال المدينة ، وهي ماءٌ لبنى أسد . وزرود : حَبْل رمل ^(٣) .

(١) ومنه قوله في ديوانه ١٦٩ ، وهو مطلع قصيدة :

أَهْوَى أَرَاكَ بِرَأْمَتَيْنِ وَهُودَا أُمَ بِالْجُنَيْتَةِ . من مدافع أودا

(٢) ديوان الشماخ ٣١ .

(٣) ط ومعجم البكري : « جبل رمل » ، صوابه ما أثبت من ش . ولا يكون الجبل رملا . وحبل الرمل :
ما استطال منه وامتد . وقال ياقوت : « والزرود : البلع ، ولعلها سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تغطها
السحاب ، لأنها رمال بين التعلبية والخزيمية ، بطريق الحاج من الكوفة » .

وقوله : (لم يعف رسمها) هو في موضع التعليل للبكاء ، لأنه لو عفت هذه المواضع أو عفا رسمها لاستراح العاشق ، وفي بقائها أشدُّ حزنٍ له ، كقول ابن أحرر :

أَلَا لَيْتَ الْمَنَازِلَ قَدْ بَلَيْنَا فَلَا يَرْمِينِ عَنْ شَرِّهِ حَزِينَا ^(١)

أى فلا يرمين عن تحرف . يقال شَرَّنَ فلانٌ ثم رمى ، أى تحرف في إحد شَيْقِيهِ ، وذلك أشدُّ لرميه ، أى ليتها بليت حتى لا ترمى قلوبنا بالأحزان والأوجاع . وعفا الشيء يعفو عفوًا وعُفُوًا وعَفَاءً : درس وانمَحَى . وعَفَاهُ غيره : درسه . والرسم : ما لصق بالأرض من آثار الديار ، مثل البعر والرَّمَاد .

وقوله : (لِمَا نَسَجَتْهَا) تعليل لعدم العفاء والامحاء . قال الأصمعي : إنَّ الرِّيحِينَ إذا اختلفتا على الرسم لم يعفوا ، فلو دامت عليه واحدة لعفته ؛ لأنَّ الرِّيحَ الواحدة تَسْفِي على الرسم فيدُرس ، وإذا اعتورت ريحان فسفت عليه إحداهما فغطته ثم هبَّت الأخرى كشفت عن الرِّسم ما سفت الأخرى ، فيكون نسجُ الرِّيحِينَ اختلافهما بالثراب ، فواحدة تُغَطِّي والأخرى تُكشِف . وقيل : معناه لم يعف رسمها للرِّيح وحدها ، إنما عفا للرِّيح والمطر وتراذف السنين . وقيل : معناه لم يعف رسم حبِّها من قلبى وإن نسجت الرِّيحان فعفتها مع الأمطار والسنين . والمعنى الجيدُّ هو الأوَّل . وفاعل نسجت ضمير ما ، و « ها » ضمير المواضع الأربعة . ومن بيان لما ، فتكون ما عبارة عن ريح الجنوب والشمال ، وهما ريحان متقابلان .

وهذان البيتان أوَّل معلقة امرئ القيس ، وتقدّمت ترجمته في الشاهد التاسع صاحب الشاهد والأربعين من أوائل الكتاب ^(٢) . وتقدّم أيضا شرح غالب هذه القصيدة في مواضع متعدّدة مع بيان سبب نظّمها .

(١) ديوان ابن أحرر ١٥٦ وأمالى المرتضى ٢ : ١٩٣ .

(٢) الخزائن ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

ومصرع البيت الأول مُدَحَّ بحسن الابتداء ، وعجزه غير ملائم له .
والممدوح مطلع قصيدة للنابغة الذبياني :

كِلِينِي لَهُمْ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَكِبِ
وتقدّم بيانُ حسنِهِ في الشاهد السابع والثلاثين بعد المائة ^(١) .

قال ابن أبي الإصبع (في تحرير التعبير ^(٢)) : لعمري لقد أحسن ابنُ المعتزِّ في اختياره بيتَ النابغة لحسن الابتداء ، فَإِنِّي أَظُنُّهُ نَظَرَ بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس ، فرأى ابتداء امرئ القيس على تقدّمه وكثرة معاني ابتدائه ، متفاوت القسمين جدًّا ، لأنَّ صدر البيت جَمَعَ بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني بالنسبة إلى العجز ، وألفاظ العجز غريبة بالنسبة إلى ألفاظ الصدر ، بخلاف بيت النابغة ؛ فَإِنَّهُ لَا تَفَاوُتَ بين قسميه . فثبت أنَّ بيت امرئ القيس وإن كان أكثر معانٍ ^(٣) من بيت النابغة فبيت النابغة أفضلُ من جهة ملائمة ألفاظه ^(٤) ، ومساواة قسميه . وإنَّمَا عَظُمَ ابتداء معلقة امرئ القيس في النفوس الاقتصارُ على سماع صدر البيت ، فَإِنَّهُ يشغل الفكر بحُسنه عن النظر في ملائمة عجزه أو عدم ملائمته ^(٤) ، وهو الذي قيل عند سماعه للمنشيد : حَسْبُكَ فَإِنَّ قَائِلَ هَذَا الْكَلَامِ أشعر الناس ، لَأَنَّهُ وَقَفَ وَاسْتَوْقَفَ ، وبكى واستبكى ، وذكر الحبيبَ والمنزلَ في شطر بيت ، ولم يُسْتَنْشِدْ العجزَ شغلًا بحسن الصّدر عنه . وإذا تأمل الناظرُ في النّقد البيتَ بكَماله ظهرَ له تفاوتُ القسمين . انتهى .

٤٠٥

(١) الخزانة ٢ : ٣٢٥ - ٣٢٨ .

(٢) تحرير التعبير ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) وكذا في تحرير التعبير بحذف الفتحة من آخر الاسم المنصوب تشبيهاً به بالمرفوع والمجرور . وقال المبرد : هو من أحسن ضرورات الشعر . الأشموني ١ : ١٠١ . وعقب عليه الصبان بقوله : « الأصح جوازه في السعة ، بدليل قراءة جعفر الصادق : من أوسط ما تطمعون أهاليكم ، بسكون الياء » . الصبان ١ : ١٠١ .

(٤) كذا بالتسهيل في النسختين . وفي تحرير التعبير : « ملائمة » بالهمز .

ولعمري لقد أحسن الإمام الباقلاني (في كتاب إعجاز القرآن) بإطالة لسانه بتزييف هذا المطلع حيث قال : الذين يتعصبون لامرئ القيس ويدعون محاسن الشعر يقولون : هذا من البديع ، لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب ، وتوجّع واستوجع ، كله في بيت ، ونحو ذلك . وإنما بينّا هذا لئلا يقع لك ذهائبنا عن مواضع المحاسن إن كانت ، ولا غفلتينا عن مواضع الصنّاعة إن وجدت . تأمل ، أرشدك الله ، تعلم أنه ليس في البيتين شيء قد سبق في ميدانه شاعراً ، ولا تقدّم به صانعا . وفي لفظه ومعناه خلل ، فأول ذلك أنه استوقف من يبكي لذكر الحبيب ، وذكره لا يقتضي بكاء الخلى ، وإنما يصح طلب الإسعاد ^(١) في مثل هذا على أن يبكي لبكائه ، ويرق لصديقه في شدّة برّحائه . فأما أن يبكي على حبيب صديقه ، وعشيق رفيقه ، فأمر محال . فإن كان المطلوب وقوفه وبكائه أيضاً عاشقا صحّ الكلام وفسد المعنى ، لأنه من السخف أن لا يغار على حبيبه ، وأن يدعو غيره إلى التغاؤل عليه ، والتواجد معه فيه .

ثم في البيتين مالا يفيد ، من ذكر هذه المواضع ، وتسمية هذه الأماكن من الدّخول وحومل ، وتوضيح والمقراة ، وسقط اللوى ، وقد كان يكفيه أن يذكر في التعريف بعض هذا ، وهذا التطويل إذا لم يفد كان ضرباً من العي .

ثم إن قوله : « لم يعف رسمها » ذكر الأصمعي من محاسنه أنه باق فنحن نحزن على مشاهدته ، فلو عفا لاسترحنا .

وهذا بأن يكون من مساويه أولى ، لأنه إن كان صادق الودّ فلا يزيد عفاء الرسوم إلا جدّة عهد ، وشدّة وجد . وإنما فرغ الأصمعي إلى إفادة هذه الفائدة خشية أن يعاب عليه فيقال : أي فائدة لأن يعرفنا أنه لم يعف رسم منازل

(١) الإسعاد : المعونة ، أسعده : أعانه . وفي ط : « الإشعار » صوابه في ش وإعجاز القرآن ٢٤٤ .

حبيبه، وأئى معنى لهذا الحشو ؟ فذكر ما يمكن أن يُذكر ، ولكن لم يخلصه بانتصاره^(١) ، من الخلل .

ثم فى هذه الكلمة خلل آخر ؛ لأنه عقب البيت بأن قال :

* فهل عند رسم دارس من معول *

فذكر أبو عبيدة أنه رجع فأكذب نفسه ، كما قال زهير :

قِفْ بالذيّار التى لَمْ يَغْفُها القِدْمُ . نَعَمْ وَغَيْرها الأرواحُ والدَّيْمُ^(٢)

وقال غيره : أراد بالبيت الأول أنه لم ينطمس أثره كله ، وبالثانى أنه ذهب بعضه ، حتى لا يتناقض الكلامان .

وليس فى هذا انتصار ، لأن معنى عفا : درس .

واعتذار أبو عبيدة أقرب لو صحَّ ، ولكن لم يرد هذا القول مورد الاستدراك على ما قاله زهير^(٣) ، فهو إلى الخلل أقرب .

وقوله : « لَمَّا نَسَجْتَهَا » كان ينبغى أن يقول : لِمَا نَسَجَهَا ، ولكنه تعسف فجعل ما فى تأويل تأنيث ، لأنها فى معنى الرّيح ، والأولى التذكير دون التأنيث ، وضرورة الشعر قد دلّته على هذا التعسف .

وقوله : « لَمْ يَعْفَ رَسْمُها » كان الأولى أن يقول : لم يعف رسمه ، لأنه ذكر المنزل . فإن كان ردّ ذلك إلى هذه البقاع والأماكن التى المنزل واقع بينها ، فذلك خلل ، لأنه إنما يريد صفة المنزل الذى نزله حبيبه بعفائه ، أو بأنه لم يعف

٤٠٦

(١) نص الإعجاز : « بانتصاره له » .

(٢) ديوان زهير ١٤٥ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٢٧ برواية : « بلى وغيرها » فيها .

(٣) وكذا فى إعجاز القرآن ٢٤٦ ، « لم يرد » من الورود .

دون ما جاوره . وإن أراد بالمنزل الدارَ حتَّى أَنتَ فذلك أيضاً خللٌ . ولو سئل من هذا كله وممَّا نكره ذكره كراهيةَ التَّطويل ، لم نشك في أنَّ شعْرَ أَهلِ زماننا لا يقصُرُ عن البيتين ، بل يزيد عليهما ويفضِّلُهما .

انتهى ما أورده الباقِلَانِي ^(١) ، ولا يخفى ما في بعضه من التعسف .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد الثمانمائة ^(٢) :

٨٨٨ (أيا دار سلمى بالحُروريةِ اسلمي إلى جانب الصَّمَّانِ فالمتلِّمِ
أقامت به البردَيْنِ ثم تذكَّرت منازلها بين الدَّخولِ فجُرِّمِ
ومسكنها بين الفُراتِ إلى اللّوى إلى شُعْبِ تَرَعَى بهنَّ فعيَّهم)
على أنَّه يستعمل في تحديد الأماكن (إلى) محذوفاً منها العاطفُ كما في
البيت الأخير ؛ فإنَّ واو العطف محذوفة من إلى الثانية على خلاف القياس .
وظاهر كلامه أنَّ الواو لا تستعمل مع إلى في التحديد المذكور . ولم يقل به
أحد ، وإن لم يكن هذا الظاهر مراده ، فكان ينبغي له أن يقول : « يجوز » بدل
يستعمل . على أنَّ ذكر تحديد الأماكن لا فائدة فيه ، لأنَّ مثله من قبيل حذف
الواو العاطفة ، وفيه قولان :

الجواز ، سمع أبو زيد من العرب : أَكلْتُ خبزاً ، لحماً ، تمرًا . وهو مذهبُ
الفارسيِّ ومن تبعه .

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ٢٤٤ - ٢٤٧ . ط : « ما أورده الباقِلَانِي » ، وأثبت ما في ش .

(٢) الأغاني ٤ : ١٢٦ وابن الشجري ١ : ١١٧ وديوان الجعدي ١٣٧ .

والمنع ، وهو قول ابن جنى (فى سر الصناعة) ومن تبعه ، وتأول ما ذكر على أنه من بدل البداء .

وكان ينبغي الاكتفاء بالبيت الثالث لأنه موضع الشاهد وحذف ما قبله .

وهذه الأبيات مطلع قصيدة للنابعة الجعدى الصّحّابى ، كذا أوردها صاحب الشاهد الأصهبانى (فى الأغانى) ، وزاد بعدها بيتا ، وهو :

(ليلالى تصطاد الرجال بفاحم وأبيض كالإغريض لم يتلّم)

ورواها ابن الشجرى (فى أماليه) كذا :

(أيا دار سلمى بالحزون ألا سلمى نُحْيِيكَ عن شحط وإن لم تكلّمى ^(١))

عفت بعد حى من سليم وعامر تفانوا ودقوا بينهم عطر منشيم

ومسكنها بين الفرات إلى اللوى إلى شعب ترعى بهنّ فعيم ^(٢)

أقامت به البردين ثم تذكّرت منازلها بين الجواء فجُرْثِم

ليالى تصطاد الرجال بفاحم وأبيض كالإغريض لم يتلّم)

ولتنكّل على الرواية الأولى أولاً فنقول : (أيا) حرف نداء . و (الدار) :

المنزل ، مؤنث سماعى . وسلمى : اسم امرأة . والباء من قوله (بالحرورية) متعلقة

بمحذوف حال من دار . وأراد : بالرملة الحرورية ، فإن حروراء بالمد ويقصر

بالمهملات : اسم رملة وعثة بناحية الدهناء ^(٣) ، بفتح الدال وسكون الهاء بعدها

نون ، يمد ويقصر . قال ابن حبيب : الدهناء : رمال فى طريق اليمامة إلى مكة ،

وهى منازل بنى تميم لا يُعرف طولها ، وأمّا عرضها فثلاث ليال . وهى على أربعة

٤٠٧

(١) بالحزون ، انفرد بها ابن الشجرى ، وهى جمع حزن بالفتح .

(٢) الديوان : « بين الغروب » ، وهو موضع لم يعينه ياقوت .

(٣) ط : « الدهناء » بالقصر ، فى هذا الموضع وسائر المواضع التالية .

ليال من هجر . ويقال في المثل : « أوسع من الدهناء » . كذا في معجم البكرى .
والحروراء أيضاً : قرية بظاهر الكوفة ينسب إليها الحرورية ، وهى طائفة من
الخوارج كان أول اجتماعهم بها وتحكيمهم ، حين خالفوا علياً رضى الله عنه .
والنسبة إليه حرورى . كذا في العباب للصاغاني . وهذه الكلمة لم يوردها البكرى
(في معجمه) . وليس المراد قرية الكوفة وإلا لقال : بحروراء . وقوله : (اسلمى)
دعاء لدار سلمى بالسّلامة لها . وقوله : (إلى جانب) حال من دار أيضا ، أى
ممتدة إلى جانب (الصّمان) بفتح الصاد المهملة وتشديد الميم . قال البكرى (في
معجمه) : هو جبل يتّقاد ثلاث ليالٍ ، وليس له ارتفاع سوى الصّمان لصلابته .
وتخرج من البصرة على طريق المنكدر لمن أراد مكة ، فتسير إلى كاظمة ثلاثاً ، ثم
إلى الدّوّ ثلاثاً ، ثم إلى الصّمان ثلاثاً ، ثم إلى الدهناء ثلاثاً . وقوله : (فالتثلم)
معطوف على جانب ، قال البكرى : هو بضم أوله وفتح ثانيه وفتح الثاء المثلثة
وفتح اللام المشددة ^(١) : موضعٌ بالعالية . انتهى . والعالية : ما فوق نجد إلى تهامة .
ولم يذكرها البكرى (في معجمه) .

وقوله : (أقامت به البردين) بفتح الموحدة : مثني برد ، وأراد به طرفي
الشتاء . والبردان أيضاً : الغداة والعشي . ويجب أن يكون هذا البيت بعد قوله :
« ومسكنها » البيت ، ليعود ضمير به إلى المسكن ، كما في رواية ابن الشجري ،
وإلا كان ينبغي أن يقول : أقامت بها البردين ليعود ضمير بها إلى الدار ، فإنّها
مؤنثة كما ذكرنا . وإن أرجعنا ضمير به إليها باعتبار المنزل فهو تعسف . وقوله :
(بين الدّخول فجرثم) أى بين مواضع الدخول فمواضع جرثم . والدّخول تقدّم

(١) وضبط في معجم ياقوت بكسر اللام المشددة ، وهى رواية أهل الحجاز كما في التاج واللسان

(ثلم) . وفي التاج أيضاً أن فتح اللام رواية أهل المدينة ، وهى اللغة التى اقتصر عليها صاحب القاموس .

وأنظر ديوان زهير ٤ .

شرحه في الشاهد المتقدم ، والرواية الصحيحة : « بين الجِواء فُجْرُثم » . قال البكري (في معجمه) : جُرْثم بضم الجيم وسكون الراء وضم المثناة ، قال أبو سعيد : هو ماءٌ من مياه بني أسد ، ثم من بني فقعس . وجُرْثم تجاه الجِواء ، يدلُّ على ذلك قولُ الجعدّي :

أقامت به البردين ثم تذكَّرتْ منازلها بين الجِواء فُجْرُثم

وقال في (الجِواء) : هو بكسر الجيم بعدها واو ، وبالمَد : جبل يلي رَحْرَحان ، بينه وبين الرِّبْذة ثمانية فراسخ . وقد ذكرته في رسم الرِبْذة . وذكر فيها : هي بفتح الراء والموحدة والذال المعجمة ، هي التي جعلها عُمر رضى الله عنه جِمَى لِإِبِل الصَّدقة . وأوَّلُ أَجْبُل جِمَى الرِّبْذة في غربيها : رَحْرَحان ، بينهما بريدان ، ويلي رَحْرَحان من غربيّه جبلٌ يقال له الجِواء ، وهو على طريق الرِّبْذة إلى المدينة المنورة ، بينه وبين الرِّبْذة أحدٌ وعشرون ميلاً^(١) . وليس بالجِواء ماءٌ ، وأقرب المياه إليه ماءٌ للسلطان يقال له العزّافة ، بأَبْرَق العزّاف^(٢) بينه وبين الجِواء ثلاثة أميال . انتهى .

ووجه العطف بالفاء في البيتين قد شرّحه الشارح في البيت الآتي .

وقوله : (ومسكنها بين الفرات^(٣)) إلخ بعد أن خاطب الدار بالتداء ودعا لها ، التفت إلى الإخبار عن مسكن حبيبتها فقال : ومسكنها بين الفرات ، هو مبتدأ وخبر . والفرات : نهر الكوفة . وأراد بين مواضع الفرات . وفي الأغاني وبعض نسخ هذا الشرح : « العروب » بدل الفرات ، وهو تحريف منه . وقوله (إلى اللوى)

(١) وكذا وردت العبارة في معجم البكري ٦٣٤ . وفي اللسان (وحد ٤٦٠) : « وإحدى في ابتداء العدد تجرى مجرى واحد في قولك : أحد وعشرون ، كما يقال واحد وعشرون » .

(٢) في النسختين : « يقال له العذافة بأَبْرَق العذاف » بالذال فيهما ، وصوابه بالزاي كما في معجم المهجري .

(٣) الكلام بعده إلى « الفرات » التالية ساقط من ش .

متعلّق بحال محذوفة ، وصاحب الحال الضمير المستقرّ في بين ، أى ممتدّاً إلى اللوى ، بكسر اللام والقصر ، وهو كما قال التّوّزى : موضعٌ معروف من أرض بنى تميم . وقوله (إلى شُعَب) معطوف بواو محذوفة . والشُّعَب : جمع شُعبة ، وهو مسيلٌ ماء من ارتفاع إلى بطن الوادى ، أصغر من الثَّلعة . قاله ابن الشجرى . و (ترعى) فعل مضارع وفاعله مستتر ضمير سَلَمى ، وهو من رعى الماشية أَرعاها رَعياً ، إذا أخذتها إلى المرعى . ويقال أيضاً رعت الماشية ترعى رعيّاً فهي راعية ، إذا سَرَحَتْ بنفسها ، يستعمل متعدّياً ولازماً . كذا في المصباح . وضمير (بهنّ) للشُّعَب . ومفعول ترعى محذوف ، أى ترعى ماشيتها في الشُّعَب لكون نبتة أوفر . فالباء في بهنّ ظرفية متعلّقة بترعى ، وجملة ترعى صفة لشُعَب . ورأيت في هامش بعض نُسخ هذا الشرح : تُرعى بضم أوله وفتح العين : اسم موضع ، منقول من الفعل ، ومثله تُوضّح . انتهى . وهو خطأ واضح ، على أنّه غير موجودٍ هذا المكان في معجم البكرى وغيره .

وقوله : (فعَيم) أى فإلى عَيم ، بفتح العين المهملة وسكون المثناة التحتيّة وفتح الهاء . قال البكرى : هو جبلٌ بالعُور بين مكة والعِراق ، وقد ذكرته في رسم (بيشة) . وقال فيها : هى بكسر الموحدة والشين المعجمة : وادٍ من أودية تهامة . ولم يُعجِرَ لَعيهم فيها ذكرًا البتّة . وأمّا رواية ابن الشجرى فنقول : قوله :

* أيا دارَ سلمى بالحُزون ألا اسلمى *

الحزون : جمع حَزَن ، بفتح الحاء المهملة وسكون الزاء المعجمة ، وهو ما غلظَ من الأرض ، وهو خلاف السَّهل . وكأنّه أراد حَزَن بنى يربوع ، فجَمَعَه بما حوله . وليس الحُزون اسمٌ موضع بعينه . قال البكرى : حزن بنى يربوع : قُفٌّ غليظ مسيرة ثلاث ليال . وقال السُّكَّرى (فى أشعار اللُصوص) : الحزن بلاد بنى

يربوع ، وهى أطيب البادية مَرعى ، ثم الصَّمَان . وقال حَنِيفُ الحَنَاتِمِ ^(١) : « من قاطَ الشَّرَفَ ، وترَبَّعَ الحَزْنَ ، وتَشَتَّى الصَّمَانَ ، فقد أصاب المَرعى » .
والشَّرَفُ : من بلاد بنى ثُمير .

و (أَلَا) : حرف تنبيه . و (اسلمى) فعل أمرٍ مسند إلى ضمير الدار .
دعا لها بالسَّلامة . وقوله :

* نُحْيِيكَ عَنْ شَحْطٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمِي *

نُحْيِيكَ من التَّحِيَةِ . قال صاحب المصباح : حَيَاءُ تَحِيَّةٍ أَصْلُهُ الدُّعَاءُ بالحياة ، ثم كَثُرَ حَتَّى اسْتُعْمِلَ في مطلق الدعاء ، ثم استعمله الشرع في دعاءٍ مخصوص ، وهو : سلامٌ عليك . انتهى . والشَّحْطُ : البُعد ، وفعله من باب منع .
وقوله : (وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمِي) أصله تتكلمى بتاءين . قال ابن الشَّجَرِيّ : خاطب الدَّار بقوله : أيا دارَ سلمى ، ويقولوه : اسلمى ، وبما بعده ، ثم انصرف عن خطابها إلى إضمار الغيبة في قوله : عفت . انتهى . ولم يزد على هذا شيئا .

وقوله : (عفت) بمعنى درست وذهب آثارها . وقال ابن الشَّجَرِيّ :
وسليم وعامر اللذان ذكرهما : سليم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس بن عيلان ، وعامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة المذكور . وأراد بِمَنْشِمْ امرأةً من خزاعة يقال لها مَنْشِمْ بنت الوَجِيه ، كانت تبيع العَطر في الجاهليَّة ، فلما وقعت الحربُ بين جُرهَم وخزاعة كانت إذا حضر القتال

(١) حنيف الحناتم : أحد فصحاء الأعراب ، قال أبو فيد مؤرج السدوسي ٧٢ : « أحد بنى حَنَم بن عدى بن الحارث بن تيم الله ، كان ظمء إبله غِيًّا بعد عَشْر ، وأظماء الناس غب وظاهرة . والظاهرة : كل يوم مرة » . ويقال في أمثالهم : « أبل من حَنِيفِ الحَنَاتِمِ » ، و « أبهى من حنيف الحناتم » ، وهذا للمتكرر المعجب بنفسه . و « أدل من حنيف الحناتم » أيضا ؛ إذ كان دليلا ماهرا بالدلالة . وانظر جمهرة العسكرى ١ : ٢٠٠ ، ٢٤١ ، ٤٥٦ وأمثال الميداني ١ : ٧٦ ، ١٠٤ ، ٢٥٠ .

تجىء بالطيب مدقوقاً ، فنطيب به فتیان خُزاعة ، وكان من مس من ذلك الطيب شيئاً لم يرجع من يومه إلا جريحاً أو قتيلاً . فضربت العرب المثل بعطرها في الشؤم . انتهى .

وقد استقصينا الكلام في (منشم) في شرح أبيات من معلقة زهير من باب الاشتغال (١) .

وقوله : (أفاءت به) قد تقدّم شرحه مع ما قبله . قال ابن الشجري : ٤٠٩
أضمر المسكن بعد إضمار الشُعْب .

وقوله : (ليالى تصطاد) إلخ ظرف متعلق بأقامت . والفاحم : الشعر الأسود كالفحم . وقوله : (وأبيض) أى بشعر واضح براق كالإغريض ، وهو طلع النخل ، شبه أسنانها به .

وتقدّمت ترجمة النابغة الجعدي في الشاهد السادس والثمانين بعد المائة (٢) .
وفي قصيدة لجابر بن حنّي التغلبي بيتان على نمط شعر الجعدي ، في خطاب الدار ، وهما :

فيا دار سلمى بالصريمة فاللوى إلى مدفع القيقاء فالمتلّم (٣)
أقامت بها بالصيف ثم تذكّرت مصايرها بين الجواء فعيهم

وهي مذكورة في المفضليات . قال شارحها ابن الأنباري : القيقاء : جمع قيقاء ، وهو ما غلظ من الأرض في ارتفاع . ومصايرها : مواضعها التي تصير إليها في الشتاء . والجواء وعيهم : موضعان .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ٧ - ٨ .

(٢) الخزانة ٣ : ١٦٧ - ١٧٢ .

(٣) المفضليات ٢٠٩ - ٢١٠ . والمتلّم بتشديد اللام المفتوحة في لغة أهل المدينة ، وتشديد المكسورة في لغة أهل الحجاز .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الثمانمائة ، وهو من شواهد
سيبويه ^(١) :

٨٨٩ (يادَارَ مِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالسَّنْدِ)

هذا صدر وعجزه :

(أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ)

على أَنَّ (الفاء) فيه لإفادة الترتيب في الذكر ، فتكون عاطفة على معناها .
ولم يمكن جعلها بمعنى إلى كما تقدّم في أول التخريجين في بيت امرئ القيس ، لعدم
ظهور الغاية .

وقصد بهذا الرّدّ على الجرمي في زعمه أَنَّ الفاء في الأماكن لمطلق الجمع
كالواو ، فلا تدلّ على ترتيب ، لأنّ الحرف وغيره إذا أمكن بقاؤه على ما وُضع له
فلا يُعدّل إلى خلافه . و (العلياء) ، و (السند) كلّ منهما ليس اسم مكانٍ
بعينه ، قال صاحب الصحاح : العلياء : كلّ مكانٍ مشرف ، وهو بفتح العين
والمدّ . وقال صاحب العباب : السند ، بالتحريك : ما قبالك من الجبل وعلا عن
السفح ^(٢) . وأنشد هذا البيت . ولهذا لم يذكر البكري العلياء (في معجمه) ،
لكن أورد السند فقال : هو بفتح أوله وثانيه : ماء بتهامة معروف ، وهو الذي
عنى النابغة بقوله :

* يا دار مِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالسَّنْدِ *

(١) في كتابه ١ : ٣٦٤ . وانظر مجالس ثعلب ٥٠٣ والجمل ٢٣٩ والمحاسب ١ : ٢٥١ ومختصر القوافي

لابن جنى ٢٣ وأمالى ابن الشجري ١ : ٢٧٤ / ٢ : ٨٢ والعيون الغامرة للدمامي ٢٤٤ والعيني ٤ : ٣١٥
والتصريح ١ : ١٤٠ / ٢ : ٢٤٣ والمجم ١ : ٨٥ ، ٢٤٣ والأشعوني ١ : ٢١٠ وديوان النابغة ١٥ .

(٢) ط : « من السفح » ، وأثبت ما في ش واللسان .

وقد حدّده الأحوص في قوله :

غَشِيْتُ الدَّارَ بالسَّنْدِ دُوَيْنَ الشَّعْبِ مِنْ أُحْدِ (١)

وقال أبو بكر : سَنَدٌ : ماء معروف لبنى سَعْد . انتهى . وهذا غير ذاك .

قال أبو علي (في المسائل البصرية) : مسألة :

* يادَارَ مِيَّةً بِالْعَلِيَاءِ فَالسَّنْدِ *

و : * يا دار مِيَّةً بِالْعَلِيَاءِ غَيْرَهَا (٢) *

الجَارُ متعلّق بأقوت وبغيرها ، لأنّ دار مية معرفة فلا يكون الفعل صفةً .

فأمّا قوله :

* أَدَارًا بِحُزْوَى هَجَتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً (٣) *

فلا يكون بحزوى إلّا متعلّقًا بمحذوف . ألا ترى أنّ دارًا نكرة . ويجوز في

الأوّلين أن يكون الجار متعلّقًا بمحذوف فيكون في موضع حال ، كقوله :

* يَا بؤْسَ لِلْجَهْلِ ضَرَّارًا لِأَقْوَامِ (٤) *

ولا يجوز عندي في قوله :

* أَلَا يَا بَيْتَ بِالْعَلِيَاءِ بَيْتٌ (٥) *

(١) ديوان الأحوص ٧٦ عن معجم البكري .

(٢) لم أهد إلى قائله ولا إلى تتمته .

(٣) صدر بيت لذي الرمة في ديوانه ٣٨٩ ، وهو الشاهد ١١٣ . وعجزه :

◦ فماء الهوى يرفض أو يترقق ◦

(٤) للنابعة في ديوانه ٧١ ، وهو الشاهد ١٠٤ من الخزانة . وصدده :

◦ قالت بنو عامر خالوا بنى أسد ◦

(٥) صدر بيت لعمر بن قنص في كتاب سيبويه ١ : ٣١٢ . وعجزه :

◦ ولولا حب أهلك ما أتيت ◦

أن يكون متعلقاً بمحذوف على أن يكون حالاً ، ولكن متعلق بمحذوف ،
 [على] نحو : في الدار رجل ، لأنه خبر بيت الثاني ، ويكون أقوٓث وغيرها
 منقطعين ممّا قبلهما ، كأنه لما نادى أقبل على غيرها فخطبهُ . والدليل على كون
 الظرف حالاً في بيت ذى الرمة ، وأنه يجوز أن لا يكون متعلقاً بالفعل الذي هو
 ٤١٠ غيرها قوله في أخرى :

يا دار مئة بالخلاء فالجرد سقياً وإن هجت أدنى الشوق والكمد^(١)
 فكما أن هذا لا يكون إلاّ حالاً كذلك قوله : « بالعلياء غيرها^(٢) » يجوز
 أن يكون حالاً . فإن قلت : لم لا تجعل بالعلياء في قولك :

* ألا يايث بالعلياء بيت *

حالاً ، وتجعل بيت الثاني بدلاً من الأوّل ليخلص الظرف حالاً ؟ قلت :
 ذلك لا يجوز ، ألا ترى أنه لا يستقيم أن تقول مبتدئاً : يا زيد ولولا عمراً أكرمت ،
 كما قال :

* ولولا حب أهلك ما أتيت *

وإن شئت أجزته كما قال :

يا ابن أمي ولو شهدتك إذ تدعو تميماً وأنت غير مُجاب^(٣)

ومنه ابن جنى (في المحتسب) فقال : وسألني قديماً بعض من كان يأخذ
 عني فقال : لم لا يكون « بيت » الثاني تكريراً على الأوّل ، كقولك : يا زيد زيد ،
 ويكون بالعلياء في موضع الحال من البيت ، كما كان قول النابغة^(٤) :

(١) ديوان ذى الرمة ١٤٣ برواية : « أدنى الشوق للكمد » .

(٢) قطعة من الشطر الماضي في الصفحة السابقة . وفي ش : « بالخلاء غير » ، تحريف .

(٣) مجهول القائل كما في معجم الشواهد .

(٤) ط : « كما في قول النابغة » ، وأثبت ما في ش والمحتسب ١ : ٢٥١ .

* يادار مِيةً بالعلياء فالسند *

قوله : بالعلياء ، في موضع الحال ، أى يا دار مِيةً عاليةً مرتفعة ، فيكون كقوله :

* يا بؤسَ للجَهلِ ضرَّاراً لِأَقوامِ *

هذا معنى ما أورده بعد أن سدّدت السؤال ومكثته . فقلت : لا يجوز ذلك هنا ، وذلك أنّه لو كان البيت الثانى تكريراً على الأوّل لقال :

* لولا حبُّ أهليكَ ما أتيتُ *

فيكون كقولك : يا زيد لولا مكانك ما فعلت كذا . وأنت لا تقول : يا زيد ولولا مكانك لم أفعل كذا . فإذا بطل هذا ثبت ما قاله صاحب الكتاب من كونه كلاماً بعد كلام ، وجُملةٌ تتلو جملة . وهذا واضح .

انتهى كلامه ، وكأنّه لم يستحضر آخرَ كلامِ أبى على .

وقد غفلَ العينيُّ عن حكم وقوع الظرف بعد المعرفة بجعله حالاً منها ، فقال : بالعلياء محلُّها النصب على أنّها صفة لدارِ مِيةً ، والتقدير الكائنة بالعلياء . وهذا تحريه ، والبصرة تدلُّ على البعير .

و (مِيةً) : اسم امرأة . و (أقوت) : خلت من السُّكَّانِ وأقفرت . وفيه التفاتٌ من الخطاب إلى الغيبة حيث لم يقل : أقويت . و (السالف) : الماضى . و (الأبد) : الدهر .

وهذا البيت مطلعٌ قصيدةٍ للنابغة الذبياني تقدّم ذكرُ سببها مع شرح صاحب الشاهد أبيات (١) من أوّلها ، فى الشاهد السابع والأربعين بعد المائتين (٢) . وبعده :

(١) ش : « مع أبيات » بسقوط كلمة « شرح » .

(٢) الخزائن ٤ : ٥ - ٨ .

آيات الشاهد

(وَقَفْتُ فِيهَا أُصِيلًا أُسَائِلُهَا أَعَيْتَ جَوَابًا وَمَا بِالذَّارِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا الْأَوَارِيُّ لِأَيَّ مَا أُبَيِّنُهَا وَالتَّوَيُّ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ)

وهذه الآيات الثلاثة أنشدتها سيبويه في باب الاستثناء . والشاهد في البيت الثالث وهو رفع الأورى في لغة تميم ، ونصبه في لغة الحجاز .

قال الأعلام : الشاهد في قوله : إلّا الأورى ، بالنصب على الاستثناء المنقطع ، لأنها من غير جنس الأحد ، والرفع جائز على البدل من الموضع ، والتقدير : وما بالربع أحد إلّا الأورى ، على أن تجعل من جنس الأحد اتساعاً ومجازاً . انتهى .

وقد تقدم شرح البيت مفصلاً في الشاهد الثاني والسبعين بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(وَإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي)

على أن إحدى الفاءين زائدة . ولم يعين الزائد .

قال أبو علي (في التذكرة القصرية) : الفاء الأولى زائدة ، والثانية فاء الجزاء .

ثم قال : اجعل الزائد أيهما شئت .

٤١١

وعين القاضى (في تفسيره) الأولى ، فإنه أورده البيت نظيراً لقوله تعالى : ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ (٢) ، قال : الفاء في فبذلك زائدة ، مثلها الفاء الداخلة على عند في البيت . وتقديم « عند » للتخفيف كتقديم « ذلك » . وسيبويه لا يثبت

(١) الخزانة ٤ : ١٢١ - ١٣٠ .

(٢) الآية ٥٨ من سورة يونس .

زيادة الفاء ، وَحَكَمَ بزيادتها هُنا للضرورة . وَمَنْ تبعه وَجَّه ما أَوْهَمَ الزيادة ، فَوَجَّهَهَا صاحبُ الباب بأنَّها إِنَّمَا كُرِّرَتْ هُنا لبُعد العهد بالفاء الأولى ، كما كُرِّرَ العامل في قوله ^(١) :

لقد عَلِمَ الحَيُّ الِيمانُونَ أَنَّنِي إِذا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أَنَّنِي خَطِيبُهَا
أُعِيدَ (أَنَّنِي) لِبُعد العهد بَأَنَّنِي . انتهى .
وهذا لا يَطَّرِدُ له في الآية .

وهذا المصراع عَجَزٌ ، وصدره :

(لا تَجْزَعِي إِنْ مُنَفَسٌ أَهْلَكُتْهُ)

والبيت آخر قصيدةٍ للنمر بن تولب الصَّحَّاني ، وتقدَّم الكلامُ عليه مع شرح القصيدة وترجمته ، في الشاهد السادس والأربعين من أوائل الكتاب ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد الثمانمائة ^(٣) :

٨٩٠ (إِنْ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ)

على أَنَّ (ثُمَّ) فيه لمجرد الترتيب في الذكر ، إلى آخره .

وهذا أحدُ أجوبةِ ثلاثة عن إشكال ، وهو أَنَّ ثُمَّ هُنا قد عطفت المتقدِّم على المتأخِّر ، وهو عكس وضعها . فأجاب الفراء وهو ما ذكره الشارح ، بأنَّ ثُمَّ

(١) البيت لسحبان بن وائل ، كما سبق في ١٠ : ٣٦٩ . وانظر فصل المقال ٤٩٧ .

(٢) الخزانة ١ : ٣١٤ - ٣٢٢ .

(٣) ديوان أبي نواس ١٢٢ والمجم ٢ : ١٣١ والمغنى ١١٧ والأشمونى ٣ : ٩٤ .

فيه للترتيب الذكرى ، ويقال له الترتيب الإخبارى وترتيب اللفظ أيضا . وذلك أن الفاء وثم يكونان لترتيب الأفعال والأقوال ، وثم هنا لترتيب القول بحسب الذكر والإخبار والتلفظ . قال الفراء : ومنه : بلغنى ما صنعت اليوم ، ثم ما صنعت أمس أعجب .

وإليه ذهب ابن مالك (فى التسهيل) فقال : وقد تقع ثم فى عطف المتقدم بالزمان ، اكتفاءً بترتيب اللفظ . انتهى .

وفى هذا الجواب اعتراف بأن ثم هنا للترتيب بدون تراخ ومُهله كما صرح به الشارح ، وهو خلاف وضعها .

وأجاب ابن عصفور (وهو الجواب الثانى) بأن ثم هنا على بابها ، بتقدير أن الممدوح ساد أولاً ، ثم ساد أبوه بسيادته ثم جدّه . قال (فى شرح الجمل) : وما ذكره الفراء من أن المقصود بثم ترتيب الأخبار لا ترتيب الشئ فى نفسه ، فكأنه قال : اسمع منى هذا الذى هو ^(١) : بلغنى ما صنعت اليوم ، ثم اسمع منى هذا الخبر الآخر الذى هو : ما صنعت أمس أعجب - ليس بشئ ، لأن ثم تقتضى ^(٢) تأخير الثانى عن الأول بمُهله ، ولا مُهله بين الإخبارين . وأمّا قول الشاعر : إن من ساد البيت ، فينبغى أن يُحمل على ظاهره ، ويكون الجد قد أتاها السُودد من قبل الأب ، وأتى الأب من قبل الابن . وذلك ممّا يمدح به ، وإن كان الأكثر فى كلامهم توارث السُودد ، ويكون البيت إذ ذاك ، مثل قول ابن الرُومى :

قالوا : أبو الصقر من شيبان قلت لهم : كلاً لعمرى ، ولكن منه شيبان ^(٣)
فكم أب قد علا بابني ذراً حسب كما علّت برسول الله عدنان . انتهى .

(١) ش : « هذا هو » .

(٢) ط : « يقتضى » .

(٣) المغنى ١١٨ .

قال المرادى (فى الجنى الدانى) : ما ذكره ابن عصفور فى تأويل البيت
لا يساعد عليه قوله : « قبل ذلك » . انتهى .

قال الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : وذلك لأنّ مضمون الكلام على
ما أجاب به ابن عصفور أنّ سوّد الابن سابق لسوّد الأب ، وسوّد الأب سابق
لـسوّد الجدّ ، والسابق للسابق لشيء سابق لذلك الشيء ، فتكون سيادة الابن
سابقة لكلّ من سيادة أبيه وسيادة جدّه ، وسيادة الأب سابقة لسيادة الجدّ .
وقول الشاعر: قبل ذلك، منافٍ لهذا بلا شك . انتهى .

وأجاب بعضهم عن ابن عصفور بتمحّل ، وردّ عليه . ويردّ عليه أيضاً
بأنّ ثمّ تدلّ على التراخى ، فما معنى التراخى والمهلة هنا ؟

وأجاب الأخفش (وهو الجواب الثالث) بأنّ ثمّ هنا بمعنى الواو ، لمطلق
الجمع . وردّ عليه بعضهم بأنّه لو صحّ جريانها مجرى الواو لجاز وقوعها حيث
ما يصلح إلّا معنى الواو ، فكان يقال اختصم زيد ثم عمرو ، كما يقال : اختصم
زيد وعمرو . ولكنّ ذلك غير مقول باتّفاق . قال الشاطبى (فى شرح الألفيّة) :
قال الماوردى : الدليل على أنّ ثمّ لا تكون بمعنى الواو إجماعُ الفقهاء على أنّه
لا يجوز أن يقال : هذا بيّمين الله ويؤمنك ، بالواو ، ولكنّ أجازوا أن يقال : هذا
بيمين الله ثمّ يؤمنك . قال : ولو كانت بمعنى الواو ما قرؤوا إليها . قال : وفى الحديث
أنّ بعض اليهود قال لأصحاب النبى ﷺ : تزعمون أنّكم لا تشركون بالله وأنتم
تقولون : ما شاء الله وشئت ! فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : « لا تقولوها وقولوا :
ما شاء الله ثمّ شئتُ ^(١) » . حدّث به قاسم بن أصبغ . انتهى .

(١) ورد الحديث برواية أخرى فى كل من نهاية ابن الأثير ١ : ٥١٧ ولسان العرب (شيئاً ٩٨) مع ذكر
اليهودى فيه . وفى سنن ابن ماجه ١ : ٦٨٥ أن رجلاً من المسلمين رأى فى النوم أنّه لقي رجلاً من أهل الكتاب =

وأقول : هذا لا يَرِدُ على الأخفش ، فإنه لم يَدَّعِ أَنَّ ثم بمعنى الواو دائماً ، وإنما يريد قد تكون بمعناها في بعض المواد ، وذلك على سبيل المجاز . ولا يخفى أَنَّ البيت إذا حمل على قوله لم يَرِدْ عليه شيء .

قال الدماميني : لا خفاء في كون القائل بأنَّ ثم تُستعمل بدون ترتيب كالواو ، يقول بأنَّ ذلك استعمال مجازي ، ولا يشترط في آحاد المجاز أن تُنقل بأعيانها عن أهل اللغة ، بل يُكتفى بالعلاقة على المذهب المختار . والعلاقة المصححة هنا الاتصال الذي بين هذين الحرفين ، من جهة أنَّ الواو لمطلق الجمع ، وثمَّ لجمع مُقيّد ، والمطلق داخل في المقيّد . فثبت أنَّ بينهما اتصالاً معنوياً ، فجاز استعمال ثم بمعنى الواو مجازاً لذلك . وحينئذ فالسعي في تأويل تلك الأمثلة ممّا يصحّح الترتيب فيها ، نظرٌ في أمر جزئي لا يقتضي بطلان المدعى من أصله . انتهى .

وهذا البيت من شعري مولد لا يُوثق به ، وأوله مغيرٌ اشتهر به ، وهو أول أبيات سبعة لأبي نواسٍ الحسين بن هانيء ، مدح بها العباس بن عبّيد الله بن أبي جعفر ، وهي :

صاحب الشاهد

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ قَبْلَهُ ثُمَّ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ
وَأَبُو جَدُّهُ ، فَسَادَ إِلَى أَنْ يَتَلَاقَى نِزَارُهُ وَمَعْدُهُ
ثُمَّ آبَاؤُهُ إِلَى الْمَبْتَدَأِ مِنْ — هُ أَبٌ لَا أَبٌ وَأُمُّ تُعَدُّهُ (١)
يَا ابْنَ بُحْبُوحَةِ الْبَطَاحِ عَبِيدِ الدِّ هِ ، غَوْنًا مِنْ مُسْتَغِيثِ تَوَدُّهُ

أبيات الشاهد

= فقال نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون ، تقولون ما شاء الله وشاء محمد . وذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : أما والله إن كنت لأعرفها لكم . قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد . أما أبو داود في السنن ٤ : ٢٩٥ فإنه لم يذكر للحديث قصة واقتصر على قوله ﷺ : « لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان » .

(١) في الديوان : « من آدم » بدل « منه » . وفي ش : « من أب » .

فاهْتَبَلْ عِنْدِي الصَّنِيعَةَ وَاذْخَرْ فِي لِقَوْلٍ أَجِيدُهُ وَأَجِدُهُ
وَاسْتَزِدْنِي إِلَى مَكَارِمِكَ الْغَدْرُ رُّ وَفَضْلِي إِلَيْكَ خَيْمَ مَجْدُهُ (١)
عَبْدِي إِذَا انْتَمَى أَبْطَحِي تَالِدٍ نَسْجُهُ عَتِيقِي فِرْنَدُهُ

والعباس هذا : عمّ هارون الرشيد (٢) . ولم يعرفه ابن الملاء (في شرح
المغنى) فقال : لعله العباس بن المأمون بن الرشيد . وأبو ثؤاس مات قبل أن يصير
٤١٣ ابنُ المأمون في عداد من يُمدَح .

والمأمون اسمه عبدُ الله ، وأبو الممدوح اسمه عُبيد الله بالتصغير ، كما في
الشعر .

وقوله : « وأبو جده » معطوف على جَدِّه . وقوله : « فساد » ، يريد : مَنْ بَقِيَ
من جُودِهِ واحداً بعد واحدٍ ، إلى أن يَلْقِيَهُ جَدُّه نَزَارُ بْنُ مَعْدٍ بنِ عدنان ، وهو
عمود النَّسَبِ مُحَمَّدِي ﷺ .

وزعم ابنُ الملاء أَنَّ قوله : « وأبو جَدِّه فساد » مبتدأ وخبر ، والفاء زائدة .
وقوله : « ثُمَّ آبَاؤُهُ » ، أى بعد مَعْدٍ . وقوله « إلى المبتدأ منه أب » هو آدم
عليه السلام ، خلقه الله من ترابٍ لا من أبٍ وأم . وقوله : « لا أبٌ وأمٌّ تعُدُّهُ » ،
أى لا له أبٌ تعُدُّهُ ولا له أمٌّ تعُدُّها .

و « عبيد الله » بالجرّ بدل من بُحْبُوحَةٍ . وقوله : « غوثا » منصوب بتقدير
أُطلب ، وهو اسم الإغاثة بمعنى الإغاثة بالنصر . وقوله : « مِنْ مُسْتَغِيثٍ » أى من
أجل مُسْتَغِيثٍ . وتودُّهُ : تحبُّهُ .

(١) في الديوان : « ومجد إليك خيم مجده » .

(٢) المفهوم من الديوان أنه يمدح إبراهيم بن عبيد الله الحَجَّي . والحجبي ، بفتح الحاء والجيم نسبة إلى
حجاجة البيت المعظم ، وهم جماعة من عبد الدار ، كانت إليهم حجاجة الكعبة ومفتاحها . أنساب السمعاني
الورقة ١٥٧ .

وقوله : « فاهتبل » الاهتبال : الاغتنام . والصَّنِيعَة : الفعل الجميل .
واذْخَرْنِي : أمرٌ مِنْ ذَخَرْتَهُ ذَخْرًا ، من باب نفع ، إذا أَعَدَدْتَهُ لوقت الحاجة إليه ،
والاسم الذَّخِر بالضم . و « أَجِيدُهُ » من الإِجَادَة ، أى أَحْسَنُهُ . و « أَجِدُهُ » أى
أُحْدِثُهُ جَدِيدًا .

وقوله : « واستزدنى إلى مكارمك » أى اجعلنى زيادةً مضمومة إلى
مكارمك ، أى اجعلنى بعضَ مكارمك ، أى أفعالك التى تُمدَح بها . والغَرَّ :
جمع أغرَّ وغرَّاء . والأغرَّ : الواضح المشهور . وقوله : « وفضل » ، بالجر معطوف
على مكارمك . وَخَيِّمَ : أَقامَ . والمجد : الشرف والعِزَّ .

وقوله : « عبدري » بالجر صفة لفضل ، منسوب إلى عبد الدار ، وهو أحدُ
أولاد قُصَيِّ بن كلاب . وانتسب : انتسب . وأبطحى بالجر أيضاً ، يريد أنه من
قُرَيْشِ البَطاح ، وهم أشرفُ من قُرَيْشِ الظَّواهر . وقوله : « تالد نسجه » بالجر صفةٌ
سببية لفضل . ونسجه فاعلٌ تالد . والتالد : القديم الأصل . والهاء فى نسجه
ضمير « فضل » . وعتيق بالجر أيضاً . والفرند ، بكسرتين : الجوهر والحُسن .

وترجمة أنى نواس تقدّمت فى الشاهد الثالث والخمسين من أوائل
الكتاب (٣) .

* * *

(١) ش : « من أب » كما سبق فى الشعر .

(٢) الكلام بعده إلى « اجعلنى » التالية ساقط من ش .

(٣) الخزائن ١ : ٣٤٧ - ٣٤٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والتسعون بعد الثمانمائة (١) :

٨٩١ (فلماً أجزنا ساحة الحى)

هو قطعة من بيت من معلقة امرئ القيس ، وهو :

(فلماً أجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى قفاف عقتل)
على أن (الواو) فى قوله : (وانتحى) قيل زائدة وانتحى جواب لما . وأولهُ
البصريون .

وهذا الخلاف فى البيت مبنى على أن ما بعده هذا :

(إذا قلت هاتى نولينى تمايلت على هضيم الكشح ربا المخلخل)
فإن « لما » فى البيت السابق تقتضى جواباً ، ولا شئ فى البيتين صالح لأن
يكون جواباً . فقال الكوفيون : انتحى هو الجواب ، والواو زائدة . وقال
البصريون : الواو عاطفة والجواب محذوف تقديره : فلماً أجزنا وانتحى بنا بطن
خبت أمنا ، أولنت مأمولى ، ونحو ذلك . والمشهور فى الرواية أن ما بعد فلماً
أجزنا ... البيت ، هو هذا :

٤١٤ (هصرت بفودى رأسها فتمايلت على هضيم الكشح ربا المخلخل)

وعليها يكون هصرت جواب لما عند الفريقين ، فلا زيادة ولا نقص .

واعلم أن الكوفيين وجماعة من البصريين أجازوا زيادة الواو . قال الفراء (فى
تفسير سورة يوسف) : قوله تعالى : ﴿ فلماً جهزهم بجهازهم ﴾ ، ﴿ جعل
السقاية ﴾ (٢) جواب ، وربما أدخلت فى مثلها الواو وهى جواب على حالها ،

(١) معانى الفراء ٢ : ٥٠ ، ٢١١ والمنصف ٣ : ٤١ والإنصاف ٤٥٧ والاعتضاب ٣٧٨ والمعلقات .

(٢) الآية ٧٠ من سورة يوسف . ويريد أن « جعل السقاية » هى الجواب .

كقوله في أول السورة : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ^(١) ﴾ ، والمعنى والله أعلم أوحينا إليه . وهى فى قراءة عبد الله : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ وَجَعَلَ السَّقَايَةَ ﴾ . ومثله فى الكلام : لَمَّا أَتَانِي وَأُتِبْتُ عَلَيْهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ وَثِبْتُ عَلَيْهِ . وقد جاء الشعر فى ذلك ، قال امرؤ القيس :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ [وانتحى ^(٢)] ... البيت .

وقال آخر ^(٣) :

حَتَّى إِذَا قَمِلَتْ بَطُونُكُمْ وَرَأَيْتُمْ أَبْنَاءَكُمْ شَبُّوا
وَقَلْبُهُمْ ظَهَرَ الْمَجْنُّ لَنَا إِنَّ اللَّيْمَ الْعَاجِزُ الْحَبُّ

أراد : قلبتم .

وقال أيضا فى آخر تفسير سورة الأنبياء : وقوله تعالى : ﴿ واقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ^(٤) ﴾ معناه والله أعلم : حَتَّى إِذَا فَتَحْتَ اقْتَرَبَ . ودخول الواو فى الجواب فى حَتَّى إِذَا ، بمنزلة قوله [تعالى ^(٥)] : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ ﴾ ، وفى قراءة عبد الله : ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ وَجَعَلَ السَّقَايَةَ ﴾ وفى قراءتنا بغير واو . ومثله فى الصَّافَات : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمًا وَلِلَّهِ الْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ ^(٦) ﴾ معناها ناديناها . وقال امرؤ القيس :

(١) الآية ١٥ من سورة يوسف . وانظر معانى القرآن ٢ : ٥٠ . وزيادة الواو فقط فى قراءة عبد الله . كما نقل الزمخشري وابن عطية . وظن أبو حيان أن قراءة عبد الله عند الزمخشري : « وجعل السقاية فى رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن » . تفسير أبى حيان ٥ : ٣٢٩ . وهو وهم من أبى حيان ، وإنما « أمهلهم حتى انطلقوا » من عبارة التفسير عند الزمخشري ، وليست تكملة للقراءة .

(٢) التكملة من ش .

(٣) القائل مجهول . وانظر معجم الشواهد .

(٤) الآية ٩٧ من سورة الأنبياء . وانظر معانى الفراء ٢ : ٢١١ .

(٥) التكملة من ش .

(٦) الآيتين ١٠٣ ، ١٠٤ من الصافات .

* فلماً أجزنا ساحة الحى وانتحى * ... البيت .

يريد : انتحى . انتهى كلامه .

وقد أورد ابن الأنبارى (فى مسائل الخلاف) كلامَ الفريقين ، فلا بأس بنقله مختصراً ، قال : ذهب الكوفيون إلى أن الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة . وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش ، وأبو العباس المبرّد ، وأبو القاسم بن برّهان البصريّين . وذهب البصريّون إلى أنّه لا يجوز .

واحتج الكوفيّون بقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ^(١) ﴾ قالوا : فتحت جواب إذا والواو زائدة ، كما قال تعالى فى صفة سَوِّقِ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتِ أَبْوَابُهَا ^(٢) ﴾ ، ويقول تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴾ . واقترب الوعدُ الحق ^(٣) ﴿ اقترب جواب إذا ، والواو زائدة . ويقول تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ . وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُكَّتْ ^(٤) ﴾ التقدير : أَذْنَتْ . ويقول الشاعر :

* فلماً أجزنا ساحة الحى * ... البيت .

ويقول آخر :

* حَتَّى إِذَا قَمِلَتْ بِطُونَكُمْ * ... البيتين .

وأجاب البصريّون عن الآية الأولى بأنّ التقدير : حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا فَازُوا وَنَعِمُوا . وعن الآية الثانية بأنّ التقدير : وهم من كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ

(١) الآية ٧٣ من سورة الزمر .

(٢) الآية ٧١ من سورة الزمر . وهذه مجردة من الواو .

(٣) الآية ٩٦ ، ٩٧ من سورة الأنبياء .

(٤) الآية ١ ، ٢ من سورة الانشقاق .

قالوا ياويلنا . وقيل الجواب : فإذا هي شاخصة . وعن الثالثة بأن التقدير : وأذنت لربها وحقت يرى الإنسان الثواب والعقاب . وكذا يقدر في قول الشاعر : فلما أجزنا وانتحي بنا بطن خبيت خلونا ، ونعمنا . وقلبتم ظهر المجن لنا بأن غدركم ولؤمكم . وإنما حذف الجواب في هذه المواضع للعلم به ، توحياً للإيجاز . وقد جاء حذف الجواب ^(١) . قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَتْهُ الْمَوْتَى ﴾ ^(٢) التقدير : لكان هذا القرآن . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ ^(٣) . وتقديره : لفضحكم بما ترتكبون ، ولعاجلكم بالعقوبة . وحذف الجواب أبلغ ، لتذهب النفس إلى كل مذهب ممكن . انتهى كلامه .

٤١٥

قال ابن السيد (في شرح أدب الكاتب) : وكان بعض النحويين فيما حكى أبو إسحاق الزجاج يذهب فيما كان من هذا النوع مذهباً يخالف فيه البصريين والكوفيين ، فكان يقول في الآية حتى إذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها . وكذلك بيت امرئ القيس : فلما أجزنا ساحة الحى أجزناها وانتحي . فالجواب على رأيه محذوف ، والواو واو الحال ، وفي الكلام قد مضمرة . انتهى .

وزهد ابن عصفور (في كتاب الضرائر) إلى مذهب الكوفيين ، إلا أنه خص زيادة الواو بالشعر . وهذا تحكّم منه من غير فارق . وأنشد تلك الأبيات وقول أبن خراش :

(١) في الإنصاف : « وقد جاء حذف الجواب في كتاب الله تعالى وكلام العرب كثيراً » .

(٢) الآية ٣١ من سورة الرعد .

(٣) الآية ١٠ ، ٢٠ من سورة النور . وختام الأولى : « وأن الله تواب حكيم » ، والثانية : « وأن الله رؤوف رحيم » . وفي ط : « فلولا فضل الله عليكم ورحمته صوابها في ش والإنصاف . وهي الآية ٦٤ من سورة البقرة : « فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين » . وليست موضع استشهاد هنا ، إذ أن جواب « لولا » هو « لكنتم » .

لَعُمْرَ أُمَى الطَّيْرِ المُرِّيَّةِ بالضُّحَى على خالِدٍ لَقْدَ وَقَعَتْ على لَحْمٍ^(١)
 ولَحْمِ امرئٍ لَمْ تَطْعَمِ الطَّيْرُ مِثْلَهُ عَشِيَّةً أُمسى لَا يُبَيِّنُ مِنَ البَّكْمِ
 قال : يريد لحم امرئ . وهو بدل من لحم المتقدم ، إلاَّ أَنَّهُ اضْطَرَّ فزاد
 الواوَ بين البدل والمبدل منه . وأنشد أيضا :
 فَإِنَّ رَشِيداً وَابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ حَتَّى يُصْدِرَ الأَمْرَ مُصَدِّراً^(٢)
 قال : يريد رشيد بن مروان ، فزاد الواوَ بين الصفة والموصوف . وأنشد
 أيضا قول الآخر :

كُنَّا وَلَا نَعَصِي الحَلِيلَةَ بَعْلَهَا فالْيَوْمَ تَضْرِبُهُ إِذَا مَا هُوَ عَصَى
 قال : زاد فى الواو فى خبر كان .

هذا . والبيت الشاهد قبله :

(وبِضْءِ خَيْدِرٍ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ هُوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ
 تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَعَشِراً عَلَى جِرَاساً لَوْ يُسِيرُونَ مَقْتَلَى^(٣)
 إِذَا مَا الثَّرَيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ
 فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لَنَوْمِ ثِيَابِهَا لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضَّلِ
 فَقَالَتْ : يَمِينُ اللَّهِ مَالِكِ حِيلَةٍ وَمَا إِنْ أَرَى عِنكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي
 فَقَمْتُ بِهَا أَمْشَى تَجَرُّ وَرَاءَنَا عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالٍ مِرْطٍ مُرْحَلِ
 فَلَمَّا أَجْزَنَّا سَاحَةَ الْحَيِّ إِلَى آخِرِ الْبَيْتَيْنِ
 مُهْفَهَفَةً بِيضَاءُ غَيْرِ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجْنَجِلِ^(٤)

أبيات الشاهد

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١٥٤ ومعجم الشواهد . وقد سبق فى ٢ : ٣١٦ / ٦ : ٢٠٨ .

(٢) معانى الفراء ٢ : ٣٤٥ والضرائر ٧١ . وقد أتى به الفراء شاهداً على أَنَّ العرب تَمَتَّعت بالواو وبغير

الواو .

(٣) ط : « حراسا » ، صوابه فى ش .

(٤) ط : « غير مضافة » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

وقوله : « وبيضة خدر » إلخ أى ربّ امرأة لزمت خدرها تُشبه البيضة ، فى البياض والملاسة ، تمتعت بها غير خائف من أحد .

وقوله : « تجاوزت أحراساً » إلخ يُسرون بالمهملة : يُخفون ، وبالمعجمة : يظهرون . ويأتى إن شاء الله شرح هذين البيتين فى حروف المصدر .

وقوله : « إذا ما الثريا فى السماء » ، إلخ إذا ظرّف لقوله تجاوزت ، أى تخطّيت أحراساً إليها وقت تعرّض الثريا فى السماء ، وهو آخر الليل ، وذلك وقت غفلة رقبائها وحرّسها . والوشاح : شئ ينسج من أديم ويرصّع ، شبه قلادة ، تلبسه النساء ، وجمعه وشحّ مثل كتاب وكتب . وتوشّع بثوبه ، وهو أن يدخله تحت إبطه الأيمن ويلقيّه على منكبيه الأيسر كما يفعل المُحرم . قاله الأزهري ^(١) .

واتّشح بثوبه كذلك ، كذا فى المصباح . وقال صاحب الصحاح : الوشاح يُنسج عريضاً من أديم ويرصّع بالجواهر ، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . والتعرّض : الاستقبال . وأثناء الوشاح : أوساطه ، جمع ثنى كعصا ، وثنى مثل إلى ، وثنى بكسر أوله وسكون ثانيه . وكذلك مفرد « الآلاء » بمعنى النعم ، ذكرهما ابن الأنبارى . والمفصلّ : الذى قد فصلّ بالأحجار ، كالزبرجد والشندر . يقول : تجاوزت إليها فى وقت إبداء الثريا عرضها فى السماء كإبداء الوشاح الذى فصلّ بين جواهره وخرزه عرضّه . وأنكر قوم هذا وقالوا : الثريا لا تعرّض لها . وقيل : يريد بالثريا الجوزاء ، وأنّ هذا مثل قول زهير :

٤١٦

فَتُنْتَجَ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَاءَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمُ

قالوا : يريد كأحمر ثمود ، فغلط . وقيل : إنّها إذا طلعت طلعت على استقامة ، وإذا استقلّت ^(٢) تعرّضت . وهكذا الوشاح يعترّض على الكشح .

(١) ش : « قال الأزهري » ، صوابه فى ط والمصباح .

(٢) استقلت : تعالت وارتفعت . وفى النسختين : « استقبلت » ، صوابه ما أثبت .

وقال أبو عمرو : تأخذ الثريا وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة . شبه اجتماع كواكب الثريا ودنو بعضها من بعض ، بالوشاح المنتظم بالودع المفصل بينه . وقال الخطيب التبريزى : معناه أنَّ الثريا تستقبلك بأنفها أول ما تطلع ، فإذا أرادت أن تسقط تعرّضت ، كما أنَّ الوشاح إذا طرح تلقاك بناحيته .

قال الإمام الباقلاني (فى كتاب إعجاز القرآن ^(١)) بعد نقل هذه الوجوه : الأشبه عندنا أنَّ البيت غير معيب من حيث عابوه ، وأنَّه من محاسن القصيدة ، ولكن لم يأت فيه بما يفوت الشأو ، ويستولى على الأمد . أنت تعلم أنَّه ليس للمتقدمين ولا للمتأخرين فى وصف شئ من النجوم مثل ما فى وصف الثريا ، وكلُّ قد أبدع فيه وأحسن ، فإمَّا أن يكون قد عارضه أو زاد عليه . فمن ذلك قول ذى الرمة :

وردتُ اعتسافاً والثُّريا كأنَّه على قمة الرَّأس ابنُ ماءٍ محلَّق ^(٢)

ومن ذلك قول ابن المعتز :

وترى الثُّريا فى السَّماء كأنَّها يَبْضُاطُ أُدْحَى يَلْحَنَ بِفَدْفِدٍ ^(٣)

وكقوله :

كأنَّ الثُّريا فى أواخرِ ليلها تفتُّحُ نورٍ أو لجامٍ مفضَّض ^(٤)

وقوله :

فناوَلَنِها والثُّريا كأنَّها جَنَى نَرْجِسٍ حَيًّا النَّدَامَى به السَّاقَى ^(٥)

(١) إعجاز القرآن ٢٦٤ - ٢٦٧ .

(٢) ديوان ذى الرمة ٤٠١ . وضمير الثريا هنا أتى مذكراً بتأويلها بالنجم ، وكذا ورد فى بيت ابن الطيرة

ص ٥٠ . باتفاق النسختين معا . وإطلاق « النجم » على الثريا معروف مشهور ، وقالوا : إنه اسم علم لها .

(٣) ديوان ابن المعتز ١ : ٢٥ .

(٤) ديوان المعانى ١ : ٣٣٦ والتشبيهات ٥ وزهر الآداب ٣١٠ . وليس فى ديوان ابن المعتز .

(٥) ديوان ابن المعتز ٢ : ٥٥ والتشبيهات ٦ والمصون ٢٩ والمعانى ١ : ٣٣٥ .

وقول الأشهب بن رُميلة :

ولاحَتْ لِسَايِرِهَا الثُّرَيَّا كَأَنَّهَا لَدَى الْأُفُقِ الْغَرْبِيِّ قُرْطٌ مُسْلَسَلٌ^(١)

ولابن المعتز :

وقد هَوَى النَّجْمُ وَالْجُوزَاءُ تَتَبَعُهُ كَذَاتِ قُرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَدْ سَقَطَا^(٢)

أَخَذَهُ مِنْ ابْنِ الرُّومِيِّ :

طَيِّبٌ رِيقُهُ إِذَا ذَقْتَ فَاهُ وَالثُّرَيَّا بِجَانِبِ الْغَرْبِ قُرْطٌ^(٣)

ولابن المعتز :

قَدْ سَقَانِي الْمُدَامَ وَالْـ صُبْحُ بِاللَّيْلِ مُؤْتَزِرٌ^(٤)

وَالثُّرَيَّا كَنُورِ غُصْنِ نِي عَلَى الْأَرْضِ قَدْ نُثِرُ

٤١٧

ولابن الطُّنَّيْثِيَّة :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ جُفَانٌ وَهَى مِنْ سِلْكِهِ فَنَبَدَا^(٥)

ولو نسجتُ لك كُلَّ مَا قَالُوا مِنَ الْبَدِيعِ فِي وَصْفِ الثُّرَيَّا لَطَالَ ، وَإِنَّمَا نَزِيدُ

أَنْ نَبِيِّنَ لَكَ أَنَّ الْإِبْدَاعَ فِي نَحْوِ هَذَا أَمْرٌ قَرِيبٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ غَرِيبٌ . وَفِي جُمْلَةٍ

مَا نَقْلُنَاهُ مَا يَزِيدُ عَلَى تَشْبِيهِهِ فِي الْحُسْنِ أَوْ يَسَاوِيهِ^(٦) . وَإِذَا كَانَ هَذَا بَيْتَ

(١) التشبيهات ٦ والمصون ٢٨ وديوان المعاني ١ : ٣٣٥ .

(٢) تشبيهات ابن أبي عون ٩ وديوان المعاني ١ : ٣٣٧ . ولم أجده في ديوانه .

(٣) التشبيهات ٥ والمصون ٢٨ وديوان المعاني ١ : ٣٣٥ وديوان ابن الرومي ٤٣١ .

(٤) التشبيهات ١٠ والمصون ٣١ وإعجاز الباقلائي ٢٦٥ وديوان ابن المعتز ٢ : ٤٠ .

(٥) المصون ٢٧ وديوان المعاني ١ : ٣٣٤ والباقلاني ٢٦٥ وحماسة ابن الشجري ٢١٤ والأزمنة ٢ :

٣٣٤ ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٨ . وانظر ما أسلفت من تعليق على بيت ذي الرمة .

(٦) بعده في الإعجاز : « فقد علمت أن ما خلقت فيه ، وقدر المتعصب له أنه بلغ النهاية فيه ، أمر

مشترك ، وشريعة مورودة ، وباب واسع ، وطريق مسلولك » .

القصيدة ، وَدَّرَةَ الْقِلَادَةَ ^(١) ، وهذا محله ، فكيف بما تعدّاه . ثم فيه ضربٌ من التكلف ، لأنّ قوله : « تعرّضت » من الكلام الذى يُستغنى عنه ، لأنّه يشبه أثناء الوشاح بالثّريا ، سواء كان فى وسط السماء ، أو عند الطلوع والمغيب . فالتحويل بالتعرّض ، والتّطويل بهذه الألفاظ ، لا معنى له . وفيه أنّ الثّريا كقطعةٍ من الوشاح المفصل ، فلا معنى لقوله تعرّض أثناء الوشاح ، وإنّما أراد أن يقول : تعرّض قطعةٍ من أثناء الوشاح ، فلم يستقم له اللفظ حتّى شبّه ما هو كالشئ الواحد بالجمع . انتهى كلامه .

وقوله : « أتيت وقد نضت ^(٢) » إلخ نضت بالضاد المعجمة ، يقال نضا ثوبه ينضوه نضواً ، إذا خلّعه . واللبسة ، بالكسر : هيئة لبس الثوب . والمتفضّل : الذى يبقى فى ثوبٍ واحد لينام ، أو ليخفّ فى عمله ، واسم الثوب المفضّل بكسر الميم ، وفُضِّل أيضاً بضمّتين . ويقال للرجل والمرأة فُضِّل أيضاً . يقول : أتيتها وقد خلعت ثيابها للنوم غير الثوب الذى تنام فيه ، وقد وقفت لى عند السّتر منتظرةً ، وإنّما خلعت ثيابها لثرى أهلها أنّها تريد النوم . كذا قال الزوزنى . وبه يُردّد على الباقلانى ^(٣) فى قوله : إنّ « لدى السّتر » حشو لا فائدة له .

وقوله : « فقالت يمينُ الله » إلخ يروى بالرفع على أنّه مبتدأ خبره محذوف ، أى قسمى . ويروى بالنصب ، وتقديره : أحلف بيمين الله . وجملة « مالك حيلة » جواب القسم ، أى مالك حيلة فى التخلّص أو فيما قصّدت له . فالحيلة : الحُجّة والعذر . وقيل : لا أقدر أن احتال فى دفعك عنى . وإنّ بعد ما زائدة . والغواية ، بالفتح : الضلالة . وتنجلي : تنكشف .

(١) بعده فى الإعجاز : « واسطة العقد » .

(٢) ويروى : « وقد نضت » بالتشديد ، كما فى المعلقات وشرحها . ومعناها واحد .

(٣) إعجاز القرآن ٢٦٧ .

وقوله : « فقامت بها » إلخ أى معها . وروى : « خرجت بها » أى أخرجتها .
 وجملة أمشى حال من التاء ، وجملة تجرّ حال من ضميرها . والإثر بالكسر ، هو
 الأثر بفتحتين . ويروى : « على أثرنا ذيل مرط » ، المرط بالكسر : كساء من
 خَزّ أو مرعزى ، أو صوف . وقد تسمّى الملاءة مرطا . والمرحلّ ، بفتح الحاء
 المهملة المشدّدة ، المنقّش بنقوش تشبه الرّحال . وروى بالجيم . قال الصاغاني :
 وثوب مرجّل أى مُعلّم . وأنشد البيت . وقال : ويروى « مُرحّل » بالحاء ، أى
 موشى شبيهاً بالرّحال . انتهى .

وإنما جرّت ذيلها على الإثر ليُعْفَى لئلا يُقْتَفَى أثرهما فيعرف
 موضعهما . قال الباقلانيّ : ذكر ^(١) مساعدتها إيّاه حتّى قامت معه
 ليخلّوا ^(٢) . وقوله : « وراءنا » لا فائدة فيه ، لأنّ الذيل إنّما يجرّ وراء الماشى .
 وقول ابن المعتز أحسن منه :

فبتُ أفرش خدّى فى الطريق له ذُلاًّ وأسحبُ أكمامى على الأثر ^(٣)

وقوله : « فلما أجزنا ساحة الحى » إلخ يقال أجزنا [وجُزنا ^(٤)] . وقال
 الأصمعيّ : أجزنا : قطعنا ، وجُزنا : سرنا فيه . والساحة والباحة والفجوة ^(٥)
 كلّها فناء الدار . ويقال هى الرّحبة كالعرصة . والحيّ : القبيلة ، ويقال للقوم
 النزول أيضا . وانتحى : اعترض . والبطن : المكان المنخفض وحوله أماكن
 مرتفعة . والخبث ، بفتح المعجمة وسكون الموحّدة : ما انخفض من الأرض .

٤١٨

(١) ط : « فى ذكر » ، وأثبت ما فى ش . وفى الإعجاز ٢٦٨ : « يذكر من محاسنه من مساعدتها إيّاه » .

(٢) فى النسختين : « ليخلو » بالإفراد ، صوابه فى إعجاز القرآن .

(٣) لم أجده فى ديوانه .

(٤) التكملة من ش .

(٥) شاهده ما أنشده ابن برى (اللسان فجا ٦) :

لَبَسْتُ قَوْمَكَ مَخْزَاةً وَمَنْقَصَةً حَتَّى أُبَيِّحُوا وَحَلُّوا فَجَوَةَ الدَّارِ

وروى : « بطن حَقَف » بكسر المهملة ، وهو رمل مشرف معوج ، والجمع أحقاف . والقفاف : جمع قَف ، بضم القاف ، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا . وروى : « ذى رُكام » بالضم ، وهو المتراكم بعضه على بعض . والعَقَنَقِل : الرمل المتعقد المتلبّد ، وأصله من العَقْل ، وهو الشد .

قال الباقِلَانِيُّ ^(١) : قد أغرب بهذه اللفظة الوحشية ، وليس فى ذكرها فائدة ، واللفظ الغريب قد يُحمَد إذا وقع موقع الحاجة فى وصف ما يلائمه ، كقوله عزّ وجلّ فى وصف يوم القيامة : ﴿ عِبُوساً قَمَاطِرًا ^(٢) ﴾ . وأمّا إذا وقع فى غير هذا الموضع فهو مذموم .

وقوله : « إذا قلتُ هاقي نؤلّيني تمايلت » ، التّوِيل والإِنالة : الإِعطاء . والنّوَال : العطية . قال الخطيب : معنى التّوِيل التّقبيل ، وهو من النّوَال : العطية .

وقوله فى الرواية الثانية : « هَصَرْتُ بِفَوْدَى رَأْسِهَا فَمَا يَلْتُ » الهَصْر : جذب الغصن لِيُؤَخَذَ من ثمره . والفودان : جانب الرأس ، شَبَّهَهَا بشجرة وجعل ما يَنَالُه منها كالثمر .

و « هَضِيم » : منصوبٌ على المدح ، وهو عند الكوفيين بمعنى مهضوم ^(٣) فلذلك كان بلا هاء . وعند سيبويه على النّسب . والهضم : الضامر ، وأصل الهضم الكسر ، وإنّما قيل للضامر من البطن هضم الكشح لأنّه يَدُقُّ ذلك الموضع من جَسَدِه ، فكأنّه هُضم ^(٤) عن قرار الرّدْف والوركين والجنين .

(١) الإعجاز ٢٦٩ .

(٢) الآية ١٠ من سورة الإنسان .

(٣) ط : « مهضومة » ، ووجهه ما أثبت من ش .

(٤) ط : « هضم » ، والوجه ما أثبت من ش .

والكَشْح : ما بين مُنْقَطَعِ الأضلاع إلى الورك . وأراد هضم الكشحين ، كما تقول : كَحَلْتُ عَيْنِي تريد عَيْنِي . « وَرَيًّا » فَعَلَى من الرُّى بالكسر ، وهو انتهاء شُرْب العطشان ، فهو عند ذلك يمتلئ جوفهُ ، فقليل لكل ممتلئ من شحمٍ ولحم : رَيَّان . والمُخْلَخَل ، بضم الميم : موضع الخَلخال . وصف دِقَّةَ خصرها وعبالة ساقها .

وقوله : « مَهْفَهْفَةٌ بِيضاء » إلخ المهفهفة : الحَسَنَةُ الخَلْق ، ولا تكون كذلك حتَّى تكون ضامرة الخاصرة . وقيل هى اللطيفة الخَصِر الضَّامرة البَطْن . والمُفَاضة ، بضم الميم : المسترخية البَطْن ، وقيل البائنة الطُول . و « الترائب » : جمع تَرَبِيَة ، وهو موضع القِلادة من الصِّدر . والصَّقْل : إزالة الصِّدأ والدَّنَس وغيرهما . و « السَّجَنَجَل » : المرأة ، كلمة رُومِيَّةٌ عَرَبَتْها العرب . وصفها بحدائث السن .

وترجمة امرئ القيس تقدّمت فى الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثانى والتسعون بعد الثمانمائة (٢) :

٨٩٢ (وَلَمَّا رَأَى الرَّحْمَنُ أَن لَيْسَ فِيهِمْ رَشِيدٌ وَلَا نَاهٍ أَخَاهُ عَنِ الْعَدْرِ
وَصَبَّ عَلَيْهِمُ تَغْلِبَ بِنَةُ وَائِلٍ فَكَانُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ)
على أَنَّ صَبَّ ليس جواب (لَمَّا) والواو زائدة كما يقول الكوفيون ، بل هى عاطفة على الجواب المحذوف ، كما قدره الشارح المحقق .

(١) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

(٢) ضرائر ابن عصفور ٧٢ وديون الأخطل ٢٢١ .

وقال ابن عصفور : صَبَّ هو الجواب ، والواو زائدة لضرورة الشعر .

هذا . والبيتان من قصيدةٍ للأخطل التَّغَلَّبِي النَّصْرَانِي ، والرواية في ديوانه :
صاحب الشاهد * أمال عليهم تغلب ابنة وائل *

وكذا رواهما الزمخشري (في مستقصى الأمثال) وعلى هذا لا يكون ممَّا نحن

فيه وقبلهما :

(بَنَى عامرٌ لم تتأروا بأخيكُم ولكن رَضِيتُم باللقاح وبالجزرِ
إذا عَطِفْتُ وسط البيوت احتلبتُم لها لبناً محضاً أمرٌ من الصَّبرِ
ولما رأى الرحمن أن ليس فيهمُ إلى آخر البيتين
فسيروا إلى أهل الحجاز فإننا نَفِينَاكُم عن مَنِبِّ القَمَحِ والتَّمرِ)

أبيات الشاهد

٤١٩

وقوله : « لم تتأروا بأخيكُم » أى لم تأخذوا بئاره . يقول : رَضِيتُ بأن تُغَيِّرُوا على المال وتَدْعُوا القتال إذا أَصَبْتُم ^(١) الغنائم . واللَّقَاح : جمع لِقْحَةٍ بكسر اللام فيها ، وهى الناقة ذات لبن . هذا قول ثعلب . وقال غيره : جمع لُقُوح ، مثل قلوص وقلاص ، وهى الناقة تُتَجَّتْ إلى ثلاثة أشهر ، وتسمَّى بعدها لَبُوناً . والجزرُ ، بضم فسكون ، والأصل بضميتين : جمع جزور ، والجزور من الإبل خاصَّة تقع على الذكر والأنثى ، وقيل الناقة التى تُنَحَّر .

وقوله : « إذا عَطِفْتُ » بالبناء للمفعول ، أى أُمِلْتُ . والصَّبرِ : الدَّواء المرُّ ، بكسر الباء فى الأشهر ، وسكون الباء للتخفيف لغة قليلة . ومنهم من قال : لم يسمع تخفيفه فى السَّعة . وحكى ابن السَّيِّد (فى مثلث اللغة) جواز التخفيف كما فى نظائره ، بسكون الباء مع فتح الصاد وكسرها . وإنمَّا جَعَلَ اللَّيْنَ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ لأنَّهُم يشربونه مع الحزن على أخيه ، ولا قدرة لهم بأخذ ثاره .

(١) ش : « إذا » .

وقوله : (ولَمَّا رَأَى الرَّحْمَنُ) هو عَلَّمَ على ذَاتِ واجب الوجود ، كلفظة الله . ورَأَى عِلْمِيَّة تطلب مفعولين ، وَأَنْ مخففة اسمها ضمير شَأْن . وجملة ليس فيهم رشيد خبرها . وجملة « أَنْ ليس » إلخ ساذة مسدّ مفعولَى علم . و (الرُّشِيد) : من له رُشْد ، وهو خلاف العَيِّ والضَّلَال ، وهو إصابة الصَّواب . و (العَدْر) : نقضُ العهد .

وقوله : (وَصَبَّ عَلَيْهِمْ) أى سَلَط عليهم ، وكذا معنى (أَمَالَ عَلَيْهِمْ) . وَتَغَلَّبُ : قبيلة الأخطل ، بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة وكسر اللام ، والنسبة إليها تَغَلَّبِيٌّ بفتح اللام . قال الجوهري : وتغلب أبو قبيلة ، وهو تغلب بن وائل . وقولهم تغلب بنت وائل إنما يذهبون بالتأنيث إلى معنى القبيلة ، كما قالوا تميم بنت مر . انتهى . فتارةً اعتبر تغلب قبيلة فقال : « ابنة وائل » ، وتارةً اعتبره حياً فقال : فكانوا . وضمير عليهم لبنى عامر . و (الْبَكْر) بفتح الموحدة : الصغير من الإبل . قال أبو عُبَيْدة : الْبَكْر من الإبل بمنزلة الفتى من الناس ، والبكرة بمنزلة الفتاة . و (الرَّاغِيَة) بالغين المعجمة : مصدرٌ بمعنى الرُّغَاء وهو صوتُ البعير . ورغت الناقة أى صَوَّت . ويريد بالبكر ولدَ ناقةٍ صالح عليه السلام . وَلَمَّا قَتَلَ قَدَارٌ ثَمُودَ النَّاقَةَ رِغَا وَلَدَهَا ، فصاح برغائه كُلُّ شَيْءٍ له صَوْتُ ، فهلكت ثمود عند ذلك ، فضرَبته العربُ مثلاً في كُلِّ هَلَكَةٍ عَامَّةٍ .

قال الزمخشريُّ (في أمثاله ^(١)) : كان عليهم كراغية البكر ، الرَّاغِيَة مصدرٌ بمعنى الرُّغَاء ، كالعافية ، والبالية ، والفاضلة ^(٢) . والبكر : سَقَب ناقة

(١) المستقصى ٢ : ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) في اللسان (عفا ٣٠٤) أن العافية مصدر كالعاقبة والحاتمة . ونحوه في القاموس وفي اللسان (بلا ٩٣) : « ويقال ما أباليه بالةً وبالأ » . ثم قال : « وأصل بالةً باليةً مثل عافاه عافيةً فحذفوا الياء تخفيفاً كما حذفوا من لم أبُل » . وفيه وفي القاموس (فضل) أن الفضيلة : الدرجة الرفيعة في الفضل ، والاسم من ذلك فاضلة . والذي في المستقصى : « والفاضية » ، ولم أجد سنداً لمصدريتها .

صالح عليه السلام ، وذلك أنه لما عُقِرَت الناقة صَعِدَ جبلاً فَرَعَا ، فَأَتَاهُم العذابُ . يُضْرَبُ فِي الشَّوْمِ . قَالَ الْأَخْطَلُ :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقْتُ سُلَيْمٌ وَعَامِرٌ عَلَى جَانِبِ الثَّرثارِ رَاغِيَةَ الْبَكْرِ^(١)
وَقَالَ أَيْضَا :

وَإِنْ تَذَكَّرُوها فِي مَعَدٍّ فَإِنَّمَا أَصَابَكِ بِالْثَّرثارِ رَاغِيَةُ الْبَكْرِ^(٢)

الضمير في « تَذَكَّرُوها » لِلوَاقِعَةِ . وَقَالَ أَيْضَا :

٤٢٠

* وَلَمَّا رَأَى الرَّحْمَنُ أَنَّ لَيْسَ فِيهِمْ * الْبَيْتَيْنِ انْتَهَى .

وَقَدَّارُ ، بَضْمُ الْقَافِ ، هُوَ أَشَقَى ثَمُودَ ، وَسَمَّاهُ زَهِيرَ فِي مَعْلَقَتِهِ أَحْمَرَ عَادٍ

فَقَالَ :

فَتُنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانُ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرَ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطِمْ

وَالْثَّرثارُ بِمَثَلَتَيْنِ : اسْمُ نَهْرٍ سُمِّيَ بِهِ لِكَثْرَةِ مَائِهِ .

وَتَرْجُمَةُ الْأَخْطَلِ تَقَدَّمَتْ فِي الشَّاهِدِ الثَّامِنِ وَالسَّبْعِينَ مِنْ أَوَائِلِ

الْكِتَابِ^(٣) .

* * *

(١) دِيوان الْأَخْطَلِ ١٣٣ .

(٢) دِيوان الْأَخْطَلِ ٢١٦ بِرِوَايَةِ : « وَإِنْ يَذْكُرُوها » . وَفِي النُّسخَتَيْنِ : « فَإِنَّمَا » صَوَابُهُ مِنَ الدِّيوانِ .

(٣) الْخَزَانَةُ ١ : ٤٥٩ - ٤٦١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد الثمانمائة ^(١) :

٨٩٣ (فإذا وذلك يا كُبَيْشَةُ لم يَكُنْ إِلَّا كَلِمَةً حَالِمٌ بِحَيَالِ)

على أنَّ (الواو) ليست زائدة كما يقول الكوفيون ، بل هي عاطفة على مبتدأ محذوف ، والتقدير : فإذا إمامك وذلك الإمام . كذا قدّره الشارح ، فجعل المعطوف والمعطوف عليه شيئاً واحداً لأجل قوله : لم يكن .

قال صاحب كتاب (تفسيح اللغة ^(٢)) : هذا البيت لتمي بن أبي بن مُقبل ، وأراد : فإذا هذا وذلك . ولم يخصّ واحداً لأنّ كلّ شيء زائل فهو كالأحلام ^(٣) . وكذا قول أبي كبير الهذلي :

صاحب الشاهد

فإذا وذلك ليس إلّا ذِكرُهُ وإذا مضى شيءٌ كأنّ لم يُفعلِ ^(٤)

إنّما أراد ^(٥) : فإذا هذا وذلك . وقال : ليس إلّا ذِكرُهُ أي ذكر الحاضر ، فأما الماضي فمعدوم بالإيلاس منه . انتهى كلامه .

ولو كان التقدير كما زعم لقيط في الأوّل : لم يكونا ، وفي الثاني : ليسا إلّا ذِكرهما ، مع أنّ المشار إليه شيءٌ واحد . قال أبو كبير قبل ذلك البيت :

وجليّة الأنساب ليس كمثليها مِمَّنْ يَمْنَعُ قَدْ أَتَتْهَا أُرْسُلِي
سَاهَرْتُ عَنْهَا الْكَالِثِينَ فَلَمْ أُنَمْ حَتَّى التَفْتُ إِلَى السَّمَاءِ الْأَعْرَلِ

أبيات

لأبي كبير الهذلي

(١) ديوان تميم ٢٥٩ واللسان (لم ٢٥) و (وا ٣٧٩) .

(٢) يعرف باسم « التفسيح » . وانظر حواشي الخزنة ١ : ٢٦ .

(٣) ط : « كالأعدام » ، صوابه في ش .

(٤) مجالس ثعلب ١٢٦ والخصائص ٢ : ١٧١ والعمدة ٢ : ٦١ والضرائر ٧٢ والهلاليين ٢ : ١٠٠

والسكري ١٠٨٠ .

(٥) ش : « وأراد » .

فَأَتَيْتُ بَيْتاً غَيْرَ بَيْتِ سَنَاخَةٍ وَازْدَرْتُ مُزْدَارَ الْكَرِيمِ الْمُعُولِ
وَإِذَا وَذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا حِينَهُ وَإِذَا مَضَى شَيْءٌ كَأَنَّ لَمْ أَفْعَلِ

يقول : رَبَّ امْرَأَةٍ شَرِيفَةِ الْأَنْسَابِ مَمْنَعَةٌ بَعَثْتُ إِلَيْهَا رُسُلِي وَسَاهَرْتُ عَنْهَا
الكَائِنِينَ ، أَيْ الْخَافِظِينَ ، فَعَلَبْتُهُمْ فَنَامُوا وَلَمْ أُنَمْ ، فَأَتَيْتُ بَيْتَهَا فَزَرْتُهَا ، وَهُوَ بَيْتٌ
طَيِّبٌ لَا مَطْعَنَ فِيهِ .

وَالسَّنَاخَةُ : الرَّائِحَةُ الْكَرِيمَةُ . وَازْدَرْتُ : افْتَعَلْتُ مِنَ الزِّيَارَةِ . وَالْمُعُولُ :
الَّذِي يُعُولُ بَدَلَالٍ وَمَنْزِلَةً ^(١) . فَاسْمُ الْإِشَارَةِ رَاجِعٌ إِلَى زِيَارَةِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ الْجَلِيلَةِ .
وَيُرِيدُ أَنَّ لَذَّةَ تِلْكَ الزِّيَارَةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا فِي وَقْتِ الزِّيَارَةِ ، فَإِذَا مَضَى مَضَتْ . وَأَمَّا قَوْلُ
رَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومٍ الضَّبِّيِّ مِنْ قَصِيدَةٍ ^(٢) :

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَيْنَهَا وَأَصَابَنِي مِنْهُ الزَّمَانُ بِكُلِّ كَلٍ
فَإِذَا وَذَلِكَ كَأَنَّهُ مَالٌ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرَهُ لِمَنْ لَمْ يَجْهَلِ

فَالْمُشَارُ إِلَيْهِ اثْنَانِ وَالْإِشَارَةُ وَاحِدَةٌ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَوَانُ بَيْنَ
ذَلِكَ ^(٣) ﴾ ، أَيْ بَيْنَ الْبَكْرِ وَالْفَارِضِ . وَتَقْدِيرُهُ عِنْدَ الشَّارِحِ : فَإِذَا الْمَذْكُورُ . قَالَ
السَّكْرِيُّ (فِي شَرْحِهِ) : الْوَاوُ زَائِدَةٌ ، أَرَادَ : وَإِذَا ذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا حِينَهُ . يَقُولُ : إِذَا
كَنْتُ فِيهِ فَلَيْسَ إِلَّا قَدْرُ كَيْنُونَتِكَ ، فَإِذَا أَدْبَرَ ذَهَبَ .

وإليه ذهب ابن عصفور (فِي كِتَابِ الضَّرَائِرِ) وَأُورِدَ الْبَيْتَ وَقَالَ : زِيدَتْ
الْوَاوُ لِمُضَرَّةِ الشَّعْرِ . وَبِغْيِ أَنْ يَقْدَّرَ الشَّارِحُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ : فَإِذَا الْمَذْكُورُ . ٤٢١
وَذَلِكَ الْمَذْكُورُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلِمَامٌ خَيَالٍ بِالْحَالِمِ ، لِثَلَاثٍ يَتَّحِدُ الْمَشَبَّهُ وَالْمُشَبَّهَ بِهِ .

(١) فِي اللَّسَانِ ، عِنْدَ إِشَادِ الْبَيْتِ ، أَنَّ الْمُعُولَ مِنْ أَعَالٍ وَأَعُولُ ، إِذَا حَرَّصَ . ثُمَّ ذَكَرَ التَّفْسِيرَ الْآخَرَ
الَّذِي هُنَا عَنْ ابْنِ بَرِي .

(٢) الْأَغَانِي ١٩ : ٩٣ . وَمِنْ قَصِيدَتِهِ هَذِهِ آيَاتٌ فِي الْحَمَاسَةِ ٦١ - ٦٧ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِ .

(٣) الْآيَةُ ٦٨ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ .

ولم يحضرني الآن ما قبل البيت ، ولهذا لم أعرف مرجع الإشارة ^(١) .
 واللَّمَّة بفتح اللام ، قال صاحب الصحاح : يقال أصابت فلاناً من
 الجِنَّة لَمَّة ، وهو المَسُّ والشَّيْء القليل . قال :
 فإذا وذلك يا كُبَيْشَة لم يكن إلاَّ كَلَمَّة حالمٍ بخيال
 قال ابن برّيّ (في أماليه على الصحاح) البيت لابن مقبل ، وقوله : « فإذا
 وذلك » مبتدأ والواو زائدة ، كذا ذكره الأنخفش . و « لم يكن » خبره . انتهى .
 و (كُبَيْشَة) من أسماء النساء ، مصغر كبشة بالشين المعجمة .
 و (الحالم) : اسم فاعل من حَلَمَ يحلُمُ من باب قتل ، حُلُمًا بضمّتين وإسكان
 الثاني تخفيفا ، أى رأى فى منامه رؤيا . وكذا احتلم . و (الخيال) : كل شىء تراه
 كالظّل . وخیال الإنسان فى الماء والمرآة : صورة تمثاله . وربما مرَّ بك الشىء يُشْبِهُ
 الظّل ، فهو خیال .

وتقدمت ترجمة تميم بن أُبَيِّ بن مقبل فى الشاهد الثانى والثلاثين من أوائل
 الكتاب ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده :
 (أَرَانِي إِذَا مَا بَتُّ بَتًّا عَلَى هَوًى فَتَمَّ إِذَا أَصْبَحْتُ أَصْبَحْتُ غَادِيَا)

(١) هذا تسجيل أنه لم يكن لدى البغدادي حينئذ ديوان ابن مقبل . والشاعر يشير إلى ما كان يستمتع به
 من رحلاته ولقائه بالحبيبة فى ١١ بيتا من ديوانه ٢٥٦ - ٢٥٩ أولها :

أَكُشِّشَ مَا يَدْرِيكَ أَنْ رُبَّ مِنْهَلٍ يُرْمَى بِعَرْمَضِهِ عَلَى الْأَجْوَالِ

(٢) الخزائن ١ : ٢٣١ - ٢٣٣ .

على أنه قيل : الفاء زائدة . وتقدم الكلام عليه في الشاهد الخامس والخمسين بعد الستمائة (١) .

* * *

وأُنشد بعده :

(وقائلةٌ حَوْلانٌ فانكِحْ فَناتَهُمُ وأُكرومةُ الحَيِّينِ خِلَوْ كما هيا)

على أن (الفاء) زائدة . وتقدم الكلام عليه في الشاهد السابع والسبعين من أوائل الكتاب (٢) .

وخصَّ ابن عصفور زيادة الفاء بالشعر ، قال (في كتاب الضرائر (٣)) :
من زيادة الفاء قوله :

يموت أناسٌ أو يشيبُ فتاهمُ ويحدثُ ناسٌ والصَّغِيرُ فيكبرُ

يريد : الصغير يكبر . وقول أبي كبير :

فرايتُ ما فيه فثمَّ رزئتُه فليئتُ بعدك غير راضٍ معمرى (٤)

يريد : ثمَّ رزئتُه . وقول الأسنود بن يعفر :

فلنَهْشَلُ قومِي ولى فى نهْشَلِ نسبٌ لعمر أبيك غير غلابِ

زاد الفاء فى أول الكلام ، لأنَّ البيت أوَّل القصيدة .

* * *

(١) الخزائن ٨ : ٤٩١ - ٤٩٨ .

(٢) الخزائن ١ : ٤٥٥ - ٤٥٧ .

(٣) ضرائر ابن عصفور ٧٣ . وانظر معجم الشواهد .

(٤) ديوان الهذليين ٢ : ١٠١ والسكري ١٠٨٢ .

وأنشد بعده :

(أبا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ)

على أَنَّ الفاء فيه زائدة عند البصريين ، غير زائدة عند الكوفيين .

وتقدّم كلام الشارح المحقق عليه في الشاهد التاسع والأربعين بعد المائتين في باب خبر كان (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد الثمانمائة (٢) :

٨٩٤ (يَادْهُرُ أُمُّ مَا كَانَ مَشْيِي رَقْصًا بَلْ قَدْ تَكُونُ مِشْيَتِي تَوْقُصًا)

على أَنَّ أبا زيد أنشدَه (٣) وقال : أُمُّ فِيهِ زَائِدَةٌ . كَذَا نَقَلَ عَنْهُ أَبُو عَلِيٍّ (فِي التَّذَكُّرَةِ) وَغَيْرُهُ . وَلَيْسَ مَا نَقَلَ عَنْهُ مَوْجُودًا فِي نَوَادِرِهِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ فِي غَيْرِهَا . ٤٢٢

قال ابن الشجري (في أماليه) : استشهدوا على زيادة أُمُّ بقول ساعدة بن

جُوَيْيَّة :

يَالَيْتَ شِعْرِي وَلَا مَنَجِي مِنَ الْهَرَمِ أُمُّ هَلْ عَلَى الْعَيْشِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ نَدَمٍ

التقدير : ليت شعري هل على العيش من ندم (٤) . وقال أبو زيد في قوله

تعالى : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ ﴾ (٥) : أُمُّ زَائِدَةٌ . قال : والتقدير :

أَفَلَا تَبْصُرُونَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ . وأنشد قول الراجز :

(١) الخزانة ٤ : ١٣ - ١٩ .

(٢) المقتضب ٣ : ٢٩٧ والمنصف ٣ : ١١٨ وابن الشجري ٢ : ٣٣٦ والضرائر ٧٤ .

(٣) لم يرد هذا الرجز في نوادر أبي زيد كما ذكر البغدادى .

(٤) هذا التعليل ساقط من ش . وفي أمالي ابن الشجري : « التقدير » .. الخ .

(٥) الآية ٥٢ من سورة الزخرف .

يا دَهْرُ أُمِّ ما كان مَشِيَّ رَقْصًا بل قد تكون مِشِيَّ تَوْقُصًا

وقول سيبويه في الآية أنَّ أُمَّ منقطعة . قال (١) : كَأَنَّ فِرْعَوْنَ قال : أَفلا تبصرون أُمَّ أنتم بصراء . فقولُه : أُمَّ أنا خير ، بمنزلة قولُه : أُمَّ أنتم بصراء . لأنَّهم لو قالوا : أنت خير منه كان بمنزلة قولهم : نحن بصراء . فكذلك أُمَّ أنا خير بمنزلة قوله لو قال : أُمَّ أنتم بصراء (٢) . وهذا التأويل في أُمَّ أحسن من الحكم بزيادتها . انتهى .

وخصَّ ابنُ عصفور زيادتها بالشَّعر ، وقال بعد إنشاد البيتين : وأجاز الفارسيُّ في قول أبي ذؤيب :

فأجبتُها أُمًّا لجسَمي أَنَّهُ أودى بَنِيَّ من البلادِ فودَّعُوا

أن يكون الأصل : أُمَّ ما ، وتكون أُمَّ زائدة وما بمعنى الذي ، والتقدير : فأجبتها : الذي لجسمي أَنَّهُ أودى . وعلى زيادة أُمَّ حمل أبو زيد قولَه تعالى : ﴿ أَفلا تُبْصِرُونَ . أُمَّ أنا خيرٌ ﴾ ووافقه على جواز ذلك أبو بكر بن طاهر من المتأخِّرين . والصَّحيح أنَّها غير زائدة ، لأنَّ زيادتها قليلة ، فلا ينبغي أن تُحمل الآية عليها ، إذ قد يمكن حملها على ما هو أحسنُّ من ذلك . ألا ترى أَنَّهُ يمكن أن تكون منقطعة على ما ذهب إليه سيبويه ، ومتَّصلة على ما ذهب إليه الأخفش . وقد بينَّ النحوويُّون الوجهين فأغنَى ذلك عن ذكره هنا . انتهى .

وقد ذكر الجوهريُّ زيادتها (في الصَّحاح) ، وأنشد البيت الأوَّل من الرجز كذا :

* يا هِنْدُ أُمِّ ما كان مَشِيَّ رَقْصًا *

(١) سيبويه ٣ : ١٧٣ .

(٢) التعقيب التالي من كلام ابن الشجري ، وليس من نص سيبويه .

وقال ابن بَرِّي (في أماليه عليه) : هذا مذهبُ أبي زيد . وغيرُهُ يذهب إلى أنَّ « أم ما كان » معطوف على محذوف تقدّم ، المعنى كأنّه قال : يا هندُ أكان مَشْيِي رَقْصاً أم ما كان كذلك ؟ انتهى .
وفيه نظرٌ . تأمّل .

وقال الصاغاني (في العباب) : وأم قد تكون زائدة . وأنشد الرَّجَزَ ثم قال : وقال الليث : أم تكون بمعنى ألف الاستفهام ، كقولك : أم عندك غَدَاءٌ حاضر ؟ وأنت تريد أعندك ؟ وهي لغةٌ حسنة من لغات العرب . قال الأزهري : هذا إذا سبقه كلامٌ ، وتكون أم مبتدأةً للكلام في الخبر ، وهي لغة يمانية ، يقول قائلهم : أم نحنُ خيارُ الناس ، أم نُطعم الطَّعام ، أم نَضْرِبُ الهام . وهو مخبر . انتهى .
وعلى هذا تكون غير زائدة ، كأنّها حرف افتتاح للتنبيه بمنزلة أَلَا وأما ، كقوله :

* أمّا والذي لا يَعْلَمُ السِّرَّ غَيْرُهُ *

ولا يبعد أن تكون أم مخففة من أمّا وسكنت . والله أعلم .

وقوله : (ما كان مَشْيِي رَقْصاً) ما نافية . والرَّقْصُ بفتح الراء والقاف ، قال ابن دريد : هو شبيه بالنَّقْزَانِ من النَّشاط . قال ابن فارس : هو الحَبَب . والقولان متقاربان . وقوله : (توقُّصاً) بالواو والقاف ، قال ابن السجري : هو تقاربُ الحَظْوِ ، وقيل شدّة الوطاء ، وكلاهما من فعل الهَم . وهذا شكايّة من دهره . يقول : أنا في حدائتي وشبابي لم أمش بعافية ، بل تكون مشيتي مُستمرّة كمشي الشُّيوخ العاجزين .

وقال ابن مكرم (في لسان العرب ^(١)) : أراد ما كان مِشْتِي (٢) رقصا ،
أى كنت أتوقَّص (٣) في مشيتى ، واليوم قد أسنَّنت حتَّى صارت مِشْتِي
ترقُّصاً (٤) . والتوقَّص : مقاربة الخطو . انتهى .

وروى ابن الشجرى ، وصاحب العباب ، وصاحب لسان العرب أوله
كذا : « يا دَهْنَ أم ما كان » وقال : دهن ترخيم دَهْناء . ولم يفسِّره . وكأنَّ دهناء
من أسماء النساء ، كما أنَّ هندا فى رواية الجوهري من اسمائهن .

وكذا رواه الأزهرى عن أبى زيد وقال : أراد يا دهناء ، فرخِم . وأم زائدة .
أراد : ما كان مشى رَقْصاً ، أى كنت أتوقَّصُ (٥) وأثْبُ في مشيتى ، واليوم قد
أسنَّنت حتَّى صارت (٦) مشيتى رَقْصاً . انتهى .
ولم أقف على قائل هذا الرجز ، والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد الثمانمائة (٧) :

٨٩٥ (بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فى رَوْتِ الضُّحَى

وصورتها ، أو أنْتِ فى العَيْنِ أَمْلَحُ)

(١) لم أجد النص التالى فى لسان العرب بمادتيه (رقص) ، (وقص) ، ولكنى عثرت عليه فى مادة
(أم ٣٠١) .

(٢) ط : « مشى » .

(٣) ط : « أترقص » ، صوابه بالواو فى ش واللسان . والترقص : ضرب من الخبب والإسراع .

(٤) فى النسختين : « توقصا » . وفى اللسان « رقصا » . والرَّقْصُ والترقُّصُ بالراء فىهما : الاضطراب

فى السير .

(٥) ط : « أترقص » ، بالراء ، صوابه بالواو كما فى ش .

(٦) ش . « صار » .

(٧) معانى الفراء ١ : ٧٢ والمختضب ١ : ٩٩ والخصائص ٢ : ٤٥٨ والأزهية ١٢٨ والإنصاف ٤٧٨ .

وليس فى ديوان ذى الرمة ، كما قال البغدادى . وهو فى ملحقات الديوان ٦٦٤ عن اللسان والتاج والصحاح .

على أنَّ (أو) فيه حرف استئناف للإضراب ، ولا يحتمل أن تكون عاطفة ، إذ لا يصح قيام الجملة بعدها مقام قوله « مثل قرن الشمس » كما هو حق المعطوف .

قال الفراء (في تفسير سورة البقرة) : العرب تجعل أو نسقاً ، مفرقة لمعنى ما صلحت فيه أحد ^(١) ، كقولك : اضرب أحدهما زيداً أو عمراً . فإذا وقعت في كلام لا يُراد به أحد وإن صلحت جعلوها على جهة بل ، كقولك في الكلام : اذهب إلى فلان ، أو دَعْ فلا تبرج اليوم . فقد ذلك ^(٢) هذا على أن الرجل قد رجع عن أمره الأول ، وجعل أو في معنى بل . ومنه قول الله : ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ^(٣) ﴾ . وأنشدني بعض العرب :
بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ ... البيت . انتهى .

وقال ابن جنى (في المحتسب) : أو هذه التي بمعنى أم المنقطعة ، وكلتاها بمعنى بل ، موجودة في الكلام كثيراً . وإلى نحو هذا ذهب الفراء في قول ذى الرمة :

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ ... البيت .

قال : معناه بل أنت في العين أَمَلَحُ . وكذلك قال في قول الله : ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ^(٤) ﴾ قال : معناه بل يزيدون . وإن كان مذهبنا نحن في هذا غير هذا ، فإن هذا طريق مذهب في هذا الوجه . انتهى .

(١) في معاني الفراء : « أحد وإحدى » .

(٢) ش فقط : « فقد دل » .

(٣) الآية ١٤٧ من الصافات . وفي ط فقط : « فأرسلناه » بالفاء ، تحريف .

(٤) اتفقت النسختان على الصواب هنا . وانظر الحاشية السابقة .

وأشار بقوله : « فَإِنَّ هَذَا طَرِيقٌ مَذْهُوبٌ فِيهِ » إلخ ، إلى ما قاله الشارح المحقق من أن أو في البيت والآية متمحضة للإضراب ، لا يُتصَوَّرُ معنى العطف فيها لِمَا ذكره . وفيه ردٌّ على ابن عصفور ، في غفلته عن صحَّة العطف ، فزعم أنَّها للشكِّ ، فقال : وزاد الكوفيون في معاني أو أن تكون بمعنى بل ، واستدلوا عليه بقوله :

بدت مثل قرنِ الشمس إلخ

قالوا : المعنى بل أنت . ولا مدخل للشكِّ هنا . والصحيح أنَّها فيه للشكِّ ، ويكون المعنى أبدع ، كأنه قال : لإفراط شبهها بقرن الشمس لا أدرى ، هل هي مثلها أو أملح . وإذا خرج التشبيه مخرج الشكِّ كان فيه الدلالة على إفراط الشبه ، فيكون كقول ذى الرمة :

أَيَا طَبِيبَةَ الْوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا أَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ^(١)

ألا ترى أن قوله : « أَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ » أبلغ من أن يقول : هي كأمِّ سالم ، لأنَّ الشكَّ يقتضى إفراط الشبه حتَّى يلتبس أحدُ الشيئين بالآخر . وكذلك أيضاً استدلوا بقوله تعالى : ﴿ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ قالوا : معناه بل يزيدون . ولا يُتصَوَّرُ أن تكون هنا للشكِّ ، لأنَّ الشكَّ من الله مستحيل . والجواب : أنَّ الشكَّ قد يرد من الله بالنظر للمخاطبين ، لا أنَّه يشكُّ ، فكأنه قال : وأرسلناه إلى جمع تشكُّون في مبلِّغه ، فيكون من مُقتضى حالكم أن تقولوا : هم مائة ألف أو يزيدون . ويحتمل أيضاً أن تكون أو في الآية للإبهام . هذا كلامه .

وقول الشاعر : (بَدَتْ) بمعنى ظهرت ، وفاعله ضمير الحبيبة ؛ ومثل حال من الضمير ، ولا يستفيد من إضافته إلى المعرفة تعريفاً ، لتوغُّله في الإبهام . و (قرن)

(١) ديوان ذى الرمة ٦٢٢ وكتاب سيبويه ٢ : ١٦٨ . وانظر معجم الشواهد .

الشَّمْسُ (بفتح القاف ، قال الجوهري : هو أعلاها وأوّل ما يبدو منها في الطُّلوع . ولا يصحّ هنا المعنى الثاني ، لقوله (في رونق الضحى) . وقوله : (وصورتها) بالجرّ عطف على قرن . و (أملح) من ملّح الشيء بالضم مَلَاخَةً ، أى بَهَجَ وحَسَّنَ منظره ، فهو مليح ، والأنثى مليحة .

والبيت نسبه ابن جنى إلى ذى الرمة . ولم أجده في ديوانه . والله أعلم .

* * *

ونُشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد الثمانمائة (١) :

صاحب الشاهد

٨٩٦ (وهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ)

على أن (أَوْ) فيه للإيهام على السامع . وقصد به الردّ على الكوفيّين في زعمهم أن أَوْ فيه بمعنى الواو .

قال ابن الشجري (في أماليه) : كون أَوْ بمعنى الواو من أقوال الكوفيّين ، ولهم فيه احتجاجات من القرآن ومن الشعر القديم . فمما احتجّوا به من القرآن قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (٢) ، و ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ﴾ (٣) ، ومن الشعر قول توبة بن الحُمير :

وقد زعمت ليلى بأنّى فاجرٌ لنفسى ثقاها أَوْ عليها فجورها(٤)

(١) الأزهية ١٢٢ وابن الشجري ٢ : ٣١٧ وابن يعيش ٨ : ٩٩ وشواهد التوضيح لابن مالك ٨٨ والمغنى ٥٦٩ ، ٦٧٠ والشذور ١٧٠ وديوان لبيد ٢١٣ .

(٢) الآية ٤٤ من سورة طه .

(٣) الآية ١١٣ من سورة طه .

(٤) أمالي القالي ١ : ٨٨ والمغنى ٦٢ والمجم ٢ : ١٣٤ .

وقول جرير :

أَتَعْلَبَةُ الْفَوَارِسَ أَوْ رِيحاً عَدَلْتُ بِهِمْ طُهْيَةً وَالْخِشَابَا^(١)

أى عَدَلْتُ هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ بَهَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ . وقول جرير :

نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ^(٢)

وقول لبيد :

تَمَنَّى ابْتِنَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ

قالوا : أَوْ هُنَا بِمَعْنَى الْوَاوِ ، لِأَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِي نَسَبِهِ حَتَّى لَا يَدْرِي أَمِنْ رَبِيعَةٍ هُوَ أَمْ مِنْ مُضَرٍّ ؟ وَلَكِنَّهُ أَرَادَ بِرَبِيعَةٍ أَبَاهُ الَّذِي وَلَدَهُ ، لِأَنَّهُ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةٍ . ثُمَّ قَالَ : أَوْ مُضَرٍّ ، يَرِيدُ : وَمُضَرٍّ ، يَعْنِي مُضَرَ بْنَ نَزَارَ بْنِ مَعَدَ بْنِ عَدْنَانَ .

وَاخْتَلَفُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾^(٣) فَقَالَ بَعْضُ الْكُوفِيِّينَ : بِمَعْنَى الْوَاوِ ، وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ : الْمَعْنَى بَلْ يَزِيدُونَ . وَهَذَا الْقَوْلُ لَيْسَ بِشَيْءٍ عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ .

وَلِلْبَصَرِيِّينَ فِي أَوْ هَذِهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ :

أَحَدُهَا قَوْلُ سَيَبَوِيهِ أَنَّهَا لِلتَّخْيِيرِ . وَالْمَعْنَى إِذَا رَأَوْهُمُ الرَّأْيَ يُخَيَّرُ^(٤) فِي أَنْ يَقُولَ : هُمْ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَنْ يَقُولَ : أَوْ يَزِيدُونَ .

وَالْقَوْلُ الثَّانِي عَنِ الْبَصَرِيِّينَ : أَنَّهَا لِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ عَلَى الْإِبْهَامِ .

(١) ديوان جرير ٦٦ . وهو من شواهد سيبويه ١ : ٥٢ ، ٤٨٩ ، والمقتضب ١ : ٧٥ / ٢ : ١٢١ .

(٢) ديوان جرير ٢٧٥ والمعنى ٦٢ والتصریح ١ : ٢٨٣ والجمع ٢ : ١٣٤ والأشئونی ٢ : ٥٨ .

(٣) الآية ١٤٧ من الصافات .

(٤) ط : « بخير » ، صوابه في ش وابن السجری .

والثالث لابن جنى ، وهو أنَّها للشك . والمعنى : أنَّ الرائي إذا رآهم شكَّ في عدَّتْهم لكثرتهم . ومن زعم أنَّ المعنى بل يزيدون ، قال مثل ذلك في قوله تعالى : ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ^(١) ﴾ ، وفي قوله : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ^(٢) ﴾ ، وقوله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ^(٣) ﴾ . ومن قال : إنَّ المعنى ويزيدون قال مثل ذلك في هذه الآي . والوجه أن تكون أو فيهنَّ للتخيير . ويجوز أن تكون أو فيهن للإيهام . انتهى كلامه باختصار .

والبيت الشاهد أول أبياتٍ للبيد بن ربيعة الصحابي ، تقدَّم شرحها في الشاهد الخامس بعد الثلاثئة ^(٤) .

صاحب الشاهد

* * *

وأنشد بعده :

(وَكَانَ سَيَّانٍ أَنْ لَا يُسْرِحُوا نَعْمًا أَوْ يُسْرِحُوهُ بِهَا وَغَبَرَّتِ السُّوْحُ)

على أنَّ (أَوْ) فيه بمعنى الواو .

وقد تقدَّم شرحه في الشاهد الخامس والخمسين بعد الثلاثئة من باب العطف ^(٥) .

* * *

(١) الآية ٧٤ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٧٧ من سورة النحل .

(٣) الآية ٩ من سورة النجم .

(٤) الخزائن ٤ : ٣٣٧ - ٣٤٢ .

(٥) الخزائن ٥ : ١٣٤ - ١٤٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد الثمانمائة ^(١) :

٨٩٧ (سِيَّانٍ كَسَّرُ رَغِيفِهِ أَوْ كَسَّرُ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ)
على أَنَّ (أَوْ) فيه بمعنى الواو .

قال أبو علي (في كتاب الشعر) : كان القياس أن يكون العطف فيه بالواو دون أو ، لأنَّ العطف بأو في هذا الموضع في المعنى: سِيَّانٍ أَحَدُهُمَا ، وهو كلام مستحيل ، كما أن سواء زيد أو عمرو كذلك ، لأنَّ سواء سِيَّانٍ واحدٌ في المعنى ، وإنما سَيَّ من سواء كَقَيَّ من قواء . فكما لا يستقيم سواء زيد أو عمرو لأنَّ المعنى سواء أحدهما ، والتسوية إنما تكون بين شيئين فصاعداً ، كذلك ينبغي أن لا يستقيم . والذي حسن ذلك للشاعر أنه يرى : جالس الحسن أو ابن سيرين ، فيستقيم له أن يجالسهما جميعاً ، وكلُّ الخُبز أو التمر ، فيجوز أن يجمعهما في الأكل . فلمَّا صارت تجرى مجرى الواو في هذه المواضع استجاز أن يستعملها بعد سَيَّ . ولم نعلم أنه جاء ذلك في سواء ، وقياسه قياس سِيَّان . وقد قال بعض المحدثين :

سِيَّانٍ كَسَّرُ رَغِيفِهِ أَوْ كَسَّرُ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ

فهذا في القياس كما جاء في الشعر القديم . فأما قوله :

أَلَا فالبثا شهرين أو نصفَ ثالثٍ إلى ذاكما ما غيَّبَتْنِي غَيَّابَا ^(٢)

(١) العقد ٦ : ١٩١ وغرر الخصائص للوطواط ٢٠٥ والوفيات ٢ : ٢٣٢ .

(٢) لابن أحرر في ديوانه ١٧١ . وانظر المختص ٢ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ والخصائص ٢ : ٤٦٠ وابن

الشجرى ٢ : ٣١٧ والإنصاف ٤٨٣ . وفي النسختين : « إلى ذاك ما قد غيَّبَتْنِي » صوابه من الديوان والمراجع السابقة . وفي اللسان : « غيَّبه غَيَّابُهُ : أى دفن في قبره » .

فهو من باب جالس الحسن أو ابن سيرين . ألا ترى أنه إن لبث شهرين فقط ، أو شهرين وبعض ثالث ، فقد ائتمر . وليس الموضع مقتضياً لوقوع الواو كما يقتضى الواو بعدسيّ وسواء . انتهى كلامه .

وبعض المحدثين الذى ذكره أبو على ، هو أبو محمد يحيى اليزيدى .

والبيت من جملة أبيات هجا بها أبا المقاتل ، وهى :

صاحب الشاهد

(استَبِقِ وُدَّ أُمِّ الْمُقَاتِلِ تِلْ حِينَ تَدْنُو مِنْ طَعَامِهِ
سَيَّانٍ كَسَرَ رَغِيفِهِ أَوْ كَسَرَ عَظْمٍ مِنْ عَظَامِهِ
وَيَصُومُ كَرهًا ضَيْفُهُ لَمْ يَنْوَ أَجْرًا مِنْ صَيَامِهِ)

أبيات الشاهد

كذا نسبها إليه صاحب الأغاني ^(١) ، وابن خلكان فى ترجمته ^(٢) .

ورواها ابن عبد ربه (فى العقد الفريد) كذا :

٤٢٦

اَكْفُفْ يَمِينَكَ عَنْ طَعَامِهِ إِنْ كُنْتَ تَرْغَبُ فِي كَلَامِهِ
سَيَّانٍ كَسَرَ رَغِيفَهُ البيت

وأورد الطواطى إبراهيم الكتبى (فى كتابه غرر الخصائص الواضحة ، وغرر

النقائص الفاضحة) بعدهما بيتين آخرين ، وهما :

(فالْمُوْتُ أَهْوَنُ عِنْدَهُ مِنْ مَضْغِ ضَيْفٍ وَالتَّقَامِهِ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِيَابِهِ فَاحْفَظْ رَغِيفَكَ مِنْ غَلَامِهِ)

(١) لم أجده فى الأغاني . فهو مما لم تورده النسخ المطبوعة .

(٢) ابن خلكان ٢ : ٢٣٢ .

وأبو محمد [هذا ^(١)] هو يحيى بن المبارك بن المغيرة ، أحد بنى عدي بن أبو محمد اليزيدي عبد شمس بن زيد مَنَّا ^(٢) بن تميم . ويعرف أبو محمد باليزيدي ، نسبةً إلى يزيد بن منصور الحميريّ خال المهدى لأنّه كان يؤدّب أولاده فنُسب إليه .

قال صاحب الأغاني ^(٣) : قيل له اليزيديّ لأنّه كان فيمن خرج مع إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن بالبصرة ، ثم توارى زماناً حتّى استتر أمره ، ثمّ اتصل بعد ذلك بيزيد بن منصور خال المهدى ، فوصله بالرّشيد فلم يزلّ معه . وأدّب المأمون خاصّةً .

وهو مقرئٌ نحويّ لغويّ ، صاحبُ أبي عمرو بن العلاء ، وهو الذي خَلَفَه في القيام بالقراءة بعده . سكنَ بغدادَ وحَدَّثَ بها عن أبي عمرو بن العلاء ، وابن جريج وغيرهما . وروى عنه ابنه محمد ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وإسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، وجماعةٌ من أولاده وخَفَدَتِه ، وأبو عمرو الدُّوريّ ، وأبو شعيب السُّوسي وغيرهم . وخالف أبا عمرو في حروف كثيرة من القراءة اختارها لنفسه . وأخذَ عِلْمَ العربيّة عن أبي عمرو ، والخليل بن أحمد ^(٤) .

قال ابن المبارك : أَكْثَرُ السُّؤال عن أبي محمد ومحلّه من الصّدق ، ومنزلته من الثّقة ، فقالوا : هو ثقةٌ صدوقٌ ، لا يُدْفَعُ عن سماع ، ولا يُرْغَبُ عنه في شيء ، غيرَ ما يُتَوَهَّمُ عليه من الميل إلى المعتزلة . وقد روى عنه الغرائب أبو عبيد القاسم بن سلام ، وكفى به . وما ذاك إلّا عن معرفةٍ منه به . وكان مؤدّب المأمون ابن هارون الرشيد .

(١) التكملة من ش .

(٢) في النسختين : « زيد بن مَنَّا » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

(٣) الأغاني ١٨ : ٧٢ - ٨٧ .

(٤) انظر معجم الأدباء ٢٠ : ٣١ ووفيات الأعيان .

قال الأثرم : دخل اليزيدى يوماً على الخليل بن أحمد ، وهو جالس على وسادة ، فأوسع له وأجلسه معه ، فقال له اليزيدى : أحسبني ضيقت عليك . فقال الخليل : ما ضاق موضع على اثنين متحايين ، والدنيا لا تسع متباغضين ^(١) .

ومن هنا أخذ ابن عبد ربّه قوله :

صِلْ مَنْ هَوَيْتَ وَإِنْ أَبَدَى مُعَاتِبَةً فَأَطِيبُ الْعِيشَ وَصِلْ بَيْنَ اثْنَيْنِ ^(٢)
وَاقْطَعْ حَبَائِلَ خِذْنِ لَا تَلَاثُمَهُ فَقَلَّمَا تَسَعُ الدُّنْيَا بَغِيضَيْنِ ^(٣)

وقال أبو محمد غانم بن الوليد المالقي :

صَيَّرَ فَوَادَكَ لِلْمَحْبُوبِ مَنْزِلَةً سَمَّ الْخِيَاطِ مَجَالَ لِلْمَحْبِبِينَ
وَلَا تُسَامَحْ بَغِيضاً فِي مُخَاصَمَةٍ فَقَلَّمَا تَسَعُ الدُّنْيَا بَغِيضَيْنِ
وقال ابن الرقاق ^(٤) :

يَضِيقُ الْفَضَا عَنْ صَاحِبِينَ تَبَاغَضَا وَسَمَّ الْخِيَاطِ بِالْحَبِيبَيْنِ وَاسِعُ
وقال التّهامي :

بَيْنَ الْحَبِيبَيْنِ مَجْلِسٌ وَاسِعٌ وَالْوُدُّ حَالٌ يَقْرُبُ الشَّاسِعُ
وَالْيَيْتُ إِنْ ضَاقَ عَنْ ثَمَانِيَةٍ مَتَّسِعٌ بِالْوُدِّ لِلتَّاسِعِ

٤٢٧

(١) انظر وفيات الأعيان ٢ : ٢٣٠ في ترجمته والعقد ٢ : ٣١٦ .

(٢) في العقد : « بين إلفين » .

(٣) في العقد : « فرما ضاقت الدنيا بإثنين » .

(٤) في النسختين : « ابن الرقاق » ، صوابه ما أثبت . وهو الشاعر الأندلسي البلبسى على بن عطية

ابن مطرف ، المتوفى سنة ٥٢٨ هـ . فوات الوفيات ٢ : ١٢٥ - ١٢٨ .

وروى الأصبهاني (في الأغاني) أن قتيبة الخُراساني صاحب عيسى بن عمر ، كان يأتي اليزيدي فيسأله عن مسائل كالتعنت ، فإذا أجابه عنها انصرف منكسراً ، فقال فيه :

إذا عافى مليك الناس عبداً فلا عافاك ربك يا قُتيبة^(١)
 طلبتَ النَّحوَ مذ أن كنتَ طفلاً إلى أن جَلَلْتَكَ قُبِحَتْ شِيبة^(٢)
 فما تزدادُ إلَّا النَّقصَ فيه فأنت لَدَى الإيابِ بِشَرٍّ أوبه^(٣)
 وكنتَ كغائبٍ قد غاب حيناً فطال مُقامه وأتى بِخِيبة

وروى عنه أنه قال : كان عيسى بن عمر أعلم الناس بالغريب ، فأتاني قُتيبة الخُراساني فقال : أَدِنِي شيئاً من الغريب أَعَايِي بِهِ عِيسَى بْنُ عَمْرِو^(٤) .
 فقلت له : أجودُ المساويك عند العرب الأراك ، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتمثراً
 عُجَارِماً جيّداً . وقد قال الشاعر :

إذا استكت يوماً بالأراكِ فلا يَكُنْ سيواكُك إلَّا المتمرُّ العُجَارِما
 يعنى الأير . يقال : اثمَّارُ الشيء ، إذا اشتدَّ . والعُجَارِمُ : الأير الغليظ^(٥) .

(١) الأغاني ١٨ : ٧٥ مع شعر آخر لليزيدي في هجائه .

(٢) قُبِحَتْ ، من قولهم : قبحه الله ، أى أبعده عن كل خير . وفي التنزيل العزيز : « ويوم القيامة هم من المقبوحين » .

(٣) فأنت ، كذا وردت بخط البغدادى كما أثبتته الناسخ . وفي الأغاني أيضا : « وأنت » ، والوجه فيهما : « وأبت » ، من الإياب والأوبة ، أى الرجوع .

(٤) أعَايِي من المعاياة ، وهى أن يأتي المتكلم بكلام لا يُهْتَدَى له . والأعْيِيَة : ما عايت به . وفي الأغاني : « أعانى » ، وما هنا صوابه .

(٥) أو التمر : الغليظ المستقيم . والعجرام ، كعلايط : الشديد .

قال : فكتب قتيبة ما قلتُ له وكتبَ البيت ، ثم أتى عيسى بنَ عُمرَ في مجلسه ، فقال يا أبا عمر ، ما أجود المساويلك عند العرب ؟ فقال : الأراك . فقال له قتيبة : أفلا أهدى إليك منه شيئاً متمثراً عُجارِما ؟ فقال : أهده إلى نفسك . وغَضِبَ وضحك كلُّ مَنْ كان في مجلسه ، وبقي قتيبة متحيراً ، فعلم عيسى أنَّه قد وقع عليه بلاء . فقال له : ويلك مَنْ فضحك وسخر منك بهذه المسألة ! قال أبو محمد اليزيدي : فضحك عيسى حتَّى فَحصَ برجله ، فقال : هذه والله من مَزَاحته ، أراه عنك منحرفاً فقد فضحك ! فقال قتيبة : لا أعاود مسألته عن شيء .

وقد أطنب الأصفهانيُّ في أخباره ونوادره وأشعاره ، وأخبار أولاده وحَفَدته . ومات اليزيديُّ في سنة اثنتين ومائتين .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد الثمانمائة ^(١) :

٨٩٨ (تِلْمٌ بدارٍ قد تقادمَ عَهْدُها وإِماَ بأُمواتٍ أَلَمَ خيالُها)

على أَنَّ (إِماَ) قد تجيء بالشعر غير مسبوقه بمثلها فتقدَّر كما في هذا البيت الذي أنشده الفراء ، والتقدير : تِلْمٌ إِماَ بدارٍ وإِماَ بأُموات .

كذا قال أبو علي (في كتاب الشعر) .

(١) معاني الفراء ١ : ٣٩٠ والمنصف ٣ : ١١٥ والأزهية ١٤١ وابن السجري ٢ : ٣٤٥ وابن يعيش ٨ :

١٠٢ والمقرب ١ : ١٣٢ والضرائر ١٦٢ والمغنى ٦١ والعينى ٤ : ١٥٠ والجمع ٢ : ١٣٥ والأشعري ٣ : ١١٠ وديوان الفرزدق ٦١٨ .

ولم ينشده القراء لهذا ، بل جعل إِمَّا نائية عن أَوْ ، ولا حذف في الكلام ، وهذا نصُّه نقلناه برُمَّته لكثرة فوائده ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾^(١) : أدخِلْ أَنْ في إِمَّا لأنها في موضع أمرٍ بالاختيار ، فهي في موضع نصب كقول القائل : اختر ذا أو ذا^(٢) . فإن قلت : أَنْ في المعنى بمنزلة إِمَّا فهل يجوز أن تقول : يا زيد أن تقوم أو تقعد ، تريد اختر أن تقوم أو تقعد ؟ قلت : لا يجوز ذلك ، لأنَّ أَوَّلَ الاسمين في أو يكون خبراً يجوز السكوت عليه ، ثم تستدرك الشكُّ في الاسم الآخر فتُمضي الكلام على الخبر . ألا ترى أنَّك تقول : قام أخوك ، وتسكت . وإن بدا لك قلت : أو أبوك . فأدخلت الشكَّ والاسم الأول مكتفٍ يصلح السكوت عليه . وليس يجوز أن تقول : ضربت إِمَّا عبدَ الله ، وتسكت . فلما آذنت إِمَّا بالتخير من أَوَّلَ الكلام أَّحذثت لها أَنْ . ولو وقعت إِمَّا وإِمَّا مع فعلين قد وُصِلَا باسم معرفة أو نكرة ، ولم يصلح الأمر بالتخير في موضع إِمَّا ، لم يحدث فيها أَنْ ، كقوله تعالى : ﴿ وَآخِرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾^(٣) . ولو جعلت أَنْ في مذهب كَيْ وَصيرتها صلةً لمرجَوْنَ ، تريد : أَرْجُوا لِأَنَّ يُعَذِّبُوا أو يُتَابَ عَلَيْهِمْ ، صلح ذلك في كلِّ فعل تام ، ولا يصلح في كان وأخواتها ، ولا في ظَنَنْتَ وأخواتها . من ذلك أن تقول : آتيك ، إِمَّا أَنْ تُعْطَى وإِمَّا أَنْ تَمْنَعَ . وخطأ أن تقول : أظنُّك إِمَّا أَنْ تُعْطَى وإِمَّا أَنْ تَمْنَعَ ، ولا أَصْبَحْتَ إِمَّا أَنْ تُعْطَى وإِمَّا أَنْ تَمْنَعَ . ولا تدخل أَوْ على إِمَّا ، ولا إِمَّا على أَوْ . وربما فعلت العربُ ذلك لتأخيهما

(١) الآية ١١٥ من الأعراف .

(٢) بعده في معاني القرآن : « ألا ترى أن الأمر بالاختيار قد صلح في موضع إِمَّا » . والنص في المعاني مغاير لما هنا مع أن المؤدى واحد .

(٣) الآية ١٦ من سورة التوبة .

في المعنى ، على التوهم ، فيقولون : عبد الله إِمَّا جالسٌ أو ناهض . ويقولون : عبد الله يقوم وإِمَّا يقعد . وفي قراءة أُبيّ : ﴿ وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ لِمَا عَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ ^(١) ﴾ ، فوضع أَوْ في موضع إِمَّا . وقال الشاعر :

فقلت لهنَّ آمشيْنِ إِمَّا ثَلَاثِهٖ كما قال أَوْ نَشْفِ النَّفْسَ فَنَعْذِرَا

وقال آخر :

فكيف بنفسٍ كلِّمًا قلتُ أَشْرَفْتُ على البرء من دَهْمَاءِ هِيضَ اندمَالِهَا
تَهَاضُ بدارٍ قد تقادَمَ عهدُها وإِمَّا بِأَمْوَاتٍ أَلَمَ خِيَالُهَا
فوضع إِمَّا في موضع أَوْ . وهو على التوهم ، إذا طالت الكلمة بعضَ الطُول أو فرقتَ بينهما شيءٌ هنالك يجوز التوهم ، كما تقول : أنت ضاربُ زيدٍ ظالمًا وأخاه ، حين فرقتَ بينهما بظالم جاز نصبُ الأخ وما قبله مخفوض . انتهى كلام الفراء .

فجعل إِمَّا نائبةً عن أَوْ ، لا أَنَّ مثلها محذوفٌ من أوَّل الكلام .

وما قاله غيره أجود ، لأنَّه حملٌ على الكثير الشائع .

وخصَّ ابن عصفورٍ حذفَها بالشعر كأبي عليٍّ والشارح المحقق .
ونسبهما أبو عليٍّ إلى الفرزدق ، وهو الصحيح .

صاحب الشاهد

وقال المرادى (في شرح التسهيل) ، والعينى : هما لذى الرمة . ولم أرهما في ديوانه .

وقوله : « فكيف بنفسٍ » أى كيف نأمل بصحة نفس هذه صفتها . وقيل الباء زائدة ونفس مبتدأ وكيف خبره . وأشرفت : أقبلت . والبرء ، بالضم :

(١) الآية ٥٤ من سورة سبأ . وانظر القراءات الشاذة ١٢٣ .

الْخَلَّاصُ من المرض . وقوله : « من دهماء » أى من مرض حُبَّها ، ففيه حذف مضافين ، أو مِنْ تَعْلِيلِيَّةٌ فلا حذف . وَدَهْمَاء : اسم امرأة . وروى العينى بدله : « حَوْصَاء » بالحاء والصَّاد المهملتين ، وقال : هو فَعْلَاءٌ من الحَوْصَ بالتحريك ، وهو ضيقٌ فى مؤخر العين . وَهَيْضَ : مجهولٌ هاض العظمَ يَهْيِضُهُ هَيْضاً إذا كسره بعد الجبر . وقوله : « اندمالها » أى اندمال جرحها ، والضمير للنفس . والاندمال : تراجع الجرح إلى البرء . يريد : كلما قارب الجرح إلى الالتحام أُصيب بشيءٍ فَدَمِيَ فصار جرحاً كالأول أو أشدَّ .

وقوله : (تُهاض) بالثناة الفوقية ، والضمير لتلك النفس . أى يتجدد جرحها . والباء فى قوله (بدار) و (بأمواتٍ) سببية . وجعلها العينى ظرفيةً وقدّر لجرورها صفة وقال : أى فى دارٍ تَحْرَبُ . وهذا لا حاجةَ إليه . وجملة (قد تقادم) صفة دار . قال الجوهري : وقَدَّم الشئَ قَدَمًا ، أى بكسر ففتح ، فهو قديم . وتقَادَمَ مثله . انتهى . وفى المصباح : قَدَّم الشئَ قَدَمًا كعنب : خلاف حَدَثَ ، ٤٢٩ فهو قديم . وعيبٌ قديم ، أى سابقٌ زمانه متقدّم الوقوع على وقته . و (العهد) قال صاحب المصباح يقال هو قريب العهد بكذا ، أى قريب العلم والحال . والأمر كما عهدت ، أى كما عرفت .

وقوله : (وإِما بأمواتٍ) قال العينى : أى بموت أموات . وليس المعنى عليه كما لا يخفى . و (أَلَمْ) قال صاحب المصباح : أَلَمْ الشئُ إلماماً أى قُرْب . وفى الصحاح : الإلمام : النزول ، وقد أَلَمَّ به أى نَزَلَ به . وغلّامٌ مُلَمٌّ : قارب البلوغ . وفى الحديث : « وَإِنَّ مِمَّا يُنَبِّئُ الرَّبُّعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ » ، أى يقرب من ذلك . انتهى . فيكون التقدير : أَلَمْ خيالها بنا . والجملة صفة أموات . و (الخيال) بالفتح : صورة الشئِ فى الذهن . وروى أيضا : « تُلِمُّ بدار » كما فى الشرح وغيره ، وهو من الإلمام ، وقد ذَكَرناه ، وفاعله ضمير النفس .

وهذا البيت بيانٌ لسبب عدم بُرء النفس .

وترجمة الفرزدق تقدّمت في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب (١)

* * *

وأُشَدُّ بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد الثمانمائة (٢) :

٨٩٩ (فإِذَا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقِّ فَأَعْرِفْ مِنْكَ غَثِّي أَوْ سَمِينِي
وإِلَّا فَاطْرَحْنِي وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي (٣))

على أنّه قد تخلف (إِذَا الثانية) إلّا ، وهي إن الشرطيّة المدعّمة بلا النافية ، أى
وإِلَّا تَكُنْ أَخِي بِحَقِّ فَاطْرَحْنِي . وقد تخلفها (أَوْ) أيضاً كما قال الشارح وغيره ، كقوله :

فقلت لهنّ آمشينَ إِذَا نلاقه كما قال أَوْ نَشِفِ النفوس فنعدّرا

والبيتان من قصيدة طويلة للمثقّب العبدى ، أوردتها المفضل (في

صاحب الشاهد

المفضّليات) : وبعدهما :

(وما أَدْرِ إِذَا يَمُمْتُ أَمْرًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَيُّهُمَا يَلِينِي
الْخَيْرُ الَّذِي أَنَا أَبْتَغِيهِ أَمْ الشَّرُّ الَّذِي هُوَ يَتَغَنِينِي)

وهذا آخر القصيدة ، ولم يذكر فيها المخاطب بهما من هو ، وكأنّه محذوف

منها (٤) .

(١) الخزائن ١ : ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٢) معاني القرآن ١ : ٢٣١ / ٢ : ٣٧٢ والأزهية ١٥٠ وابن الشجري ٢ : ٣٤٤ والمقرب ١ : ٢٣٢

والضرائر ١٦٢ والمغنى ٦١ والعينى ٤ : ١٤٩ والجمع ٢ : ١٣٥ والأخمدى ٣ : ١١٠ والمفضليات ٢٩٢ وديوان
المثقّب ٢١١ - ٢١٣ .

(٣) قبل إنه يخاطب عمرو بن هند ، لقوله قبل ذلك :

إلى عمرو ومن عمرو أتتني أخى النجدات والحلم الرصين
وقال الأصمعي : « أراه غير الملك لأنه لم يكن ليخاطبه بمثل هذا الكلام » .

(٤) انظر الشاهد ٩٠٢ ص ١٠٩ .

وقوله : (فإِذَا أَنْ تَكُونُ) بتأويل مصدرٍ منصوبٍ على أَنَّهُ مفعولٌ لفعلٍ محذوفٍ ، والتقدير : بَيْنَ إِذَا كَوْنِكَ أَخَا وَإِذَا كَوْنِكَ عَدُوًّا . و (إِذَا) لأحد الشيئين . وجعل بعضهم ذلك المصدرَ مبتدأً محذوف الخبر تقديره : فَإِذَا أَخَوْتُكَ الصَّادَقةَ حاصلةً . هذا كلامه . والجيد أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : إِذَا شَأْنُكَ كَوْنُكَ أَخَا صَادِقًا ، كما قال سيبويه في قوله :

* فَإِنْ جَزَعُ وَإِنْ إِجْمَالُ صَبْرٍ *

كما يَأْتِي (١) .

وجعل مثله أبو علي (في البغداديات) مبتدأً محذوف الخبر ، قال في قوله تعالى : ﴿ يَا ذَا الْقُرْآنِ إِذَا أَنْ تُعَذَّبَ ﴾ (٢) ﴿ ينبغي أن يكون رفعاً ، وارتفاعه على الابتداء ، أى إِذَا الْعَذَابُ شَأْنُكَ أَوْ أَمْرُكَ ، أَوْ اتَّخَذَ الْحُسْنُ . انتهى .

قال العيني : قوله : (بِحَقِّ) في محل نصب صفة لأخى .

ولا يخفى أَنَّ الظرف بعد المعرفة حال وبعد النكرة صفة بحسب الاقتضاء ، وهنا وقع بعد معرفة فكيف يكون صفة ؟ على أَنَّهُ لا اقتضاء هنا بحسب المعنى ، وإنما هو نائب عن المفعول المطلق ، والتقدير : تكون أخى كوناً ملتبساً بحق .

وقوله : (فَأَعْرِفَ) بالنصب معطوف على تكون . وقوله : (غَثَى أَوْ سَمِينَى) كذا هو بِأَو ، في المفضليات وغيرها . قال ابن الأنبارى : أى فَأَعْرِفُ نُصْحَكَ مِنْ غِشِّكَ . وهى نسخة قديمة مضبوطةٌ صحيحةٌ جداً .

٤٣٠ رُوِيَ (في الشرح) ، و (مغنى اللبيب) ، و (شروح الألفية) : « غَثَى مِنْ سَمِينَى » فَمِنْ الْأَوَّلَى ابْتِدَائِيَّةٌ فِي الرُّوَايَتَيْنِ ، وَمِنْ الثَّانِيَةِ لِلْبَدَلِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :

(١) انظر الشاهد ٩٠٢ ص ١٠٩ .

(٢) الآية ٨٦ من سورة الكهف .

﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾^(١) . وأنكره قومٌ فقالوا : التقدير : أرضيتم بالحياة الدنيا بدلاً من الآخرة ، فالمفيدُ للبديلة^(٢) متعلقها المحذوف . وأما هي فلا ابتداء .

وقال ابن مالك : من الداخلة على ثانی المتضادّين معناها الفصل ، نحو : ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾^(٣) . قال ابن هشام : فيه نظرٌ ؛ لأنَّ الفصل مستفاد من العامل ، والظاهر أنَّ مِنْ للابتداء أو بمعنى عَنْ . انتهى .

قال العيني : قوله : « غَثَّى » بفتح الغين المعجمة وتشديد الثاء المثلثة ، مِنْ غَثَّ اللحمُ يَغْثُ وَيَغْثُ بكسر الغين وفتحها ، غَثَاةٌ وَغَثُوَةٌ ، فهو غَثٌّ وَغَثِيثٌ ، إذا كان مهزولاً . وكذلك غَثَّ حديثُ القومِ وَأَغْثَ ، أى رَدُّوْهُ وَفَسَدَ . والمعنى ههنا : أعرف منك ما يَفْسُدُ مِمَّا يَصْلُحُ^(٤) . انتهى .

وقال الدماميني : الغثُّ : الردىء . والسَّمِينُ : الجيّد . أى فأعرف منك مساوئى من محاسنى ، فَإِنَّ المؤمنَ مرآةُ أخيه . أو فأعرف ما يضرُّنى منك مِمَّا يَنْفَعُنِي وَأُمَيِّزُ بينهما . انتهى .

وقوله : (وَإِلَّا فَاطِرَ حُنًى) أى اتركْنى . وهو بتشديد الطاء افتعال من الطَّرَحَ .

وقوله : « وما أدرى إذا يَمُمْتُ » إلخ ما نافية ، وأدري : أعلم ، وجملة أيُّهما يلينى فى محلّ المفعولين لأدري ، لأنّه معلقٌ عن العمل باسم الاستفهام . وإذا ظرفٌ لأدري . ويَمُمْتُ : قصدت . و « أمرا » كذا فى المفضليات ، وفى غيرها : « وَجْهًا » . وروى أيضا : « أرضاً » . وجملة أريد حال من فاعل يَمُمْتُ .

(١) الآية ٣٨ من سورة التوبة .

(٢) ط : « من البديلة » ، صوابه فى ش .

(٣) الآية ٢٢٠ من سورة البقرة .

(٤) فى النسختين : « عما يصلح » ، صوابه من العيني ٤ : ١٥٠ .

وأورده الفراء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾^(١) قال : ذَكَرَ أُمَّةٌ ولم يذكر بعدها أخرى ، والكلام مبنى على أخرى ، لأنَّ سواء لابد لها من اثنين فما زاد ، كأنتك قلت : لا تستوى أُمَّةٌ صالحة وأخرى كافرة . وقد تستجيز العرب إضممار أحد الشيئين إذا كان في الكلام دليل عليه . ثم أنشد هذين البيتين وغيرهما .

وكذا أنشدتهما عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ ﴾^(٢) ، قال : كنى عن هى ، وهى للأيمان ولم تذكر . وذلك أن الغل لا يكون إلا فى اليمين والعنق ، جامعاً لليمين والعنق ، فيكفى ذكر أحدهما من صاحبه . ثم أنشدتهما فقال : كنى عن الشر ، وإنما ذكر الخير وحده . وذلك أن الشر يذكر مع الخير . انتهى .

وكأنه يريد أن التقدير : أريد الخير لا الشر . ولا يجوز أن يكون التقدير : أريد الخير والشر ، لأنه غير مراد له ، بدليل ما بعده ، فيكون من حذف المعطوف بلا النافية ، وهو غريب .

وقوله : « أَلْخَيْرُ الذِّى » إلخ هذا بدل من أى ، ولهذا قرن بحرف الاستفهام . والهمزة الثانية من أَلْخَيْرِ همزة وصل دخلت عليها همزة الاستفهام ، وكان القياس أن يُستغنى عنها ، لكنّها لم تحذف وخففت بتسهيلها بين بين ، إذ لولا ذلك لم يترن البيت . ولا سبيل إلى دعوى تحقيقها ، لأنه لا قائل به .

وهمزة بين بين عند البصريين متحركة بحركة ضعيفة يُنحى بها نحو

(١) الآية ١١٣ من آل عمران .

(٢) الآية ٨ من سورة يس .

السُّكُون ، ولذلك لا تقع إلا حيث يقع الساكن غالباً ، ولا تقع في أوّل الكلام بحال .

وفيه ردٌّ على الكوفيين في دعوى سكونها لأنّها في مقابلة ثاني حروفٍ وتِد مجموع ، وهو لا يكون ساكناً . ولأنّها لو كانت ساكنة لزم التقاء الساكنين على غير حدّه . وروى :

* أم الشرُّ الذي لا يأتليني *

قال ابن الأنباري : أى لا يألُو في طلبى ، أى لا يقصّر في طلبى .

٤٣١

المثقّب العبدى

والمثقّب العبدى : شاعر جاهليّ قديم ، كان في زمن عمرو بن هند . قاله ابن قتيبة (في كتاب الشعراء ^(١)) ، وقال : اسمه محصن بن ثعلبة ، بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الصاد المهملة ، سمى المثقّب لقوله في هذه القصيدة :

رَدَدَنْ تَحِيَّةً وَكَنْنَ أُخْرَى وَثَقَّبَنْ الوَصَاوِصَ لِلْعُيُونِ

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلّموه . انتهى .

وقال ابن الأنباري : اسمه : عائذ بن محصن بن ثعلبة بن وائلة بن عدى ابن عوف بن دهن بن غُدرة بن منبّه بن نُكرة بن لُكيز بن أفصى بن عبد القيس ابن أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . انتهى .

والمثقّب : اسم فاعل من ثَقَّبَ بالثاء المثناة وتشديد القاف . وصحّفه الدّماميني بالنون . وهو لقبٌ له ، لقوله ذاك البيت .

والعبدى : نسبة إلى عبد القيس ، ويقال في النسبة إليه : عَبَسَيْ أيضاً .

وقوله : « رَدَدَنْ تَحِيَّةً » إلخ قال ابن الأنباري : أى أظهرن السَّلام ورَدَدْنَه .
وكتمن ، أى سترن ، وهو ما يُردُّ من السَّلام بعين أو بيد . وروى :

* ظَهَرْنَ بِكَلَّةٍ وَسَدَلْنَ أُخْرَى *

والكَلَّةُ : ما يُرى على الهودج ، وهو شبيهة بالسُّتور . والوصاوص : البراقع
الصَّغار . أراد أنَّهن حديثات الأسنان فبراقعهن صغار .

ومن شعر المثقَّب من أول قصيدة أخرى :

لا تَقُولَنَّ إِذَا مالم تُرِدْ	أَنْ تُنَمَّ الوَعْدَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ ^(١)
حَسَنٌ قَوْلٌ نَعَمٌ مِنْ بَعْدٍ لَا	وَقَبِيحٌ قَوْلٌ لَا بَعْدَ نَعَمٍ
إِنَّ لَا بَعْدَ نَعَمٍ فَاحْشَةٌ	فَبَلَا فَابِدًا إِذَا خَفَتِ النَّدَمُ
فَإِذَا قُلْتَ نَعَمٌ فَاصْبِرْ لَهَا	بَنَجَاحِ الْقَوْلِ إِنَّ الْخُلْفَ ذَمٌّ
وَأَعْلَمْ أَنَّ الذَّمَّ نَقْصٌ لِلْفَتَى	وَمَتَى لَا يَتَّقَى الذَّمَّ يُذَمُّ
أَكْرَمُ الْجَارِ وَأَرْعَى حَقَّهُ	إِنَّ عِرْفَانَ الْفَتَى الْحَقُّ كَرَمٌ
لَا تَرَانِي رَاتِعًا فِي مَجْلَسٍ	فِي لُحُومِ النَّاسِ كَالسَّبْعِ الضَّرِمِ
إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يَكْثُرُ لِي	حِينَ يَلْقَانِي وَإِنْ غَبْتُ شَتَمٌ
وَكَلَامٍ سَيِّئٍ قَدْ وُقِرَتْ	أُذُنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ
فَتَصَبَّرْتُ امْتِعَاضًا أَنْ يَرَى	جَاهِلٌ أَنَّنِي كَمَا كَانَ زَعَمٌ
وَلِبَعْضِ الصَّفْعِ وَالْإِعْزَاضِ عَنْ	ذِي الْخَنَا أَبْقَى وَإِنْ كَانَ ظَلَمٌ

والضَّرِمُ : الشديد النَّهَمُ ، أخذًا من ضَرَمَ النار ، وهو التَّهابُها . والسَّبْعُ ،
بضم الموحدة ، لكن سكَّنه للضرورة . ويكشُر : يضحك . ووُقِرَتْ أذنه بالبناء
للمفعول تَوَقَّرَ وَقَرًا ، فهي موقرة من الصَّمَمِ .

* * *

(١) انظر الأبيات وتخریجها وتفسیرها فی المفضلیات طبع دار المعارف ٢٩٣ - ٢٩٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الموفى للتسعمائة (١) :

٩٠٠ (يا لَيْتَمَا أُمْنَا شَالَتْ نَعَامُتُهَا أَمَّا إِلَى جَنَّةٍ أُمَّا إِلَى نَارٍ)
على أَنَّ (أُمَّا) الثانية تلزم الواو ، ورَّيْمًا ترد بلا واو ، كهذا البيت ، وهو
غير الغالب .

قال ابن هشام (في حواشي التسهيل) : لا أحفظ حذف الواو إلا مع
تخفيف إمَّا بالبدل ، كقوله :

لا تُفْسِدُوا آبَالْكُفْمِ إِيْمَا لَنَا إِيْمَا لَكُمْ (٢)

قال الشارح : « ويروى أَيْمًا إلى جنة » وهي لغة في إِمَّا . هذا هو المشهور
في رواية البيت .

وكذا أنشده أبو تمام (في الحماسة) وهو بفتح الهمزة وسكون الياء .

قال ابن جني (في إعراب الحماسة) : قوله أَيْمًا إلى جنة ، يدل على أَنَّ
إبدال الراء والنون ياءين في قيراط ودينار ، ليس للكسرة ، إنما هو للإدغام .
ألا ترى أَنَّ أَيْمًا قد أبدل فيها من ميم أُمَّا ولا كسرة قبلها . انتهى .

وكذا ذكره ابن هشام (في المغنى) قال : وفي البيت شاهد ثان ، وهو فتح
الهمزة ، وثالث وهو الإبدال . انتهى . فيكون الإبدال من أُمَّا بفتح الهمزة .

قال الدماميني (في المزج) عند قول ابن هشام : وقد تبدل ميمها الأولى

(١) ش : « التسعمائة » . وانظر المختص ١ : ٤١ ، ٢٨٤ وابن يعيش ٦ : ٧٥ والمغنى ٥٩ والعينى
٤ : ١٥٣ والتصريخ ٢ : ١٤٦ والجمع ٢ : ١٣٥ والأشعرون ٣ : ١٠٩ .
(٢) المختص ١ : ٢٨٤ والجمع ٢ : ١٣٥ .

ياء ، أى مع فتح الهمزة وكسرها كما نصّ عليه غير واحد ، لكنّهم فيما رأيت لم يستشهدوا على الإبدال إلاّ مع فتح الهمزة . انتهى .

وقال المرادى (فى شرح التسهيل) : حُكِيَ الإبدال مع كسر الهمزة وفتحها . فمثاله مع الكسر قوله :

* يا ليتنا أمنا شالت نعامتها * ... البيت .

ومع الفتح قول أبى القمقام :

تَنْفُحُهَا أَيْمًا شَمَالٌ عَرِيَّةٌ وَأَيْمًا صَبًا جُنَحَ الظَّلَامِ هَبُوبٌ^(١)

رواه الفراء بالياء وفتح الهمزة .

هذا كلامه ، وفيه نظر ، فإنّ البيت الشاهد نصّوا على فتح همزته مع الإبدال ، ولو كان الكسر فيه رواية أيضا لكان اللائق عَزَوْهُ إلى ناقله .

والبيت أوّل أبيات أربعة أوردتها أبو تمام (فى أواخر الحماسة) قال : وقالت
أمُّ التُّحَيْفِ^(٢) وهو سعد بن قُوط ، أحد بنى جذيمة ، وكان تزوّج امرأةً نَهَتْهُ أُمُّه
عنها :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْلَفْتَ ظَنِّي وَسُوْنِي فَحُزْتُ بِعِصْيَانِي النَّدَامَةَ فَاصْبِرِ
وَلَا تَكْ مِطْلَاقًا مَلُولًا وَسَامِجَ الْـ قَرِينَةَ وَافْعَلْ فِعْلَ حُرٍّ مَشْهُرٍ
فَقَدْ حُزْتُ بِالْوُرْهَاءِ أَخْبَثَ خَبْثَةٍ فَدَعْ عَنْكَ مَا قَدْ قَلْتُ يَا سَعْدُ وَاحْذَرِ

(١) المقرب ١ : ٢٣١ والجمع ٢ : ١٣٥ . وفى ط : « تنفخها » بالخاء المعجمة ، صوابه فى ش والدرر

اللوامع ٢ : ١٨٢ . ويروى : « تلفحها » .

(٢) فى الحماسة بشرح الرزوقي ١٨٦٢ : « النحيف » بفتح النون فى مخطوطاتها . لكن ضبطه

التبريزى فى شرح الحماسة ٤ : ٣٥٢ بالتصغير وقال : « يجوز أن يكون النحيف تحقير ترخيم النحيف » . وقد اقتبس التبريزى هذا من المبهج لابن جنى ٦٨ دون أن ينبه على ذلك .

تَرْيَضُ بِهَا الْأَيَّامَ عَلَّ صُرُوفَهَا سَتَرِمِي بِهَا فِي جَاحِمٍ مَتَسَعِّرٍ
فَكَمَ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ مَنَاهُ إِلَهُهُ بِمَذْمُومَةِ الْأَخْلَاقِ وَاسِعَةِ الْحَرِّ
فَطَاوَلَهَا حَتَّى أَتَتْهَا مَنِيَّةٌ فَصَارَتْ سَفَاةً جُثُوءٌ بَيْنَ أَقْبَرِ
فَأَعْقَبَ لَمَّا كَانَ بِالصَّبْرِ مُعْصِماً فَنَاءً تَمَشَّى بَيْنَ إِتْبٍ وَمُزَرٍ
مُهِفْهَفَةَ الْكَشْحِينَ مَحْطُوطَةَ الْمَطَا كَهَمُّ الْفَتَى فِي كُلِّ مَبْدَى وَمَحْضَرٍ^(١)
لَهَا كَفْلٌ كَالِدُّعْصِ لَبْدُهُ النَّدَى وَتَغَرَّ نَقْيٌ كَالْأَفَاجِ الْمَنُورِ
فَاجَابَهَا ابْنُهَا^(٢) :

يَا لَيْتَا أُنْمَا شَالَتْ نِعَامَتُهَا أَيُّمَا إِلَى جَنَّةٍ أَيُّمَا إِلَى نَارٍ
تَلْتَهُمُ الْوَسَقُ مَشْدُوداً أَشِطَّتْهُ كَأَنَّمَا وَجْهَهَا قَدْ سُفِّعَ بِالْقَارِ^(٣)
لَيْسَتْ بِشَبْعَى وَلَوْ أَوْرَدَتْهَا هَجَرًا وَلَا بَرِيًّا وَلَوْ صَافَتْ بَذَى قَارِ^(٤)
خَرَقَاءُ بِالْخَيْرِ لَا تَهْدِي لَوِجْهَتِهِ وَهَى صَنَاعُ الْأَذَى فِي الْأَهْلِ وَالْجَارِ^(٥)

قال الخطيب التبريزي : الورهاء : الحمقاء . وأخْبِثْ خَبِثَةً نَعْتُ كُلِّ
فَاسِدٍ^(٦) . « فِدْعَ عَنْكَ مَا قَدْ قَلْتُ » كَأَنَّهُ كَانَ هَمَّ بِمَبَايِنَتِهَا فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ

٤٣٣

(١) وكذا عند التبريزي . وفي المرزوقي : « مخطوطة الحشا » .

(٢) لم ترد هذه المقطوعة عند المرزوقي . ووردت عند التبريزي مسبوقة بقوله : « وقال سعد ، وليس من الكتاب » . وسعد هذا هو النحيف ، وهو سعد بن قرط . والمقطوعة رواها السيوطي في شرح شواهد المغنى ٦٧ عن ثعلب في أماليه . وقد أثبتتها في ملحقات المجالس ٨٠٨ .

(٣) عند التبريزي : « قد طُلِّيَ بالنار » . وإسكان عين الثلاثي المبني للمجهول لغة لبكر بن وائل وناس كثير من بني تميم . انظر سيبويه ٤ : ١١٣ - ١١٤ .

(٤) عند التبريزي : « ولو قاضت » .

(٥) هذا البيت لم يرد في شرح التبريزي .

(٦) بعده عند التبريزي ٤ : ٣٥٣ : « وكذلك الخابث » . وقد استعمل الخبيثة في العجوز أيضا .

وقالت : تَرَيَّصَ بها . والجاحم ، بتقديم الجيم على المهملة : النار الشديدة التأجج .
 والسَّفَاة ، بفتح المهملة : الكُبة من التراب . وأعصَمَ من الشر واعتصَمَ
 واستعصم : التجأ وامتنع . ومَحْطُوطَة المطا ، أى كأنها قد صُقلت بالمَحْطَّ
 بالكسر ، وهو ما يُصَقَّل به السيفُ والجلد . والمهفهفة : الخميصة البطن . وكهَمَّ
 الفتى : كما يهواه ويَهْمُهُ حيثما تصرَّف . والنُحيف : تصغير مرتخم نحيف . انتهى
 كلامه .

وبقى فيه كلماتٌ تحتاج إلى الشرح فنقول : القرينة : زوجة الرجل .
 ومَنَاه : ابتلاه ، ومضارِعُهُ يَمْنُوهُ وَيَمْنِيهِ . والجِرُّ بكسر المهملة : الفَرَج . وفي
 السَّفَا : التُّراب ، والسَّفَاة أَحَصَّ منه . والجثوة ، مثلثة الجيم : الحجارة المجموعة .
 وأقْبَرُ : جمع قَبْر . وأُعْقِبَ بالبناء للمفعول . ومُعَصِمٌ : اسم فاعل : ملتجئ .
 وفتاةٌ مفعول ثانٍ لأعقب . والإثب ، بكسر الهمزة وسكون المثناة الفوقية : ثوبٌ
 أو بُردٌ يُشَقُّ في وسطه ، فتلقيه المرأة في عنقها من غير كُفٍّ ولا جيب . والكَشْح :
 الخاصرة . والدَّعَص ، بالكسر : الكثيب من الرَّمْل .

وقول سعد : (يا ليتما أَمَّنَّا) البيت ، يا : حرف تنبيه ، وأَمَّنَّا بالنصب اسم
 ليت ، وجملة شالت نعامتها خيرها . و (شالت) : ارتفعت . و (النَّعَامَةُ) قيل
 باطنُ القدم ، وقيل عَظْمُ السَّاق . وقولهم : شالت نعامته : كنايةٌ عن الموت
 والهلاك ، فإنَّ من مات ارتفعت رجلاه وانتكسَ رأسُه وظهرت نعامةُ قدميه
 شائلة . وقيل معناه ارتفعت جنازته . وفي الصحاح : النَّعَامَةُ : الخشبة المعترضة
 على الزُّنُوقين . ويقال للقوم إذا ارتحلوا عن مَنْهَلِهِمْ أو تَفَرَّقُوا : شالت نعامتهم .
 وقال ابن برى (فى أماليه عليه) : وشاهده قول أمية بن أبى الصَّلْت :

اشرب هنيئاً فقد شالت نعامتُهُم وأسبيل اليوم في بُرديك إسبالاً^(١)

وقال آخر :

إِنِّي قَضَيْتُ قَضَاءً غَيْرَ ذِي جَنَفٍ لَمَّا سَمِعْتُ وَلَمَّا جَاءَنِي الْخَبْرُ^(٢)
أَنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ وَعَضَّهُ حَيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ ذَكَرُ انْتَهَى

والزُّرْنُقَانُ : مَنَارَتَانِ تُبْنِيَانِ عَلَى رَأْسِ الْبُئْرِ^(٣) فتوضع عليهما النِّعَامَةُ . وقال بعضهم : العرب تريد بقولها « شالت نعامته » الدعاءَ عليه ، تعني هَزَمَهُ اللَّهُ وَرَاعَهُ حَتَّى يَذْهَبَ عَلَى وَجْهِهِ ، كَمَا نَفَرَ النِّعَامُ . وَلَشِدَّةُ هَرْبِ النِّعَامِ وَذُعْرُهُ ضَرْبٌ بِهِ الْمَثَلُ لِلْمَهْزُومِ .

وقوله : (أَيَّمَا إِلَى جَنَّةٍ) إلخ أورده صاحب الصحاح في مادَّة (أَمَو) فقال : وَإِمَّا بِالْكَسْرِ وَالتَّشْدِيدِ حَرْفٌ عَطْفٌ بِمَنْزِلَةِ أَوْ . إِلَى أَنْ قَالَ : وَقَوْلُهُمْ : أَيَّمَا وَأَيَّمَا ، يَرِيدُونَ : إِمَّا وَإِمَّا فَيَبْدِلُونَ مِنْ إِحْدَى الْمِيمَيْنِ يَاءً . قَالَ الْأَحْوَصُ :

* أَيَّمَا إِلَى جَنَّةٍ أَيَّمَا إِلَى نَارٍ *

وقد يكسر . انتهى .

وفيه نظر من وجوه :

الأوّل : أنها ليست من هذه المادّة .

(١) وكذا في اللسان (نعم ٦٣) . ونحوه في مستقصى الرمنحشري ٢ : ١٢٦ . لكن في ديوان أمية بن أبي الصلت ٥٢ نجد البيت ملفقا من بيتين هما :

فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا في رأس عُمدانَ داراً منك محلا
واطِّلْ بالمسك إذ شالت نعامتهم وأسبيل اليوم في برديك إسبالا
(٢) للأخطل في النقااض ٤٩٤ وابن سلام ٣٨٧ . وهما في اللسان (نعم ٦٣) بدون نسبة . ولم يرَدا في ديوانه ولا في تكملته .

(٣) ط : « البعير » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

الثانى : ليست حرف عطف .

الثالث : فى نسبة الشعر للأحوص ، وإنما هو للتخفيف المذكور .

ولم يتنبّه لهذا ابنُ برّي ولا الصفدى .

وفى قوله : « وقد يكسر » ردُّ على الدمامينى فى قوله : لم يستشهدوا على الإبدال إلّا مع فتح الهمزة .

فتلخّص لنا فى هذه الكلمة أن أيما بالفتح أصلها أمّا المفتوحة وهى لغة فى المكسورة ، وأنّ إيما بالكسر أصلها إمّا بالكسر ، لكن كثر استعمال أيّما بالفتح . ٤٣٤

وقد خفيّ على ابن برّي مجيئ الفتح فى إمّا المكسورة ، فاعترض على صاحب الصحاح فى تجويزه الوجهين فى أيما فى هذا الشعر وغيره ، فقال : صوابه إيما بالكسر ، لأنّ الأصل إمّا . فأما أيما فالأصل فيها أمّا . وذلك فى مثل قولك : أمّا زيد فمنطلق ، بخلاف إمّا التى فى العطف فإنّها مكسورة لا غير . انتهى .

وقوله : « تلتهم الوسق » إلخ الالتهام : الابتلاع . والوسق : حمل البعير . والأشظّة : جمع شظاظ بالمعجمات وكسر أوله ، وهو العود الذى يُدخل فى عروة الجوالق . وقوله : « قد سُفّع » بضم السين وسكون الفاء مخفّف مكسورها ، وهو ماضى مجهول ، من السّفّع بالفتح ، والاسم السّفّعة بالضم ، وهو سوادّ مُشربّ حمرة . والقار : الزّفت .

وقوله : « ليست بشبّعى » هو مؤنث شبّعان . وهجر بفتحتين ، قال السيوطى : قريةٌ بالحجاز معروفة بكثرة التمر . ورّيّا : مؤنث ريّان . وصافت : فعلٌ ماضٍ من الصّيف . وروى : « قاضت » من القيظ ، وهو مُدّة شدّة الحرّ . وذو قار : موضع .

وقوله . « خرقاء بالخير » هو مؤنث أخرق ، وهو الذى لا يُحسِن أن يصنع شيئاً . والصَّنَاع ، بالفتح : المرأة الحاذقة بعمل اليدين وتُحسِن كلَّ شيء .

والنُّحَيْف ، بضم النون وفتح الحاء المهملة وسكون الياء بعدها فاء : مصغرٌ نُحَيْفٌ تصغيرٌ ترخيمٌ ، وإلاّ لقليل نُحَيْفٌ بتشديد الياء المكسورة . وهو لقب سعد بن قُوط ، بضم القاف وسكون الراء بعدها الراء بعدها طاء مهملة . وهو من عبد القيس ، والنسبة إليه عَبْدِيٌّ وَعَبْقِيٌّ كما تقدّم .

النُّحَيْف

وقال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : قال ثعلب فى (أماليه) : قال أبو رِزْمَةَ الفزاريّ : كانت امرأةٌ من عبد القيس لها ابنٌ يقال له سَعْدُ بن قُوط بن سَيَّار ، يلقَّب النُّحَيْفُ ، يَعْقُهَا ، وكان شَرِيْرًا ، فقال يهجوها :

* ياليتما أَمَّنَّا شالت نعامُها *

الأبيات الأربعة . وساق حكايةً مع أبيات . ولم أر شيئاً مما نقله (فى أمالى ثعلب) مع أن نسختى منها كانت نسخته وعليها خطّه .

واستمدَّ ابن المُلّا مما نقله ، فصَحَّف نسبة الشاعر فقال : سعد بن قُوط بفتحتين ومعجمتين بينهما مهملة ، ابن سَيَّار الملقب بالنُّحَيْف . هكذا بخطه ونقلته منه ، وهو تصحيفٌ فى الاسمين لا شَكَّ فيه .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى بعد التسعمائة ، [وهو من شواهد س (١)] :

٩٠١ (سَقَتُهُ الرَّوَاعِدُ مِنْ صَيِّفٍ وَإِنْ مِنْ ربيعِ فلن يَعْدَمَا)
على أَنَّ الْأَصْلَ فِيهِ : سَقَتُهُ الرَّوَاعِدُ إِمَّا مِنْ صَيِّفٍ وَإِمَّا مِنْ خريف .
فحذف لضرورة الشعر (إِمَّا) الأولى ، و (ما) من إِمَّا الثانية . وكان أَصْلُ إِمَّا : إِنْ
ما ، فَلَمَّا حذفت (ما) رجعت النون المنقلبة ميمًا للإدغام إلى أصلها .
قال سيبويه (فى باب ما يُضْمَرُ فِيهِ الْفِعْلُ الْمُسْتَعْمَلُ إِظْهَارُهُ بَعْدَ حَرْفٍ) :
وَأَمَّا قَوْلُ الشَّاعِرِ :

لَقَدْ كَذَّبْتَكَ نَفْسُكَ فَكَذِبَتْهَا فَإِنْ جَزَعًا وَإِنْ إِجْمَالًا صَبِرٌ^(٢)

فهذا على إِمَّا ، وليس على إِنْ الجزاءِ كقولك : إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا . فهذا
على إِمَّا محمولٌ . أَلَا تَرَى أَنَّكَ تُدْخِلُ الْفَاءَ . ولو كانت على إِنْ الجزاءِ وقد
استقبلت الكلامَ لاحتججتَ إِلَى الْجَوَابِ^(٣) . فليس قوله : فَإِنْ جَزَعًا كقوله : إِنْ
حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا ، ولكن على قوله : ﴿ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً^(٤) ﴾ .

وإن قلت : فَإِنْ جَزَعٌ وَإِنْ إِجْمَالًا صَبِرٌ ، كان جائزًا ، كأَنَّكَ قلت : فَإِمَّا أَمْرِي
جَزَعٌ وَإِمَّا إِجْمَالًا صَبِرٌ ؛ لِأَنَّكَ لَوْ صَحَّحْتَها فَقُلْتَ : إِمَّا ، جاز ذلك فيها .
ولا يجوز طَرُحُ (ما) مِنْ إِمَّا إِلَّا فِي الشَّعْرِ . قال النمر بن تَوَلَّب :

(١) فى كتابه ١ : ١٣٥ ، ٤٧١ . وانظر الخصائص ٢ : ٤٤١ والمنصف ٣ : ١١٥ ومختارات ابن
السجري ٢٠ وابن يعيش ٨ : ١٠٢ والضرائر ١٦٢ والمغنى ٥٩ ، ٦١ والعينى ٤ : ١٥١ والأشباه ١ : ٩٤ وديوان
النمر ١٠٤ .

(٢) هو الشاهد التالى برقم ٩٠٢ . وانظر سيبويه ١ : ١٣٤ ، ٤٧١ بولاق .

(٣) قطعة من بيت منسوب للنعمان بن المنذر علفت عليه فى حواشى سيبويه ١ : ٢٦٠ :

قد قيل ذلك إن حقا وإن كذبا فما اعتذارك من شئ إذا قिला

(٤) الآية ٤ من سورة محمد .

سَقَتْهُ الرِّوَاعُدُ مِنْ صَيِّفٍ وَإِنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يَعْدَمَا

وإنّما يريد : وإمّا من خريف . ومن أجاز ذلك في الكلام دخل عليه أن يقول : مررت برجل إن صالح وإن طالح، يريد إمّا . وإن أراد إن الجزاء فهو جائز لأنّه يضمّر فيها الفعل . انتهى كلامه .

قال ابن خلف : يعنى سيبويه أنّ إن في هذا البيت محذوف منها ما ، وأصل إمّا عنده إن ما ، فجعل الحرفان حرفاً واحداً . وإذا اضطرّ شاعر حذف ما من إمّا . واستدلّ على أنّها ليست بإن التي للشرط بأنّ الفاء دخلت على إن في : « فإن جزعا » . فلو كانت للشرط لاحتاجت إلى جواب . وذلك أنّ جواب إن فيما بعدها ، وقد يكون ما قبلها مغنياً عن الجواب إذا لم يدخل عليه شيء من حروف العطف ، كقولك : أكرمك إن جئتني . فإن أدخلت عليها فاء أو ثمّ بطل أن يكون ما قبلها مغنياً عن الجواب . لا يجوز : أكرمك فإن جئتني ، ولا أكرمك ثم إن جئتني ، حتّى تأتى بالجواب فتقول : أكرمك فإن جئتني زدت في الإكرام . فلذلك بطل أن يكون فإن جزعاً على معنى المجازاة وصارت بمعنى إمّا لأنّها تحسّن في هذا الموضع ، وحذف ما للضرورة .

وقال في البيت الثاني (١) : يريد : وإمّا من خريف ، كأنّه قال : إمّا من صَيِّفٍ وإمّا من خريف فلن يَعدَم السَّقَى .

واعترض عليه محمد بن يزيد المبرد فقال : « ما » لا يجوز إلقاؤها من إن إلا في غاية الضرورة (٢) ، وإمّا يلزمها أن تكون مكرّرة ، وإنّما جاءت هنا مرّة واحدة .

(١) يعنى سيبويه .

(٢) ط : « إلقاء ما من إمّا » ، والوجه ما أثبت من ش . على أن نص المبرد هو : « ما لا يجوز إلقاؤها من إن إلا في غاية الضرورة » كما سبق .

ولا ينبغي أن تحمِلَ الكلامَ على الضرورة وأنت تجدد إلى غيرها سبيلا ، ولكنَّ الوجهَ فى ذلك ما قال الأصمعى ، قال : هى إن الجزاء ، وإنما أراد : وإن سقته من خريف فلن يعدم الرِّى . ولم يحتج إلى ذكر سقته لقوله : سقته الرّواعد من صيِّف .

قال أحمد بن محمد بن ولّاد : هذا الوجه الذى حكاه المبرّد عن الأصمعى من جعل إن فى البيت للجزاء قد أجازة سيويه بعقب البيت ، وذلك فى قوله فى إثره : وإن أراد إن الجزاء فهو جائز لأنه يضمن فيها الفعل . إلاّ أنّه أخره لأنه لم يكن الوجه عنده ، ولا مراد الشاعر عليه . ألا تراه قال فى تفسير البيت : « وإنما يريد : وإما من خريف » . فحمل معنى البيت على إرادة أنّ الشاعر ذكر وعلاّ يردّ هذا الماء متى شاء ، فقال :

إذا شاء طالع مسجورةً يرى حولها التّبَع والسّاسما
سقته الرّواعد من صيِّف البيت

فقال : مسجورة أى مملوءة ، من صيِّف أو من خريف ، فلن يعدم الوعلُ رياءً على كلّ حال . فأعلم أنّ ذلك ثابت له . وليس للجزاء فى هذا البيت معنى يحسّن فى الشعر ، ويليق بمراد الشاعر ، لأنه إذا حملها على الجزاء فإنما يريد إن سقته لم يعدم الرِّى ، وإن لم تسقه عدِم . فلا فائدة فى هذا يحسّن معها الشعر ، ولا يشبه قوله : « إذا شاء طالع مسجورة » . فقد جعل ذلك له متى شاء ، وجعلها مملوءة . فلهذا أخر سيويه معنى الجزاء ولم يُرد أن الجزاء مراد الشاعر ، وإنما أراد أنّ مثل هذا لو وقع فى كلام غير هذا البيت لجاز فيه هذا التأويل ، لأنه مراد الشاعر .
وأما قوله : « لا يجوز إلقائها من إمّا إلاّ فى غاية الضرورة » فكذا قال سيويه ، أنه لا يجوز إلاّ فى الشّعْر للضرورة . وقد وافقه على ذلك ، وليس بين

القولين فرق غير زيادته غاية ^(١) . ومع هذا فالعرب تحذف من نفس الكلمة للضرورة مع زوال اللبس ، فما بالها لا تحذف الزوائد للضرورة مع زواله . وما هنا زائدة في إِمّا ، وقد دلّ على صحّة ذلك وجوازه في الشّعْر بالبيت الذي قبله ، وهو :

* فَإِنْ جَزَعاً وَإِنْ إِجْمَالٌ صَبِرَ *

وأما قوله : « إِنَّ التَّكْرِيرَ يُلْزِمُهَا » فليس الأمر على ذلك ، لأنّ الأولى إمّا هي زائدة لبيادر المخاطب إلى أنّ الكلام مبنيٌّ على الشك أو التخيير ، والعمل على الثانية ، والأولى زائدة وليست توجبُ في الكلام معنىً غيرَ معنى الثانية ، وسبيلُها في ذلك سبيل لا إذا قلت ما قام لا زيد ولا عمرو . فإن شئت أكّدت النفي وزدت لا ، وإن شئت حذفتها ، إلّا أنّ الحذف في لا الأولى أكثر في كلامهم منه في إمّا . ولا أعلم أحداً من النحويّين المتقدمين يمنع من إجازة حذفها في قولك : خذ الدراهم وإمّا الدينار ؛ وجالس زيدا وإمّا عمراً . فقياسها ما ذكرت لك في لا ، والكلام لا يلتبس بطرحها ، ومعناه بنقصانها كمعناه بزيادتها ، فما الذي منع مع هذا كلّهُ من تجويز طرحها . وقد يُطرح من الكلام ما هو أولى بالاثبات منها . انتهى .

ولا يخفى أنّ حذفها خاصٌّ بالشعر ، وجواز حذفها في الكلام لا قائل به .

وأما قوله : « ولا أعلم أحداً من النحويين المتقدمين » إلخ فالمنقول عنهم خلاف ما نقله . فالأولى تعليل حذفها بالضرورة أيضاً .

وقال النحاس بعد نقل كلام المبرّد : ولم يحتجّ أبو الحسن لسيبويه في هذا بشيء ، وكان القول عنده ما قال الأصمعيّ ، وكان شديد الميل إلى ما قاله

(١) ط : « على زيادته غاية » ، صوابه في ش . والمراد غير زيادة المبرّد كلمة « غاية » في قوله : « في غاية

الضرورة » . فهذا هذا .

الأصمعى فى اللّغة . ألا ترى أنّ أبا زيد قد حكم للأصمعى على سيبويه فى اللّغة ، وقال : « هذا أعلم باللّغة وهذا أعلم بالنحو » يعنى سيبويه . وأنّ أستاذ سيبويه الخليل قد أخذ عن الأصمعى شيئاً من اللّغة ، ولم يكن أبو إسحاق الزجاج يميل إلى شىء من هذا ، وقال : من نظر إلى كتاب سيبويه وما ذكر فيه من الأبنية وقَفَ على تقدّمه على الجماعة فى اللّغة . قال : والقول ما قاله سيبويه ، لأنّه وصفها بالخصب وأنّها لا تعدّم الرىّ ما سقتها الرواعدُ إمّا من صيْف وإمّا من خريف ، فلن تعدّم الرىّ . وعلى مذهب الأصمعى والمبرد أنّه إن لم يسقها الخريف عدّمته ، لأنّه قال : وإن سقّتها لن تعدّم الرىّ . وإن أراد أنّها لا تعدّم الرىّ البتّة فهذا قول سيبويه . ألا ترى أنّ قبله :

* إذا شاء طالع مسجورة *... البيت انتهى .

وأما قول الدمامينى (فى الحاشية الهندية) : لا نسلم أنّ المقصود وصف هذا الوعل بالرىّ على كلّ حال ، وإنّما الغرضُ وصفُ حاله بحسب الواقع ، فأخبرَ أولاً بما وقع من سقى سحائب الصيْف له ، وذلك مقتضى لريّه منها . ثم أخبر بأنّ سحائب الخريف إن سقته بعد ذلك حصل له الرىّ المستمر . ولو سلّم أنّ المقصود ما ذكر من وصفه بالرىّ دائماً فمع الإثباتين إمّا التى هى لأحد الشيئين لا يلزم ذلك . انتهى .

فقد ردّ عليه ابن الملاء بوجوه :

أحدها : كيف لا يكون الغرضُ ذلك ، وهو بصدد بيان نجاته من الحُتْف ، إذ المراد أنّه لو نجا حيوانٌ من الموت لنجا هذا الوعل الذى تكفل له ربه برزقه ، وأسكنه أحصبَ أرضيه ، فهو فى رىّ لا ينقطع ، وطيب عيشٍ مستمرّ ، من غير حيلةٍ منه . ولو كان المرادُ وصف حاله بحسب الواقع لم يكن فى تخصيصه بالذكر فائدة ، إذ كلّ مخلوق شأنه من اللطف الالهى مثل ذلك .

٤٣٧

ثانيها : أنه لا يلزم من إخباره بأنّ سحاب الخريف سقطه بعد ذلك ، حصول الرى المستمر له ، وإنّما يلزم حصول الرى المستمر أن لو أخبره أنّ سحاب الخريف إذا سقطه بعد ذلك يروى .

ثالثها : أنّ دعواه أنّ الإتيان بإمّا التى لأحد الشيئين لا يتأتّى معه الوصف بالرى على الدوام ، محصلها دَعْوَى المنافاة بين دوام الرى والسقى من أحد الشيئين ، وهى ممنوعة ، لصحة قولنا دائما : الرى حاصل إمّا من سقى سحاب الصيف ، وإمّا من سقى سحاب الخريف . فالتقصية وإن كان حملية لكنّها شبيهة بمنفصلة مانعة للخلو ، فهى فى حكمها . وقيد الدوام عندهم سور الإيجاب الكلى فى باب المنفصلات . وأمّا الجواب بمنع أنّها مجرد أحد الشيئين بل هى لتفصيل المسقى منه ، وحيث أنّ مع الإتيان بها يلزم الرى دائما . ففيه أنّ المختار فيها وفى أو أنّهما لأحد الشيئين أو الأشياء .

هذا كلامه ، ومن خطّه نقلت . والوجه الثانى لا معنى له . وكأنّ الدماينى فهم من قولهم : المراد وصف الوعل بالرى على كلّ حال ، أنّ ربه إنّما يكون بمجموع المطرين لا بأحدهما ، فقال : ولو سلّم أنّ المقصود ربه دائما ، فمع الإتيان بإمّا إلخ . وليس مرادهم ما فهموا . وإنّما أرادوا أنّ الرى يحصل بكل واحد منهما ، سواء كان مطر الصيف فقط أو مطر الخريف فقط ، فهو على كلّ حال منهما مرتو . فلو كان المعنى على الشرط فلا يتحقق الرى له على كلّ حال ، بل إن حصل مطر الخريف ارتوى ، وإن لم يحصل فلم يرتو ، فإنّ الشرط قد يتخلف كما هو ظاهر . وبقي احتمال آخر فى البيت على مذهب سيبويه . وهو أن يكون تقديره : إن من صيف وإن من خريف ، فحذفت إن الأولى لدلالة الثانية عليها ، وأصلهما إمّا ، فحذفت منهما ما ، كما فى قوله :

* فإن جزعا وإن إجمال صبر *

بقى قول آخر أورده أبو على (فى كتاب الشعر) ، ونقله ابن هشام (فى المغنى) قال : وزعم أبو عبيدة أن إن زائدة وجاءت زيادتها هنا كما جاءت زيادتها فى نحو : ما إن فعلت . وهذا كقولك : ضرب القوم زيدا من داخل ومن خارج . انتهى .
ولا يخفى أن زيادتها بعد العاطف غير موجود .

هذا وقد قال أبو على (فى البغداديات) : أقول إن الشاعر قال هذا البيت فى أبيات يصف فيها وعلأ ، وقبله :

إذا شاء طالع مسجورة يرى حولها التبّع والسّاسما
تكون لأعدائه مجهلاً مضلاً وكانت له معلماً
سقتها الرواعد البيت

قوله : « مسجورة » يريد : عيناً كثيرة الماء ، إذا شاء هذا الوعل طالع مسجورة . فقوله « تكون » صفةً لمسجورة ، وكذلك « سقتها » تكون ^(١) صفة لمسجورة .

وكذلك رواه ثعلب عن سعدان عن الأصمعى . وفى كتابنا كتاب سيبويه : « سقته » فيجوز أن يكون رجع إلى الوعل أو حمّله على المعنى . والوجه أن يكون للعين فيكون المعنى : سقت الرواعد من السحاب هذه المسجورة إمّا من صيف وإمّا من خريف ، أى فهى ^(٢) على كلّ حال لا تعدم السقى إمّا صيفاً وإمّا خريفاً . وذلك فى صفة هذه العين أرخى لبال هذا الوعل . وفاعل يعدم على هذا العين . انتهى .

(١) ط : « يكون » .

(٢) ش : « فهى » باسقاط « أى » .

أقول : إذا كان فاعل يعدم العينَ المسجورة ، يجب أن يكون « تعدم » بالمشناة الفوقية ، والمشهور إنما هو بالمشناة التحتيّة .

ثم جَوَّز أن تكون إن شرطية والألف في « يَعدمَا » ضمير مثنى فقال :
ويحتمل أن يكون المعنى : سقت الرواعد من السحاب هذه العينَ أو هذا الوعلَ ،
وإن سقت العينَ أو الوعلَ من الخريف فلن تعدم العينُ السَّقَى والوعلُ الرِّىَ .
ودفع بعضهم هذا وقال : لا معنى له . وليس كذلك لأنه غير ممتنع ، إلا أن
التأويل الأول أسهل في المعنى ، وأدخل فيما يعترضه الشاعر ، وإن اعترض في
لفظه حذف إمّا الأولى لأنّ الثانية تدلُّ عليها . والفاء في فلن على هذا التأويل
جوابُ الجزاء ، وفي التأويل الأول عاطفة جملة على جملة . انتهى .

والبيت من قصيدة للنمر بن تولب^(١) الصّحابي ، فيها عدّة أبياتٍ
شواهد ، فلا بأس بإيرادها وشرحها . وهي هذه :

صاحب الشاهد

(سَلَا عَنْ تَذْكُرِهِ ثُكْتَمَا وَكَانَ رَهِينًا بِهَا مُغْرَمًا
وَأَقْصَرَ عَنْهَا وَآيَاثُهَا يَذْكُرُهُ دَاءَهُ الْأَقْدَمَا^(٢)
فَأَوْصَى الْفَتَى بَابْتِنَاءِ الْعَلَاءِ وَأَنْ لَا يَخُونُ وَلَا يَأْتُمَا^(٣)
وَيَلْبَسَ لِلدَّهْرِ أَجْلَالَهُ فَلَنْ يَبْتَنِيَ النَّاسُ مَا هَدَمَا^(٤)
وإنَّ أَنْتَ لَا قِيَتَ فِي نَجْدَةٍ فَلَا تَهَيِّبْكَ أَنْ تُقْدِمَا^(٥)

أبيات الشاهد

(١) في اللسان (تلب) : « وحكى عن سيبويه أنه مصروف لأنه فاعل » . والمعجم تذكر التولب في (تلب) . ولو كانت مادته (ولب) لمنع الصرف .

(٢) في الديوان وشرح شواهد المغنى للسيوطي ٦٥ : « تذكره » .

(٣) ش والديوان : « العلى » .

(٤) في الأغاني ١٩ : ١٦١ : « تلبس لدهرك أثوابه » . وفي الديوان وشرح شواهد المغنى للسيوطي :

« فلن يبنى الناس » .

(٥) الديوان : « فلا يتهيبك » .

فإنَّ المنيَّةَ من يخشَها فسوف تُصادفُه أيَّما
وإنَّ تتخطاك أسابها فإنَّ قُصارِكَ أن تَهْرَمَا^(١)
فأحبِّبْ حبيبك حُبًّا رويداً فليس يُعولكَ أن تصرِمَا^(٢)
فتصرِمَ بالودِّ مَنْ وصله رفيقٌ فتفسه أو تندما^(٣)
وأبغضْ بغيضك بغضا رويداً إذا أنت حاولت أن تحكُما
ولو أنَّ مِنْ حَتَفِه ناجياً لألفيته الصَّدْعُ الأعصما^(٤)
بإسبيلٍ أَلقت به أُمُّه على رأسِ ذى حُبْلٍ أيهما
إذا شاء طالعٌ مسجورةً ترى حولها النَّبْعُ والسَّاسما
تكون لأعدائه مَجْهَلاً مضِلاً وكانت له معلما
سَقَتها رواعدٌ من صيِّف وإنَّ من خريفٍ فلن يَعدما
أتاح له الدهرُ ذا وَفْضَةٍ يَقلُّبُ في كَفِّه أسهُما^(٥)
فأرسلَ سَهْمًا على غَرَّةٍ وما كان يَهرب أن يُكَلِّما^(٦)
فأخرجَ سَهْمًا له أَهْرَعًا فشكَّ نَوَاهِقَه والفما
فَظَلَّ يَشِيبُ كَأَنَّ الوَلُو ع كان بصُحْبَتِه مُغرَما
فأدرَكه ما أتى تَبْعًا وأبرهه الملكُ الأعظما^(٧)

(١) في جميع المراجع : « وإن تتخطاك » ، وكذا في الشرح . والوجه أن يكون بالهمز يقال أخطأه وتخطأه ، أى لم يصبه .

(٢) ابن الشجرى : « لئلا يعولك » . الأغاني : « فليس يعولك » . شرح الشواهد : « فقد لا يعولك » .

(٣) السيوطى : « فتظلم بالود من وصله » .

(٤) السيوطى : « فلو أن » و « لكان هو الصدع » .

(٥) ابن الشجرى : « فساق له الدهر » .

(٦) الديوان : « فراقبه وهو في فترة » ، وكذا في مختارات ابن الشجرى وشرح شواهد المغنى .

(٧) في المختارات : « وأدركه » وفي الديوان : « أتى حصنه ما أتى تبعا » ، وكذا شرح شواهد المغنى .

لقيمُ بن لُقمَان من أُختِه فكان ابنُ أُختٍ له وابْنَمَا
لياليَ حُمُق فاستحصَنَتْ إليه فقُرَّ بها مُظْلِمَا
فأحبَّلَهَا رَجُلٌ نابِهٌ فجاءت به رجلاً مُحَكَمَا)

هذه القصيدة بتمامها من رواية محمد بن حبيب ، ولم يكتب على البيتين الأولين شيئاً سوى قوله : « الآيات : الآثار والعلامات » .

وقال السيوطي : سلا : أمرٌ من السؤال للاثنتين . وشرحه شارح ديوانه على أنه ماضي من السلو . قال ابن الملا : وما عليه هذا الشارح هو الظاهر لملايمته لقوله في البيت الثاني : « وأقصر عنها » . وأيضاً تذكيره بالداء الأقدم إنَّما يناسب أن يكون خالياً عنه الآن . على أنه لو كان من السؤال لكان حقُّ العبارة : فقد كان رهيفاً بالفاء ، كما لا يخفى . انتهى .

وفاعل سلا على هذا ضمير العاشق ، وإليه تعودُ الهاء في تذكُّره ، وعن متعلِّقة بلا . والتذكُّر مصدرٌ مضاف إلى الفاعل ، وتكتم بمثنائين فوقيتين ، أولاهما مضمومة : علم امرأة ، ونصبه بالمصدر المضاف إلى فاعله . والرهين : المرتهن . والمُعَرَّم : اسمٌ مفعولٍ من أُعْرِمَ بالشئ ، أى أولع به . كذا في الصحاح .

وأقصرَ عن الشئ : كفَّ عنه ونزَعَ مع القُدرة عليه . فإن عَجَزَ عنه قيل قَصَرَ عنه . كذا فيه أيضاً . والداء الأقدم ، أى القديم ، هو الحبُّ ، أو هو أقدم من كلِّ داء .

وقوله : « فأوصى الفتى » إلخ أوصى : فعلٌ مضارع من الوصيَّة . والعلاء بالفتح والمد : الشَّرَف والرَّفعة . وأن لا يخون ، معطوف على ابتناء .

وقوله : « ويلبس للدهر أجلاله » ، هو كقول بيهسي الفزاري :

البَسُّ لِكُلِّ حَالَةٍ لبوسَهَا إِمَّا نعيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا (١)

وقوله : « فلن يبتنى الناس ما هَذَا » يقول : إِذَا ضَيَّعَ الفتى مجْدَه لم يَبْنِه له النَّاسُ .

٤٤٠

وقوله : « وَإِنْ أَنْتَ لَاقَيْتَ فى نَجْدَةٍ » إلخ قال محمد بن حبيب : النَّجْدَةُ : القتال . وقوله « لَا تَهَيِّبْكَ » معناه لَا تَهَيِّبْهَا . يريد أَنَّ فيه قَلْبًا . وبه استشهد (فى آخر المغنى) .

وقوله : « فَإِنَّ المُنِيَّةَ مَنْ يَخْشَهَا » إلخ هو من أبيات الجمل الزجاجية . وأورده ابن جرير (فى تفسيره) على أَنَّ فى أَيْنَا اكتفاءً ، وَأَيْنَا ظَرْفٌ مضمَّن لمعنى الشرط ، وحذف شرطه ، وجوابه : أَيْنَا تَوَجَّهَ تصادفه . وسَوَّفَ للتأكيد ، وقيل إِنَّمَا أَتَى به لإخراج الكلام على مقتضى طَبْعِ النفس فى إِذْعَانِهَا للموت (٢) مع أَمَلٍ طول الحياة . قال اللَّخْمِي (فى شرح أبيات الجمل) : إن قيل : كيف قال من يَخْشَهَا ، والمُنِيَّةُ تصادف مَنْ خَشِيَهَا ومن لم يَخْشَهَا ، فَأَيُّ معنى للشرط ؟ قلت : هو خطابٌ لمن ظَنَّ أَنَّ خَشْيَتَهُ تُنْجِيهِ من الموت ، على جهة الرَّدِّ عَلَيْهِ ، وإبطالِ ظَنِّهِ ومُعتَقَدِهِ . انتهى .

وقال الجواليقى (فى شرح أدب الكاتب (٣)) : النَّجْدَةُ : الشجاعة والبأس والقُوَّةُ ، وحذف مفعول لاقيت ، يريد إِذَا لَاقَيْتَ قومًا ذَوِي نَجْدَةٍ فى حرب ونحوها فلا تَهَيِّبْ الإقدامَ عليهم ، فَإِنَّ الذى يَخْشَى المُنِيَّةَ تلقاه أَيْنَ ذهب من الأرض . فهو من المقلوب .

(١) شرح أبيات الكتاب لابن السيراى ٢ : ٣٩٣ وجمهرة العسكرى ١ : ١٩٧ والمستقصى ١ : ٣٠٤ والحماسة بشرح المرزوق ٦٥٩ واللسان (ليس) .

(٢) ش : « ادعائها للموت » ، صوابه فى ط .

(٣) شرح الجواليقى ٢٥٩ .

وقوله : « وإنَّ تتخطَّأك أسبابُها » إلخ التخطَّى : التجاوز ^(١) . وأسباب
المنية : ما يؤدَّى إليها من مرضٍ وغيره . وقصاراك بضم القاف : غايتك .
والهَرَم : انحطاط القوى من طول العمر . يقول : إنَّ تتجاوزك أسبابُ المنية فإنَّ
غايتك الهرمُ ، وتبديل وجودك بالعدم .

٤٤٠

وقوله : « فليس يُعُولك أن تصرما » قال محمد بن حبيب : يعُولك : يشقُّ
عليك . وعالني الأمر : شق على . والعُول المصدر . قالت الخنساء :
* يَحْمِلُه القَوْمُ ما عَالَهُم ^(٢) *

قال السيوطي (في شرح أبيات المغني) : هذا مأخوذ من قوله ﷺ :
« أحبُّ حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغضُ بغيضك هوناً
ما عسى أن يكون حبيبك يوماً » ، ما أخرجه الترمذِيُّ من حديث أبي هريرة ،
والطبرانيُّ من حديث ابن عمرو ، وابن عديٍّ من حديث علي بن أبي طالب .
وكأنَّ التَّمَرَّ سمعه من النبي ﷺ فعقده في نظمه . ونَسَفَه : تَجَهَّل . وتَظَلَّم :
تضع وُدَّك في غير موضعه ^(٣) . وتَحَكَّم ، أى تكون حكيماً . انتهى .

وقوله : « ولو أنَّ مِنْ حتْفِهِ ناجياً » إلخ ناجياً : اسمٌ أنَّ ، والمجرور قبله
متعلِّق به ، وخبرها محذوف ، أى ولو أنَّ شخصاً ناجياً من موته موجوداً لكان

(١) الوجه عندى أن تكون الرواية « تتخطَّأك » بالهمز ، ليستقيم إعراب الجزم ، وإلا لكانت
« تتخطَّك » مع كسر الوزن . يقال تخطَّاه ، أى أخطاه ، كما في اللسان . وأنشد لأوفى بن مطر المازني :

تخطَّأت النبلُ أحشاءه وأخَّر يومى فلم يعجِّل

(٢) في ديوان الخنساء ٣٠ .

يكلفه القوم ما عالهم وإن كان أصغرهم مولدا
وفي اللسان (عول ٥١١) : « ويكفى العشيرة ما عالها » .

(٣) هذا مبنى على رواية السيوطي للبيت : « فتظلم بالود من وصله رقيق » .

ذلك الناجى هو الصَّدَع . وهو : ضمير فصل ^(١) . والحتف : الهَلَاك . والفَيْته : وجدته . والصَّدَع ، بفتح الصاد المهملة والبدال بعدها عين مهملة ، قال ابن حبيب : هو الوعل بين الجسيم والضئيل ، وهو الوسط من كل شيء . يقال رجل صَدَعٌ وفرسٌ صدع . والعُصمة ، بالضم : بياضٌ فى يده . انتهى .

والوعل : تيس الجبل .

وقوله : « بإسبيل أَلَقَتْ به أمه » إلخ إسبيل ، كقنديل ، قال ابن حبيب : هو بلد . وأنشد لبعض اليمانيين :

لا أرضَ إلا إسبيلُ وكلُّ أرضٍ تضليلُ ^(٢)

والأيم : أعمى الطريق لا يُهْتَدَى طريقه ولا يعرفه أحد . انتهى . والْحُبْك ، بضمّتين : الطرائق . يريد أن أمه ولدته فى جبل ذى طرائق لا يُهْتَدَى إليها من أرض إسبيل . وذى حبك صفةٌ لموصوف محذوف ، وهو جبل . وأَيَّهْمُ كذلك .

وقوله : « إذا شاء طالعٌ مَسْجُورَةٌ » إلخ فى الصحاح : طالعت الشيء أى أطلعت عليه . والاطّلاع على الشيء : الإشراف عليه . وقال السيوطى : طالعٌ : أُنَى ، يقال فلان يطالع قريته أى يأتيه . ومَسْجُورَةٌ ، بالسّين المهملة والجيم ، قال ابن حبيب : أى مملوءة ، يريد أنّها صفة العين ، كما قال الدينورى (فى كتاب النبات) وأنشد هذا البيت : « المسجورة : العين المملوءة » . ويرى بالتحية فاعله ضمير الصَّدَع ، ويروى بالثناة الفوقية ، أى أنْت . والتَّبَع ، بفتح النون وسكون الموحدة : شجرٌ يتخذ منه القوسُ . والسَّاسَمُ ، بسينين مهملتين ، قال ابن حبيب : يقال إنّه الآبنوس . قال الدينورى : زعموا أنّ القوسَ يتخذ من

(١) هذا مبنى على رواية السيوطى : « لكان هو الصدع الأعصما » كما سبق فى الحواشى .

(٢) الرجز لخلف الأحمر ، كما فى اللسان (سبل ٣١٣) .

السَّاسَمَ^(١) ، ومنابته الشَّوَاهِقُ حَيْثُ مَنْابْتُ النِّبَعِ . وقد وصفه حميدٌ في شعره
باللَّيْنِ . وزعم قومٌ أنَّ السَّاسَمَ الشَّيْزُ . ولا أعلم في الشَّيْزِ ما يدعو إلى اتخاذ
القسيِّ منه . انتهى . والشَّيْزُ : الآبَنُوسُ .

وقوله : « تكون لأعدائه » أى تكون تلك العين المسجورة لأعداء الصَّدْعِ ؛
وأعداؤه النَّاسُ . وَمَجْهَلٌ بفتح الميم والهاء : أرضٌ يَجْهَلُ سالِكُها الطَّرِيقَ ، وَيَضِيعُ
فيها . وَمَضِلٌّ بفتح الميم وكسر الضاد : أرضٌ يَضِلُّ فيها سالِكُها لعدم معرفته
طُرُقَها . وَمَعْلَمٌ بفتح الميم واللام : أرضٌ يَهْتَدِى فيها سالِكُها بعلاماتها .

وقوله : (سَقَتْهُ الرُّوَاعِدُ) الهاء ضمير مسجورة . كذا رواية محمد بن
حبيب وغيره ، كما مرَّ عن أبى عليٍّ . و (الرُّوَاعِدُ) : جمع راعدة ، وهى السحابة
الماطرة وفيها صوتُ الرعد غالباً . و (الصَّيْفُ) بتشديد الياء المكسورة : المطر
الذى يجيء في الصَّيْفِ . و (الخريف) : الفصل المشهور ، إلّا أنَّه أُطلق وأريد به
مطره ، كما أُطلق الربيعُ وأريد به مطرُه مع الصَّيْفِ أيضاً في قوله :

* سقى الله نجداً من ربيعٍ وصيْفٍ^(٢) *

وقوله : « أتاح له الدهر » إلخ قال ابن حبيب : أتاح : قَدَّرَ . والوَقُضَةُ :
الكنانة^(٣) التى تكون فيها السَّهَامُ . انتهى .

والدهر فاعل أتاحَ ، ومفعوله ذا وَقُضَةٍ ، وأراد به الصَّيَّادُ .

(١) كذا وردت : « يتخذ » بالياء في النسختين ، وهى صحيحة ، إذ أن القوس يذكر ويؤنث .

(٢) نسبه ياقوت في معجم البلدان (نجد) إلى بعض الأعراب . وعجزه :

« وماذا ترجى من ربيع سقى نجداً »

(٣) في النسختين : « والكنانة » مع حذف الواو تصحيحاً في ش .

وقوله : « فأرسل سهماً » إلخ أى رماه ذو الوفضة بسهم ، « على غيرة » بكسر الغين المعجمة ، وهى الغفلة . وفاعل يرهب ضمير الصّدّع . ويُكَلِّم بالبناء للمفعول ، أى يجرح . وقوله : « وأخرج سهماً له أهزعا » ، قال ابن حبيب : الأَهْزَع : آخر سهمٍ يَبْقَى فى الكِنَانَةِ . يقال ما فى كِنَانَتِهِ أَهْزَعُ ، أى سهمٌ واحد . قال ابن السكّيت : هذا ممّا لا يُتَكَلَّمُ به إلّا مع الجحد . وقد أتى النمر به من غير جحد . انتهى .

والنواحق ، قال السيوطى : العظمان فى الوجه فى مجرى الدمع .
وقوله : « فظل يَشِيبُ » بكسر الشين ، قال ابن حبيب : يَشِيبُ : يرفع يديه حين أصابه السهم . والولوع بفتح الواو : القَدَر والحَيْن . انتهى .
وقوله : « فأدركه ما أتى تبعا » أى أدرك الصّدّع ما أتى تبعا ، وهو الموت .
وتَبَعَ : ملك اليمين . وأبرهه الأشرم : ملك الحبشة .

وقوله : « لقيم بن لقمان من أخته » . إلخ ، ترك ما كان فيه وسلك طريقاً أخرى بلا مناسبة ، وهو المسمّى فى البديع بالاعتضاب . وهو من أبيات ابن الناظم . قال ابن حبيب : ذكروا أنّ أخت لقمان كانت عند رجل ، فكانت تلد له أولاداً ضِعَافاً ، فقالت لامرأة لقمان : هل لك أن أجعل لك جُعللاً وتأذنى أن آتى لقمان الليلة ؟ فأسكرته واندست له أخته ، فوقع عليها لقمان ، فلمّا كانت الليلة القابلة أتته امرأته فوقع عليها فقال : هذا جرّ معروف . وكأنّه استنكره . انتهى .

ومثله للجاحظ (فى البيان والتبيين ^(١)) قال : كانت العرب تعظم شأن لقمان بن عادٍ الأكبر ، والأصغر لقيم بن لقمان ، فى النباهة والقَدَر ، وفى العلم

وفي الحُكْم ، وفي اللسان وفي الحِلْم . وهذان غير لقمان المذكور في القرآن على ما يقول المفسرون . ولازتفاع قِدره وعِظَم شأنه قال النمر بن تولب . وأنشد هذه الأبيات الثلاثة ، وقال : وذلك أن أخت لقمان قالت لامرأة لقمان : إني امرأة مُحِمِّقة ، ولقمان رجلٌ مُحَكِّمٌ مُنَجِّبٌ ، وأنا في ليلة طُهرى فهَبِي لى ليلتك . ففعلت فباتت في بيت امرأة لقمان ، فوقعَ عليها فأحبَّها بلقيم ، فلذل قال النمر ابن تولب ما قال . والمرأة إذا ولدت الحمقى فهي مُحِمِّقة ، ولا يُعلم ذلك حتَّى يُرى ولد زوجها من غيرها أكياساً . انتهى .

قال العيني : ويروى أن لقمان كان لا يُولد له ، فقالت امرأته لاخته : أما ترين لقمان في قوته وعِظَم خلقه لا يولد له ؟ قالت : فما الحيلة ؟ قالت امرأته لأختها : تلبسين ثيابي حتَّى يقع عليك في الظلمة ، ففعلت فواقعها فولدت منه ، وسُمِّيَ لَقِيماً ، بضم اللام وفتح القاف . وكان من أحزم الناس .

ولقيم مبتدأ ، وقوله من أخته خبره ، وفي قوله : « فكان ابن أختٍ له وابناً » دليلٌ على جواز تعاطف الخبرين المستقل [كلٌّ ^(١)] منهما بنفسه . وابْنُ هو ابن زيدت عليه الميم . ٤٤٢

وقوله : « ليالي حُمُق » إلخ بضم الحاء وتشديد الميم ، قال ابن حبيب : أى أُسِيكر حتَّى ذهب عقله . انتهى . ويرويه المفضل : « حَمُق » بفتحتين ، وزعم أنه يقال حَمُق ، إذا شرب الخمر ، والخمر يقال لها الحُمُق ^(٢) .

وقوله : « استحصنتُ » بالبناء للفاعل ، قال ابن حبيب : أى أثنته وكأَنَّها حَصَانٌ ، كما تأتى المرأة زوجها . وقوله : « فُغِرَّ بها » غُرَّ بضم الغين ، من الغرة ، وهى الغفلة . وقوله : « مُظْلِمًا » بكسر اللام ، أى في ظلمة .

(١) التكملة من ش .

(٢) في اللسان (حمق) : « وأنكر أبو القاسم ذلك ، قال : ولم يذكر أحد أن الحمق من أسماء الخمر » .

وقوله : « فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ نَابَهُ » من النَّبَاهَةِ ، وهو ارتفاع الذَّكَرِ ، وهو لقمان . « فجاءت » أى أخته . به ، أى بـلقيم . مُحْكَمًا بفتح الكاف ^(١) أى حكيما .

وترجمة النمر بن تولب تقدمت في الشاهد السادس والأربعين من أوائل الكتاب ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني بعد التسعمائة وهو من شواهد سيبويه ^(٣) :

٩٠٢ (لَقَدْ كَذَبْتَكَ نَفْسُكَ فَكَذِبَتْهَا فَإِنْ جَزَعًا وَإِنْ إِجْمَالًا صَبِرَ)
على أن سيبويه قال : الأصل فإمَّا جزعا وإمَّا إجمال صبر ، فحذف (ما)
منهما وبقيَ إن .

قاله سيبويه في موضعين من كتابه :

الأوّل (في باب ما يضمّر فيه الفعل المستعمل) ، وتقدّم نقله فيما قبل
هذا ^(١) ، وهو قوله بعد إنشاد البيت : هذا على إمَّا وليس على إن الجزاء ،

(١) الحق أنه يقال بفتح الكاف وكسرهما أيضا ، كما أن الرجل « المجرب » بتشديد الراء يقال بفتح الراء وكسرهما . ووجه الفتح أنه يقال أحكمته التجارب وجعلته حكيما ، ووجه الكسر أنه صار حكيما محكما لأمره . وكذلك المجرب بفتح الراء الذى جربه الناس ، وبكسرهما : الذى جرب الأمور واختبرها . عن حواشى اللسان (حكم ٣٢) .

(٢) الخزائن ١ : ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٣) في كتابه ١ : ١٣٤ ، ٢/٤٧١ : ٦٧ وشرح أبياته لابن السرياق ١ : ٢٠٩ والكمال ١٦٤ والمقتضب ٣ : ٢٨ وابن يعيش ٨ : ١٠١ ، ١٠٤ ورصف المبانى ١٠٢ والعينى ٤ : ١٤٨ .

(٤) انظر ما مضى في ص ٩٣ .

كقولك : إن حقاً وإن كذباً . فهذا على إمّا محمول . ألا ترى أنك تدخل الفاء ولو كانت على إن الجزاء وقد استقبلت الكلام لاحتجت إلى الجواب . فإن قلت : فإن جزع وإن إجمال صبر كان جائزاً ، كأنك قلت : فإمّا أمرى جزع وإمّا إجمال صبر . إلى آخر ما نقلناه هناك .

والثاني (في باب الحكاية لا يُغَيَّر فيها الأسماء عن حالها في الكلام) وقال فيه : والدليل على أن ما مضمومة إلى إن ، قول الشاعر :

لقد كذبتك نفسك ... البيت .

فإنما يريد إمّا ، وهي بمنزلة ما مع أن في قولك : أمّا أنت منطلقاً انطلقت . انتهى .

قال أبو علي (في كتاب الشعر) تقديره : فإمّا جزعت جزعاً وإمّا أجملت صبراً . يدل على ذلك أنه لا يخلو من أن تكون إن الجزاء أو غيرها ، فلو كانت للجزاء وألحقت الفاء في قولك : فإمّا جزعت جزعاً للزمك أن تذكر الجواب . ألا ترى أنك لو قلت : أنت ظالم إن فعلت ، لسد ما تقدّم مسدّد الجواب . ولو ألحقت الفاء فقلت : أنت ظالم فإن فعلت ، لزمك أن تذكر للشرط جواباً ، ولا يجزىء ما تقدّم عما يقتضيه الشرط من الجزاء . فكما أن إن في قوله فإن جزعاً ، في معنى إمّا ، كذلك في :

* وإن من خريف فلن يعدم * انتهى .

وقال أيضاً (في البغداديات) : لا يصلح أن تكون إن في قوله فإن جزعاً للجزاء ، لدخول الفاء عليها ، وأنها لو كانت للجزاء للزمها الجواب . فلمّا لم تصلح أن تكون للجزاء حُمِلت على أنها المحذوفة من إمّا . فهذا وجه استدلال سيبويه بدخول الفاء . وذهب بعضهم إلى أن مذهب سيبويه في إمّا هو أنها إن

التي للجزء ضُمَّت إليها ما . وهذا عندى غلطٌ عليه ، وقد قال مالا يجوز معه ظنُّ هذا به . ألا تراه قال : ولو قلت إن جزع وإن إجمال صبر كان جائزاً ، كأنك قلت : فإمّا أمرى جزع وإمّا إجمال صبر . لأنك لو صحّحتها فقلت إمّا ، جاز ذلك فيها . وقال أيضاً : إمّا يجرى ما بعدها على الابتداء . ففيما قاله في هذين الموضعين إجازةٌ وقوع المبتدأ بعد إمّا . ومن مذهبه الذى لا يُدفع أنّ لا يقع الابتداء بعدها ، فكيف يكون عنده أنّ إمّا إنّما هى إن الجزء ؟ وذلك لا يسوغ . ٤٤٣
ألا ترى أنّك تقول : ضربت إمّا زيداً وإمّا عمراً ، وتقول : ذهب إمّا زيد وإمّا عمرو ، فلو كانت إن الجزء لما عمل ما قبلها فيما بعدها ، ولكان ذهب فعلاً فارغاً لا فاعل له .

فإن قال : يكون انتصابُ الاسم بعده بفعلٍ مضمر ، كأنه قيل : ضربت إن ضربت زيداً . فليس هذا الغرضُ الموضوع لهذا المعنى ، ولا المفهوم من هذا اللفظ . ألا ترى أنّ المراد إنّما هو ضربت أحدهما . على أنّ ذلك فاسد ، لأنّ ذهب يبقى بلا فاعل ، ولا يجوز أن يضمر . ويدلُّ أيضاً على فساده قولك : إمّا أن تقوم وإمّا أن لا تقوم ، وقوله : ﴿ يا ذا القرنين إمّا أن تُعَذَّبَ وإمّا أن تتَّخَذَ فيهم حُسْنًا ^(١) 》 . ألا ترى أنّ هذا لو كان إنّ فيه ^(٢) للجزء لم يجوز وقوع المبتدأ بعده ، وللزم أن يجازى بما يجازى به إن ، ولم يتقدّم ما يغنى عن الجواب . فهذا التوهّم على سبويه فاسد .

فإن قال : ما أنكرت أن يكون ما ذهبُ إليه ، من أنّ إن في إمّا للشرط ، مذهب سبويه ، لأنّه قد ذكر أنّ إن على أربعة أوجه : المخففة وليس هذا من مواضعها ، والنافية ولا نفى هنا ، وزائدة بعد ما النافية ، فلمّا لم يجوز أن تكون

(١) الآية ٨٦ من سورة الكهف .

(٢) ط : « فيه إن » ، وأثبت ما في ش .

واحدة من الثلاث وَجَبَ أَنْ تكون الشرطيَّة ، لأنَّك في إمَّا لا تُبْتُ على الشئ كما لا تُبْتُ في الجزاء ، فلمَّا شابَهَتْها في هذا الموضع ولم تكن واحدة من الثلاث لزم أَنْ تكون إِيَّاهَا .

فالجواب : ليس في قوله إِنَّ أَنْ تكون على أربعة أوجه ما يوجب أَنْ تكون إن هذه إن الجزاء ، لَمَّا قَدَّمْنَا من الدليل في امتناع ذلك أَنْ تكون إِيَّاهَا ؛ وإِنَّمَا لم يذكر إن هذه فيجعلهُ قسماً خامساً ، لأنَّه لا يستعمل في الكلام إلَّا في الشعر .

فإن قلت : فما جهة الفائدة في إعلامه أَنْ أَنْ من إمَّا ؟

قلت : يُعلم منه أَنَّ الحرف المدغم نون وليس بميم ، لأنَّ الشاعر لما اضطرَّ فحذف (ما) وأظهر النون علَّم به أَنَّ ذلك أصله وأنها مركبة ، وأنَّ أرادَ أَنْ إمَّا أصلها إنَّ ثم ضمَّ إليها ما ، كما ضمت إلى لو في لوما . فذلك لا يمتنع ، ولا دلالة على أَنَّها الجزاء . انتهى .

وقد أطلال من غير أَنْ يُعيَّن نوعها ، وما المانع من كونها في الأصل للشرط ثمَّ لما رُكِبَتْ مع ما انسلخت عن الشرط وصارت مع ما لمعنى آخر . وإليه أشار الشارح المحقق بقوله : « ولا منع من تغيير معنى الكلمة وحالها بالتركيب ^(١) » إلخ .

وقول الشارح : « وقال غيره - أى غير سيبويه : هو مفرد غير مركب ^(٢) وتأوَّل البيتين بأن الشرطية ، وشرطها كان المحذوفة ، أى فإن كان جزءاً » أقول : البيت الأوَّل :

* وإن من خريف فلن يعدَّما *

(١) الرضى ٢ : ٣٤٦ .

(٢) بعده في الرضى : « إذ الإفراد أصل في الحروف » .

قال الأصمعي وتبعه المبرد : **إِنَّ** **إِنْ** فيه شرطية والشرط محذوف ، أى وإن سقته من خريف ، فحذف دلالة ما قبله عليه ، وجملة فلن يَعدَمَا هو الجزء ، كما تقدّم . فالمحذوف فعلٌ مدلولٌ عليه ، لا كان .

وأما البيت الثاني فقد قال بعضهم : يحتمل أن تكون **إِنْ** فيه شرطية حُذف جوابها لفهم المعنى ، والتقدير : فإن كنت ذا جزع فلا تجزع ، وإن كنت مُجَمِّلَ صَبْرٍ فَأَجَمِّلِ الصبر . حكاها المرادى (فى الجنى الدانى ، وشرح التسهيل) . فكان المناسب لتقدير الشارح أولاً : **إِذَا** تجرعُ جزعا ، أن يقدره هنا بالخطاب ، كما حكاها المرادى .

ونقله عن سيبويه أن التقدير عنده ^(١) : **إِذَا** تجرع جزعا ، خلاف الواقع ، كما يعلم من نقلنا كلامه فى الموضعين . وإنما قدّر سيبويه **إِنْ** بـ **أَيَّامًا** ، فأراد الشارح ٤٤٤ أن يُدرَجَ فى نقل هذا أن جزعاً منصوب بفعل مقدّر ، فقدّر تجرع بالخطاب ، بناءً منه على أن المصراع الأول خطابٌ لمذكّر ، بدليل فاكذبته بنون التوكيد الخفيفة

وهذا تحريفٌ من النُّسَاح ، وإنما الرواية (فاكذبها) بالياء ، والكافان مكسورتان ، لأنه خطابٌ مع امرأته . والمصراعُ الثانى فيه التفاتٌ من خطابها إلى التكلّم ، ولهذا قدّره سيبويه فى وجه الرفع بالتكلّم قال : **وإن قلت** : فإن جزع وإن إجمالٌ صبر كان جائزاً ، كائنك قلت : **فإِذَا** أمرى جزعٌ وإِذَا إجمالٌ صبر ، كما تقدّم . فكان الواجب أن يقدر على مذهب سيبويه : **فإِذَا** أجزعُ جزعا وإِذَا

(١) فى النسختين : « فإن التقدير عنده » صوابه ما أثبت . يريد البغدادى أن ما نقله الرضى من تقدير سيبويه **إِذَا** تجرع جزعا ، موضع اعتراض ، لخلافه للواقع .

أَجْمِلُ الصَّبْرَ إِجْمَالًا . وَأَنْ يَقْدَرَ عَلَى مَذْهَبٍ غَيْرِهِ : فَإِنْ أَجْزَعَ جَزْعًا فَأَنَا
مُعْذُورٌ ، وَإِنْ أَجْمَلَ الصَّبْرَ إِجْمَالًا فَأَنَا مَمْدُوحٌ .
والرفعُ في هذا روايةٌ رواها صاحبُ الأغاني ^(١) ، والأسود بن محمد
الأعرابي .

صاحب الشاهد وينبغي أن نورد الأبيات التي رَوَّيَها ليتضح ما ذكرناه ، قالوا : قال دريد بن
الصَّمَّةِ يرثي معاويةَ أخا الخنساء . وقتلته بنو مُرَّة :

<p>(٢) فقد أَحْفَيْتَنِي وَدَخَلْتَ سِتْرِي تَلْمُكَ عَلَيَّ نَفْسُكَ أَيَّ عَصْرِ عَلَيَّ بَشْرُهُ يَغْدُو وَيَسْرِ يُضْرِّكُ هُلُكُهُ فِي طَوْلِ عُمَرَى فَإِنْ جَزَعٌ وَإِنْ إِجْمَالُ صَبْرٍ فَلَمْ يَسْمَعْ مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرِو وَأَيُّ مَكَانٍ زَوَّرَ يَا ابْنَ بَكْرٍ وَأَغْصَانٍ مِنَ السَّلَامَاتِ سُمُرٍ طَوَّالُ الدَّهْرِ مِنْ سَنَةٍ وَشَهْرٍ سَرِيعَ السَّعَى أَوْ لَأَتَاكَ يَجْرِي إِذَا لَبَسَ الْكُفَاةُ جُلُودَ نُمُرٍ بِمَسْهَكَةٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ قَفَرٍ وَمَالٍ عَنْكَ مِنْ عَزَمٍ وَصَبْرٍ)</p>	<p>(أَلَا بِكَرَّتْ تَلُومٌ بِغَيْرِ قَدَرٍ فَإِنْ لَمْ تَتْرَكِي عَذْلِي سَفَاهًا أَسْرَكِ أَنْ يَكُونَ الدَّهْرُ سَدَى وَالْأُتْرُزِيُّ نَفْسًا وَمَالًا فَقَدْ كَذَّبْتَكَ نَفْسُكَ فَاكْذِيبِهَا فَإِنَّ الرِّزَّةَ يَوْمَ وَقَفْتُ أَدْعُو رَأَيْتُ مَكَانَهُ فَعَطَفْتُ زَوْرًا عَلَى إِرَمٍ وَأَحْجَارٍ وَصَبِيرٍ وَبَنِيَانِ الْقُبُورِ أَتَى عَلَيْهَا وَلَوْ أَسْمَعْتَهُ لَأَتَاكَ رَكْضًا بَشِكَةَ حَازِمٍ لَا عَيْبَ فِيهِ فَإِذَا تُمَسِّي فِي جَدَثٍ مُقِيمَا فَعَزَّ عَلَيَّ هُلُكُكَ يَا ابْنَ عَمْرِو</p>	<p>أبيات الشاهد</p>
---	--	---------------------

(١) روى أبو الفرج أبياتا من القصيدة في ٩ : ١٣ و ١٣ : ١٣٨ ، ولم يرد من بينها البيت الذي أوله :
« فقد كذبتك نفسك » ، فلعله في نسخة البغدادى من الأغاني .

(٢) في الأغاني ٩ : ١٣ : « وقد أحفظتني » ، وفي ١٣ : ١٣٨ : « فقد أخفيتني » .

قوله : « أَلَا بَكَرْتُ » إلخ فاعله ضمير امرأته . وبَكَرَ : أسرع أى وقتٍ كان . والقَدْر ، بسكون الدال : المَبْلَغ والمقدار . وقوله « فقد أَحْفَيْتَنِي » إلخ التفتاً من الغيبة إلى خطابها . والإحفاء ، بالحاء المهملة : الاستقصاء فى الكلام والمنازعة . وروى بدله : « فقد أَحْفَظْتَنِي » ، يُقَالُ : أَحْفَظُهُ بمعنى أَعْضِبُهُ . وقوله : « ودخلتِ سِتْرِي » أى هجمتِ عَلَى فى خلوتى وبالعِتِ فى اللُوم .

وسَفَاهاً : مصدر سَفَاهَهُ (١) ، والمراد سَفَهَا ، وهو نقصٌ فى العقل . وقوله : « تَلْمُكٍ عَلَى » جواب إنَّ ، من اللُّوم . ونفسُك فاعله ، أى تلمك نفسك بسببى عصراً طويلاً أى عصرٍ ، وهو الدَّهر . وروى بدله « غير عَصَر » . يعنى دعينى أبكى عليه (٢) ليخفَّ ما بى الوجد ، وإن تمنعيني أمْتُ جداً عليه ، فتلمك نفسك بسبب ما حلَّ بى .

٤٤٥

وقوله : « أَسْرَكِ استفهامٌ إنكارى . وسَدَّى بمعنى أَسَدَى ، من السَّدَى بالفتح ، وهو ما يُمَدُّ فى النسج .

وقوله : « وإلَّا تُرْزِئِ » ، إلخ أى وإن لم تتركى عَذْلِي ترزئى . والرُّزء : المصيبة والنَّقْص ، وفعله من باب منع ، يتعدى إلى مفعولين : أحدهما هنا نائب الفاعل . يقال : ما رزأته ماله ، أى ما نقصته . وجملة يضرُّك هلكه صفة لمال .

وقوله : (وقد كَذَّبْتُكَ نفسك) إلخ فى النهاية لابن الأثير عن الزمخشري : وقول العرب : كَذَّبَتْهُ نَفْسُهُ أى مَنَّتْهُ الأمانى وَخَيَّلَتْ إليه من الآمال ما لا يكاد يكون ، وذلك مما يرغب الرجل فى الأمور ، ويبعثه على التعرُّض لها . ويقولون فى

(١) مقتضى هذا التفسير أن يضبط « السفاه » بكسر السين ، والمعاجم مجمعة على أن السفاه يفتح السين والسفاهة كذلك والسفه ، كلها بمعنى واحد .

(٢) ط : « أبك عليه » .

عكسه : صدقته نفسه ، [إذا ثَبَّتْهُ ^(١)] وَخَيَّلَتْ ^(٢) إليه العجز ^(٣) والنكد في الطلب ^(٤) . ومن ثَمَّ قالوا للنفس الكذوب . انتهى .

وكَذَبَ بفتح الذال ، وفي فاكذبيها بكسرها .

فَظْهَرْ بهذه الأبيات أَنَّ الخطاب لمؤث . ولم يتنبه له من شُراح أبيات سيويه غير ابن السَّيرافي ، وأنشد البيتين قبله كذا :

(أَسْرَكُ أَنْ يَكُونَ الدَّهْرُ وَجْهًا عَلَيْكَ بَسِيئِهِ يَغْدُو وَيَسِرِي
وإِلَّا تُرْزَى أَهْلًا وَمَالًا يَضُرُّكَ هُلُكُهُ وَيَطْوِلُ عَمْرِي
فقد كذبتك نفسك فاكذبيها البيت
وقال : يُخاطب امرأته .

ولمَّا لم يقف الأعلَمُ على الأبيات وسببها ظنَّ أَنَّهُ خطابٌ لمذكر ، فقال -
وتبعه ابن خلف - قاله دريدٌ معزياً لنفسه عن أخيه عبد الله بن الصَّمَّة ، وكان قد
قُتِلَ : لقد كذبتك نفسك فيما مَنَّكَ به من الاستمتاع بحياة أخيك
فاكذبْنَهَا ^(٥) في كل ما تَمَنِّيكَ به بعد ، فإمَّا أن تجزع ^(٦) لفقد أخيك وذلك
لا يجدى عليك شيئاً ، وإمَّا أن تُجَمِّلَ الصَّبْرَ ^(٧) فذلك أجدى عليك . هذا
كلامه . والرواية إنمَّا هي « فقد » إلى آخر ما ذكرنا .

(١) التكملة من الفائق للزمخشري ٢ : ٤٠٢ .

(٢) وكذا بالواو في النهاية (كذب) ، وهو ما يؤيد ضرورة التكملة .

(٣) في الفائق : « المعجزة » .

(٤) كذا في ش والفائق . وفي ط : « والنكد والطلب » ، محرفة . وفي النهاية : « والكذ في الطلب »
ولهذه وجه ، لكن المراد النكد ، بالتحريك أو بالفتح أو بالضم ، وهو قلة العطاء ، ومنه قراءة أهل المدينة :
« لا يخرج إلَّا نَكْدًا » بفتح الكاف .

(٥) هذا الصواب من ش . وعند الشنتمري : « فاكذبها » وفي ط : « فاكذبيها » ، وهذه محرفة .

(٦) ط : « تجزعي » صوابه في ش والشنتمري .

(٧) ط : « أن تجمل الصبر » ، صوابه في ش والشنتمري .

وأنشد العيني البيت بالتذكير ، وروى أوله : « وقد كذبتك » وقال : الواو للعطف إن تقدّمه شيء . وعلى هذا النمط شرح البيت .

وإنما قلنا إن المصراع الثاني التفات إلى التكلم ، لقول سيوييه في رفعه : أمرى جزع . وإلا فالظاهر أنه من بقية الخطاب ، وأنّ تقديره فإما تجزعين جزعاً وذلك لا فائدة فيه ، وإما تجملين الصبر إجمالاً ، وهو أجدى .

وقوله : « فلم يسمع معاوية » فعل وفاعل ، وروى : « فلم أسمع » من الإسماع ، ومعاوية مفعوله .

وقوله : « رأيت مكانه فعطف زوراً » أى لأجل الزيارة . وقوله : « وأى مكان زور » أستفهام أراد به النفي . و « يا ابن بكر » خطاب لنفسه . وبكر جدّه كما يأتى .

وقوله : « على إرم » متعلق بزور الثاني . وإرم بكسر الهمزة وفتح الراء ، وهى حجارة تنصب علماً فى المفاوز . شبه أحجار قبره بها . وصير : جمع صيرة بكسر الصاد المهملة ، وهى حظيرة الغنم ، شبه ما حول قبره بها . وروى بدله : « وأحجار ثقال » . والسلمات : جمع سلّمة ، وهى شجر من أشجار البادية ، تُقطع أغصانها وتوضع على القبر ، ووصفها بالسمر ليسها .

وقوله : « وبنیان القبور » مبتدأ وجملة أتى إلخ خبره . وطوال بالفتح بمعنى طول فاعل أتى .

وقوله : « بشكّة حازم » متعلق بأثاك . والشكّة بالكسر : السلاح . والحازم : المتيقظ . وقوله : « لا عيب فيه » روى بدله « لا غمز فيه ^(١) » أى

(١) ط : « لا غمز فيه » ، صوابه فى ش .

لا مطعن فيه . والكُماة : الشُّجعان ، جمع كَمَيٍّ بوزن فعيل . قال صاحب الأغاني : أَى كَأَنَّ أَلَوَانَهُم أَلَوَانُ الثَّمَرِ : سَوَادٌ وَبَيَاضٌ ، مِنْ السِّلَاحِ . ٤٤٦

وَالْجَدَثُ بَفَتْحِ الْجِيمِ وَالدَّالِ : الْقَبْرِ . وَالْمَسْهَكَةُ ، بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالْهَاءِ وَسَكُونِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ بَيْنَهُمَا : مَمَرٌ الرَّيْحِ .

وإنما رثاه بهذه القصيدة مع أنه لم يكن من قومه ، لما رواه صاحب الأغاني قال : تحالف دريد بن الصمة ومعاوية بن عمرو وتوثقا ^(١) : إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقي ، وإن قُتل أن يُطلب بثأره ، فقتل معاوية بن عمرو ، وقتله هاشم بن حرملة المُرِّي . فرثاه دريد بهذه القصيدة .

ودريد : مصغرُ أدرَد ، يقال رجل أدرُد وامرأة درداء ، وهو الذي كبر حتى سقطت أسنانه فصار يعضُّ على دُرْدُرِهِ . ومنه أبو الدرداء . والصِّمَّةُ ، بكسر الصاد وتشديد الميم ، معناه الشجاع . قال أبو حاتم السجستاني (في كتاب المعمرين) : عاش دريد بن الصمة الجُشَمِيُّ نحواً من مائتي سنة ، حتى سقط حاجباه على عينيه ، وأدرك الإسلام ولم يُسَلِّمْ ، وقتل يوم حُنين كافراً .

وقال صاحب الأغاني : دريد بن الصمة اسمه معاوية بن الحارث بن بكر ابن علقمة بن جداعة بن غَزِيَّة بن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن . ودريد بن الصمة شجاعٌ شاعرٌ فحل . وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفُرسان ، أطول الفُرسان الشعراء غزواً ، وأكثرهم ظفراً ، وأيمنهم نقيبةً عند العرب وأشعرهم . وقال أبو عبيدة : كان دُرَيْدٌ سَيِّدَ بَنِي جُشَمَ وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفراً ميمون النقيبة ، غزا نحو مائة غزاة وما أخفق في واحدةٍ منها ، وأدرك الإسلام ولم يُسَلِّمْ ، وخرج مع قومه يوم حُنين مظاهراً للمشركين ولا فضلَ فيه للحرب ، وإنما أخرجه

(١) ط : « توافقا » صوابه من الأغاني و ش مع أثر تصحيح .

تيمُّنا به ، وليقتبسوا من رأيه ، فقتل على شريكه . وكان لدريد إخوة وهم : عبد الله الذى قتلته غطفان ، وعبد يغوث وقتله بنو مُرة ، وقيس وقتله بنو أبى بكر بن كلاب ، وخالد وقتله بنو الحارث بن كعب . وأمُّهم جميعاً : ربحانة بنت معديكرب الزبيدى ، أخت عمرو بن معديكرب ، كان الصِّمة سبهاها ثم تزوجها ، فأولدها بنيه . وإياها عنى عمرو أخوها :

أمن ربحانة الداعى السميعُ يؤرِّقنى وأصحابى هجوُعُ
إذا لم تستطع شيئاً فدعهُ وجاوزهُ إلى ما تستطيع

ولما افتتح رسول الله ﷺ مكة لعشر ليالٍ بقين من رمضان سمعت به هوازن ^(١) ، فجمعها مالك بن عمرو النَّصرى ، فاجتمعت إليه ثقيف مع هوازن ، ولم يجتمع إليه من قيس إلا هوازن وناس قليل من بنى هلال ، وغابت عنها كعب وكراب ، فجمعت نصر وجُشم وسعد : بنو بكر ، وثقيف ، واحتشدت ، وفى بنى جُشم دريد بن الصمة شيخٌ كبيرٌ فإن ليس فيه شئٌ إلا التيمُّنُ برأيه ، ومعرفته بالحرب ، وكان شجاعاً مجرباً ، وجماعُ أمرِ الناسِ إلى مالك بن عوف ، فلما أجمع مالكُ المسير حطَّ مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، فلما نزلوا بأوطاس اجتمع إليه الناسُ وفيهم دريد بن الصمة ، فى شجارٍ له يُقَاد ^(٢) ، فقال لهم دريد : بأىٍّ وإِ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعمَ مجالُ الخيل ، مالى أسمع رُغَاءَ البعير ، ونُهاقَ الحمير ، وبكاءَ الصَّغير ، ونُغَاءَ الشَّاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . فقال : أين مالك ؟ فدُعِى له ، فقال : إنَّك قد أصبحتَ رئيسَ قومك ، وإنَّ هذا يومٌ كائنٌ له ما بعده من الأيام ، مالى أسمع رُغَاءَ البعير ونُهيقَ الحمير وبكاءَ الصبيان ونُغَاءَ الشَّاء ؟ قال :

٤٤٧

(١) الأغاني ٩ : ١٤ .

(٢) الشجار ، بالكسر : مركب أصغر من الهودج مكشوف الرأس .

سَقَتْ مع الناس نساءهم وأبناءهم وأموالهم : قال : ولم ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ، ليقاتل عنهم . فوبَّخه ولامه ثم قال : راعى ضأنٍ والله - أى أحق - وهل يردُّ المنهزم شئ ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجلٌ بسيفه ورُمحه ، وإن كانت عليك فُضحت في أهلِكَ ومالك . ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكلاب ؟ قال : لم يشهد منهم أحد . قال : غاب الجَدُّ والحَدُّ ، لو كان يومَ علاءٍ ورفعة لم يغيبوا عنك ، ولو دِدْتُ أنكم فعلتم مثل ما فعلوا ، فمن شهد منهم ؟ قال : بنو عمرو بن عامر ، وبنو عوف بن عامر . قال : ذاك الجَدَّعان من عامر ، لا يضُرَّان ولا ينفعان . ثم قال : يا مالك لم تصنع شيئاً بتقديم بيضة هوازن إلى نخور الخيل ، ارفعها [إلى (١)] أعلى بلادها وعلياء قومها (٢) ، ثم القى القوم بالرجال على مُتون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك كنتَ أحرزت مالك وأهلك ، ولم تُفَضَّح في حريمك . فقال : لا والله ما أفعل ذلك أبداً ، قد خَرِفْتُ ، وخَرِفَ رأيك ، والله لتطيعُننِي يا معاشر هوازن ، أو لأتَكُنَّن على هذا السَّيف حتى يخرج من ظهري . وحَسَدَ دريداً أن يكون له في ذلك اليوم ذكرٌ ورأى . فقالوا : أطعناكَ وخالفنا دريداً . فقال دريدٌ : هذا يومٌ لم أشهده ولم أغيب عنه :

ياليتنى فيها جَدَع (٣) أُحِبُّ فيها وأَضَعُ
أَقودُ وطفاء الرَّمْع كأنَّها شاةٌ صَدَعُ

فلما لقيهم رسولُ الله ﷺ انهزم المشركون ، فأتوا الطائفَ ومعهم مالك ابن عوف النَّصْرِي ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجَّه بعضهم نحو نخلة ،

(١) التكملة من ش والأغانى .

(٢) الأغانى : « إلى أعلى بلادهم وعلياء قومهم .

(٣) ط : « جزع » ، صوابه في ش والأغانى والسيرة ٤٨١ والمختضب ١ : ٢٩٣ والعمدة ١ : ١٢٢ .

وتبعت خيلُ رسول الله ﷺ مَنْ سَلَكَ نَخْلَةَ ، فأدرك ربيعةَ بنَ رُفَيعِ السُّلَمي (١)
 دريدَ بنَ الصَّمَّة ، فأخذ بخطامِ جملة وهو يظنُّ أنَّه امرأة ، وذلك في شِجَارٍ له ،
 فأناخ به فإذا هو برجلٍ شيخٍ كبير ، ولم يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد ؟
 قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال : ربيعة بن رُفَيعِ السُّلَمي . فأنشأ دريدُ
 يقول :

ويح ابن شكمة ماذا يريدُ من المرعشِ الذاهبِ الأدرِدِ (٢)
 فأقسمُ لو أنَّ بي قوَّة لظَلَّتْ فرائضُهُ تُرْعَدُ (٣)
 وبالهف نفسي أن لا تكو ن معي قوَّةُ الشاخِ الأمرِدِ (٤)

ثم ضربه السُّلَمي بسيفه فلم يُغنِ شيئاً ، فقال : بئسما سَلَحَتِكَ أُمَّك ،
 خذ سيفي من مؤخرة رحلي فاضرب به ، وارفع عن العظام واخفِضْ عن الدِّماغ ،
 فإنِّي كذلك كنتُ أضرب الرجال ، ثمَّ إذا أتيت أُمَّك فأخبرها أنَّك قتلت دُرَيْدَ
 ابن الصَّمَّة ، فربَّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءكَ . فلَمَّا ضربه سقط ، فإذا عجائنه
 وبطنُ فخذه مثل القراطيس ، من ركوب الخيل . فلَمَّا رجع ربيعة أخبر أمه بقتله
 إيَّاه ، فقالت : قد أعتق قَتِيلُكَ ثلاثاً من أمهاتك !

* * *

(١) رفيع ، بالتصغير ، كما في ترجمة ربيعة بن رفيع في الإصابة ٢٥٩٤ .

(٢) ط : « ابن مشكمة ما يريد » ، صوابه في ش . وفي الأغاني : « ويح ابن أكمة ماذا يريد » .

(٣) في الأغاني : « لولت فرائضه » . وفي البيت إقواء .

(٤) ط : « أن لا يكون مع » ، صوابه في ش والأغاني . والشاخ : الرافع رأسه عزة وتكبرا ، ولعلها
 « الشارخ » ، بمعنى الشاب .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد التسعمائة ، وهو من شواهد
سيبويه (١) :

٩٠٣ (لَعَمْرِي مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا بِسَبْعِ رَمِيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِثَمَانٍ)

على أَنَّ الهمزة قد تُحذف في الشَّعر قبل أم المتَّصلة ، فَإِنَّ التقدير : أَبْسِجِ
رَمِيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِثَمَانٍ . ولم يرد المنقطعة ، لأنَّ المعنى على : ما أدري أيُّهما كان .

قال سيبويه (في باب المنقطعة) : زعم الخليل أَنَّ قولَ الأخطل :

* كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطٍ * ... البيت .

كقولك : إِنَّهَا لِإِبْلٍ أَمْ شَاءَ . ويجوز في الشَّعر أن تريد بكذبتُكَ الاستفهام
وتحذف الألف . قال الأسود بن يَعْفَر :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا شُعَيْثُ ابْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْثُ ابْنُ مَنَقَرٍ
وقال أبو الحسن ، لعمر بن أبي ربيعة (٢) :

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا بِسَبْعِ رَمِيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِثَمَانٍ (٣) انتهى

قال الأَعْلَم : الشاهد في الأخيرين حذف ألف الاستفهام ضرورة ، لدلالة
أَمْ عليها . ولا يكون هذا إلاَّ على تقدير الألف ، لأنَّ قوله « ما أدري » يقتضى وقوع
الألف ، وأَمْ مساوية لها . انتهى .

٤٤٨

(١) في كتابه ١ : ٤٨٥ وانظر شرح الأبيات لابن السِّرا في ٢ : ١٥١ والمقتضب ٣ : ٣٩٤ والمحتسب
١ : ٥٠ والأزهية ١٣٥ وابن الشجري ١ : ٢/٢٦٦ : ٣٣٥ وابن عيش ٨ : ١٥٤ والضرائر ١٥٨ والمغنى ١٤
والعيني ٤ : ١٤٢ والجمع ٢ : ١٣٢ وديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٥٨ .
(٢) الاستشهاد هنا لأبي الحسن الأخفش ، من تعليقه على الكتاب . انظر حواشي سيبويه ٣ : ١٧٥
هارون .

(٣) الرواية في ديوان عمر :

فوالله ما أدري وإني لحاسب بسبع رميْتُ الجمر أَمْ بِثَمَانٍ

وكذا جعله ابن عصفور ضرورةً ، وعمَّ سواء كانت مع أم أم لا . قال :
ومنه حذف همزة الاستفهام إذا أُمن اللَّبْس للضرورة ، كقول الكُميت :
طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً منى وذو الشَّيب يلعبُ

يريد : أو ذو الشيب يلعب . ثم أنشد البيتين وقال : وقد حذفت مع أم في
الشاذِّ في قراءة ابن مُحَيِّصين : ﴿ سواء عليهم أنذرتهم أم لم تُنذرهم ﴾^(١) . بهمزة
واحدة من غير مدِّ . وكأنَّ الذى سهَّل حذفها كراهية اجتماع همزتين مع قُوَّة
الدَّلالة عليها . ألا ترى أنَّ سواء تدلُّ عليها بما فيها من معنى التسوية ، إذ التسوية
لا تكون إلَّا بين اثنين ، ويدلُّ عليها مجيء أم بعد ذلك . انتهى .

وذهب جماعةٌ إلى أنَّ الهمزة يجوز حذفها إن كانت مع أم ، وإلَّا فلا .

وذهب الأخفشُ وتبعه طائفةٌ إلى جواز حذفها مطلقاً . وهو ظاهرُ كلام
ابن مالك (فى التوضيح) قال : قد كثر حذف الهمزة إذا كان معنى ما حُذفت
منه لا يستقيم إلَّا بتقديرها ، كقوله تعالى : ﴿ وتلك نعمة ﴾^(٢) . قال أبو الفتح
وغیره : أراد : أو تلك نعمة . ومن ذلك قراءة ابن مُحَيِّصين : ﴿ سواء عليهم
أنذرتهم ﴾ بهمزة واحدة . ومن ذلك قراءة أبى جعفر : ﴿ سواء عليهم استغفرت
لهم ﴾^(٣) بهمزة وصل . ومن حَذفها فى الكلام الفصيح قوله ﷺ : « يا أبا ذرٍّ
عيرته بأمه »^(٤) أراد : أعيرته ؟ ومنه قوله ﷺ : « أتانى جبريلُ فبشّرني أَنَّهُ مَنْ
مات لا يشرك بالله شيئاً دَخَلَ الجنة . قلت : وإن سرقَ وزنى ؟ قال : وإن سرقَ

(١) الآية ٦ من البقرة .

(٢) الآية ٢٢ من الشعراء .

(٣) الآية : ٦ من سورة المنافقون .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ١ : ١١ . وانظر شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك

وزنى^(١) . أراد رسول الله ﷺ : «أَوْ إِنْ سَرَقَ وَزَنَى . ومنه حديث ابن عباس أنَّ رجلاً قال : « إن أمي ماتت وعليها صوم شهرٍ فأقضيهِ »^(٢) وفي بعض النسخ : « فأقضيهِ ؟ » . ومنه أنَّ الحسنَ أو الحسين أخذ تمرًا من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فنظر إليه رسول الله ﷺ فأخرجها من فيه وقال : أما علمت^(٣) ؟ » وفي بعض النسخ : « ما علمت ؟ » . انتهى .

٤٤٩

والبيت من قصيدة لعمر بن أبي ربيعة المخزومي قالها في عائشة بنت طلحة ابن عبيد الله التيمي الصحابي . وقبلة :

صاحب الشاهد

(لقد عرضت لي بالمحصب من مني مع الحج شمس سیرت بيما^(٤)
فلما التقينا بالثنية سلّمت ونازعني البغل اللعين عناني^(٥)
بدا لي منها معصم حيث جمرت وكف خضيب زينت بينان
فوالله ما أدري وإن كنت داريا البيت^(٦)

أبيات الشاهد

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ٢ : ٧١

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم ٣ : ٣٥

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ٢ : ١٢٦ - ١٢٧ . وتام الحديث : « أما علمت أن آل محمد لا يأكلون الصدقة » .

(٤) في ديوان عمر ٢٥٧ : « لحيني شمس » . لحيني ، أى هلاكى . وأراد بالشمس صاحبة عائشة . وفي الديوان : « سترت » من الستر ، يعنى ثيابها الجمية ، ومن أين كانت تجلب أجود الثياب . وانظر ما سيأتى في الشرح .

(٥) الثنية : موضع بمكة عند بئر الأسود بن سفيان المخزومي ، وهى ثنية أم قردان .

(٦) كذا ورد برفع الاسمين بعد « كان » . وقد جوز الجمهور رفع الاسمين بعد كان بتقدير ضمير

الشأن ، وأنكره الفراء ، ورد بالسماع في قول العجير :

إذا مئت كان الناس صنفان شامت وآخر مئني بالذى كنت أصنع
وقول هشام أخى ذى الرمة :

هى الشفاء لدائى لو ظفرت بها وليس منها شفاء الداء مبذول

وانظر مع الهوامع ١ : ١١١ وسيبويه ١ : ٧١ هارون .

فقلتُ لها عُوجِي فقد كان منزلي خصبٌ لكم ناءٍ عن الحدثانِ
فُعْجنا فعاجت ساعةً فتكلّمتُ فظلتُ لها العينانِ تبتدرانِ (١)

عَرَضَتْ : ظهرت . والمُحَصَّب ، بالحاء وتشديد الصاد المفتوحة
المهملتين : موضع رمي الجمار بمنى . والحَجّ : قصد مكة للنسك ، على حذف
مضاف ، أى ذروه . وشمسٌ ، أى امرأة كالشمس سُرّيت فى طَرَفِ يمان ، بخلاف
الشمس الحقيقية فإنّها تسير نحو المغرب . وحرّقه ابن المُلّا فكتبه « شُبّهت
بيمان » ، وقال : هو صفةٌ محذوف ، أى بسيفِ يمان ، شَبَّهها به فى البريق
واللَمعان . هذا كلامه .

والثنية عند جَمرة العقبة . ولا يبعد أن يكون سُرّيت بئان ، أى مع نسوة
ثمان ، وبه يظهر وجه قوله : بسبع رمين الجمر بالنون ، إلّا أنّه يكون فى ثمانِ الآتى
إيطاء . وقوله : « ونازعنى » أى جاذبنى . والتّزع : الجذب .

وبدا : ظهر . والمعصم ، بكسر الميم : موضع السّوار من الساعد .
وجَمَّرت بالجم وتشديد الميم : رمت جمار المنسك ، وهى ثلاث جَمرات :
الجمرة الأولى ، والوسطى ، وجمرة العقبة . وخضيب : [مخضوبة (٢)] بالحِناء
أو بغيرها . والبنان : أطراف الأصابع ، وقيل الأصابع . فإن قيل : ما معنى تَزَيَّنَ
الكفّ بالبنان ، وهى من تمام الخلقة ، والزينة إنّما تكون بما زاد عليها ؟ فالجواب :
أنّ تلك الكفّ زينت بلطافة البنان وحُسْنها ، أو بمغايرة خضابها فى اللونِ
خضاب الكفّ . على أنّا نقول : لو أريد أنّ الزينة حصلت بذات البنان لاستقام ،

(١) فى الديوان : « فظلت بها » .

(٢) التكملة من ش .

ويكون إشارة إلى ما خصّ الله به النوع الإنساني من الأعضاء المتناسبة ، بالنسبة إلى سائر الحيوان . كذا (فى شرح المغنى لابن المُلّا) .

وروى ابن المستوفي المصراع هكذا :

* وكفّ لها مخضوية بينان *

فلا يردُّ السؤال والجواب .

وقوله : (لعمرى ما أدرى) روى كذا بالياء وبالكاف . وروى أيضا (فوالله ما أدرى) . والدراية : علمٌ يُتخيّل . وجملة ما أدرى جواب القسم . وأدرى يتعدّى لمفعولين ، وهو هنا معلق بالاستفهام المقدّر فى بسبع ، وجملة (وإن كنت دارياً) اعتراضٌ بين أدرى وبين معموله ، وإن وصليّة .

فإن قلت : كيف ينفى الدراية عنه ثم يُثبتها له ؟ قلت : اختلافُ زمانهما نفى التناقض . وقال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : قوله وإن كنت يحتمل أن تكون إن نافية ، أى وما كنت دارياً ، تأكيداً للجملة قبلها . ويحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة ، أى وإنّى كنت قبل ذلك من أهل الدّراية والمعرفة حتّى بدا لى ٤٥٠ ما ذكر ، فسلبت الدراية . وهذا الاحتمال عندى أظهر . انتهى .

قلت : أمّا الأوّل فبعيد مع أنّ الحمل على التأسيس خيرٌ من التأكيد . وأمّا الثانى فكان يلزمه أن يقول : لدارياً ، باللام الفارقة .

وقوله : (رمين) بنون النسوة ، وهو واضح مع ما قدّمنا . وقال ابن الملا : فإن قلت : كان الظاهر رمّت ، فلم أتى بضمير الجمع ؟ قلت : للتعظيم الذى يليق بأهل الوُدّ السليم . انتهى .

أقول : تعظيم الغائب الواحد بضمير الجمع غير موجودٍ فى لغة العرب .

وقال الدماميني : الضمير عائد إلى البنان أو إلى المرأة وصواحبه .

قال السيوطي : هذا البيت أنشده الزبير بن بكار بلفظ :

فوالله ما أدرى وإني لحاسبٌ بسبع رميثُ الجمرِ أم بثمانٍ

بناء المتكلم في رميث . وهذا الوجه أوجهٌ بلا شك ، فإن الأخبار بذهوله عن فعله لشغل قلبه بما رأى ، أبلغ من الإخبار بذهوله عن فعل الغير . وفيه سلامة من التأويل المذكور .

قال ابن الملا : ولقائل أن يقول : هذا الكلام في حيز المنع ، إذ ليس في ذهول الإنسان عن فعل نفسه وإن كان ذا خطرٍ كبيرٍ أمر ، سيما والشاغل ما ذكر ، كيف وإن وقوعه أكثر من أن يُحصى ، بخلاف ذهول الإنسان عن فعل الغير المتصدى لمراقبته شهوداً وغيبة ، فإن العادة تقتضى ، والمذهب الغرامى يوجب أن من تصدى لمراقبة فعل الأحياب ، كان أبعد من أن يُذهل عنه ، فإذا ذهل عنه كان في حيز التعجب . وأما دعواه السلامة من التأويل فظاهر المنع ، لأن معنى البيت على روايته : فوالله ما أدرى الحساب وإني لحاسب ، لأن نفيه لِدراية جوابٍ أبسج رمين أم بثمان ، إنما هو لانتفاء كونه دارياً إذ ذاك بالحساب ، كما يشهد به التخيل الصحيح . ويعود الإشكال فيحتاج إلى التأويل ، اللهم إلا أن يكون أراد التأويل في رمين . انتهى كلامه .

وقال ابن المستوفي : أراد أنه شغل بهن فلم يدر عدد ما رمينه من الجمرات . وهذا معنى مبتذل إلا أنه عكس ما ذكره غيره . وذلك أن الشعراء ذكروا أنهم شغلوا وبهتوا بما جرى عليهم ، فلم يعلموا ما فعلوا بأنفسهم ، كقول جران العود :

ثم ارتحلتُ برحلى قبلَ برِّدعتي والعقل مُتِّلَّةٌ والقلبُ مشغولٌ^(١)
ويمكن أن يُعتذر لعمر فيقال إنَّه شُغل بهنَّ عن نفسه ، فلم ينظر إلاَّ إليهنَّ
لا إلى ما يفعلن . انتهى .

وقوله : « فقلت لها عوجي » عاج بالمكان عَوْج عَوْجا من باب قال ، أى
أقام به . وعجت غيرى بالمكان أُعْجِه ، يتعدَّى ولا يتعدَّى . وعجت البعير ، إذا
عظفت رأسه بالزمام . كذا في الصحاح .
وتقدم ترجمة عمر بن أبى ربيعة في الشاهد السابع والثمانين من أوائل
الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد التسعمائة وهو من شواهد
سيبويه (٣) :

٩٠٤ (لعمر ك ما أدري وإن كنتُ دارياً
شُعِثُ ابنُ سهمٍ أم شعِثُ ابنُ منقرٍ)

لما تقدَّم قبله ، وتقدم فيه نصّ سيبويه وإعرابه .

(١) ديوان جران العود ٣٥ من قصيدة تروى أيضا لابن مقبل ، ولقحيف العقيلي ، ولحكيم الخضرى .
ويروى : « والقلب مستوهل » .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٢ - ٣٤ .

(٣) فى كتابه ١ : ٤٨٥ . وانظر البيان ٤ : ٤١ المقتضب ٣ : ٢٩٤ والكامل ٣٨٠ ، ٣٥٧
والتصحيف ٤٩٤ والمختضب ١ : ٥٠ والضرائر ١٥٩ والمعنى ٤٢ والعينى ٤ : ١٣٨ والتصريخ ٢ : ١٤٣ والممع
٢ : ١٣٢ والأشموئى ٣ : ١٠١ ، ١٠٢ .

وأورده ابن هشام (في بحث أم من المغنى) وقال : الأصل أشعيث ،
 بالهمزة في أوله والتنوين في آخره ، فحذفهما للضرورة . والمعنى : ما أدري أى
 ٤٥١ التَّسْبِين هو الصحيح .

أقول : حكمه هنا بأن حذف الهمزة ضرورةً ينافيه ما تقدّم منه في بحث
 الألف من إطلاق جواز حذفها ، تقدّمت على أم أم لم تتقدّم . وإنما اعتبره منونا
 حُذِف تنوينه للضرورة لأنه أخبر عنه بابين ، والعلم المنون إنما يحذف تنوينه إذا
 وصف بابين لا إذا أخبر عنه ، ومن ثمّ يكتب ألف ابن أيضاً وإن كان واقعاً بين
 علمين .

قال ابن الملاء : ويجوز أن يكون ممنوعاً من الصرف ولا ضرورة ، باعتبار
 القبيلة ، والإخبار عنه بابين لا يمنع ذلك ، لجواز رعاية التذكير والتأنيث باعتبارين .
 قال السيرافي : يهجو هذه القبيلة ، يقول : إنّها لم تستقرّ على أبٍ لأنّ
 بعضاً يعزّوها إلى منقر ، [وبعضاً إلى سهم . وسأيت أنه اسم رجل لا قبيلة . وقال
 الأعلام : المعنى ما أدري : أشعيث من بنى سهم أم هم من بنى منقر . وشعيث :
 حى من تميم ، من بنى منقر ^(١)] ، فجعلهم أدعياء ، وشكّ في كونهم منهم
 أو من بنى سهم . وسهمّ هنا : حى من قيس . انتهى .

وصحّف ابن الملا سَهْمَا بَعْنَم فقال : قال الأعلام : شعيث : حى من
 غَنَم . انتهى .

وشعيث في الموضعين بضم الشين المعجمة وفتح العين المهملة وآخره ثاء
 مثلثة ، قال العسكري (في كتاب التصحيف) والأعلام : وروايته بالباء الموحّدة
 تصحيف .

(١) التكملة من ش .

وَمِنْقَرٌ بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف ، هو منقر بن عُبيد ،
بالتصغير، ابن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . كذا في
الجمهرة .

وقوله : وسهم : حَيٌّ من قيس ، أى من قيس عيلان . وهو سهم بن عمرو
ابن ثعلبة بن غنم بن قتيبة بن باهلة . وينتهى نسبه إلى غطفان بن سعد بن قيس
ابن عيلان بن مُضَر . وفي قريش أيضاً : سهم أبو حَيٍّ ، وهو سهم بن عمرو بن
هُصَيص بالتصغير ، ابن عمرو بن جُمَح ، بضم الجيم ففتح الميم ، ابن كعب بن
لؤى . ومنهم قيس بن عدى بن سعد بن سهم .

وزعم ابن الحنبل (فيما كتبه على المغني) أن قول الأعلام حَيٌّ من قيس هو
قيس السهمي . وهذا غلطٌ منه لا يصح . وشعث المذكور لم أر له ذكراً في جمهرة
الأنساب ، ولا في الصحاح ولا في العباب . وذكره صاحب القاموس ، وقال :
شعث كزبير : ابن مُحَرز .

والبيت أنشده سيبويه للأسود بن يعفر . وتقدمت ترجمته في الشاهد الرابع
والستين من أول الكتاب ^(١) .

وأنشده المبرد في موضعين (من الكامل) للعين المنقري . والله أعلم .

ونقل أبو الوليد الوقشي (عن البيان للجاحظ) فيما كتبه على كامل
المبرد ، أنه قال : ذكروا أن شعث بن سهم بن مُحَرز ^(٢) بن حَزْن أُغِير على إبله ،
فأتى أوس ابن حَجَر يستنجده ، فقال أوس : أو خيرٌ من ذلك أحضضُ لك قيسَ
ابن عاصم ؟ وكان يقال إن حزن بن الحارث هو حَزْن بن منقر ، فقال أوس :

(١) الخزائن ١ : ٤٠٥ - ٤٦ .

(٢) في البيان ٤ : ٤٠ : « بن محجن » .

سائل بها مولاك قيسَ بنَ عاصمٍ فمولاك مولى السوء إن لم يُغَيِّرْ^(١)
لعمرك ما أدري أمن حزنٌ مُحَرِّزٌ شُعَيْثُ بنَ سهمٍ أم لحزنٌ بنَ منقرٍ^(٢)
وكتب الوقشي على الموضع الثاني من الكامل بعد إنشاد البيت الثاني :
قال الجاحظ : كان يقال أن حزن بن الحارث يكون أبا جدِّ شُعَيْث بن سهم بن
محرز^(٣) بن حزن بن الحارث ، أحد بلعنير بن عمرو بن تميم ، وهو حزن بن منقر .
ولشُعَيْث بن سهم وقول أوسٍ هذا فيه خيرٌ أثبتته الجاحظ في البيان . انتهى .
فظهر ممَّا ذكرنا أنَّ شعيثاً ليس بأبي قبيلة ، [وثبت^(٤)] قول ابن هشام
إنَّ تنوينه حذف للضرورة . ولا يتأتَّى دعوى منع صرفه للعلمية والتأنيث باعتبار
القبيلة ، والله أعلم .

٤٥٢

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد التسعمائة وهو من شواهد س^(٥) :
٩٠٥ (كَذَبْتَكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطَ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالاً)
لما تقدَّم من أنَّ الهمزة المعادلة لأَمْ محذوفة منه للضرورة ، والتقدير :
أَكْذَبْتَكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ .

(١) البيتان مما لم يرو في ديوان أوس (فينا ١٨٩٢) ، وإن ورد في ديوانه نسخة يوسف نجم عن البيان
والتبيين ، ونسبا إلى الأسود بن يعفر أو اللعين المنقرى في معجم الشواهد . وفي ط : « إن لم يعير » ، بالعين
المهملية . صوابه في ش . والمراد بالتغيير التعويض عن تلك الإبل المسلوية . وفي اللسان (غير ٣٤٦) : « غيره » ،
إذا أعطاه الدية ، وأصلها من المغيرة ، وهى المبادلة لأنها بدل من القتل » .
(٢) كذا في النسختين . والذي في البيان : « أمن حزن محجن » .
(٣) في البيان : « محجن » .
(٤) التكملة من ش .

(٥) في كتابه ١ : ٤٨٤ . وانظر شرح أبياته لابن السيرا في ٢ : ٦٧ والمقتضب ٣ : ٢٩٥ والمغنى ٤٥
والتصريح ٢ : ١٤٤ وديوان الأخطل ٤١ .

ونقل سيبويه عن الخليل أن أم فيه منقطعة ، وجوز أن تكون متصلة بتقدير
الهمزة كما تقدم .

قال الأعلام : الشاهد فيه إتيانه بأم منقطعة بعد الخبر ، حملاً على قولهم :
إنّها لإبل أم شاء . ويجوز أن تُحذف ألف الاستفهام ضرورةً لدلالة أم عليها ،
والتقدير : أكذبتك عينك أم رأيت ؟ ونظير إضرابه عن الخبر الأول وتكذيبه
لنفسه بقوله : « أم رأيت بواسط » قول زهير :

قِفْ بالذيّار التي لم يَعْفُهَا الْقَدَمُ بلى وَغَيْرَهَا الْأَرْواحُ وَالْدِّيمُ ^(١)

فقال : لم يعفها القدم بلى وَغَيْرَهَا الْأَرْواحُ . فكذلك قال : كذبتك عينك
فيما تخيّل له ، ثم قال : أم رأيت بواسط خيالا . والمعنى بل هل رأيته ولم تشكّ
فيه . انتهى .

وذكر الوجهين المبرّد (في الكامل) قال : فيه قولان : أحدهما كذبتك
عينك ، كما قيل في :

* بسبع رمينَ الجمرَ أم بثمانٍ ^(٢) *

وليس هذا بالأجود ، ولكنه ابتداءً متيقّناً ، ثم شكّ فأدخل أم كقولك : إنّها
لإبل ، ثم تشكّ فتقول : أم شاء يا قوم . انتهى .

قال ابن الحنبلي : إن جعل الخليلُ التقديرَ في المثال : أهي شاء ، كان مرادُ
الأخطل : كذبتك عينك في رؤية الرّباب نفسها ، بل لم تر خيالاً منها فضلاً عن
أن تراها نفسها ، على أن أم بمعنى بل وهمزة الإنكار . وإن جعله : بل هي شاء ،
كان مرادُه كذبتك عينك فلم تكن رأيتهَا ، بل رأيته خيالاً منها . انتهى .

(١) ديوان زهير ١٤٥ ومعاهد التنصيص ١ : ٢٢٧ .

(٢) انظر الشاهد ٩٠٣ ص ١٢٢ .

ونقل ابن هشام (في المغنى) عن أبى عبيدة أنه زعم أن أم تأتي بمعنى الاستفهام المجرد من الإضراب ، فقال في قول الأخطل :

* كذبتك عينك أم رأيت بواسط *

إن المغنى : هل رأيت .

والبيت مطلع قصيدة للأخطل النصراني ، هجا بها جريراً . وبعده :

وَتَقَوَّلْتُ لِتُرُوعَنَا جَنِيَّةً والغانيات يُرِينَكِ الأَهْوَلا
يَمْدُدْنَ مِنْ هَفَوَاتِهِنَّ إِلَى الصَّبَا سَبِيًّا يَصِيدَنَّ بِهِ الْغَوَاةَ طُولا
مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَكْرَهِنَّ إِذَا جَرَى فينا ، ولا كجبالهنَّ جبالا
الْمُهْدِيَاتُ لِمَنْ هَوَيْنَ مَسَبَّةً والمحسناتُ لِمَنْ قَلَيْنَ مَقَالا
يَرَعِينَ عَهْدَكَ مَا رَأَيْتُكَ شَاهِداً وإذا مَذِلَّتْ يَصِرْنَ عَنْكَ مِذَالا
وإذا وَعَدْتِ نَائِلًا أَخْلَفْتَهُ ووجدتِ عِنْدَ عِدَاتِهِنَّ مِطَالا
فإذا دَعَوْتُكَ عَمَّهِنَّ فَإِنَّهُ نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ نَحْبَالا
وإذا وَرَّزْتُ حُلُومَهُنَّ إِلَى الصَّبَا رَجَحَ الصَّبَا بِحُلُومَهُنَّ فَمَالا
ومنها :

فَانْعَقْ بِضَأْنِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَتَّكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالا
مَتَّكَ نَفْسُكَ أَنْ تُسَامِيَ دَارِمًا أَوْ أَنْ تُوَازِنَ حَاجِبًا وَعِقَالا

دارم : قبيلة الفرزدق . وحاجب وعقال من أشراف قومه .

٤٥٣

وروى عن جرير أنه قال : ما غلبني الأخطل إلا في هذه القصيدة ، ولقد قلت بيتاً في القصيدة التي عارضت قصيدته بها ، لو أن أحدهم نهشته أفعى في استه ما حكها ، وهو :

والتغليبي إذا تَنَحَّجَ لِلْقَرَى حَكَ آسَتَه وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا (١)

كذا في نوادر ابن الأعرابي .

وقوله : « فَانَعَقَ بِضَانِكَ » ، استشهد به صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِّى يَنْعِقُ ^(٢) ﴾ على أَنَّ النعيق التصويت ، يقال نَعَقَ الْمُؤَذِّنُ وَالرَّاعَى بَغْنَمِهِ يَنْعِقُ بِالْكَسْرِ ^(٣) نَعِيقًا وَنُعَاقًا : صَاحَ بِهَا وَزَجَرَهَا . والمعنى : إِنَّكَ مِنْ رِعَاةِ الْغَنَمِ لَا مِنَ الْأَشْرَافِ ، وَمَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ بِهِ فِي الْخَلَاءِ أَنتَكَ مِنَ الْعِظَمَاءِ فَضْلًا بَاطِلًا ، لِأَنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى إِظْهَارِهِ فِي الْمَلَأِ ^(٤) .

وقوله : (كَذَبْتَكَ نَفْسُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطِ) هذا خطابٌ لِنَفْسِهِ عَلَى طَرِيقِ التَّجْرِيدِ . قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ : قَدْ اسْتَعْمَلَتِ الْعَرَبُ الْكَذِبَ فِي مَوْضِعِ الْخَطَا . قَالَ الْأَخْطَلُ : « كَذَبْتَكَ نَفْسُكَ » وَمِنْهُ حَدِيثُ عُرْوَةَ ، قِيلَ لَهُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبِثَ بِمَكَّةَ بَضْعَ عَشْرَةَ سَنَةً . فَقَالَ : كَذَبَ ، أَىْ أَخْطَأَ . وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ [لِسُمُرَةَ ^(٥)] حِينَ قَالَ : الْمُغَمَّى عَلَيْهِ يَصَلُّى مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ صَلَاةً حَتَّى يَقْضِيَهَا . فَقَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّهُ يَصَلُّيْهِنَّ مَعًا . أَىْ أَخْطَأْتَ . وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ . انْتَهَى .

(١) ديوان جرير ٤٥١ .

(٢) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

(٣) فى القاموس أن (نعق) من باي منع وضرب .

(٤) الملاء ، بالهمز : الجماعة والعلية والأشراف . وبالقصر : الصحراء والمتسع من الأرض ، والمقصود هنا هو الأول وإن ورد فى النسختين مرسوماً بالقصر .

(٥) التكملة من نهاية ابن الأثير ، وبذلك صححها الشنقيطى فى نسخته . وفى اللسان : « ومنه قول عمران لسمرة » ، وفيه تحريف .

و (العَلَس) : بفتحين : ظُلْمَةٌ آخِرُ اللَّيْلِ ، و (الرِّبَاب) بفتح الراء من أسماء النساء . و (الخيال) : الطَّيْف . و (واسط) هنا : موضعٌ بجزيرة ابن عُمر في الموصل ، وهو من مواضع بني تغلب التي ينزلون بها . وقال ابن السيرافي : واسط هنا : موضعٌ بنواحي الشام . وغلَّطه الأسود أبو محمد الأعرابي (في فرحة الأديب) فقال : ليس بنواحي الشام موضع يقال له واسط ، والذي في البيت واسط الجزيرة . أخبرني أبو النَّدَى قال : للعرب سبعةُ أواسط : واسط نجد وهو الذي ذكره خدّاش بن زُهَيْر :

عفا واسطُ أَكَلَاؤُهُ فَمَحَاضِرُهُ إِلَى حَيْثُ نَهْيَا سَيْلُهُ فَصَدَائِرُهُ^(١)

وواسطُ الحِجَاز ، وهو الذي ذكره كثير :

أَجَدُّوْا فَأَمَّا آلَ عَزَّةٍ غَدَوَةٌ فَبَانُوا وَأَمَّا واسطُ فَمُقِيمٌ^(٢)

وواسط الجزيرة ، وهو الذي ذكره الأخطل في ذاك البيت وفي بيته الآخر :

عفا واسطُ من آلِ رَضْوَى فَنَبْتُ لُ فَمُجْتَمِعُ الحُرَيْنِ فَالصَّبْرُ أَجْمَلُ^(٣)

وواسط الإمامة وهو الذي ذكره الأعشى في شعره^(٤) ، وواسط العراق . وقد

أُنْسِيَتْ اثْنَيْنِ . انتهى كلامه .

(١) معجم البلدان (واسط) . ونها ، بالكسر : اسم ماء . والصدائر : أعلى الوادي ومقادمه : جمع صدارة وصديرة ، كما في القاموس . وفي اللسان أنه جمع صادرة وصديرة .

(٢) ديوان كثير ١٢٧ والأغاني ١١ : ٥٠ ومعجم البلدان (واسط) .

(٣) ديوان الأخطل ٢ ومعجم البلدان . وهو أول بيت في ديوان الأخطل .

(٤) لم أجد له ذكرا . لكن قال أبو عبيدة في شرح قول الأعشى :

في مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائر

إن « مجدل » : حصن لبني السمين من بني حنيفة ، يقال له واسط . وانظر (واسط) في معجم البلدان .

وقد أبعد السيوطي في قوله : واسط : بلد بالعراق اختطها الحجاج . وتبعه ابن المُلّا . وقال ياقوت (في معجم البلدان) قال أبو حاتم : واسط التي بنجد والتي بالجزيرة يُصرف ولا يصرف . وأما واسطُ البلد المعروف فمُدَّكر ، لأنَّهم أرادوا بلداً واسطاً أو مكاناً واسطاً ، فهو منصرفٌ على كلِّ حال . والدليل على ذلك قولهم : واسط بالتذكير ، ولو ذهب به إلى التأنيث لقالوا واسطة . قالوا : وقد يُذهب به مذهب البُقعة والمدينة فيترك صرفه . وأنشد سيويوه في ترك الصرف :
 مِنْهُمْ أَيَّامٌ صَدِيقٌ قَدْ عُرِفَتْ بِهَا أَيَّامٌ واسط والأيامُ مِنْ هَجَرَا ^(١)

٤٥٤

ولقائل أن يقول : إنَّه لم يرد واسطُ هذه . فيرجع إلى ما قاله أبو حاتم : وسمَّيت مدينة الحَجَّاج واسطاً لأنَّها متوسطة بين البصرة والكوفة ، لأنَّ منها إلى كل واحدٍ منهما خمسين فرسخاً ، لا قول فيه غير ذلك إلا ما ذهب إليه بعض أهل اللغة حكايةً عن ابن الكلبي ، أنَّه كان قبل عمارة واسط هنا موضعٌ يسمَّى واسطَ قَصَب ^(٢) فلَمَّا عَمَّرَ الحَجَّاج مدينته سَمَّاها باسمها . والله أعلم .

وشرع الحَجَّاج في عمارة واسط سنة أربع وثمانين ، وفرغ منها في سنة ست وثمانين ، فكان عمارتها في عامين ، في العام الذي مات فيه عبد الملك بن مروان ، ولمَّا فرغ منها كتب إلى عبد الملك : إِنِّي اتَّخَذْتُ مَدِينَةً فِي كِرْشٍ مِنَ الْأَرْضِ ^(٣) ، بين الجبل والمصرين ، وسمَّيتها واسط . فلذلك سمَّى أهل واسط الكِرْشِيِّين . وفي الأمثال : « تَغَاوُلُ واسِطِي » ^(٤) ، قال المبرد : سألت عنه التَّوْرِي فقال : الحَجَّاج لَمَّا بَنَاهَا قَالَ : بَنَيْتُ الْمَدِينَةَ فِي كِرْشٍ مِنَ الْأَرْضِ . فَسَمَّيْتُ

(١) للفرزدق في ديوانه ٢٩١ وسيويوه ٢ : ٢٣ .

(٢) في معجم البلدان ٨ : ٣٨٦ : « واسط القصيب » .

(٣) الكرش ، بالكسر : الثَّلعة من الأرض ، كما في القاموس .

(٤) انظر أمثال الميداني في باب التاء برقم ٧٣٩ .

أهلها الكَرِشِيِّينَ ، فكان إذا مرَّ أحدهم بالبصرة نادَوْا : يا كِرَشِيَّ ! فتغافَلُ (١)
وَيُرى أَنَّهُ يَسْمَعُ ، وَأَنَّ الخطابَ ليس معه (٢) . ولقد جاءني بخوارزم أحدُ أعيانِ
أدبائها وسألني عن هذا المَثَلِ ، وقال لي : قد أَطَلْتُ السؤالَ عنه فلم أَظْفَرْ به ،
ولم يكن لي في ذلك الوقت علمٌ به حتَّى وجدته بعد ذلك فأتيتُه (٣) .

وأنشد التنوخيُّ لفضل الرِّقَاشي :

تركتَ عيادتي ونسييتَ بَرِّي وقدماً كنتَ بي بَرًّا حفيًّا
فما هذا التغافلُ يا ابنَ عيسى أَظنُّكَ صرتَ بعدى واسطيًّا انتهى

وقال ابن الملا : المثل : « تغافَلُ كأَنَّكَ واسطيٌّ » ، لأنَّه كان يتسَخَّرُهم في
البناء فيهرَّبون وينامون بين الغُرباءِ في المسجد ، فيجىء الشرطي ويقول :
يا واسطيُّ . فمن رَفَعَ رأسَه أخذه ، فلذلك كانوا يتغافلون . هذا كلامه . وهو
بَعِيد .

ثم قال ياقوت : واسط أيضا قريةٌ متوسطةٌ بين بطن مَرِّ ووادي نَحْلَة .

وواسط أيضا : قرية مشهورة ببلخ .

وواسط أيضا : قريةٌ بحلب قرب بزاعة (٤) مشهورةٌ عندهم ، بالقرب منها
قريةٌ يقال لها الكوفة .

وواسط أيضا : قرية بالخابور قرب قَرِيساءُ ، وإيّاها عني الأخطلُ فيما
أحسب ، لأنَّ الجزيرةَ منازلُ تغلب :

(١) الكلام بعده لياقوت نفسه ، بعد حكايته لقول المبرد .

(٢) بكذا في النسختين ومعجم البلدان ، والأوَّلَى « فتغافل » .

(٣) عبارة ياقوت : « حتى وجدته بعد ذلك فأخبرته ثم وضعته أنا ههنا » .

(٤) بزاعة ، بضم الباء : بلدة من أعمال حلب .

* عفا واسطً من أرض رَضوى فنبتلُ *

وواسط أيضا : قرية بُدَجِيل ، على ثلاث فراسخ من بغداد .

وواسط أيضا : موضع بين العُذيب والصَّفراء .

وواسط أيضا من منازل بنى قُشَيْر لبنى أُسَيْدَة ^(١) .

وواسط أيضا بمكة ، قال الفاكهي ^(٢) : واسط : قرن كان أسفل من جمرة العقبة بين المأزمين ، فضرِبَ حتّى ذهب . ويقال إنّ واسطاً هو الجبلان اللذان دون العقبة .

وواسط أيضا : بُليدة بالأندلس من أعمال قَبْرة .

وواسط أيضا : قرية كانت قَبْلَ واسط في موضعها ، كانت تسمّى واسطَ القصب ، أخرّبها الحجاج وبنى مدينته واسطاً .

وواسط أيضا : قرب حلّة بنى مَزِيد ، يقال لها واسط مرزباد .

وواسط أيضا : قرية باليمن بسواحل زَبِيد ، قرب العَنَبَرَة ^(٣) .

وواسط أيضا : مواضع في بلاد بنى تميم .

وقوله : « وتغوّلْتُ » أى تهوّلت . والغاية : التى استغنت بحُسنها عن الرّينة . والهَفْوة : الجهل . والسَّبَب : الحبل . والطُّوال بالضم : الطويل .

(١) فى معجم البلدان ٨ : ٣٨٦ : « وهم بنو مالك بن سلمة بن قشير . وأسيدة ووحيدة من بنى سعد بن زيد مناة » .

(٢) عند ياقوت : « وذكر محمد بن إسحاق الفاكهي فى كتاب مكة » .

(٣) ش : « العنيزة » ، تحريف صوابه فى ط ومعجم البلدان . وقد رسم ياقوت للعنيزة وقال : قرية بسواحل زبید ، منها خرج على بن مهدي الحميري .

٤٥٥ وَمِذْلُتُ مِنْ كَلَامِهِ : قَلِقْتُ وَضَجَرْتُ . وَالْمِذِيلُ : الْمَرِيضُ الَّذِي لَا يَتَقَارُّ
وَهُوَ ضَعِيفٌ . وَمِذْلٌ بِسِرِّهِ ، أَيْ أَفْشَاهُ ^(١) . وَمِذَالٌ : جَمْعُ مِذْلَى كَعِطَاشٍ جَمْعُ
عِطَشَى .

وترجمة الأخطل تقدّمت في الشاهد الثامن والسبعين من أوائل
الكتاب ^(٢) .

ومن هذه القصيدة قوله :

أَبْنَى كُلِّبٍ إِنَّ عَمِّيَ لِلذَّا قَتْلَا الْمُلُوكِ وَفَكْكَ الْأَغْلَالَا

وتقدم شرحه في الشاهد الثالث والعشرين بعد الأربعمئة من باب اسم
الفاعل ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد التسعمائة ^(٤) :

٩٠٦ (أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعَلُوقُ بِهِ رِثْمَانٍ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُنَّ بِاللَّبَنِ)

على أَنَّ (أَمْ) فيه بمعنى بل وحدها ، بدون همزة الاستفهام ، إذ الاستفهام
موجودٌ ، فلا وجه لجمع استفهامين إلاّ على وجه التأكيد ، ولا يُضْطَرُّ إِلَيْهِ مَعَ
إِمْكَانِ التَّأْسِيسِ .

(١) يقال مِذْلٌ يَمِذِلُ مِذْلًا ، وَمِذْلٌ يَمِذِلُ مِذْلًا ، مِنْ بَابِ فَرَحٍ وَنَصَرٍ .

(٢) الخزانة ١ : ٤٥٩ - ٤٦١ .

(٣) الخزانة ٦ : ٦ - ١٣ .

(٤) الكامل ٦٢ ومجالس العلماء ٤٢ وأمالى الزجاجى ٥١ والقالى ٢ : ٥١ والخصائص ٢ : ١٨٤

والمستقصى ٢ : ٢٤٢ وابن الشجرى ١ : ٣٧ وابن يعيش ٤ : ١٨ والمغنى ٤٥ . والجمع ٢ : ١٣٣ والأشباه

والنظائر ١ : ٢٠٣ / ٣٢١ / ٣ : ٢٢٤ / ٤ : ٧ والمفضليات ٢٦٣ .

وفيما ذهب إليه مخالفةً للبصريين وميلٌ لقول الكوفيّين لقوّته .

وإليه ذهب ابن هشام أيضاً (فى المغنى) قال : نقل ابنُ الشجرى عن جميع البصريين أنّها أبداً بمعنى بل والهمزة جميعا ، وأنّ الكوفيّين خالفوهم فى ذلك . والذى يظهر قولهم ، إذ المعنى فى : ﴿ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾^(١) ليس على الاستفهام ، ولأنّته يلزم البصريّين دعوى التأكيد فى نحو : ﴿ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ ﴾^(٢) ونحو : ﴿ أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) ، ﴿ أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِى هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ ﴾^(٤) . انتهى .

وسبقهما إلى هذا أبو على ، قال (فى المسائل المنثورة) بعد إنشاد هذا البيت : هذه المسألة فيها إشكال ، وهو أنّ أَمْ للاستفهام ، دخلت على كيف . فرجه ذلك أنّ أَمْ هنا عاطفة ، وكيف للاستفهام . كما أنّك إذا قلت : ما جاءنى زيدٌ ولكن عمرو ، فالواوُ فيه عاطفة ، وخرجت لكن من معنى العطف لدخول الواو . فكذلك إذا قيل أَمْ هَلْ ، تخرج هل من معنى الاستفهام لدخول أَمْ ، فكذلك تخرج أَمْ من معنى الاستفهام إلى العطف . انتهى .

وتبعه ابن جنى (فى الخصائص) فقال : فإن قلت : فما تقول فى قوله : « أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ » البيت ، وجمعه بين أَمْ وكيف ؟ فالقول أنّهما ليسا لمعنى واحد . وذلك أنّ أَمْ هنا جُرِّدَتْ لمعنى الترك والتحوّل ، وجُرِّدَتْ من معنى الاستفهام ، وأفيد ذلك من كيف لا منها . فإن قيل : فهلاً وكُدت إحداهما بالأخرى توكيداً ، كتوكيد اللام لمعنى الإضافة ، ويأى النسب لمعنى الصفة ؟ قيل : يمنع من ذلك

(١) الآية ١٦ من سورة الرعد .

(٢) الآية ١٦ من سورة الرعد .

(٣) الآية ٨٤ من سورة النمل .

(٤) الآية ٢٠ من سورة الملوك .

أنَّ كيف لما بُنيت واقتصر بها على الاستفهام البتّة جرت مجرى الحرف البتّة . وليس في الكلام اجتماع حرفين لمعنى واحد ، لأنّ في ذلك نقضاً لما اعتُزم عليه من الاختصار في استعمال الحروف . وليس كذلك يا بؤس للحرب ^(١) ، وأحرى . وذلك أنّ هنا إنّما انضمّ الحرف إلى اسم ، فهما مختلفان ، فجاز أن يترادفا في موضعيهما لاختلاف جنسهما . فإن قلت : فقد قال :

* وما إن طَبْنَا جُبْنَ ^(٢) *

فجمع بين ما وإن ، [و ^(٣)] كلاهما بمعنى النفى ، وهما كما ترى حرفان . قيل : ليس إن حرف نفى ، وإنّما هي حرف يؤكّد به ، بمنزلة ما ولا والباء ومن ، وغير ذلك . وأمّا قوله :

طعامهم لئن أكلوا مُعَدُّ وما إن لا تُحاك لهم ثياب ^(٤)

فإنّ ما وحدها للنفى ، وإنّ ولا جميعاً للتوكيد . ولا يُنكر اجتماع حرفين للتوكيد لجملة الكلام . انتهى كلامه باختصار .

٤٥٦

فعلم ممّا نقلنا إنّ ما ادّعاه ابن الشجرى من اجماع البصريّين ليس بصحيح . ودعوى ابن جنّى عدم اجتماع حرفين لمعنى واحد يطلها قول الشاعر :

* ولا ليّما بهم أبدا دواء *

(١) من قول سعد بن مالك في الحماسة ٥٠٠ بشرح المرزوق وسيبويه ١ : ٣١٥ :

يا بؤس للحرب التى وضعت أراھط فاستراحوا

(٢) قطعة من بيت لفروة بن مسيك أو الكميت ، كما في معجم الشواهد . وهو بتمامه :

وما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا

(٣) تكملة من الخصائص ٣ : ١٠٨ .

(٤) نسب إلى أمية بن أبى الصلت في معجم الشواهد . وليس في ديوانه .

وقوله :

* فَأَصْبَحَنَ لَا يَسْأَلُنَهُ عَنْ بَمَا بِهِ *

وقد تقدّم شرحهما في الشاهد الرابع والثلاثين بعد المائة وفي غيره .

والبيت آخر أبياتٍ تسعة لأفنونٍ التغلبي ، أوردها له أبو عمرو الشيباني

صاحب الشاهد

(في أشعار تغلب) ، والمفضل (في المفضليات) ، وهى :

(أبلغ حُبِيْبًا وَخَلَّلَ فِي سَرَائِهِمْ قَد كُنْتُ أَسْبَقُ مِنْ جَارَوْا عَلَى مَهَلٍ فَالَوْ عَلَيَّ وَلَمْ أَمْلِكْ فَيَا لَتَهُمْ لَوْ أَتْنِي كُنْتُ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمِ لَمَّا فَدَوْا بِأَخِيهِمْ مِنْ مَهْوَلَةٍ سَأَلْتُ قَوْمِي وَقَدْ سَدَّتْ أَبَاعِرُهُمْ إِذْ قَرَّبُوا لِابْنِ سَوَّارٍ أَبَاعِرَهُمْ أَتْنِي جَزَوْا عَامِرًا سُوءَى بِفَعْلِهِمْ أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تَعْطَى	أَنَّ الْفَوَادَ انطوى مِنْهُمْ عَلَى حَزَنِ مَنْ وُلِدَ آدَمَ مَا مَ يَخْلَعُوا رَسَنِي حَتَّى انْتَحَيْتُ عَلَى الْأَرْسَاغِ وَالْتُنِينَ رَبِيتُ فِيهِمْ وَلُقَمَانٍ وَمَنْ جَدَنِ أَخَا السَّكُونِ وَلَا جَاوَزُوا عَلَى السُّنَنِ مَا بَيْنَ رَحْبَةٍ ذَاتِ الْعِصَصِ وَالْعَدَنِ ^(١) لِلَّهِ دَرٌّ عَطَاءٍ كَانَ ذَا غَبْنٍ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونَنِي السُّوءَى مِنَ الْحَسَنِ الْبَيْت
--	---

أبيات الشاهد

قوله : « أبلغ حُبِيْبًا » بضم المهملة وفتح الموحدة الأولى ، وهو قبيلة أفنون .

وقوله : « وَخَلَّلَ » إلخ قال ابن الأنباري (في شرحه) : سرائهم : خيارهم ، جمع سَرَى . وَخَلَّلَ ، أى خُصَّصَهُم بالبلاغ ، أى اجعل بلاغك يتخللهم . وقوله : « أَنَّ الْفَوَادَ » إلخ ، هذا هو المبلغ . يريد أنه قد تألم منهم لما طلب منهم أباعر فخيّوا أمله منهم ، ولم يتحملوا عنه دياتٍ مَنْ قتلهم .

(١) ضبطت « رحبة » هنا طبقاً لما سيأتى في تفسير البغدادى . وانظر ما سيأتى من تعليق على هذا

وقوله : « قد كنتُ أسبقُ » إلخ على متعلّقة بأسبق ، ومن بيان لمن ، وما مصدرية ظرفية . قال ابن الأنباري : أى كنتُ أناضل عنهم ، وأدفع ، وأسبق من جاراهم . وقوله : « من وُلد آدم » أى من الناس كلّهم . وقوله : « ما لم يخلعوا » إلخ ، أى كنتُ أسبق من فأخرهم وطلّبت مغالبتهم ^(١) ما لم يهملوني ويتخلّوا عني . وجعل خلع الرّسن مثلاً ، كأنهم تبرّعوا منه لكثرة جرائره .

وقوله : « فالأول على » إلخ بالفاء ، من الفيلولة ، وهى ضعف الرأى . والفيالة بالفتح الاسم . قال ابن الأنباري : أى اخطئوا علىّ فى رأيهم ، يقال : قال الرّجل فى رأيه ، وهو فيلُ الرأى بالكسر . وقوله : « انتحيت » : اعتمدت . والأرباغ : جمع رُسغ ، وهو من الدوابّ الموضّع المستدق بين الحافر ، وموصل الوظيف من اليد أو الرجل . والثّثن : جمع ثُتّة ، بضم المثلة وتشديد النون ، وهو الشّعْر فى مؤخر الرّسغ . وحتّى بمعنى إلى متعلّقة بفألوا . وضرّهما مثلاً لأسافل الناس . يريد : لما اخطئوا فى أمرى وأصرّوا قصدتُ أراذل الناس .

وقوله : « لو أننى كنت » إلخ من عادٍ : خبر كنت ، ورّيت حال من الضمير المستقرّ فى الخبر . قال صاحب الصحاح : وربوت فى بنى فلان ورّيت ، أى نشأتُ فيهم . وإرم بكسر ففتح : قبيلة مشهورة بالقوّة وعظّم الأبدان . وعاد : اسم أبيهم . ولقمان ، أى ومن نسل لقمان صاحب النّسور ، وهو منسوبٌ إلى عاد ، كما قال الشاعر ^(٢) :

تراهُ يَطوِّفُ الآفاقَ جِرساً ليأكلَ رأسَ لقمانَ بنِ عادٍ

(١) ش : « وأطلب مغالبتهم » ، صوابه فى ط وشرح المفضليات .

(٢) هو أبو مهوش الفقعسى ، أو يزيد بن الصّعق . كما فى الخزّانة ٣ : ١٤٢ وحواشى الحيوان ٣ : ٦٦ .

وَجَدَنَ بفتح الجيم ، قال ابن الأنباري : قبيلة باليمن . انتهى . وقيل هو قَيْلٌ من أقيال اليمن ، والمشهور فيه ذو جدن ، فيكون التقدير أيضا : ومن نسل ذي جدن .

وقوله : « لَمَّا فَدَوْا » اللام في جواب لو ، ودخولها على حرف النفي نادر . والسَّكُونُ ، بفتح السين : قبيلة من كِنْدَةَ في اليمن . وأخا السَّكُونُ مفعول فَدَوْا ، وهو رجلٌ من السَّكُونِ ، كان أسيراً عند قوم أَفَنُونَ . وأراد بأخيهم نفسه ، والباء للبدل . ومن مهوَّلة : من أجل مصيبة هائلة . و « لا جازوا » من المجازاة . والستن : جمع سُنَّة ، وهي السيرة . بالَع في ذكر تبرُّثهم منه ، وجفائهم له .

وقوله : « سألتُ قومي » السؤال هنا الاستعطاء . وجملة « وقد سَدَّت » إلخ حالية . والرَّحْبَةُ : الفضاء ^(١) .

وقوله : « إِذْ قَرَّبُوا » متعلق بسألت . وقوله : « لله دَرٌ » إلخ تهكُّم في صورة المدح . والغَبْنُ بفتح الحاء : ضعف الرأى ، يتهكَّم بهم في رأيهم الضعيف حيث منعه الإعطاء مع السؤال وهو منهم ، وأعطوا الأجنبي ولم يسألهم .

وقوله : « أَنَّى جَزَوْا عامراً » إلخ استفهام تعجُّبى وأنى بمعنى كيف ، والواو في جَزَوْا ضمير عشيرته . وعامر هو عامر بن صعصعة ، وهو أبو قبيلة ، والمراد هنا القبيلة ، وصرفه باعتبار الحى ، ولو منعه الصرف لكان باعتبار القبيلة . والباء للمقابلة ، والهاء والميم ضمير عامر . والسُّوءى : فُعلَى ، نقيض الحُسنى ، وهما مؤنث الأسوأ والأحسن . ولأجل القافية قابل السُّوءى بالحَسَن ، ولولاها لكان

(١) كذا ورد في ضبط البغدادى وتفسيره . والحق أنها « رُحبة » بضم الراء وهى ماء بصنعاء . وأن العيص هو الشجر الملتف النابت بعضه فى أصول بعض ، كالسدر والسَّلم والعوسج . والعدن أراد مدينة عدن ، أدخل عليها الألف واللام كما نص ياقوت عليه ، عند إنشاده هذا البيت فى عدن .

يقول الحُسْنَى . وَرُويَ في الأوَّل السَّوْءُ ^(١) وهو اسمٌ من ساءه يسوءه سَوْءاً ومساءة ^(٢) : نقيض سرّه . يقول : العجبُ لقومي ^(٣) كيف عاملوا بنى عامرٍ بالسَّوْءِ في مقابلة فعلهم الجميل . وقوله : « أم كيف يَجْزُونَنِي » أمٌ للإِضراب عن الأوَّل . و « من الحسن » قال ابن السَّجَرِيُّ : متعلق بحالٍ محذوفة ، والتقدير : كيف يَجْزُونَنِي السَّوْءَى بدلاً من الحَسَن . مثله في التنزيل : ﴿ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ ^(٤) أى بدلاً من الآخرة . يقول : بل أتعجب من قومي كيف يعاملونني بالسَّوْءِ حال كونه بدلاً من الفعل الحسن والصَّنْع الجميل . وأضرب عن الأوَّل للإشارة إلى أنَّ إساءتهم لبنى عامر سهلٌ بالنسبة إلى إساءتهم به ، بادعاء أنَّه ربما كان لهم عذرٌ في الإساءة لأولئك ، وأمَّا في الإساءة إليه فلا عُذرَ لهم أصلاً . ولمَّا تَخَيَّل أنَّهم ربَّما غَالَطُوا فاعتذروا ، ترقَّى بقوله : أم كيف يَنْفَع .. البيت ، كأنَّه يقول : هو ظاهرٌ لا يُساعده باطن ، وقال لا يُصَدِّقُه حال .

وقوله : (أم كيف يَنْفَع) إلخ أم هذه أيضاً للإِضراب . و (العَلوق) بفتح العين المهملة ، قال ابن الأنباري (في شرحه) : العَلوق من الإِبل : التي لا تَرَأَم ولَدَها ولا تَدِرُّ عليه . جعله ههنا مثلاً . و (رُئِمانها) هنا : عطفُها ومحبَّتُها . وقال القالي (في أماليه) : هي الناقة التي تَرَأَم بأنفها وتمنع دَرَّها . يقول : فأنتم تحسنون القول ولا تعطون شيئاً فكيف يَنْفَعُني ذلك . انتهى .

(١) يعنى « سَوْءاً » ، رواية في : « سُوءى بفعلهم » .

(٢) يقال ساءه يسوءه سَوْءاً بالفتح وسواء وسوآية وسَوَّاءية ومَسَاء ومساءة ومَسَائِيَّة ومَسَائِيَّة ومَسَائِيَّة .

(٣) ط : « أتعجب لقومي » ، وأثبت ما في ش .

(٤) الآية ٢٨ من سورة التوبة .

وقال الزجاجي (في أماليه الصغرى) : هذا البيت مثل يضرب لكل من يَعِدُّ بلسانه كلَّ جميل ولا يفعل منه ^(١) ؛ لأنَّ قلبه منطوي على ضيِّده . كأنَّه قيل : كيف ينفعني قولك الجميل إذا كنت لا تفنى به . وأصله أنَّ العَلوقَ هي الناقةُ التي تَفْقِدُ ولدها بنحرٍ أو موت ، فيُسلَخ جُلده ويُحشَى تَبناً أو حشيشاً ، ويُقدَّم إليها لترأَّمه ، أى تعطفُ عليه ويدِرُّ لبنُها فينتفع به . فهي تشمُّه بأنفها ويُنكره قلبُها فتعطفُ عليه ولا تُرسل اللَّبن . فشبهه ذاك بهذا . انتهى .

٤٥٨

وقال المبرِّد (في الكامل) : الناقة إذا أَلْقَتْ سَقْبها أو تُحَرِّ فخيِّف انقطاعُ لبنها أخذوا جلد حواريِّ فحشَّوه تَبناً ولَطَّخوه بشيءٍ من سلاها ثم حَشَّوْا أنفها ، فتجد لذلك كَرَباً . ويقال للخِرقة التي تُجعل في أنفها غِمَامَةٌ ، ثم تسَلُّ تلك الخِرقة من أنفها فتجد رَوْحاً ، وترى ذلك البوَّ تحتها ، وهو جلد الحواريِّ المحشَّو فرأَّمه ، فإنْ دَرَّتْ عليه قيل ناقةٌ دَرُور . وترأَّمه : تشمُّه . ويقال في هذا المعنى : ناقة ظُئورٌ ، فيُنتفع بلبنها . ويقال ناقة رائم ورعومٌ ، إذا كانت ترأَّم ولدها أو بوَّها . فإنْ رُمِّمَتْه ^(٢) ولم تدرَّ عليه فتلك العَلوق ، ولا خيرَ عندها . انتهى .

وقال أبو الحسن الأَخفش : يقال للناقة إذا مات ولدها أو ذُبِح : سَلوب ، فإنْ عُطِفَتْ على غير ولدها فرُمِّمَتْه فهي رائم ، وإنْ لم ترأَّمه ولم تدرَّ عليه فهي عَلوق . ويقال العَلوق : التي قد عُلِقَتْ فذهب لبنُها .

وقال ابن الشعري (في أماليه) : العَلوق من النوق : التي تأبى أنْ ترأَّم ولدها أو بوَّها . والبوُّ : جلدُ الحواريِّ يُحشَى ثَمَماً أو حشيشاً ، ويُقدَّم إليها لترأَّمه فتدرَّ عليه فتُحلب . فهي ترأَّمه بأنفها ويُنكره قلبُها . فرأَّمها : أنْ تشمُّه فقط ولا تُرسلَ لبنها . وهذا يُضرب مثلاً لمن يَعِدُّ بكلَّ جميل ولا يفعل منه شيئاً .

(١) في أمالي الزجاجي : « لمن يعدك بلسانه كل جميل ، ولم يفعل منه شيئاً » .

(٢) في النسختين : « رأَّمته » ، صوابه في الكامل ٦٢ .

و (الرئمان) بكسر الراء والهزمة: مصدر رئمت الناقة ولدها من باب فرح ، إذا أحبته وعطف عليه . وفي الأمثال : « لا أَحِبُّ رِئْمَانَ أَنْفٍ وَأُمْنَعُ الضَّرْعَ » ، يضرب لمن يُظهر الشُّفقة ويمنع خيره . كذا في أمثال الرمحشري (١) .

وقوله : (إذا ما ضُنَّ) بضم الضاد المعجمة ، أى حصل الضنَّ ، وهو الشُّحُّ والبخل . قال ابن جنى (فى المحتسب) : ألحقَّ الباء فى به لِمَا كَانَ تُعْطَى فى معنى تسمح به . ألا تراه قال فى آخر البيت : إذا ما ضُنَّ بالبن . فالضنَّ : نقيض السَّماحة والبذل . انتهى .

والهاء فى « به » راجعة إلى ما ، ولولا التضمن لقل تعطيه . وما وإن كانت فى اللفظ فاعل ينفع فهى فى المعنى مفعول ، وهى الشئ المعطى ، وهى اسم موصول بمعنى الذى ، واقع على الرئمان كما يأتى بيانه . وزعم ابن الشجرى أنه واقع على البوِّ ، وهو غير جيِّد كما سيُتضح . وقد أجاز الكسائى فى « رئمان أنف » الرفع والنصب والجر ، قال الزجاجى (فى أماليه) : أخبرنا أحمد بن الحسين المعروف بابن شقير النحوى ، وعلى بن سليمان ، قالا : أخبرنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : اجتمع الكسائى والأصمعى بحضرة الرشيد ، وكانا ملازمين له ، يقيمان بإقامته وَيُظْعَنَانِ بِظَعْنِهِ . فَأَنشَدَ الْكَسَائِي :

* أَنِّي جَزَوُا عَامِرًا سُوءًا بِفَعْلِهِمْ * الْبَيْتَيْنِ

فقال الأصمعى : إنّما هو رئمان أنف بالنصب . فقال له الكسائى : اسكت ما أنت وهذا ، يجوز بالرفع ، والنصب ، والخفض . أمّا الرفع فعلى الردّ على ما ، لأنّها فى موضع رفع بينفع ، فيصير التقدير : أم كيف ينفع رئمان أنف . والنصب بتعطى ، والخفض على الردّ على الهاء التى فى به . قال : فسكت

الأصمعي ولم يكن له علمٌ بالعربية ، كان صاحب لغة ولم يكن صاحب إعراب . انتهى ما أورده الزجاجي .

وقوله : « أمّا الرفع فعلى الرّد على ما » ، يريد به الإبدال ، وهى عبارة الكوفيّين ، وهو بدل كلّ من كلّ . ويجوز رفعه أيضاً على أنّه خبر لمبتدأ محذوف ، أى هو رثمان . وقد جوّز هذين الوجهين أبو على الفارسيّ (فى البغداديات) قال فيها : حُكِيَ لَنَا أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ مُحَمَّدًا ، وَأَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ ، كَانَ يُلْقِيَانِ هَذَا الْبَيْتَ وَيَسْأَلَانِ عَنْ وَجْهِ الْإِعْرَابِ فِيهِ . وَرَثْمَانُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالْجَرِّ . وَالْمَعْنَى : مَا يَنْفَعُ عَطْفُهَا عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَدْرُ لَبْنُهَا . وَأَقُولُ : إِنَّ الرَّفْعَ فِي رَثْمَانٍ يَجُوزُ فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ : فَأَحَدُهُمَا : أَنَّ تَبْدِيلَ رَثْمَانٍ مِنَ الْمَوْصُولِ فَتَجْعَلُهُ إِيَّاهُ فِي الْمَعْنَى . أَلَا تَرَى أَنَّ رَثْمَانَ أَنْفٍ هُوَ مَا تُعْطِيهِ الْعُلُوقُ . وَالْآخَرُ : أَنَّ تَجْعَلُهُ خَبَرَ مَبْتَدَأٍ مُحْذُوفٍ ، كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ : أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعُلُوقُ ؟ قِيلَ لَهُ : وَمَا تُعْطِي الْعُلُوقُ ؟ فَقَالَ : رَثْمَانُ أَنْفٍ ، أَيْ هُوَ . كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ ﴾ ^(١) أَيْ هِيَ . انْتَهَى .

٤٥٩

وقال ابن الشجرى (فى أماليه) : ما بمعنى الذى واقعة على البوّ ، وانتصاب الرثمان هو الوجه الذى يصحّ به المَعْنَى والإِعْرَابُ ، وإنكار الأصمعيّ لرفعه إنكارٌ فى موضعه ، لأنّ رثمان العلوق ^(٢) للبوّ بأنفها ، هو عطيتها ، ليس لها عطيةٌ غيره . فإذا أنت رفعتَه لم يبق لها عطيةٌ فى البيت لفظاً ولا تقديراً . ورفعهُ على البديل من ما ، لأنها فاعل ينفع ، وهو بدل الاشتمال . ويُحتاج إلى تقدير ضمير يعود منه على المبدل منه ، كأنك قلت : رثمان أنفها إياه . وتقديرٌ مثل هذا الضمير قد ورد فى كلام العرب ، ولكن تقي رفعه ما ذكرت لك من إخلاء تعطى من مفعولٍ فى اللفظ والتقدير . وجَرَّ (رثمان) على البديل أقرب إلى الصحيح قليلاً .

(١) الآية ٧٢ من سورة الحج .

(٢) ط : « الرثمان العلوق » ، صوابه فى ش وابن الشجرى ١ : ٣٨ .

وإعطاء الكلام حقّه من المعنى والإعراب إنّما هو بنصب الرئمان . ولنحاة الكوفيّين في أكثر كلامهم تهاويل فارغة من حقيقة ^(١) . هذا كلامه .

وقد نقله ابن هشام (في المغنى) وأقرّه . ومنشؤه حمّل ما على البوّ . ولو حمله على الرئمان لم يرد شيء من هذا .

ولقد أجاد الدماميني في الاعتراض على ابن الشجرى بقوله : ولقائل أن يقول : لم لا يجوز أن يكون الضمير من به عائداً على ما ، لا على البوّ ، وبه يتعلّق بتعطى على أنّه مضمن معنى تجود ، فلا يكون مُخلّى ^(٢) من مفعول مع [رفع ^(٣)] رئمان . انتهى . ويكون نصب رئمان على أحد ثلاثة أوجه غير ما ذكره .

قال أبو على بعد ذاك . وأمّا نصب رئمان فعلى ثلاث جهات : أحدها : على معنى أم كيف ينفع ما تعطيه من رئمان ، فحذف الحرف وأوصل الفعل . ثانيها : أن يكون من باب صنّع الله ، ووعد الله ؛ كأنه لما قيل تعطى العلوق دلّ على ترأم ، لأنّ إعطاءها رئماناً ، فنصبه على هذا الحدّ لما دلّ عليه تعطى .

ثالثها : أن ينتصب على الحال ، مثل جاء ركضاً ، على قياس إجازة أبى العباس في هذا الباب ، ويجعل تعطى بمنزلة تعطف ، كأنه قيل : أم كيف ينفع ما تعطف به العلوق رئمانا ، أى كيف ^(٤) ينفع تعطفها رائمة مع منعها لبنها . فهذه ثلاثة أجوبة في النّصب . انتهى .

(١) في أمالى ابن الشجرى : « من الحقيقة » .

(٢) مغلّ ، أى خالياً . ورسمت في النسختين : « مغلّا » .

(٣) التكملة من ش .

(٤) ش : « أم كيف » صوابه في ط .

وأشار في الوجه الثالث إلى أنَّ ما مصدرية ، وعليه يكون ضمير به عائداً إلى البوّ المفهوم من المقام .

وقد اعترض الدماميني على مستند ابن الشجرى في إنكار الرفع بأنّه قد يلتزم ولا محذور فيه ، لأنّ الفعل المتعدّى قد يكون الغرض إثباته لفاعله أو نفيه عنه فقط ، فينزّل منزلة اللازم ، ولا يقدر له مفعول ، تقول : فلان يعطى ، أى يفعل الإعطاء ، فلا تذكر للفعل مفعولاً ولا تقدّره ، لأنّ ذلك يُخلّ بالغرض . واعتبار هذا المعنى في البيت ممكن .

واعترض عليه ابن الحنبلى بأنّ اعتبار هذا المعنى ممكنٌ في نفسه ، وأمّا في البيت فلا ، لأنّه مخلّ بالغرض ، إذ الغرض إثبات عطية لها لا وصفها بالإعطاء فقط . على أنّا نقول : المتعدّى وإنْ نزل منزلة اللازم لا يتحقق مضمونه إلّا بمفعولٍ في نفس الأمر ، فإذا لم يكن لها عطيةٌ إلّا الرئمان ، وقد صار مُعطى به لإبداله من ما أو ضميرها ، لم يتحقّق الإعطاء فضلاً عن أن يُنزّل فعله منزلة اللازم . إلّا أن يقال هو ممكنٌ إذا فرض مفعولٌ تعطى اللبن ، لتحقق سبب إعطائها إيّاه . وإنْ لم تعتبر هى ذلك السبب حتّى ضنّت به ، كمن توفّرت لديه دواعى الكرم فلم يلتفت إليها وبقي على بُخله . فلمّا ضنّت به ظهر إنّ عطيتها لم تكن في الحقيقة إلّا الرئمان . انتهى .

٤٦٠

وقد منع هو الإحلاء المذكور بتقدير مفعول لتعطى ، وهو رئمان آخر . والتقدير : أم كيف ينفع بوّ تعطى العلوق بسببه الرئمان رئمائه . ولا يخفى أنّ هذا تكلف . ودعوى تضمين تعطى بتجود ، كما صنع ابن جنى ، صحيح المحمل قليل المؤنة .

وقول ابن الشجرى : وهو بدل الاشتغال ويحتاج إلى تقدير ضمير . أقول : إذا جرّ على البدلية من الهاء يكون أيضاً محتاجاً إلى الضمير .

وقول الدماميني : لا يتعين بدل الاشتغال بل هو بدل كل فلا يحتاج إلى ضمير ، لا يصح ؛ لأن ما عند ابن الشجري عبارة عن البوّ ، وإنما يصح على جعل ما واقعة على الرئمان .

وجه كون الجر أقرب إلى الصواب عند ابن الشجري : أنه يصير معمولاً لتعطى بالبدلية ، وقيل لكونه غير محتاج إلى الضمير الرابط . وفيه أنه لا بد منه كما ذكرنا ، فلا يصح هذا التوجيه .

وأفنون شاعر جاهلي ، يروى بضم الهمزة وفتحها وسكون الفاء ونونين .
قال أبو عمرو الشيباني : أفنون لقب له ، لقوله من قطعة :

مَنِّيْنَا الْوُدَّ يَامْضُنُونُ مَضْنُونَا أَيَّامَنَا إِنَّ لِلشُّبَّانِ أَفْنُونَا^(١)

واسمه كما قال أبو عمرو، وابن الأنباري^(٢) ، وابن قتيبة (في كتاب الشعراء^(٣)) : صريم بن معشر بن ذهل بن تيم بن مالك بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وقالوا :

كان من خبره أنه لقي كاهناً فسأله عن موته ؛ فقال : تموت بمكان يقال له إلاه بكسر الهمزة . فمكث ما شاء الله ثم سار إلى الشام في تجارة ، ثم رجع في ركب من بني تغلب فضلوا الطريق ، فلحقوا إنساناً فاستخبروه ، فنعت لهم ، فقال في نعتة : إذا رأيتم إلهة حتى^(٤) لكم الطريق - وإلهة : قارة بالسماوة - فلما أتوها نزل أصحابه وقالوا له : انزل . فقال أفنون : والله لا أنزل . فجعلت ناقته

(١) وكذا في سمط اللآل ٦٨٥ والمزهر ٢ : ٤٣٥. وفي المؤلف ١٥١ : « يا مضمون مضمونا » .

(٢) ط : « أبو عمرو بن الأنباري » ، صوابه في ش .

(٣) الشعراء ٤١٩ .

(٤) حتى يحى ويحيا ، أى ظهر واستبان هنا . وفي ط : « حبا » صوابه في ش مع أثر تصحيح .

ترتعى عَرْفَجاً ، فلدغتها أفعى فى مِشفرها ، فاحتكَّت بساقه والحية متعلقة
بمِشفرها ، فلدغته فى ساقه ، فقال لأخ معه : احفر لى قبراً فأئنى ميت . ثم رفع
صوته بأبيات منها (١) :

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقى إذا هو لم يجعل له الله واقيا
كفى حزناً أن يرحل الحي غُدوةً وأصبح فى أعلى الإهة ثاوبا

* * *

وأنشد بعده :

(لو بغير الماءِ خلقى شرقٌ كنتُ كالغصَّانِ بالماءِ اعتصارى)
على أن الجملة الاسمية وهى (خلقى شرق بغير الماء) واقعة موضع الجملة
الفعلية ، وهى شرق خلقى ، لأنَّ لو مختصة بالفعل .
وقد تقدَّم الكلامُ عليه مفصلاً فى الشاهد التاسع والخمسين بعد
الستائة (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد التسعمائة (٣) :

٤٦١

٩٠٧) سواءً عليك اليوم أنصاعتِ النوى
بخرقاء أم أنحى لك السيف ذابح (٤)

(١) الشعراء والمفصليات ٢٦١ والمؤتلف ١٥١ .

(٢) الخزانة ٨ : ٥٠٨ - ٥١٣ .

(٣) المقتضب ٣ : ٢٩٨ وديوان ذى الرمة ٩٩ .

(٤) كتب الشنقيطى بقلمه تعليقا : « قلت صوابه بصيداء ، لا بخرقاء » . وانظر ما سأتى من تعليق
البغدادى . على أن الذى فى الديوان هو « بصيداء » التى تكرر اسمها فى هذه القصيدة أكثر من خمس مرات .

على أنَّ الفعل بعد همزة التسوية وأمْ ، يُسْتَهْجَن أن لا يكون ماضياً ، كما في البيت . ومن المستهجن وقوع الجملة الاسمية كقول الشاعر .

وقد أنشد الفراء عند تفسير قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾^(١) :

سَوَاءٌ إِذَا مَا أَصْلَحَ اللَّهُ أَمْرَهُمْ عَلَيْنَا أَدْتَرُ مَا لَهُمْ أَمْ أَصَارُمْ^(٢)

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

والبيت من قصيدة لذي الرُّمَّة مطلعها :

(أَمِنْ دِمْنَةٍ جَرَّتْ بِهَا ذَيْلُهَا الصَّبَا لَصِيدَاءَ ، مَهَلًا ، مَاءُ عَيْنِيكَ سَافِح)

قال شارح ديوانه : يريد أماء عينيكَ سافح ، أى سائلٌ من أجل دمنَةٍ لصيداء . ثم قال : مَهَلًا ، أى لا تبك . وذَيْلُ الرِّيح : أواخرها . إلى أن قال :

(أَصِيدَاءُ هَلْ قَيْظُ الرَّمَادَةِ رَاجِعٌ لِيَالِيهِ أَوْ أَيَّامُهُنَّ الصَّوَالِحُ)

يقول : هل ذاك القَيْظُ الذى قَظَنَاهُ بِالرَّمَادَةِ رَاجِعٌ ، لِأَنَّهُ رَأَى فِيهِ مَا يَسْرُهُ .

(عَدَا النَّأْيُ عَنْ صِيدَاءَ حِينًا وَقُرْبُهَا لَدَيْنَا ، وَلَكِنْ لَا إِلَى ذَاكَ ، رَابِع)

وقوله : « عَدَا النَّأْيُ » ، أى صَرَفَ وجوهنا عن صيداء . ومنه : عدانى عنه كذا وكذا ، أى صرفنى . ثم قال : وَقُرْبُهَا لَدَيْنَا رَابِعٌ ، أى ذو ربح ، ولكن لا إلى ذلك سَبِيلٌ .

(سَوَاءٌ عَلَيْكَ ابْيَوْمَ أَنْصَاعَتِ النَّوَى بِصِيدَاءِ أَمْ أَنْحَى لَكَ السَّيْفَ ذَابِح)

(١) الآية ١٩٣ من سورة الأعراف . وانظر معاني الفراء ١ : ٤٠١ .

(٢) الأصارم : جمع أصرام ، وأصله أصاريم فحذف الياء للشعر . والأصرام : جمع صرم بالكسر وهى القطعة من الإبل القليلة . وأما الدر ، بالفتح ، فهو المال الكثير .

قال شارحه : أنصاعت النوى ، أى انشقت وذهبت بها النية ^(١) إلى مكان بعيد ، أم أنحى لك السيف ذابح ، يريد : أم قصد لك بالسيف ذابح . فهو سواءً عليك . انتهى . وعليك متعلق بسواء . وفى الصحاح : وانصاع ، أى انفتل راجعاً ومراً مُسرِعاً . وقوله « أنصاعت » بفتح الهمزة ، وهى همزة الاستفهام ، وأصله أنصاعت ، فحذفت الثانية لكونها همزة وصل . والنوى والنية : الوجه الذى يتوهم المسافر من قُرب أو بُعد . وهى مؤنثة لا غير . وقوله : « بصيداء » متعلق بانصاعت .

وصيداء : اسم امرأة شَبَّ بها ذو الرمة فى هذه القصيدة ، وصرَّح باسمها فى عدة أبيات . وكذا رأيت فى نسختين من ديوانه . وذكرها الصَّاعى (فى العباب) وأورد البيت . وقد وقع فى نسخ الشرح : « بحرَّاء » بدلها . وخرقاء : لقب مئة التى غالبُ شعره فيها . وكأنَّ الشارح نقله من (كتاب الشعر لأبى على) فإنه أنشده فيه كما هنا .

و (أنحى لك) ، أى قصد نحوك وجانبك . و (ذابح) : اسم فاعل من الذَّبح ، وهو قطع الحلقوم .

وترجمة ذى الرُّمة تقدَّمت فى الشاهد الثامن من أوَّل الكتاب ^(٢) .

* * *

(١) ط : « المنية » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح ، ويؤيده الشرح التالى .

(٢) الخزائن ١ : ١٦ - ١١٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد التسعمائة وهو من شواهد س^(١) :

٩٠٨ (ما أبالي أنب بالحزن تيس أم لحاني بظهر غيب لقيم)

لما تقدّم قبله . وأنشده (فى باب أو) ، على أن أم فى البيت واقعة فى موقعها ، ولا يجوز أو .

وقال : وتقول أتضرب زيدا أو تشتم عمرا ؟ إذا أردت : هل يكون شئ من هذه الأفعال . وإن شئت قلت : أتضرب عمرا أم تشتم زيدا ؟ على معنى أيهما . ٤٦٢
قال حسّان :

* ما أبالي أنب بالحزن تيس * ... البيت .

كأنه قال: أى الفعلين كان . انتهى .

قال الأعلام : الشاهد فى دخول أم عديلة للألف . ولا يجوز أن تدخل أو هنا ، لأنّ قوله « ما أبالي » يقتضى التسوية بين شيئين . والمعنى : قد استوى عندى نيبُ التيس بالحزن ونيلُ اللقيم من عرضي بظهر الغيب . ونيبُ التيس : صوته عند هياجه . والحزن : ما غلظ من الأرض . وخصه لأنّ الجبال أخصبُ للمعز من السهول . انتهى .

والبيت من قصيدة لحسان بن ثابت الصّحابى ، قالها فى غزوة أحد . قال السهيلي (فى الروض الأنف) : وهذه القصيدة من أجود شعره ، وقالها حسّان ليلاً ونادى قومه : أنا أبو الحسام ، أنا أبو الوليد ! وهما كُنتان له ، ثم أمرهم أن يرووها

(١) فى كتابه ١ : ٤٨٨ . وانظر شرح أبياته لابن السيرافى ٢ : ١٤٧ والمقتضب ٣ : ٢٩٨ والأزهية

١٣٣ وابن الشجرى ٢ : ٣٣٤ والمعنى ٤ : ١٣٥ والأشباه والنظائر ٤ : ٦ ودبوان حسان ٣٧٨ .

عنه قبلَ النَّهَارِ مخافة أن يَعَوْقَهُ عَائِقٌ ^(١) . فَخَرَّ فِيهَا عَلَى ابْنِ الزَّيْعَرَى بِمَقَامَاتٍ لَهُ
عند ملوك الشام من أبناء جَفْنَةَ ، افْتَكَّ فِيهَا عُنَاءً من قومه ، وذكر مَقَامَ خَالِهِ عند
النُّعْمَانِ الغَسَّانِيِّ من آل جَفْنَةِ ، وذكر فِيهَا حُمَاةَ اللِّوَاءِ من بنى عبد الدار ،
وَأَنَّهُمْ صَرَّعُوا حَوْلَهُ حَتَّى أَخَذَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ ، وَهِيَ عَمْرَةٌ بِنْتُ عُلْقَمَةَ ، فلذلك
قال :

لَمْ تُطِيقْ حَمَلُهُ الْعَوَاقِقُ مِنْهُمْ . إِنَّمَا يَحْمِلُ اللِّوَاءَ النُّجُومُ انْتَهَى
وهذا أول القصيدة :

(مَنَعَ النَّوْمَ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ)	وخيَالٌ إِذَا تَغَوَّرَ النُّجُومُ
مِنْ حَبِيبٍ أَصَابَ قَلْبَكَ مِنْهُ	سَقَمٌ فَهُوَ دَاخِلٌ مَكْتُومٌ
يَا لَقَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي	وَاهُنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَكُومُ
هَمُّهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَعْلُو	هَا لُجَيْنٌ وَلَوْلُوٌ مَنْظُومُ
لَوْ يَدُبُّ الدَّيْبُ مِنَ وَلَدِ الدَّ	رَ عَلَيْهَا لِأَنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ ^(٢)
لَمْ تَفْقُهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ	غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ
إِنَّ خَالِي خَطِيبُ جَابِيَةِ الْجَوِّ	لَآلٍ عِنْدَ النُّعْمَانِ حِينَ يَقُومُ
وَأَبِي فِي سُمَيْجَةِ الْقَائِلُ الْفَا	صَلُّ يَوْمَ التَّفَتِّ عَلَيْهِ الْخُصُومُ ^(٣)
وَأَنَا الصَّقَرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَلَمَى	يَوْمَ نَعْمَانُ فِي الْكُبُولِ مَقِيمُ
وَأَبِي وَوَاغْدُ أَطْلُقَا لِي	ثُمَّ رُحْنَا وَقَفْلُهُمْ مَحْطُومُ

(١) الروض الأنف ٢ : ١٦١ . لكن في اللسان (غطا ٣٦٦) عن ابن الأعرابي أن حسان إنما نادى قومه ، لرواية بيت واحد من هذه القصيدة ، وهو :

رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم

(٢) في الديوان ٣٧٧ : « لو يدب الحولى » ، وهو ما أتى عليه حول .

(٣) في الديوان : « في سميحة » بالخاء ، وهو الصواب كما في المعاجم اللغوية والبلدانية ، لكن البغدادى قيدها بالجيم في الشرح ، فلذا أبقيتها على خطتها .

وَسَطْتُ نَسَبِي الدَّوَابَّ مِنْهُمْ كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيمٌ
رَبٌّ حَلِيمٌ أَضَاعَهُ عَدُوُّ الْمَا لَ وَجْهٍ غَطَى عَلَيْهِ النَّعِيمُ^(١)
مَا أَبَالِي أَنْبً بِالْحَزْنِ تَيْسٌ أَمْ لِحَانِي بظَهْرِ غَيْبٍ لَيْثٌ
تِلْكَ أَفْعَالُنَا وَفِعْلُ الزُّبَيْرَى خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومٌ

قال جامع ديوانه محمد بن حبيب (برواية السكري عنه) : الجَوْلَانُ بالجيم
من عمل دِمَشْقَ على طريق مصر . وَسُمِّيَجة بضم السين وفتح الميم والجيم : بئر
بالمدينة كانت للأوس والخزرج ، تحاكت عندها إلى جدّه المنذر بن حَرَام . وأراد
بابي سلمى النُّعْمَانُ بن المنذر اللَّخْمِي . ونُعْمَانُ هذا الذي ذكره نعمان بن
مالك ، كان حبسه النعمان بن المنذر ، فوَفَدَ فيه وفي غيره حَسَّانَ فَأُطْلِقُوا له . ٤٦٣
وأبىُّ هو ابن كعب ، من بنى النُّجَار : و « وافد » هو ابن عمرو بن الإطنابة ، من
بنى الخزرج . وقوله : « وَجْهٌ غَطَى عَلَيْهِ النَّعِيمُ » غَطَى يَغْطِي غَطْيًا . ومنه يقال
غَطَى الليل ، إذا ستر كلَّ شيء فهو غَاظٌ . و « الزُّبَيْرَى » هو السَّهْمِي . وكان
ابن الزُّبَيْرَى يُهَاجِي حَسَّانَ . انتهى .

قال السُّهَيْلِي : غَطَى بتخفيفٍ ، أنشده يونس بن حبيب ، ومعناه علا
وارتفع^(٢) .

وكذا أنشد هذه القصيدة عبدُ الملك بن هشام في غزوة أحد من سيرته^(٣) وزاد
بيتاً بين قوله : « رَبِّ حَلِمٌ » ... البيت ، وبين قوله : « مَا أَبَالِي أَنْبً » البيت . وهو :

(١) غطى ، بالطاء المفتوحة الخفيفة ، كما قيده البغدادى في الشرح اعتماداً على نقل السهيلي عن
يونس بن حبيب .

(٢) الروض الأنف ٢ : ١٦١ وأنشد لذلك عن ابن قتيبة :

وَمِنْ تَعَاجِبِ خَلْقِ اللَّهِ غَاطِيَةٌ يُعَصِّرُ مِنْهَا مُلَاحِيٌّ وَغَرِيبٌ

(٣) السيرة ٦٢٥ - ٦٢٦ في غزوة أحد .

لا تُسَبِّتَنِي فَلَسْتُ بِسَيِّئٍ إِنْ سَيِّئٌ مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ

والسَّبُّ ، بالكسر : الذى يُسَابُّكَ ، وهو نظيرُكَ فى المنزلة .

وزعم الأسودُ أبو محمد الأحمريُّ أَنَّ هذا البيتَ مع ما بعده ليسا من شعره ، وإنَّما هما لابنه عبد الرحمن بن حسان ، وقال : هجا عبد الرحمن بن حسان ، مسكين بن عامر الدارمي ، بثلاثة أبياتٍ وهى :

أيُّها الشَّاتِمى لِيُحَسِّبَ مِثْلِي إِنَّمَا أَنْتَ فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ
لا تُسَبِّتَنِي فَلَسْتُ بِسَيِّئٍ البيت
ما أبالى أَنْبَّ بِالْحَزَنِ تَيْسَ البيت

وأورد ابن الحاجب (فى أُماليه على أبيات المفصل) هذه الأبيات الثلاثة كذا عن ابن الأعرابى ، غيرَ معزَّوةٍ إلى أحد ، وقال : هجا الشاعر بهذا الشعر مسكين بن عامر الدارمي . ومعناه : إِنَّكَ عالمٌ بأنَّ قدركَ دونَ قدرى ، وأَنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَسَابُّنِي ، وإنَّما تفعل ذلك لِتُظْهِرَ بالمشائمة أَنَّ هناك مُمَائِلَةً ، مع علمك بخلافه . ثم ردَّ فى عجز البيت هذا الغرض الذى قصده ، فقال : إِنَّمَا أَنْتَ فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ . يعنى أَنَّ المشائمة إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ بها على الممائلة عند تقاربِ الشخصين ، فأما عند التباعد فَلَا . فجعله فى فعله الذى لا يتمُّ به الغرضُ المقصودُ عند العقلاء ، كركوبه التعاسيف التى تضرُّ ولا تنفع ، ولذلك قال : « تهيم » يقال : هَامَ على وجهه ، إذا سلك غيرَ الطريق .

وموضع استشهاد الزمخشري فى قوله : « الشَّاتِمى » فى صحة إضافة ما فيه الألف واللام إلى المضمر المتصل . ومفعول ما لم يسمَّ فاعله مضمرٌّ مستترٌ يعود على الشَّاتِمى ، لأنَّه بمعنى الذى يشتمنى . وهو وإن كان مخاطباً إلاَّ أَنَّهُ لَمَّا وصفه

بالموصول أجرى الضمير على لفظ الغيبة ، كقولك : أنت الذى ضرب . وهو أحسن من : أنت الذى ضربت . انتهى .

وتقدّمت ترجمة حسان فى الشاهد الحادى والثلاثين من أوائل الكتاب .

تتمة

فى قولهم : لا أبالى ، قال صاحب المجمل : اشتبه على اشتقاق أبالي ، حتّى قرأت فى شعر ليل الأحيلىّة :

تَبَالَى رَوَايَاهُمْ هُبَالَةً بعدما وَرَدَنَ وَجُولَ الْمَاءِ بِالْجَمِّ يَرْتَمَى ^(١)
فَسَرُّوا التَّبَالَى بالتبادُر إلى الاستقاء ^(٢) من قَلَّةِ الْمَاءِ . فلعلّه منه ، أى لا أُبادِر إلى اقتنائه ولا أعتدُّ به .

وقال المرزوقى : هو مفاعلة من البلاء ، أى لا أحتفل به حتّى أعادّه بلائى وبلاءه وأفاخره . وحكى سيويه : ما أباليه بآلة كحالة ، وأصله بالية ، فحذفت ياءه . وذهب غيره إلى أنه مقلوب ، وألفه منقلبة عن واو وأصله أباول ، أى أكاثِر ، من قولهم : فلان كثير البول ، أى الولد .

و (فى النهاية لابن الأثير) : ويقال : ما باليته وما باليت به ، أى لم أكثِرْ

به . ومنه الحديث : « هؤلاء فى الجنة ولا أبالي » .

٤٦٤

(١) المجمل ١ : ٩٣ ومعجم ما استعجم ١٣٤٤ ومزهر السيوطى ١ : ٣٥٢ . وقد أثبت البيت فى ديوان ليل ١١٧ . وفى ط : « تبالة » صوابه فى ش والمراجع السابقة . وهبالة ، بالضم : ماء لبنى عقيل . وفى النسختين والديوان والمزهر : « وحول » بالحاء المهملة ، صوابه فى المجمل ومعجم ما استعجم . والجول بالضم والجال أيضا : جانب الوادى والبحر . وجالا الوادى : جانباه . وفى النسختين أيضا : « ترتعى » صوابه بالياء كما فى المجمل ومعجم ما استعجم ، والمزهر ، والديوان . وفى المجمل أيضا : « ويرى » : وحول البئر . (٢) ونحوه فى المزهر ، لكن الذى فى المجمل : « التبالى : المباراة بالاستقاء ، يقال تبالى القوم ، إذا تباروا الماء فاستقوا » .

حكى الأزهري عن جماعة من العلماء أنَّ معناه لا أكره . ومنه حديث ابن عباس : « ما أباليه بالة » ، وأصله بالية مثل عافاه الله عافية ، فحذفوا الياء منها تخفيفا ، كما حذفوا من لم أبُل . انتهى .

فجملته « أنبَّ بالحزن تيس » معلق عنها العامل بالاستفهام . وهي إمَّا في موضع المفعول المسرَّح أو المقيد بحرف الجر .

* * *

وأنشد بعده :

(فَإِنَّكَ لَا تُبَالِي بَعْدَ حَوْلٍ أَظْبَىٰ كَانَ أُمِّكَ أَمْ حِمَارُ)

وتقدّم شرحه في الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة ^(١) وفي الشاهد الثاني والاربعين بعد السبعمائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده قول ابن سناء ، وهو الشاهد التاسع بعد التسعمائة :

٩٠٩ (سَيَّانٍ عِنْدِي إِنْ بُرُّوا وَإِنْ فَجَرُوا فَلَيْسَ يَجْرِي عَلَىٰ أَمْثَالِهِمْ قَلَمٌ)

على أنَّ قوله : (سَيَّانٍ عِنْدِي) دليل جواب الشرط الذي بعده ، أى إِنْ بُرُّوا وَإِنْ فَجَرُوا فهما سَيَّان .

وفي هذا التركيب تقوية لقولهم : سواء أقمّت أم قعدت ، وقولهم : لا أبالي أقمّت أم قعدت ، في تقدير الشرط ودليل الجواب . والمعنى : إِنْ قَمَّتْ أَوْ قَعَدَتْ فالأمران سواء ، وإن قمت أَوْ قعدت فلا أبالي بهما .

(١) الخزانة ٧ : ١٩٢ - ١٩٧ .

(٢) الخزانة ٩ : ٢٩٢ - ٢٩٤ .

ولا يخفى أن كلام ابن سينا كما لا يصح الاستشهاد به لا يصح التقوية به . على أنه لا يلزم من كون شيئين متفقين معنى اتفاقهما إعرابا .

وكأن الشارح المحقق لم يستحضر قول الفرزدق :

لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم سيان ذلك إن أثروا وإن عَدَمُوا
ولو استحضره ما عدل عنه .

وهو بيت من قصيدة مشهورة مدح بها الإمام زين العابدين ابن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

روى السيد الأجلّ علّم الهدى المرتضى (في أماليه) ، أن هشام بن عبد الملك حجّ في خلافة عبد الملك أو الوليد ، فطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر ، فلم يقدر عليه من الزحام ، فنصب له منبرٌ فجلس عليه ، وأطاف به أهل الشام ، فبينا هو كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين ، وعليه إزار ورداء ، أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم رائحة ^(١) ، فجعل يطوف بالبيت ، ولمّا بلغ إلى موضع الحجر الأسود تنحّى الناس عنه حتّى يستلمه ، هيبةً منه وإجلالاً له ، فغاض ذلك هشاماً ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي هابه الناس ؟ فقال هشام : لا أعرفه ! لئلا يرغب فيه أهل الشام . فقال الفرزدق وكان حاضراً : أنا أعرفه . فقال الشامى : من هو يابا فراس ؟ فقال مرتجلاً ^(٢) :

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقيّ التقيّ الطاهر العلّم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم
إذا رأيته قريشٌ قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

(١) في أمالي المرتضى ١ : ٦٩ : « وأطيبهم ريحاً ، بين عينيه سجادة كأنها ركة عنز » .

(٢) هذا التعبير ليس من كلام المرتضى بل هو استنباط من البغدادى .

يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانًا رَاحَتِهِ
يُعْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
مَشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبْعَتُهُ
اللَّهُ شَرَفَهُ قَدَمًا وَفَضَّلَهُ
يَنْشُقُ ثَوْبُ الدُّجَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ
سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهِيدِهِ
مِنْ مَعَشَرِ حُبُّهُمْ دِينٌ ، وَيُغْضِيهِمْ
مَقْدَمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللَّهِ ذِكْرَهُمْ
إِنْ عُدَّ أَهْلُ التَّقَى كَانُوا أُمَّتَهُمْ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمْ
لَا يَنْقُصُ الْعُسْرُ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ
فَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بَضَائِرِهِ
مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرُ أَوْلِيَّةَ ذَا

رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَيْتَسِمُ
طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَالْخِيَمُ وَالشَّيْمُ (١)
جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الْقَتَمُ
يَزِينُهُ اثْنَانِ : حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْكَرَمُ
لَوْلَا التَّشْهَدُ لَمْ يَنْطِقْ بِذَاكَ فَمُ
كُفَّرَ ، وَقُرْبُهُمْ مَنَجَّى وَمُعْتَصَمُ
فِي كُلِّ بَدِئٍ وَمَخْتَوِمٍ بِهِ الْكَلَمُ
أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ
وَلَا يَدَانِيَهُمْ قَوْمٌ وَإِنْ كُرُمُوا
سَيَّانِ ذَلِكَ إِنْ أَثَرُوا وَإِنْ عَدِمُوا
بَجْدَهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ حُتِمُوا
الْعَرَبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ
فَالدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

وهي أكثر مما كتبت . قال : فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان ،

(١) هذا البيت وتاليه لم يردا في الأمالي ، وروى مكانهما :

أَيُّ الْقِبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لَأَوْلِيَّةُ هَذَا أَوْلَاهُ نَعْمُ
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّةَ ذَا فَالْدِّينُ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

وهما البيتان الأخيران من هذه القصيدة . فلعل مارواه البغدادى قد سقط من بعض نسخ الأمالي .

بين مكة والمدينة ، فبلغ ذلك زين العابدين ^(١) ، فبعث إليه باثنى عشر ألف درهم ، وقال : اعذر يابا فراس ، لو كان عندنا هنا أكثر منها لوصلناك بها . فردّها الفرزدق وقال : يا ابن رسول الله ، ما قلت الذى قلته إلا محبةً فى الله ورسوله ، لا طمعاً فى شيء . فردّها إليه زين العابدين ، وأقسم عليه بقبولها ، وقال له : قد رأى الله مكائك وعلم نيتك ، ونحن أهل بيت إذا أنفدنا شيأ لم نرجع فيه . فقبلها وهجا هشاماً وهو فى الحبس ، فمما هجاه به قوله :

ويحبسنى بين المدينة والتى إليها رقاب القوم يهوى مُنيبها ^(٢)
يقلّب رأساً لم يكن رأس سيّد وعيناً له حولاء بادِ عيوبها
وكتبت هذه الأبيات رغبةً فى الثواب ، وإنما الأعمال بالنيات .

وأما بيت ابن سينا فهو من قصيدة طويلة مطلعها :

(يا ربّ نكرك الأحداث والقِدمُ فصار عينك كالآثارِ تُتهمُ
كأنّما رسمك السرّ الذى لهمُ عندى ونوئيك صبرى الدارسُ الهرمُ ^(٣)
كأنّما سُفعة الأثفى باقيةً بين الرياض قطعاً جونيةً جُثمُ ^(٤)
ألاً بكاه سحابٌ دمه هَمِجُ بالرعد مُزدفر ، بالبرق مبتسمُ

(١) فى أمالى المرتضى : « على بن الحسين عليهما السلام » . وزين العابدين لقب له كما أن كنيته « أبو الحسن » . وهو المعروف بعلى الأصغر ، تميّز بينه وبين أخيه الأكبر على بن الحسين الذى قتل مع أبيه الحسين بكربلاء . وعلى الأصغر هذا توفى سنة ٩٤ . وليس للحسين السبط عقب إلا منه . وفيات الأعيان ١ : ٣٢٠ .
(٢) فى الأمالى : « تحبّسنى » و : « إليها رقاب الناس » . وفى الأغاني ١٤ : ٧٦ : « أبحبسنى » ، و : « إليها قلوب الناس » .

(٣) النوى : حفرة حول الحباء تمنع ماء المطر أو السيل . ط : « ونوئيك » ، صوابه فى ش وابن أبى أصيبعة ٤٤٧ فى ترجمة ابن سينا .

(٤) الأثفى : جمع أثفية ، وهى أحد الأحجار الثلاثة التى تنصب عليها القدر . ولم أجد لجمعها إلا الأثافى . ط : « الأثفاء » ، صوابه فى ش وابن أبى أصيبعة .

لَمْ لَا يَجُودُ سَحَابٌ جُودَهُ دِيمٌ
 لَيْتَ الطَّلُولُ أَجَابَتْ مَنْ بِهِ أَبْدَأُ
 أَوْ عَلَّهَا بِلِسَانِ الْحَالِ نَاطِقَةً
 مَالِي أَرَى حِكْمَ الْأَفْعَالِ سَاقِطَةً
 مَالِي أَرَى الْفَضْلَ فَضْلاً يُسْتَهَانُ بِهِ
 جَوَلْتُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَزُحْرُفُهَا
 الْوَاجِدُونَ غَنَى الْعَادِمُونَ نُهَى
 لَيْسُوا وَإِنْ نَعِمُوا عَيْشاً سَوَى نَعِيمٍ
 كَجِيفَةِ دَوْدَتْ فَالْدُّودُ مَنْشُوءُ
 سَيَّانٍ عِنْدِي إِنْ بَرُّوا وَإِنْ فَجَرُوا
 لَا تَحْسُدْنَهُمْ إِنْ جَدَّ جِدُّهُمْ
 أَسْكَنْتُ بَيْنَهُمْ كَاللَّيْثِ فِي أَجَمٍ
 بَأَى مَآثِرُهُ يَنْقَاسُ بِي أَحَدٌ
 إِنِّي وَإِنْ كَانَتْ الْأَقْلَامُ تَخْدُمُنِي
 قَدْ أَشْهَدُ الرَّوْعَ مَرْتَعاً فَأُكْشِفُهُ
 الضَّرْبُ مُحْتَدِّمٌ وَالطَّعْنُ مُنْتَظِمٌ

من الدُّمُوعِ الْهَوَامِي كُلُّهُنَّ دُمٌ
 فِي حَبِّهِمْ صِحَّةٌ فِي حَبِّهِمْ سَقَمٌ
 قَدْ يُفْهِمُ الْحَالُ مَا لَا يُفْهِمُ الْكَلِمُ
 وَأَسْمَعُ الدَّهْرَ قَوْلاً كُلَّهُ حِكْمٌ
 قَدْ أَكْرَمَ التَّقْصُّ لَمَّا اسْتَنْقَصَ الْكِرْمُ
 عَيْنِي فَمَا لَقَيْتُ دَاراً بِهَا أَرُمُ (١)
 لَيْسَ الَّذِي وَجَدُوا مِثْلَ الَّذِي عَدِمُوا
 وَرُبَّمَا نَعِمْتُ فِي عَيْشِهَا النَّعَمُ
 فِيهَا ، وَمِنْهَا لَهُ الْأَذْرَاءُ وَالطُّعْمُ (٢)
 فَلَيْسَ يَجْرِي عَلَى أَمْثَالِهِمْ قَلَمٌ
 فَالْجَدُّ يُجِدِّي وَلَكِنْ مَالُهُ عَصُمٌ
 رَأَيْتُ لَيْثاً لَهُ مِنْ جَنْسِهِ أَجْمٌ
 بِأَى مَكْرَمَةٍ تَحْكِيضِي الْأُمُ
 كَذَاكَ يَخْدُمُ كَفَى الصَّارِمُ الْخِذْمُ
 إِذَا تَنَآكَرَ عَنْ تَيَّارِهِ الْبُهِمُ (٣)
 وَالْدَّمُ مَرْتَكِمٌ وَالْبَأْسُ مُغْتَلَمٌ (٤)

(١) يقال ما بالدار أرم على وزن حذر ، وبالتحريك أيضا ، وآرم على زنة فاعل ، وأريم وأرمي كعيني ويحرك ، وأيرمي ، أى ما بها أحد . وعند ابن أبي أصيبعة : « فألفيت دارا » ، وما هنا صوابه .

(٢) الأذراء : جمع ذرى ، وهو الكين . وفي النسختين : « الأزرأ » بالزاي ، تحريف . وعند ابن أبي أصيبعة : « الأزرأ » : جمع رزء ، وهو مقدار ما يصيبه من طعام .

(٣) تناكر الأمر : كرهه . والبهيم : جمع بهمة ، بالضم ، وهو الشجاع والفارس الذى لا يدري من أين يؤتى له ، لشدة بأسه . وعند ابن أبي أصيبعة : « مرتاحا فأكشفه » .

(٤) الدم ، بتشديد الميم : لغة في الدم بتخفيفها . ومنه قول أبي خراش (سكري ١٢٢٣) :

إذا ذكرته العين أغرقها البكا وتشرق من تهماها العين بالدم

والجُوُّ يافُوخُه من نَقَعِه قَتَّرُ والأفُقُ فُسطاطُه من سَفَكِهِم قَتَمُ
والبيض والسمر حُمَرٌ تحت عَثِيرِهِ والموتُ يَحْكُمُ والأبطالُ تَحْتَصِمُ
وأعدُلُ القَسَمِ في حرى وحرِبِهِمُ مِنْهُمْ لَنَا غُنَمٌ ، مَنَّا لَهُمُ غُرْمُ
أَمَّا البلاغَةُ فاسألْنِي الحَبِيرَ بها أَنَا اللِّسَانُ قَوِيماً ، وَالزَّمانُ قَمُ
لا يَعْلَمُ العِلْمَ غَيْرِي مَعْلَماً عَلَماً لأَهْلِهِ ، أَنَا ذاكَ العالَمَ العِلْمُ
كانت فتاةُ عُلومِ الحَقِّ عاطلةً حتَّى جلاها بشرجى الفَهْمُ والقَلْمُ
وهى طويلة ، ولكنْ يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق .

ابن سينا

وابن سينا ^(١) هو الرئيس أبو علي ، واسمه الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور . وكان أبوه من أهل بَلخ ، وانتقل منها إلى بخارى ، وكان من العمَّال والكُفَّاة ، وتولَّى العملَ بقريةٍ من ضياع بُخارى يقال لها خَرَمَيْثَن ^(٢) من أمَّهات قُرَاها ، وبها وُلِدَ الرئيس في سنة سبعين وثلثمائة ، في شهر صفر . وتُوَفِّيَ بهَمَدَان في يوم الجمعة من شهر رمضان ، من سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، ودفن بها . وقال ابن الأثير (في تاريخه الكبير) : بأصبهان . والأول أشهر . ثم انتقل أبوه إلى بخارى . وانتقل الرئيس في البلاد ، واشتغل بالعلوم وحَصَّلَ الفنون . ولمَّا بلغ عشر سنين كان قد أتقنَ علم القرآن العزيز والأدب ، وحفظ أشياء من أصول الدين ، وحِساب الهندسة ، والجبر والمقابلة ، ثم توجَّه نحوهم الحكيمُ أبو عبد الله الناتلي ، فأنزله أبو الرئيس عنده ، فقرأ عليه الرئيس إيساغوجي ، وأحكم عليه علم

(١) ش : « سينا » بالمد في هذا الموضع وتاليه ، وهو يطابق ضبط ابن خلكان له في الوفيات ١ :

١٥٤ حيث ذكر أنه آخره ألف ممدودة .

(٢) خرميش ، يفتح الحاء والميم والثاء وآخره نون ، ذكر ياقوت أنها من قرى بخارى . وهى عند ابن

خلكان ١ : ١٥٢ « خرميشنا » . وذكر ابن خلكان والقفطى أن والدة ابن سينا من قرية يقال لها « أفشنة » -

بورن أربعة - بالقرب من خرميشنا . وفي النسختين هنا « خريش » ، صوابها من معجم البلدان وطبقات الأطباء

لابن أبى أصيبعة ٤٣٧ . وقد حُرِفَتْ في إخبار العلماء للقفطى ٢٦٩ إلى « خرميشن » بالشين .

المنطق ، وأقليدس ^(١) ، والمجسطي ^(٢) ، وفاقه حتى أوضح له رموزاً وفهمه إشكالات لم يكن الناطلي يديرها ^(٣) . وكان مع ذلك يختلف في الفقه إلى إسماعيل الزاهد ، ويبحث وينظر . ولما توجه الناطلي نحو خوارزمشاه اشتغل أبو على بتحصيل العلوم ، الطبيعي والإلهي وغير ذلك ، وفتح الله عليه أبواب العلوم ، ثم رغب بعد ذلك في علم الطب ، وعالج تأديبا لا تكسبا حتى فاق فيه الأوائل والأواخر في أقل مدة . واختلف إليه فضلاء هذا الفن يقرعون عليه أنواعه ، وسئته إذ ذاك ست عشرة سنة . وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكاملها ، ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة . وكان اذا أشكلت ^(٤) عليه مسألة توضأ وقصد المسجد الجامع وصلى ، ودعا الله أن يسهلها ويفتح له مغلقتها .

٤٦٧

وذكر عند الأمير نوح بن نصر الساماني في مرضي مرضه ، فأحضره وعالجه حتى برأ ^(٥) واتصل به وقرب منه ، ودخل إلى دار كتبه ، وكان فيها من كل فن مما لا يوجد في سواها ، ولا سُمع باسمه . فظفر أبو على بعلوم الأوائل . وأتفق

(١) أى كتاب أقليدس اليوناني في الهندسة ، وهو كتاب الأركان الذى سماه الروم الاستقصات ، وسماه الإسلاميون « الأصول » . وقد تكلم عليه وعلى تاريخه وترجمته وشروحه جمال الدين القفطى في إخبار العلماء ٤٥ - ٤٨ . وهو في ثلاث عشرة مقالة .

(٢) المجسطى ، بكسر الميم وفتح الجيم هو كتاب بطليموس القلوذى ، وهو في علم هيئة الفلك وحركات النجوم . وهو في ثلاث عشرة مقالة كسابقه . وقد تكلم عليه وعلى تاريخه وترجمته وشروحه في إخبار العلماء ٦٧ - ٧٠ . وصحح المأمون كثيرا من حسابه وأقيسته لمحيط الأرض والدرجة الأرضية ، فكانت أرصاد علمائه أول أرصاد في الإسلام وسماوا أرصادهم « الرصد المأمونى » .

(٣) الناطلي كذا ورد بالثناء هنا وفي وفيات الأعيان والقفطى ، وهو نسبة إلى « نائلة » بالثناء المكسورة ، ويقال لها أيضا « نائل » ، وهى مدينة بطبرستان ، بينها وبين آمل خمسة فراسخ ، وبينها وبين شالوس مثلها . وفي طبقات ابن أبى أصيبعة : « الناطلي » بالهمز ، تحريف .

(٤) ط : « أشكل » .

(٥) ط : « برى » . ويقال برأ المريض يبرأ ويبرؤ ، برأ بالضم وبروآ . وبرؤ أيضا ككرم وفرح برأ بالفتح وبرؤ بالضم وبروآ أيضا : نقه بعد المرض .

بعد ذلك احتراق تلك الخزنة ، فتفرّد أبو على بما حصّله . ولم يستكمل ثمانى عشرة سنة من عمره إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها التى عاناها . وتوفى أبوه وسنّ أبى على اثنتان وعشرون سنة ، وكان هو وأبوه فى الأعمال السلطانية .

ولمّا اضطربت أحوال السّامانية خرج أبو على إلى كركائج^(١) وهى قصبة خوارزم ، واختلف إلى خوارزمشاه^(٢) ، وكان أبو على على زىّ الفقهاء ويلبس الطيلسان ، فقرر له فى كلّ شهر ما يقوم به .

ثم انتقل إلى نسا ، وأبيورد ، وطوس وغيرها ، ثم إلى قزوین . وتولّى الوزارة لشمس الدولة . ثم تشوّش العسكر عليه فأغاروا على داره فنهّبوها وقبضوا عليه ، وسألوا شمس الدولة قتله فامتنع ، ثم أطلق فتوارى . ثم مرض شمس الدولة بالقولنج فأحضّره لمداواته واعتذر إليه وأعادته وزيراً . ثم مات شمس الدولة وتولّى تاج الدولة فلم يستوزره ، فتوجه إلى أصبهان وبها علاء الدين أبو جعفر بن كاكويه ، فأحسن إليه .

وكان أبو على قوى المزاج ، وتغلب عليه قوّة النكاح حتّى أنهكته ، وعرض له قولنج فحقن نفسه فى يوم واحد ثمانى مرّات^(٣) ففرح بعض أمعائه ، وظهر له سحج^(٤) . واتفق سفره مع علاء الدولة فعرض له الصّرغ عقيب القولنج ، فأمر

(١) كركائج ، ضبطها ياقوت بالضم ثم السكون وكاف أخرى ، وبعد الألف نون ساكنة بالنقاء الساكنين .

(٢) عند ابن خلكان : « خوارزمشاه على بن مأمون بن محمد » . وخوارزمشاه لقب للملك خوارزم .

(٣) ط ووفيات الأعيان : « ثمان مرّات » ، وأثبت ما فى ش ، وكلاهما صحيح فى العربية ، فإن « ثمان » إذا أفردت عن العشرة يحوز حذف يائها . وإجراء الإعراب فيها على النون ، كما فى الأشموى ٤ : ٧٢ . ومن شواهد :
لها ثنایا أربع حسان وأربع ففغرهما ثمان

(٤) السحج ، بالتحريك : داء فى البطن قاهر منه ، كما فى اللسان .

بأخذ دانقين من كَرْفَسٍ في جملة ما يُحَقَّن به ، فجعل الطبيب الذي يعالجه فيه خمسَ دَرَاهِم ، فإزداد السَّحَج به من حدة الكَرْفَس ، وطرح بعضُ غلمانهِ في بعض أدويته شيئاً كثيراً من الأفيون ، وكان سببه أن غلمانهِ خانوه في شيء من ماله فخافوا عاقبة أمره عند برئه . وكان يصلحُ أسبوعاً ويمرض أسبوعاً ، ولا يحتمى ويجماع ، حتَّى قصد علاء الدولة بهمذان ، فلما وصل إلى همذان ^(١) ضعُف جدّاً ، وأشرفت قوّته على السَّقوط ، فأهمل المداواة وقال : المدبّر الذي في بدني قد عَجَز فلا تنفعني المعالجة . ثم اغتسل وتاب ، وتصدّق بما معه على الفقراء ، وردّ المظالم على مَنْ عرفه ، وأعتق مماليكه ، وجعل يختم في كلّ ثلاثة أيام ختمَةً ، إلى أن مات في ذلك التاريخ .

وصنّف كتاب الشفاء في الحكمة ، والنّجاة ، والإشارات ، والقانون ، وغير ذلك مما يقارب ^(٢) مائة مصنّف في فنون شتى . وله رسائل بديعة . وهو أحد فلاسفة الإسلام ، وله شعر جيّد باللسانين ، ومنه قصيدته في النّفس ومطلعيها :

* هبطت إليك من المحلّ الأرفع ^(٣) *

ولها شروح ، أحسنّها شرح الحكيم أفضل الحكماء : داود الضرير الأنطاكي .

* * *

(١) ط : « همدان » في هذا الموضع وسابقه ، صوابه في ش .

(٢) ط : « ما يقاربه » .

(٣) أوردها ابن خلكان وابن أبي أصيبعة وغيرهما في ترجمته . وتام هذا الشطر :

* وقرأ ذات تعزز وتنع *

وقد طبعت القصيدة مع شرح المناوي بالقاهرة سنة ١٣١٨ ، كما طبعها أيضاً كاراده فو مع ترجمة فرنسية وشرح مجهول في المجلة الآسيوية أغسطس سنة ١٨٩٩ م . وتجدها أيضاً في الكشكول للعالمى ٢٣٦ - ٢٣٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد التسعمائة وهو من شواهد
سيبويه ^(١) :

٩١٠ (ولستُ أبالي بعد موتِ مطرُفٍ حُتوفَ المنايا أكثرَتْ أو أقلَّتْ)
على أنه يجوز الإتيان بأو مجرداً عن الهمزة بعد سواء ، ولا أبالي ، بتقدير
حرف الشرط كما في البيت . فإنَّ أو لم تسبقْ بهمزة ، والتقدير : إن أكثرَتْ
أو أقلَّتْ فلستُ أبالي .

وهذا قول السيرافي ، قال (في شرح الكتاب) : وسواء ، إذا أدخلتْ
بعدها أَلَفُ الاستفهام لزمتْ أم بعدها ، كقولك : سواءٌ عليَّ أُمِمتْ أم قعدتْ .
وإذا كان بعد سواء فعلاّنٍ بغير استفهامٍ جاز عطفُ أحدهما على الآخر بأو ،
كقولك : سواءٌ عليَّ قُمتْ أو قعدتْ ؛ فإنَّ الكلامَ محمولٌ على معنى المجازاة . فإذا
قلت : سواءٌ عليَّ قُمتْ أو قعدتْ فتقديره : إن قُمتْ أو قعدتْ فهما عليَّ سواء .
انتهى .

وفيه ردٌّ على أبي عليٍّ في منعه ، وعلى ابن هشام في قوله (في المغني) : إذا
عظفتْ بعد الهمزة بأو فإن كانت همزة التَّسوية لم يجز . وقد أولع الفقهاء وغيرهم
بأن يقولوا : سواء كان كذا أو كذا . وهو نظير قولهم : يجبُ أقلُّ الأمرين من كذا
أو كذا . والصواب العطف في الأوّل بأم ، وفي الثاني بالواو . وفي الصحاح : سواء
عليَّ قُمتْ أو قعدتْ . انتهى . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو .

وفي كامل الهدلى أن ابن مُحِصِين قرأ من طريق الرُّعْفَرَانِي : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ ﴾ ^(٢) وهذا من الشذوذ بمكان . انتهى كلامه .

(١) في كتابه ١ : ٤٩٠ . وانظر شرح الأبيات لابن السيرافي ٢ : ١٤٩ والموشح ٣١ والأزهية ١٣٥ .

(٢) الآية ٦ من سورة البقرة .

وهو في هذا تابعٌ لأبى على .

وكلامُ السيرافي والشارح المحقق صريحٌ في جوازه وصحته . قال الدماميني (في الحاشية الهندية) : ثم العجب من إيراد المصنّف ما ذكره في المعطوف بعد همزة التسوية ، والفرض أنّه لا همزة في شيء من ذلك ، وكأنّه توهم أنّ الهمزة لازمةٌ بعد كلمة سواء في أوّل جملتها فقدّر الهمزة إذ لم تكن مذكورة ، وتوصّل بذلك إلى تخطئة الفقهاء وغيرهم . وقراءة ابن محيصن : ﴿ أَنْذَرْتَهُمْ أَوْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ ﴾^(١) ، بهمزة واحدة وبأو ، كما دلّ عليه مجموع كلامه (في الألف المفردة، وهنا) . ووجهها صحيح كما قال السيرافي . ولا يتأتّى الاستشهاد بقراءته على حذف الهمزة كما ادّعاه المصنف في أول الكتاب .

وأما تخطئة الفقهاء في الثاني فمبنيٌّ على أنّ المبيّن هو الأمران جميعاً ، بل المبيّن أقلُّهما ، والأقلُّ هو أحدهما ، فجاز العطف بأو ، بل تعيّن والحالة هذه . انتهى .

هذا وقد قال سيبويه (في باب أو في غير الاستفهام) : وتقول : لأضربنه ذهب أو مكث ، كأنّه قال : لأضربنه ذاهباً أو ماكثاً ، ولأضربنه إن ذهب أو مكث . وقال زيادة بن زيد العُدريّ :

إذا ما انتهى عِلْمِي تناهيتُ عنده أطال فأملَى أو تناهى فاقصرَا
وقال :

فلستُ أبالي بعد موتِ مطرّفٍ حتوفِ المنايا أكثرَتْ أو أقلَّتِ
وزعم الخليل أنّه يجوز : لأضربنه أذهبَ أم مكث . وقال : الدليل على ذلك أنّك تقول : لأضربنه أيّ ذلك كان . وإنّما فارق هذا سواءً وما أبالي لأنّك

(١) ط : « أم لم تنذرهم » ، صوابه في ش .

إذا قلت : سواءً على أذهبْتَ أم مكثْتَ فهذا الكلام في موضع : سواءً على هذان . وإذا قلت : ما أبالي أذهبْتَ أم مكثْتَ ، فهو في موضع : ما أبالي واحداً من هذين . وأنت لا تريد أن تقول في الأول : لأضربنَّ هذين ، ولا تريد أن تقول : تناهيتُ هذين ، ولكِنَّك إنما تريد أن الأمر يقع على إحدى الحالتين . وإن قلت : لأضربنَّ أذهبَ أو مكثَ لم يجز ، لأنَّك لو أردت معنى أيهما قلت أم مكثَ ، ولا يجوز لأضربنَّ مكثَ ^(١) . فلهذا لا يجوز لأضربنَّ أذهبَ أو مكثَ ، كما يجوز : ما أدرى أقام زيد أو قعد . ألا ترى أنَّك تقول : ما أدرى أقام ، كما تقول : أذهبَ ، وكما تقول : أعلمُ أقام زيد ، ولا يجوز أن تقول : لأضربنَّ أذهبَ . وكلُّ حقٍّ له سميَّناه ٤٦٩ أو لم نُسمِّه ، كأنَّه قال : وكلُّ حقٍّ له علمناه أو جهلناه ، وكذلك كلُّ حقٍّ هو لها داخلٌ فيها أو خارجٌ منها ، كأنَّه قال : إن كان داخلاً أو خارجاً . وإن شاء أدخل الواو . وقد تدخل أم في : علمناه أم جهلناه ^(٢) كما دخلت في : أذهبَ أم مكثَ . وتدخله أم على وجهين على أنَّه صفة للحقِّ ، وعلى أن يكون حالا ، كما قال : لأضربنَّ ذهبَ أو مكثَ ، أى لأضربنَّ كأننا ما كان . فبعُدَتْ أم ههنا حيث كان خبراً يقع في موضع ما ينتصب حالا [و ^(٣)] في موضع الصفة . انتهى كلام سيبويه .

وقال ابن الحاجب (في أماليه في البيت الشاهد) : لا يجوز فيه إلّا أو من غير همزة ، على ما قال سيبويه ، لأنَّه لما أعطى أبالي مفعولها وجب أن يكون ما بعدها المذكور في موضع الحال ، فيصير المعنى : ما أبالي حتوف المنايا مُكثِّراً أو مُقَلَّةً . وهذا معنى أو . ولو قلته بأَمْ لفسدَ من وجهين : أحدهما أن المعنى

(١) في النسختين : « أمكث » صوابه من سيبويه ١ : ٤٩٠ .

(٢) في النسختين : « أعلمناه أم جهلناه » صوابه في سيبويه بالأسلوب الخبري .

(٣) التكملة من سيبويه .

يكون : ما أبالى حتوف المنايا كثرةً وقلةً . وذلك غيرُ مستقيمٍ في قصده .
والآخر : أن يكون : ما أبالى حتوف المنايا كثيرةً وقليلةً . وذلك فاسدٌ لأنه يؤدى
إلى اجتماع الحالين ، وهو محال . فوجب استعمالُ أو ، بخلاف قوله :
ما أبالى أنبُّ بالَحَزَنِ تَيْسٌ ... البيت .

فإنَّ أم فيه واجبٌ مع همزة الاستفهام ، قال سيبويه : لأنَّ المعنى ما أبالى
بنييب التيس وجفاء اللثيم . وهذا لا يستقيم إلَّا بأم ، ولو كان بأو لفَسَدَ بوجهين ،
لأنَّ المعنى يكون : ما أبالى نبياً أو جفاء . ولم يقصد المتكلم إلى معنى مبالاة أحد
الأمرين ، وإنمَّا أراد نفى المبالاة عنهما جميعاً ، فيفسدُ لحيء أو . والآخر أنَّ المعنى
يكون : ما أبالى ناباً أو جافياً ، ويكون استعمالاً للفظ في غير موضوعه ^(١) لأنَّ
المراد ههنا الحالَّة ، وتلك إنمَّا تكون بالمصدر لا باسم الفاعل . انتهى .

وقوله : (بعد موتٍ مُطرِّفٍ) في رواية سيبويه : « يوم مطرِّف » ، والمعنى
واحد . ومُطرِّف بكسر الراء المشددة . يقول : لا أبالى بعد فقدته كثرةً من أفقده
أو قلته ، لعظم رزيته ، وصغر كلِّ مصيبة عنده . وأضاف الحتوف إلى المنايا
توكيداً ، وسوَّغ ذلك اختلاف اللفظين . قاله الأعلام .

وهذا البيت من الأبيات الخمسين التى لا يعرف أصحابها . والله
أعلم ^(٢) .

(١) كذا في النسختين ، وهو تعبير جائز .

(٢) أقول : نسبه ابن السيرافى فى شرح الأبيات ٢ : ١٤٩ إلى مليح بن علاق القعنى يرى ابنه .

وانظر معجم الشعراء ٤٧٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى عشر بعد التسعمائة ، وهو من شواهد
سيبويه ^(١) :

٩١١ (إذا ما انتَهَى عِلْمِي تنَاهَيْتُ بَعْدَهُ أَطَالَ فَأَمَلَى أَوْ تَنَاهَى فَأَقْصَرَ)
على أَنَّهُ روى بِأَوِّ وَبِأَمٍّ . فعلى الأول قوله (أَطَالَ) الهمزة للصَّيرورة ،
ومصدره الإطالة . ولا يجوز أن تكون همزة الاستفهام ، لقول الشارح المحقق :
ولا تجيء بالهمزة قبل أو ^(٢) .

وهذه رواية سيبويه . قال الأعلام : الشاهد دخول أو لأحد الأمرين على حدِّ
قولك : لأضربنه ذهب أو مكث ، أى لأضربنه على إحدى الحالتين ذاهبا
أو ماكثا . وكذلك معنى :

* أَطَالَ فَأَمَلَى أَوْ تَنَاهَى فَأَقْصَرَ *

أى أَنتَهَى حيث [انتَهَى ^(٣)] بَيَّ العلم ، ولا أخطأه ، مُطِيلًا كان
أو مُقْصِرًا . ومعنى أَطَالَ : صار إلى طول المدَّة . وأَقْصَرَ : صار إلى قِصَرِها .
وَأَمَلَى من المَلَى ، وهو الزَمَن الطويل . انتهى .

وقال ابن الحاجب : أو هنا واجبة ، لأنَّه لو قال بِأَمٍّ لفسد على الوجهين
المذكورين فى قوله

ولست أبالى بعد موت مطرّفٍ ... البيت . انتهى .

(١) فى كتابه ١ : ٤٩٠ . وانظر شرح أبياته لابن السيرافى ٢ : ١٤٨ والبيان ٣ : ٢٤٤ والمقتضب ٣ :
٣٠٢ ومجالس العلماء ١٧٦ وأدب الدنيا والدين ٥٨ والأشباه والنظائر ٢ : ٢١٦ .

(٢) شرح الرضى للكافية ٢ : ٣٥٠ س ٢٥ .

(٣) التكملة من هامش ومن الأعلام ١ : ٤٩٠ . وقد بيض للكلمة فى ط ، كما أن بعدها فى ط :
« فى العلم » ، تحريف .

٤٧٠

وكذا رواه صاحب اللباب ، وقال شارحُه الفالِي (١) : قوله (إذا ما انتهَى علمي) إلخ أي إذا بلغ علمي إلى موضع بلغتُ إليه ، ولم أتجاوزهُ ، أي لا أتكلّم بما لا أعلمهُ ، سواء كان علمي مُطِيلًا أو متناهيًا . فيكون أطلال بوزن أفعل . وقيل الهمزة للاستفهام والفعل هو طال ، ولا ينافي الاستفهام كونُ الجملة حالاً ، لما ذكرنا من أنّ الهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء ، من غير اعتبار الاستفهام فيه ، كما قلنا في : سواءً على أقمت أم قعدت . والمعنى : تناهيت عنده في حال طوله فإملائه ، وفي حال تناهيه فقصره . و (أُملى) أي امتدّ في الزمان ، من المُلَاوَة (٢) . أي إذا امتدّ علمه حيناً طويلاً تبعه ، وإنّ تناهى وانقطع أقصر ولم يتكلّم .

هذا كلامه ، وهو ناشئٌ عن غفلةٍ ، فإنّه لا يجوز أن تكون فيه الهمزة للاستفهام مع أو كما تقدّم . ومن قال إنّها للاستفهام روى (أم) بدل (أو) . فتأمل .

وعلى الرواية الثانية تكون الهمزة للاستفهام ، والفعل طال ، ويكون البيت شاهداً للخليل في تجويزه في غير « سواءً » و « لا أبالي » ، أن يعجزَ مجراها فيذكر بعده أم والهمزة .

صاحب الشاهد

وهذه الرواية هي رواية ابن الأعرابي (في نوادره) ، ورواية المَرْزُبَانِي (في الموشّح) . وأنشده ابن الأعرابي لزيادة صاحب هُدبة ، أوّل أبيات أربعة ، وهي :

أبيات الشاهد

(إذا ما انتهَى علمي تناهيتُ عنده أطلال فأملى أم تناهى فأقصرًا ويُخبرني عن غائب المرء هُدّيه كفى الهُدّى عمّا غيّب المرءُ مخبرًا)

(١) ط فقط : « الفالِي » بالقاف ، وهو تصحيف يكثر وروده .

(٢) المُلَاوَة ، بثلاث الميم كما سيأتى .

ولا أركبُ الأمرَ المُدَوَّى سادراً بعمياءَ حتَّى أستبينَ وأبصيرا
كما تفعلُ العشواءُ تركبُ رأسَهَا وتُبرِزُ جنباً للمُعَادِينِ مُعَوِراً)
وقوله : « اذا ما انتهى » إلخ ما زائدة بعد إذا . وقد نظمهم بعضهم فقال :

حُذِّ لَكَ ذِي الْفَائِدَةِ مَا بَعْدَ إِذَا زَائِدُهُ

و (انتهى) من انتهى الأمر ، أى بلغ النهاية ، وهى أقصى ما يمكن أن
يبلغه . والمَلَى ، بتشديد الياء كَعَنَى ، كما فسره الأعلام . والملاوة بتلثيث الميم :
الحين والبرهة .

قال المرزبانى (فى الموشح) : أخبرنى الصُّولى قال : حدَّثنى يحيى بن على
قال : [قال ^(١)] أبو جعفر محمد بن موسى المنجم : كنت أحبُّ أن أرى شاعِرَيْنِ
فأَوَدَّبَ أَحَدَهُمَا ، وهو عدىُّ بن الرِّقَاعِ ، لقوله :

وعلمتُ حتَّى ما أسأئلُ عالماً عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَكَى أَرْزَادَهَا

ثمَّ أسأئلُهُ عَنْ جَمِيعِ الْعُلُومِ ، فإذا لم يجب أدبته على قوله . وأقبلَ رأسَ
الآخر ، وهو زيادة بن زيد ، لقوله :

إذا ما انتهى علمى تناهيتُ عنده أطال فأملَى أم تناهى فأقصراً . انتهى .

وقوله : « ويُخبرُنِي عَنْ غَائِبِ الْمَرْءِ » إلخ الهَدْيُ ، كفلس : السَّيِّرة ، يقال :
ما أحسنَ هَدْيَ فلان ، أى سيرته . وما أحسن قولَ الصَّفِيِّ الجَلِّىِّ رحمه الله :
إذا غاب أصلُ المرءِ فاستقرَّ فعَلُهُ فإنَّ دليلَ الفرعِ ينبى عن الأصلِ
فقد يَشْهَدُ الفَعْلُ الْجَمِيلُ لِرَبِّهِ كَذَلِكَ مَضَاءُ الْحَدِّ مِنْ شَاهِدِ التَّصْلِيلِ ^(٢)

(١) التكملة من الموشح ٣٠٠ .

(٢) ديوان صفى الدين الحلى ٦٥٤ .

وقوله : « ولا أركب الأمر المدوّى » إلخ أى لا ألبسه : والمدوّى ، بكسر
 الواو المشددة : المبهّم ، والمستتر ، مأخوذ من دَوَّى اللبنُ تدوياً ، إذا ركبته الدّواية
 بضم الدال ، وهى القشرة الرقيقة تعلوه فيستتر ما تحتها . و « السادر » كما فى
 الصحاح هو المتحير ، والذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع . والسدر : تحير البصر .
 يقال : سدر البعير يسدر سدرًا ، من باب فرح ، إذا تحير من شدة الحر . وقوله :
 « بعمياء » ، أى بحالة عمياء ، من عمى عليه الأمر ، إذا التبس . وحتى بمعنى
 إلى .

٤٧١

وقوله : « كما تفعل العشواء » وهى الناقة التى لا تبصر أمامها فهى تخبط
 بيدها كل شئ . وقوله : « تركب رأسها » ، فى المصباح : وركب الشخص
 رأسه ، إذا مضى على وجهه لغير قصد . ومنه راكب التعاسيف وهو الذى ليس
 له مقصد معلوم ^(١) .

والمعور : اسم فاعل من أعور لك الصيد ، إذا أمكنك . وأعور الفارس ،
 إذا بدا فيه موضع خلل للضرب ، وهو بالعين المهملة . قال ابن الأعرابى : أى هى
 عشواء تُبرز جنباً مكشوفاً لأعدائها فيرمونها . انتهى .

وزيادة بن زيد شاعر إسلامى من بادية الحجاز ، من بنى عُذرة ، كان فى
 أيام معاوية بن أبى سفيان ، وقتله هذبة بن حشرم العذرى ، وقتل به هذبة بسبب
 ذكرناه فى ترجمة هذبة ، فى الشاهد الخمسين بعد السبعمائة ^(٢) .

زيادة بن زيد

* * *

(١) إلى هنا ينتهى نص المصباح (ركب) .

(٢) الخزنة ٩ : ٣٣٥ - ٣٤٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني عشر بعد التسعمائة ^(١) :

٩١٢ (كَأَنَّ دِثَارًا حَلَقَتْ بَلْبُونَهُ عُقَابٌ تُتَوَفَّى لَا عُقَابُ الْقَوَاعِلِ)
على أَنَّ فيه ردًّا على الزَّجَّاجِيّ في منعه مجيء (لا العاطفة) بعد الفعل
الماضي .

قال الخفاف ^(٢) (في شرح الجمل الزَّجَّاجِيَّة) : اختلفوا في العطف بلا
بعد الماضي نحو قولك : قام زيد لا عمرو ، فمنهم من أجاز ذلك وهم جُلُّ
النحويين . ومنهم مَنْ منع ذلك ، وإليه ذهب أبو القاسم الزَّجَّاجِي (في معاني
الحروف) ، واستدلَّ على ذلك بأنَّ لا لا يُنْفَى الماضي بها ، وإذا عطف بها بعده
كانت نافيةً له في المعنى ، فلذلك لم يجر العطفُ بها بعد الماضي ، لأنَّك إذا قلت :
قام زيد لا عمرو ، كأنك قلت : لا قام زيد ولا عمرو ، وهذا لا يجوز ، فكذلك
ما في معناه . والذي يدلُّ على فساد ما ذهبَ إليه أَنَّهُ قد يُنْفَى بها الماضي قليلاً ،
نحو قوله تعالى : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ^(٣) ﴾ يريد : لم يصدَّق ولم يُصلِّ . فإذا
جاز أن يُنْفَى بها الماضي في اللفظ فالأحرى أن تكون نافيةً له في المعنى . وممَّا ورد
من العطف بها بعد الماضي قوله :

* كَأَنَّ دِثَارًا حَلَقَتْ بَلْبُونَهُ * ... البيت .

فعطف بها بعد حَلَقَتْ وهو ماضٍ . انتهى .

والبيت من أبياتٍ لامرئ القيس الكِنْدِيّ ، وهي :

صاحب الشاهد

(١) مجالس ثعلب ٤٦٦ والخصائص ٣ : ١٩١ والمغنى ٢٤٢ ، ٥٣٢ والعينى ٤ : ١٥٤ والتصريخ ٢ : ١٥٠ والأشمونى ٣ : ١١١ وديوان امرئ القيس ٩٤ .

(٢) هو أبو بكر بن يحيى بن عبد الله الجذامى المالقي ، تلميذ الشلوين ، له شرح كتاب سيبويه ،
وشرح إيضاح الفارسي ولعل ابن جني وغير ذلك . توفي بالقاهرة سنة ٦٥٧ . بغية الوعاة ٢٠٧ .

(٣) الآية ٣١ من سورة القيامة .

أبيات الشاهد

(دَع عَنْكَ نَهْباً صَيِّحَ فِي حَجَرَاتِهِ
كَأَنَّ دِثَاراً حَلَقَتْ بَلْبُونَهُ
تَلْعَبَ بَاعِثُ بِذِمَّةِ خَالِدٍ
وَأَعْجَبْنِي مَشْنَى الْحُرْقَةِ خَالِدٍ
أَبَتْ أَجْأً أَنْ تُسَلِّمَ الْعَامَ جَارَهَا
تَبَيْتُ لَبُونِي بِالْقُرْيَةِ أُمْنَاءً
بَنُو ثَعْلٍ جِيرَانُهَا وَحُمَاتُهَا
ثُلَاغِبُ أَوْلَادِ الْوُعُولِ رِبَاعُهَا
مُكَلَّلَةٌ حِمَاءَ ذَاتِ أُسَيْرَةٍ
لَهَا حُبُكُ كَأَنَّهَا مِنْ وَصَائِلِ)

٤٧٢

وسببها أن امرأ القيس بعد أن قُتِلَ أبوه ، ذهب يستجير بالعرب ، فبعض يقبله وبعض يردّه ، فطمعت فيه العرب . وفي أثناء ذلك نزل على خالد بن سدوس ابن أصمغ (٣) التَّبْهَانِي الطَّائِي ، فأغار عليه باعث بن حُوَيْصِ الطَّائِي وذهب بإبله ، فقال له جاره خالد : أعطني صنائعك ورواحلك حتى أطلب عليها مالك . ففعل امرؤ القيس ، فانطوى عليها ، ويقال بل لحق بالقوم فقال لهم : أغرم على جاري يا بني جديلة . قالوا : والله ما هو لك بجار . قال : بلى والله ، ما هذه الإبل التي معكم إلا كالرواحل التي تحتى . فقالوا : هو كذلك . فأنزلوه ، وذهبوا بها . فقال امرؤ القيس فيما هجاه به : « دَع عَنْكَ نَهْباً » البيت . يقول لخالد : دَع النَّهْبَ الَّذِي نَهَبَهُ بَاعِثُ ، ولكن حدثني عن الرَّوَّاحِلِ التي ذهبت بها

(١) في الديوان : « وأودى عصام » .

(٢) في الديوان : « من رماة سعد » .

(٣) في هامش ش مع علامة تصحيح : « أصمغ » ، لكن الصواب ما في ط ، وهو المطابق لما في

الجمهرة ٤٠٤ والاشتقاق ٢٣٦ ومختلف القبائل ٤ .

أنت . وهذا البيت صار مثلاً يُضْرَبُ لمن ذهب من ماله شيءٌ ، ثم ذهب بعده ما هو أجلُّ منه .

وهذا البيت أورده ابن هشام (في موضعين من المغنى) :

أحدهما : في عن ، قال : إنها تأتي اسماً بمعنى جانب في ثلاثة مواضع ، ثالثها : أن يكون مجرورها وفاعل متعلقها ضميرين لمسمى واحد . قاله الأخفش ، وذلك كقول امرئ القيس : « دُعْ عنك نبياً » ، البيت ، وذلك لثلاثي يُوْدَى إلى تعدى فعل المضمر المتصل إلى ضميره المتصل . وقد تقدّم الجواب عن هذا . وما يدلّ على أنّها ليست هنا اسماً أنّها لا يصحُّ حلول الجانب محلّها . انتهى . يريد تقدّم الجواب في على بأنّه متعلّق بمحذوف ، أو فيه مضاف محذوف ، أى عن نفسك .

والموضع الثاني في أوّل الباب الخامس ، أورده كالأوّل .

والنهب : الغنيمة وكلّ ما انتهب . وهو على حذف مضاف ، أى ذكّر نهب . و « صيَح » : مجهول صاح ، وفي حَجْرته نائب الفاعل ^(١) . والحجرات ، بفتح الحاء المهملة والجيم : جمع حَجْرَة بسكون الجيم ، كَتَمَرَات جمع ثَمرة . والحَجْرَة : الناحية ، والجملة صفة نهب ، أى صيَح عليه في حجراته . و « حديثاً » عامله محذوف ، أى ولكنّ حدّثنى حديثاً . وما استفهامية مبتدأ وحديث خبره . يقول : اترك ذكر الذى انتبهه باعثٌ وحدّثنى عن الرواحل التى أنت ذهبت بها . وقد أخطأ ابن المُلّا من جهة المعنى والإعراب في قوله : أى اترك نهبَ المال واشتغلْ بأمر النساء ذوات الرواحل . وما زائدة ، وحديث الرواحل بدل من حديثاً بدل معرفة من نكرة . انتهى .

(١) ش : « نائب فاعل »

وقوله : (كَأَنَّ دَثَارًا حَلَّقَتْ) إلخ دِثَار هو راعى امرىء القيس ، وهو دثار ابن فُقَعَس بن طَرِيف ، من بنى أسد . وحَلَّقَتْ من التحليق ، وهو ارتفاع الطَّيْرِ فى الجَوِّ . و (اللَّبُون) بفتح اللام وضم الموحدة من الإبل والشاة : ذات اللبن . وأراد الإبل التى لها ألبانٌ ، وهو اسم جنس مضافٌ فيعمُّ ، فيكون المراد الأفراد . قال الدمامينى : قلت : ويتقدير أن يكون إضافة اسم الجنس تفيد العموم لم يتعيَّن أن يكون هذا مراد الشاعر ، إذ يحتمل أن يكون المراد بلبونه واحدة^(١) لا غير ، وليس فى اللفظ ما يدفعه ، فأين الجزم بالعموم ؟ انتهى .

وهذا إيرادٌ منه على قول ابن هشام (فى المغنى) على البيت : « واللبنون : نوق ذات لبن^(٢) » . وهذا ناشئٌ من عدم الاطلاع على منشأ الشعر . و (العُقَاب) بالضم : طائر معروف . و (تَنَوَّفَى) بفتح المثناة الفوقية وضم النون وبعد الواو فاء فالف مقصورة . وروى أيضا (ينوفى) بالمثناة التحتية من أوله . وروى أيضا (تنوف) بالوجهين من أوله^(٣) وبلا ألف فى آخره . هكذا ضبطه أبو عبيد البكرى (فى معجم ما استعجم) عند ذكره القواعل ، وقال : تنوفى ، أى جبل مشرف ، وقال الأصمعى : هو موضع ببلاد طَبْيَّء . وقال ابن جنى : عقبة مشهورة ، سميت بالتَّوْف وهو ما علا من الأرض ، وامرأة نِيَّافٌ أى طويلة ، قلبت الواو ياء . والقواعل بفتح القاف وكسر العين المهملة على لفظ الجمع : أَجْبَلٌ من سَلَمَى فى بلاد طَبْيَّء . انتهى .

٤٧٣

و (فى معجم البلدان لياقوت) قال ابن الكلبي : القَوَاعِل : موضع فى جبل . وكان قد أغير على إبل امرىء القيس ممَّا يلى تَنَوَّف . وروى أبو عبيد :

(١) ط : « واخذه » صوابه فى ش .

(٢) فى المغنى ٢٤٢ : « ذوات لبن » .

(٣) أى بالتاء والياء أيضا .

تنوفا . وقالوا : هو موضعٌ ، وهو جبل عال . قال الأصمعي : القواعل واحدها قاعلة ، وهي جبال صغار . وقيل : القواعل جبل دُونَ ثَنُوفٍ . انتهى .

وفى (شرح أبيات المغنى للسيوطى) : تنوفى بفتح المثناة الفوقية : جبل عال . والقواعل : جبال صغار . وفى أمالى ثعلب القوقعة والقيعلة والجمع قواعل ، وأنشد البيت . قال ابن الكلبي : أخبث العقبان ما أوى فى الجبال المشرفة . وهذا مثلٌ . أراد كأنّ دثارا ذهب بلبونه ذاهبةً ، أى آفة . وأراد أنّه أُغِيرَ عليه من قِبَلِ تنوفى . انتهى .

وكذا قال العينى .

وقضية صاحب القاموس أنّه بالمدّ ، لأنّه قال : وتنوفاء كجلولاء : ثنية مشرفة قرب القواعل . ويقال ينوفاء بالتحية ، فيكون محله ن و ف . وقال فيها : وينوفى أو تنوفى أو تنوف : موضع بجبل طيى . انتهى .

ولم يضبطه أحد بالمدّ ، وإنّما هو شيء قاله ابن جنّى بحثاً كما يأتى .

وتنوفى من الأوزان التى استدركت على سيبويه بأنّه لم يذكرها . والأوزان التى استدركت عليه ثمانية وخمسون وزناً ، على ما ذكرها ابن جنّى (فى الخصائص) ، وأجاب عنها واحداً بعد واحد . قال : وأمّا تنوفى فمختلف فى أمرها ، وأكثر أحوالها ضعف روايتها والاختلاف الواقع فى لفظها ، وإنّما رواها السكرى وأسندّها إلى امرئ القيس ^(١) فى قوله :

* عُقاب تنوفى لا عُقابُ القواعل *

والذى رواه عن أحمد بن يحيى :

(١) ط : « وأنشدها لامرئ القيس » ، وصواب النص من ش والخصائص ٣ : ١٩١ .

* عُقَابُ تَنَوَّفٍ لَا عُقَابُ الْقَوَاعِلِ *

وقال : القواعل : آكام حولها . وقال أبو حاتم : هي ^(١) ثنية طى . وكذا رواها ابن الأعرابي ، وأبو عمرو الشيباني . ورواية أبي عبيدة « تنوف » . وأنا أرى أن تنوف ليست فعولاً بل هي تفعل من النوف ، وهو الارتفاع ، وسميت بذلك لعلوها . ومنه : أناف على الشيء ، إذا ارتفع عليه . والنيف في العدد من هذا . وتنوف في أنه علم على تفعل بمنزلة يشكر ويعصر . وقلت مرة لأبي علي ، وهذا الموضع يُقرأ عليه (من كتاب أصول أبي بكر) : يجوز أن يكون تنوف مقصورة من تنوفاً ، بمنزلة بروكاء . فسمع ذلك وعرف صحته . وكذلك القول عندي في مسؤولى في بيت المرار :

فأصبحتُ مهموماً كأنَّ مطيَّتي بحيثُ مسؤولى أو بوجرة ظالع ^(٢)

ينبغي أن تكون مقصورة من مسؤلاء بمنزلة جلّولاء . فإن قلت : فإننا لم نسمع بتنوف ولا بمسؤلى ممدودين ، ولو كانا أو أحدهما ممدوداً لخرج ذلك إلى الاستعمال . قيل : ولم يكثر أيضاً استعمال هذين الاسمين ، وإنما جاءا ^(٣) في هذين الموضعين . بل لو كثر استعمالهما مقصورين لصح ما أورده ^(٤) ، فإنه يجوز أن يكون ألف تنوف إشباعاً للفتحة ، لا سيما وقد روينا تنوف مفتوحاً كما ترى ، وتكون هذه الألف ملحقة مع الإشباع لإقامة الوزن . ألا تراها معادلةً لياء مفاعيلن ، كما أن الألف في قوله :

٤٧٤

(١) ط : « في » ، صوابه في ش والخصائص .

(٢) في النسختين : « طالع » بالطاء المهملة ، والصواب من الخصائص ومعجم ياقوت ، ومن ش مع أثر تصحيح . والبيت رابع أبيات ثلاثة في معجم البلدان . والظالع من الظلح ، بالفتح ، وهو عرج يسير .

(٣) ط : « جاء » ، صوابه في ش والخصائص .

(٤) في الخصائص : « لصح ما أورده ولزم ما أورده » .

* يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبِ جَسْرَةٍ (١) *

إنَّما هِيَ إِشْبَاعٌ لِلْفَتْحَةِ طَلَباً لِإِقَامَةِ الْوِزْنِ . أَلَا تَرَى (٢) أَنَّهُ لَوْ قَالَ يَنْبَعُ مِنْ ذِفْرَى لَصَحَّ الْوِزْنُ ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ زَحَافاً هُوَ الْحَزْلُ . كَمَا أَنَّهُ لَوْ قَالَ تَنُوفٌ لَكَانَ الْجُزْءُ مَقْبُوضاً . فَالْإِشْبَاعُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ إِذْنٌ إِنَّمَا هُوَ مَخَافَةُ الزَّحَافِ الَّذِي مِثْلُهُ جَائِزٌ . انْتَهَى كَلَامُهُ . هَذَا وَقَدْ رُئِيَ أَيْضاً :

* عُقَابٌ مَلَاعٌ لِعُقَابِ الْقَوَاعِلِ *

وَالْمَلَاعُ يَفْتَحُ الْمِيمَ وَبِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةَ ، قَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ : هِيَ الْمَفَازَةُ الَّتِي لَا نَبَاتَ بِهَا . وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : « أَوْدَتْ بِهِ عُقَابٌ مَلَاعٌ » (٣) ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : يُقَالُ ذَلِكَ فِي الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، وَهُوَ شَبِيهِ بِقَوْلِهِمْ : « طَارَتْ بِهِ الْعَنْقَاءُ » ، وَ « حَلَّقَتْ بِهِ عَنْقَاءٌ مَغْرِبٌ » . وَفِي الْقَامُوسِ : الْمَلَاعُ كَسَحَابٍ : الْمَفَازَةُ لَا نَبَاتَ بِهَا ، وَكَقِطَامٍ وَسَحَابٍ ، وَقَدْ يَمْنَعُ . وَأَرْضٌ أُضِيفَتْ إِلَيْهَا عُقَابٌ فِي قَوْلِهِمْ : أَوْدَتْ بِهِ عُقَابٌ مَلَاعٌ ، أَوْ مَلَاعٌ مِنْ نَعْتِ الْعُقَابِ ، أَوْ عُقَابٌ مَلَاعٌ هِيَ الْعُقَيْبُ الَّتِي تَصِيدُ الْجُرْذَانَ ، فَارْسِيَّتُهُ : مَوْشٍ خَوَارٍ . انْتَهَى .

وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : الْمَلْعُ : السَّرْعَةُ . وَعُقَابٌ مَلَاعٌ : سَرِيعٌ (٤) ، وَأَنْشُدَ :

* عُقَابٌ مَلَاعٌ لَا عُقَابَ الْقَوَاعِلِ *

(١) صدر بيت لعنترة في معلقته . وعجزه :

* زِيَاةٌ مِثْلُ الْفَنِيْقِ الْمَكْدَمِ *

(٢) ط : « تَرَاهُ » ، وَصَوَابُ النَّصِّ مِنْ شِ وَالْخِصَائِصِ .

(٣) الدرة الفاخرة لحمزة ١ : ٧٧ وجمهرة العسكرى ١ : ٢٣٩ والميداني والمستقصى ١ : ٢١ واللسان

(ملح ٢١٩ قعل ٧٧) .

(٤) في اللسان : « الْعُقَابُ مُؤَنَّثَةٌ وَقِيلَ الْعُقَابُ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، إِلَّا أَنْ يَقُولُوا : هَذَا عُقَابٌ

ذَكَرٌ » .

قال : وتفسير هذا البيت أنّ العقاب كلما علّت في الجبل كان أسرع لانقضاضها . يقول : هذه عقاب ملاح ، إذ العالى يهوى من علوه ، وليست بعقاب القواعل ، وهى الجبال الصغار . انتهى .

وقال حمزة الأصفهاني (في أمثاله) : أبصر من عُقاب ملاح ، قال محمد ابن حبيب : مَلّاع : اسم هَضْبَة . وقال غيره : اسم الصَّحراء . ويقال للأرض المستوية الواسعة : مَلّاع^(١) . قال الشاعر :

كأنّ دِثَاراً حلّقت بلبونه * ... البيت .

وقال الزمخشري (في مستقصى الأمثال) : أبصر من عُقابٍ مَلّاع ، بالوصف ، ويروى : من عُقابٍ مَلّاعٍ بالإضافة . ومَلّاع كقظام : الصَّحراء . وعقابُها أبصر من عُقاب الجبل . قال امرؤ القيس : « كأنّ دِثَاراً حلّقت » البيت . والقواعل : رؤوس الجبال . وقيل : مَلّاع صفة لها من المَلْع وهو السُرعة . وليس بوجه في البيت ، لقوله : « لا عقاب القواعل » . ويجوز أن تكون غير منصرفة ، وعلى هذا تنوّن في البيت ، لأنّ غير المنصرف سائغ صرفه في الشعر ، ولا يستحسن إثثار منع الصرف مع القبض على سلامة الجزء مع الصّرف^(٢) وبصرُ العقاب أنّها تعرف من الجوّ أنّى الأرنب^(٣) من ذكرها فتخطّفها ، لأنّ الذكر يلتوى على عنقها فيقتلها . ومدح أعرابي رجلاً فقال : « هو أصحُّ بصرًا من العقاب ، وأيقظُ عينًا من الغراب ، وأصدق حسًّا من الأعراب » . انتهى .

(١) هذا تصرف من البغدادي . والذي في كتاب حمزة : « ويقال للأرض المستوية الواسعة ميلع وصيلع أيضا » .

(٢) في المستقصى : « مع الصرف هاهنا » .

(٣) هذا ما في المستقصى . وفي النسختين : « الأرنب » .

وقوله : « وأعجبني مَشَى الحُرْقَة خالد » إلخ الحُرْقَة بضم الحاء المهملة والزاي المعجمة وتشديد القاف ، وهو القصير العظيم البطن . وخالد بالجرّ : عطف بيان له .

وقال العيني : الحُرْقَة لقب ، ويقال ضَرَبَ من المشى . فمن جعله ضرباً من المشى نصبه ، ومن جعله لقباً رفعه . انتهى .

ولم أفهم معناه ، على أنّ الحُرْقَة لم أره بمعنى المَشَى .

وحُلِّتُ بالبناء للمفعول، من حُلِّتُ الإبل عن الماء تَحْلِيتٌ بالهمز ، إذا طَرَدْتَهَا عنه ومنعتها أن تردّه . والأثنان : أثنى الحمار شَبَّهه بها تحقيراً له . والمناهل : جمع منهل كجعفر : المورد ، وهو عين ماءٍ تردّه الإبل . كذا في المصباح . ٤٧٥

وقوله : « أَبَتْ أجا » إلخ أجا بالهمز : جبل . وجاء في الشعر غير مهموز . قال العجاج :

فانْ تَصِرْ لَيْلَى بِسَلْمَى أَوْ أجا أَوْ بِاللّوى أَوْ ذى حُسّاً أَوْ ياجِجاً (١)
وقال آخر (٢) :

إلى نَضَد من عبد شمس كأنّهم هِضابُ أجا أركانُهُ لم تَقْصِف (٣)

(١) ديوان العجاج ٣٥٧ - ٣٥٨ . وفي الديوان : « ياججا » بالهمز . وضبطه ياقوت بالهمزة

وجيمين .

(٢) أنشدته ياقوت في (أجا) لبعض الأعراب .

(٣) البيت مع قرين له بعده في معجم ياقوت ، وهو :

فَلَامِسَة سادوا الأمور فأحكموا سياستها حتى أقرت لمردف

والنضد ، بالتحريك : جماعة القوم وأعدادهم ، وكذا الأعمام والأحوال المتقدمون في الشرف ، والجمع

أنضاد .

ومن العجائب قول العيني (١) : أجأ (٢) أحد جبلى طيىء ، وهو مؤنث ،
ومن العرب من لا يهزمه ، وكذا هنا للضرورة . انتهى . ولا يخفى أنه لا يتزّن البيت
إلا بالهمز .

قال ياقوت (في معجم البلدان) : أجأ بوزن فَعَل بالتحريك مهموز
مقصور ، والنسبة إليه أجئى بوزن أجعئى . وهو عَلم مرتَجَل لاسم رجل سَمى به
الجليل . ويجوز أن يكون منقولاً ، ومعناه الفِرار ، كما حكى ابن الأعرابى : أجأ
الرجل ، إذا فَرَّ (٣) . قال الزّحشرى : أجأ وسلّمى : جبلان عن يسار سَميراء .
وقد رأيتهما ، شاهقان . ولم يَقُل عن يسار القاصد إلى مكة أو المنصرف عنها .
وقال أبو عُبيد السّكونى : أجأ : أحد جبلى طيىء ، وهو غربىّ فيد إلى أقصى أجأ
وإلى القرّيات من ناحية الشام . وبين المدينة والجليل على غير الجادة ثلاث
مراحل . وبين الجبلين وتيماء جبال ، منها دَبَر ، وعِرْنان (٤) ، وغَسَل (٥) وبين
كل جبلين يومٌ ، وبين الجبلين وفَدَك ليلة ، وبينهما وبين خَير خمسُ ليال .

(١) تجد هذا القول للعيني في كتابه ٣ : ٣١٠ عند الكلام على هذا البيت بخاصة .

(٢) وليزيد العجب ، أذكر أن نص العيني « أجاء بالمد » في بعض أصول العيني ، وفي بعضها
الآخر : « أجأ بالمد » ، وهو صواب نص العيني . ويقصد به مدّ الجيم بالالف التى بعدها .

(٣) في النسختين : « معناه القرار ، كما حكى ابن الأعرابى : أجأ الرجل إذا قر » ، صوابه في معجم
البلدان . وانظر اللسان (أجأ) .

(٤) عرنان ، بالكسر : جبل بين تيماء وجبلى طيىء . وكذا « دبر » بالفتح جبل بين تيماء وجبلى
طيىء ، فيما روى السكونى فيها . وفي ط : « وعنان » صوابه في ش مع أثر تصحيح . وفي معجم البلدان
محرفاً : « وغريان » .

(٥) غسل ، بالتحريك : جبل بين تيماء وجبلى طيىء ، كما في معجم ياقوت . وفي النسختين :
« غسل » وضبطها الشنقيطى بكسر العين . والصواب ما أثبت من معجم ياقوت في (أجأ) . و « غسل »
بألغين المعجمة لا بالعين المهملة .

ذكر العلماء بأخبار العرب أنَّ أجاً سمى باسم رجل ، وسلمى سمى باسم امرأة . وكان من خبرهما أنَّ رجلاً من العماليق يقال له أجاً بن عبد الحى ، عشيق امرأة يقال لها سلمى ، وكان لها حاضنة يقال لها العوجاء ، فكانا يجتمعان في منزلها حتى تَذَرُ بهما إخوة سلمى ^(١) وهم : الغميم ، والمُضِلُّ ، وفدك ، وقائد ^(٢) والحدَثَان ، وزوجها . فخافت سلمى وهربت هى وأجاً والعوجاء ، وتبعهم زوجها وإخوتها فلحقوا سلمى على الجبل المسمى سلمى ، فقتلوا هناك ، فسمى الجبل باسمها . ولحقوا العوجاء على هَضْبَةٍ بين الجبلين فقتلوا هناك ، فسمى المكان بها ، ولحقوا أجاً فى الجبل المسمى بأجاً فقتلوه فيه فسمى به ، وأنفوا أن يرجعوا إلى قومهم ، فصار ^(٣) كل واحدٍ إلى مكانٍ فأقام به ، فسمى ذلك المكانُ باسمه .

قال عبيد الله ياقوت : وهذا أحد ما استدللنا به على بُطلان ما ذكره النحويون من أنَّ أجاً مؤنثة غير منصرفة ، لأنَّه جبل مذكور سمى باسم رجل ، وهو مذكّر . وكان غاية ما التزموا به قول امرئ القيس :
أبت أجاً أن تُسلمَ العام ... البيت .

وهذا لا حجة لهم فيه ، لأنَّ الجبل نفسه لا يُسلم أحداً ولا يُسلم ، إنَّما يمنع [مَنْ ^(٤)] فيه من الرجال . فالمراد : أبت قبائل أجاً أو سُكَّان أجاً ، وما أشبهه ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه . يدلُّ على ذلك عجز البيت ، وهو قوله :

(١) تَذَرُوا بهما ، أى علموا . يقال أنذرتهم فنذروا بفتح النون وكسر الذال .

(٢) فى النسختين : « قائد » بالقاف ، صوابه فى معجم البلدان فى (أجاً) وفى (قائد) فى باب

الفاء .

(٣) ياقوت : « فسار » .

(٤) التكملة من ش ومعجم ياقوت .

* فمن شاء فليَنهَضْ لها من مُقاتِل *

والجبل نفسه لا يُقاتِل ، والمقاتلة مفاعلة ، ولا تكون من واحد . ووقف على هذا مِنْ كلامنا نحوئُ من أصدقائنا ، وأراد الاحتجاج والانتصار لقولهم ، فكان غايةً ما قاله أَنَّ المعاملة في التذكير والتأنيث مع الظاهر ، وأنت تراه قال : « أَبَتْ أجباً » فالتأنيث لهذا الظاهر ، ولا يجوز أن يكون للقبائل المحذوفة . فقلت له : هذا خلافُ كلام العرب ، ألا ترى إلى قول حَسَّان :

يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ بَرْدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ^(١)

٤٧٦

لَمْ يَرَوْ أَحَدٌ قَطُّ « يَصَفِّقُ » إِلَّا بِالْيَاءِ آخِرِ الْحُرُوفِ ، لَأَنَّهُ يَرِيدُ يُصَفِّقُ مَاءَ بَرْدَى ، فَرَدَّهُ إِلَى المحذوف وهو الماء ، ولم يرده إلى الظاهر وهو بَرْدَى . ولو كان الأمر على ما ذكرت لقال تصَفَّقْ ، لَأَنَّ بَرْدَى مؤنث لم يجيء على زنته مؤنث قط . وقد جاء الرُّدُّ على المحذوف تارة وعلى الظاهر أخرى ، في قوله عز وجل : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾^(٢) . ألا تراه قال : فجاءها ، فردَّ على الظاهر ، وهو القرية ، ثم قال : أو هم قائلون ، فردَّ على أهلها وهو محذوف . وبعد فليس ههنا ما يتأوَّل به التأنيث إِلَّا أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ أَرَادَ الْبَقْعَةَ ، فيصير من باب التحكُّم ، لَأَنَّ تَأْوِيلَهُ بِالْمَذَكَّرِ ضَرُورِي ، لَأَنَّهُ جَبَل ، والجبل مذكَّر ، وإِنَّمَا سُمِّيَ بِاسْمِ رَجُلٍ بِإِجْمَاعٍ . ولو سألتَ كُلَّ أَعْرَابِيٍّ عَنْ أَجْبَأٍ لَمْ يَقُلْ إِلَّا : إِنَّهُ جَبَل ، ولم يقل بقعة . ولا مستند للقبائل بتأنيثه البتة . ومع هذا فَإِنِّي إلى هذه الغاية لم أقف للعرب على شعْرٍ جاء فيه أَجْبَأٌ غير منصرف ، مع كثرة استعمالهم لتركِ صرفٍ ما ينصرف في الشعر ، ثم إِنِّي وقفتُ بعد ما سَطَرْتُهُ على جامع شعر امرئ القيس

(١) ديوان حسان ٣٠٩ . وقد سبق في ٤ : ٣٨١ وهو الشاهد ٣١٥ .

(٢) الآية ٤ من سورة الأعراف .

وقد نصَّ على ما قلته ، وهو أنه قال : أجأ موضع ، وهو أحد جبلى طيِّء ،
والآخر سَلَمَى . وإنمَّا أراد أهل أجأ كقول الله : ﴿ واسئَلْ الْقَرْيَةَ ^(١) ﴾ ، يريد
أهل القرية . ثم وقفتُ على نسخة أخرى فيها :

* أرى أجأ لم يُسلم العامَ جاره *

قال : المعنى أصحابُ الجبل لن يسلموا جارهم ^(٢) . انتهى كلام ياقوت .

وقوله : « أَنْ تُسَلِّمَ » من أسلمه أى خذله . والجار هنا : المستجير والنزِيل .
وهذا حثٌّ منه وإغراءٌ للقيام بنصرته وتخليص ما ذَهَبَ من إبله . و « مِنْ مَقَاتِلِ »
بيان لمن شاء .

وقوله : « تَبَيْتَ لَبُونِي » إلخ هذا تصويرٌ لما إليه تُقُولُ حالُ إبله بعد إعانتهم
له . و « الْقَرْيَةُ » على لفظ مصغر القرية ، وهو موضع . و « أَمْنٌ » : جمع آمنة .
هذا إن كان بضم الهمزة وتشديد الميم ، وإن كان بوزن اسم الفاعل فالمعنى إِنَّا أَمِنَّا
عليها . و « أَسْرَحُهَا » من سَرَحَتِ الإبل ، من باب نفع ، أى جعلتها ^(٣) ترعى .
ومثله سَرَحْتُها تسريحاً . ويقال : سَرَحْتُ الإبلَ سَرَحًا وسُرُوحًا ، إذا رَعَتْ بنفسها ،
يتعدَّى ولا يتعدَّى . وغَبَّأَ : يوما بعد يوم . والأكناف : التَّوَاحِي . وحائل بالحاء
المهملة والهمزة : اسم جبل .

وقوله : « بَنُو تُعَلِّ جِيرَانُهَا » تُعَلُّ ، بضم المثلثة وفتح العين المهملة : حَيٌّ
من طيِّء . و « نَابِلٌ » بالنون والموحدة . وروى بالهمزة . ونَابِلٌ وسَعْدٌ : حَيَّانٌ من
طيِّء .

(١) الآية ٨٢ من سورة يوسف .

(٢) في معجم البلدان : « لم يسلموا جارهم » .

(٣) ط : « جعلها » ، صوابه في ش مع أثر تصحيح .

وقوله : « تلاعبُ أولادَ الوعول » مفعول ، و « رباعُها » فاعل ، وهو جمعُ رُبْعٍ بضم ففتح ، وهو ما تُنتج في الربيع . والوعِل : تيسُ الجبل . يريد أن أولاد إبله تلاعب أولادَ الوعول وتُرعى معها للأمن . و « المعازل » : الجبال ، وروى بدله : « المجادل » بالجيم ، الواحد مجدل ، وهو القَصْر ^(١) ، وأراد بها الجبال . قاله العيني .

وقوله : « مكَلَّة » أى هذه المعازل والجبال مكَلَّة بالصخور . والأسيرةُ : الطَّرْق ، جمع سِرار بالكسر . والحُبْك بضمتين : الطرائق . والوصائل : جمع وصيلة ، وهو ثوبُ أمعر الغَزَل ^(٢) فيه خطوط . وقال السيوطي : المَجَادِل : الجبال العالية . ومكَلَّة : مغطاة . والأسرةُ : الطرائق ، وكذلك الحُبْك . والوسائل : ثيابٌ حُمر مخططة .

وترجمة امرئ القيس تقدّمت في الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب ^(٣) .

* * *

وأنشد بعده :

٤٧٧

(إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ)

هو عجز وصدرة :

(فَإِذَا أَقْرَضْتُ قَرْضاً فَاجْزِئْ)

(١) القصر المُشْرِف . والمجدل بكسر الميم .

(٢) يريد بالأمر أنه أملس لا زئير له . ومن قولهم : رجل أمر قليل الشعر ، ومكان أمر : قليل

النبات .

(٣) الخزانة ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

على أن بعضهم قال : (ليس) فيه عاطفة . والظاهر أنها على أصلها ، أى ليس الجمل جازياً . والأول مذهب البغداديين ، احتجوا بهذا البيت على أن ليس عاطفة ، قالوا : كما تقول : قام زيدٌ ليس عمرو ، فعمرو معطوف على زيد بليس ، كما تقول : قام زيدٌ لا عمرو . فليس محمولة على لا فى العطف .

قال أبو حيان : وحكى النُّحَّاس وابن بابشاذ هذا المذهب عن الكوفيين . وحكاه ابن عصفور عن البغداديين . قال أبو العباس ثعلب (فى أماليه) : مررت بزيد ليس عمرو ، قال الكسائى : لا نُجيزه إلاَّ مع الباء . والفراء [لا ^(١)] يلزمه أن يقوله ، لأنَّ الكسائى يقول : الثانى محذوف مطلوب ، وإذا جاء الخفض لم يُحذف الخافض والفعل . والفراء يقول : إذا حُسنت ليس موضع لا جاز . وأنشد :

* إِنَّمَا يَجْزَى الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ *

قال سيويه : يقول ^(٢) : ليس الجمل يجزى . فجعله فعلاً محذوفاً واستراح . قال أبو العباس : وأول ما ينبغى أن نقول للكسائى : لم حذف الثانى وطلبته . انتهى كلامه .

ولا عندهم مخصوصة بعطف الاسم كما مثَّل . قال صاحب اللباب : ولا لتنفى ما وجب للأول ، وتختصُّ بالاسم . وقد جعل ليس مرادفاً لها فى قوله :
* إِنَّمَا يَجْزَى الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ *

والصحيح أنه على أصله . انتهى .

وبقاؤها على أصلها يكون بأحد شيئين :

(١) التكملة من مجالس ثعلب ٥١٤ .

(٢) يقول ، أى الشاعر . ط : « تقول » ، صوابه فى ش .

الأول : ما أجاب به الشارح المحقق ، من أنّ الجَمَل اسمُها والخبر محذوف ، أى ليس الجمل جازياً ، أو ليس الجمل يَجْزى . والعرب قد تحذف خبر ليس فى الشعر ، كقوله :

لَهْفَى عَلَيْكَ لِلْهَفَةِ مِنْ خَائِفٍ يَبْغَى جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرٌ ^(١)

فليس فى هذا البيت ليست عاطفة باتفاق ، ولا يُتَصَوَّرُ العطف فيها ، وخبرها محذوف ، أى ليس مجيرٌ فى الدنيا .

والثانى : أن يكون الجَمَل خبر ليس ، وسكن للقفية ، واسمها ضمير اسم الفاعل المفهوم من يُجْزى ، أى ليس الجازى الجمل . كذا فى شرح اللباب للقالى ^(٢) .

وهذا البيت من قصيدة للبيد ، وقد شرحنا منها جملةً فى الشاهد الرابع والأربعين بعد السبعمائة ^(٣) .

(١) لعبد الله بن أيوب التيمي ، فى رثاء منصور بن زياد . الحماسة ٩٥٠ بشرح المرزوقى ، ويروى أيضاً لشمردل اللبثى فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٣١٣ . وانظر الخزانة ٤ : ١٧١ .

(٢) ط : « للقالى » ، صوابه فى ش مع أثر تصحيح .

(٣) الخزانة ٩ : ٢٩٧ - ٣٠٤ .

حروف التثنية

أنشد فيها :

(ألا رجلاً جزاهُ اللهُ خيراً)

على أن (ألا) قد تجيء عند الخليل حرف تحضيض .

قال سيبويه ^(١) : وسألت الخليل رحمه الله عن قوله :

ألا رجلاً جزاهُ اللهُ خيراً يدُلُّ على محصلة تبيتُ

فزعم أنه ليس على التمني ، ولكنه بمنزلة قول الرجل : فهلاً خيراً من ذلك ، كآته . قال : ألا تُروني رجلاً جزاهُ اللهُ خيراً . وأما يونس فزعم أنه نَوَّنَ مضطراً . انتهى .

قال الأعلام : الشاهد فيه نصبُ رجل وتنوينه ، لأنه حُمِلَ على إضمار فعل

وَجَعَلَ أَلَا حرفَ تحضيضٍ ، والتقدير : ألا تُروني رجلاً . ولو جعلها أَلَا التي ٤٧٨
لِلتَّمَنَّى لَنَصَبَ ما بعدها بغير تنوين . هذا تقدير الخليل وسيبويه . ويونس يرى أنه منصوب بالتمنى ، وتَوْنٌ ضرورة . والأوّل أولى لأنه لا ضرورة فيه . وحروف التحضيض مما يحسن إضمار الفعل بعدها . والمحصلة : المرأة ^(٢) التي تحصل الذهب من تراب المعدن وتخلصه منه ، طلبها للمبيت .

(١) سيبويه ١ : ٣٥٩ .

(٢) كذا في النسختين . والذي في الأعلام : « وأراد بالمحصلة امرأة تحصل الذهب » . وفي اللسان بعد الكلام على « امرؤ » : « وألحقوا ألف الوصل في المؤنث أيضا فقالوا امرأة ، فإذا عرقوها قالوا : المرأة . وقد حكى أبو علي : المرأة » .

وفي البيت تضمينٌ ، لأنَّ خبرُ بُيِّتٍ في بيتٍ بعده ، وهو :
 تُرْجَلُ لِمَتَّى وَتُقْمُ بَيْتِي وَأَعْطِيهَا الْإِثَاوَةَ إِنْ رَضِيْتُ
 وتقدّم شرحه في الشاهد الثالث والستين بعد المائة ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :
 (تَعْلَمَنَّ هَا لَعَمْرُ اللَّهِ ذَا قِسْمًا فَاقْدَرُ بِذَرْعِكَ وَانْظُرْ أَيْنَ تَنْسَلِكُ)
 على أنّه يفصل كثيراً بين هَا التنبيه وبين اسم الإشارة بجملة القسم .
 وهذا خلاف ما تقدّم منه في باب اسم الإشارة ، قال هناك : ويُفصل
 هَا التنبيه عن اسم الإشارة بأنا وأخواته كثيراً ، نحو : هَانَدَا ، وبغيرها قليلٌ وذلك
 إمّا قَسَمَ ، كقوله :

* تَعْلَمَنَّ هَا لَعَمْرُ اللَّهِ ذَا قِسْمًا *

أو غيرُ قسم كقوله :
 * هَا إِنْ تَا عِذْرَةٌ ^(٢) *

ونحو :
 * فقلت لهم : هذا لها هَا وذالها ^(٣) * ... انتهى .

(١) الخزّانة ٣ : ٥١ - ٥٥ .

(٢) هو الشاهد ٤١٣ في الخزّانة ٥ : ٤٥٩ ، وهو للناطقة . والبيت بتمامه :

ها إن تَا عِذْرَةٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ نَفَعْتَ فَإِنَّ صَاحِبَهَا قَدْ تَاهَ فِي الْبَلَدِ

(٣) هو الشاهد ٤١٤ في الخزّانة ٥ : ٤٦١ . وصدّره :

« وَنَحْنُ اقْتَسَمْنَا الْمَالَ نِصْفَيْنِ بَيْنَا »

وتقدّم هناك في الشاهد الثاني عشر بعد الأربعمئة ^(١) نقل كلام سيويه عند هذا البيت ، وليس فيه ما يدل على كثرة وقلة .

قال الأعلام : الشاهد فيه تقديم ها التي للتنبيه على ذا ، وقد حال بينهما بقوله لعمر الله ، والمعنى لعمر الله هذا ما أقسم به . ونصب قسماً على المصدر المؤكّد لما قبله ، لأنّ معناه [أقسم ^(٢)] ، فكأنه قال : أقسم لعمر الله قسماً . فذا عند الخليل هو المحلوف عليه ، فكأنّه قال : والله الأمر هذا ، فحذف الأمر وقدم ها . وعند غيره المعنى : هذا ما أقسم به .

وتعلّم بمعنى علّم ، لا يستعمل إلّا في الأمر . وقوله : « فاقدر بذرعك » أى قدر لخطوك . والذرع : قدر الخطو . وهذا مثل ، والمعنى : لا تكلف ما لا تطيق منى . يتوعده بذلك ، وكذلك قوله : « وانظر أين تنسلك » . والانسلاك : الدخول في الأمر . والمعنى : لا تدخل نفسك فيما لا يعينك ولا يجدى عليك

* * *

وأنشده بعده :

(ها إنّ تاعذرة)

على أنّ الفصل بين ها وبين تا بيان ، وهى غير قسم وغير ضمير مرفوع منفصل ، قليل .

وهو قطعة من بيت ، وهو :

(ها إنّ تا عذرة إنّ لم تكن نفعت فإنّ صاحبها قد تاه في البلد)

(١) الخزانة ٥ : ٤٥١

(٢) التكملة من الشنتمرى ٢ : ١٤٥ . والنص مع هذا مبتور في شرح الشنتمرى المطبوع على

هامش سيويه .

وتأسم إشارة بمعنى هذه ، لما ذكره قبله في القصيدة ، من يمينه على أنه لم يأت بشيء يكرهه .

و (تا) مبتدأ و (عذرة) خبرها . وهى بكسر العين اسم للعذر بضمها . وقوله : (إن لم تكن) إلخ صاحبها أى صاحب العذرة ، ويعنى به نفسه . يريد إن لم تقبل عذرى وترض عني فأنتى أحتل حتى إئتى أضيل في البلدة التى أنا فيها ، لعظم الخوف الذى حصل من وعيدك .

وتقدم الكلام عليه في الشاهد الثالث عشر بعد الأربعمئة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(فقلت لهم هذا لها ها وذالها)

لما تقدم قبله . وهذا عجز وصدرة :

(ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننا)

وتقدم شرحه في الشاهد الرابع عشر بعد الأربعمئة (٢) .

٤٧٩

* * *

وأنشد بعده :

(يا ربنا غارة)

هو قطعة من بيت وهو :

(ماوى يا ربنا غارة شعواء كاللذعة بالميسم)

(١) انظر ما سبق قريبا في الحواشى .

(٢) الخزنة ٥ : ٤٦١ .

على أنّ « يا » فيه عند ابن مالك للتنبيه ، لدخولها على ما يفيد التقليل ، وهو ربّ^(١) .

وفيه نظر ، لأنّ ربّ في البيت للتكثير لا للتقليل ، لأنّه في مقام الافتخار والتّمُدّح ، كما يأتي بيانه .

وما نُقل عن ابن مالك هنا قاله في باب تنميم الكلام على كلماتٍ مفتفِرةٍ^(٢) إلى ذلك ، (من التسهيل) ، قال : وأكثر ما يلي يا نداءً أو أمرٌ أو تمنّ أو تقليل .

قال شارحه المرادى : يعنى بالنداء المنادى ، وأطلق المصنف على التى للنداء أنّها حرف تنبيه ، لأنّها تنبيهٌ للمخاطب . وقد أشار إليه سيويوه . وكلامه هنا يدلّ على أنّها إذا وليها فعلٌ أمر لا تكون للنداء ، بل لمجرد التنبيه . وهو خلاف ما قدّمه في باب النداء . وقد تدخل على الدعاء كقوله :
يا لعنة الله والأقوام كلّهم والصّالحين على سيمعانٍ من جارٍ^(٣)
وعلى حبّذا كقوله :

* يا حبّذا جبّل الرّيان من جبلٍ^(٤) * ... انتهى .

وكلامه في باب النداء أجود ، قال فيه : وقد يحذف المنادى قبل الأمر

(١) الذى فى الرضى ٢ : ٢٥٤ : « وقد عد ابن مالك يا من حروف التنبيه وقال : وأكثر ما يليها منادى ، أو أمر نحو ألا يا اسجدوا ، أو تمن نحو : ياليتنى كنت معهم ، أو تقليل نحو : يا ربّنا غارة . وقد يليها فعل المدح والذم والتعجب » .

(٢) أى مفتقرة ومحتاجة إلى تنميم الكلام عليها . وفى ط : « متفرقة » ، صوابه فى ش والتسهيل لابن مالك ٢٤٢ .

(٣) من شواهد سيويوه ١ : ٣٢٠ بولاق والكامل ٤٧ ، ٤٨ والإنصاف ١١٨ والمغنى ٣٧٣ . وهو

مجهول القائل .

(٤) لجريز فى ديوانه ٥٩٦ . وهو من شواهد ابن يعيش ٧ : ١٤٠ والمجمع ٢ : ٨٨ . وعجزه :

* وحبذا ساكن الرّيان من كانا *

والدعاء فتلزم يا . وإن وليها ليت أو ربَّ أو حبَّدا فهي للتنبيه لا للدعاء . انتهى .

فيا إنَّما تكون عنده حرف تنبيه إذا وليها أحد الثلاثة الأخيرة .

وقد شرح كلامه هذا (في التوضيح ^(١)) شرحاً شافياً ، قال عند قول ورقة بن نوفل : « يا ليتنى أكون حياً إذ يُخرجُك قومُك » : يظنُّ أكثرُ الناس أنَّ يا التي تليها ليت حرف نداء ، والمنادى محذوف ، فتقدير قول ورقة : يا محمد ليتنى كنت حياً ، وتقدير قوله تعالى : ﴿ يا ليتنى كنت معهم ^(٢) ﴾ : يا قوم ليتنى . وهذا الرأي عندى ضعيف ، لأنَّ قائل يا ليتنى قد يكون وحده ، فلا يكون معه منادى لا ثابت ولا محذوف ، كقول مريم عليها السلام : ﴿ يا ليتنى ميتٌ قَبْلُ هذا ^(٣) ﴾ ، ولأنَّ الشئ إنَّما يجوز حذفه مع صحة المعنى بدونه إذا كان الموضع الذى ادَّعى فيه حذفه مستعملاً فيه ثبوته ، كحذف المنادى قبل أمر أو دعاء ، فإنَّه يجوز حذفه لكثرة ثبوته ، فإنَّ الأمر والدَّاعى يحتاجان إلى تأكيد اسم المأمور والمدعو ، بتقديمه على الأمر والدعاء . واستعملَ ذلك ^(٤) كثيراً حتَّى صار موضعه منبهاً عليه إذا حُذف . فحسنُ حذفه لذلك .

فمن ثبوته قبل الأمر : ﴿ يآدمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ^(٥) ﴾

و ﴿ يا بني إسرائيل اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ ^(٦) ﴾ ، و ﴿ يا بني آدمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ ^(٧) ﴾ ،

(١) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ٤ - ٩ .

(٢) الآية ٧٣ من سورة النساء .

(٣) الآية ٢٣ من سورة مريم .

(٤) ط : « بذلك » ، صوابه في ش والتوضيح .

(٥) الآية ٣٥ من سورة البقرة .

(٦) الآية ٤٠ من سورة البقرة .

(٧) الآية ٣١ من سورة الأعراف .

و ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ ^(١) ، و ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ ^(٢) و ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ ^(٣) ، و ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ^(٤) .

ومن ثبوته قبل الدعاء : ﴿يَا مُوسَى اذْغُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ^(٥) ، و ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ ^(٦) ، و ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ^(٧) .

ومن حذف المنادى المأمور في قراءة الكسائي : ﴿أَلَا يَا اسْجُدُوا﴾ ^(٨) أراد : ألا يا هؤلاء اسجدوا . فحسن حذف المنادى قبل الأمر والدعاء اعتياد ثبوته في محل ادعاء الحذف ، بخلاف ليت فإن المنادى لم تستعمله العرب قبلها ثابتاً . فادعاء حذفه باطل ، لخلوه من دليل ، فيتعين كون لا التي تقع قبلها لمجرد التنبيه ، مثل ألا وهما ، ومثل يا الواقعة قبل ليت في تجرُّدها للتنبيه الواقعة قبل حبذا ، في قول الشاعر ^(٩) :

يَا حَبِذَا جَبِلَ الرَّيَّانِ مِنْ جَبِلٍ وَحَبِذَا سَاكُنَ الرَّيَّانِ مَنْ كَانَا

وقبل رب في قول الراجز :

يَا رَبِّ سَارِ بَاتَ مَا تَوْسَدَا إِلَّا ذِرَاعَ الْعِيسِ أَوْ كَفَّ الْيَدَا ^(١٠)

(١) الآية ٧٦ من سورة هود .

(٢) الآية ١٢ من سورة مريم .

(٣) الآية ١٧ من سورة لقمان .

(٤) الآية الأولى من سورة الأحزاب .

(٥) الآية ١٣٤ من سورة الأعراف .

(٦) الآية ٩٧ من سورة يوسف .

(٧) الآية ٧٧ من سورة الزخرف .

(٨) الآية ٢٥ من سورة النمل . وهي قراءة ابن عباس ، وجعفر ، والزهرى ، والسلمى ، والحسن ،

وحميد ، والكسائي من السبعة . وقراءة باقي السبعة : « أَلَا يَسْجُدُوا » باللام المشددة والمضارع المنصوب بعدها

بأن المدغمة في اللام . وانظر باقي القراءات في تفسير أبن حيان ٧ : ٦٨ .

(٩) هو جرير في ديوانه ٥٩٦ من قصيدة طويلة يهجو بها الأخطل

(١٠) الرجز مجهول القائل ، وهو في معجم الشواهد . وقد سبق في ٧ : ٤٩٨ . وهو الشاهد ٥٦٧ .

ويروى : « ذراع العنس » بالنون ، وهما روايتان صحيحتان .

انتهى كلامه باختصار .

وقوله : (ماوئىَّ يا ربَّنا غارة) منادى مرتحم ماوئىَّة ، اسم امرأة . وما فى ربَّنا زائدة ، وغارة مجرورة برُبَّت . و (الشَّعواء) بالعين المهملة : الغارة المنتشرة . واللَّذعة بالذال المعجمة والعين المهملة : مصدر لذعته النار ، أى أحرقتة . و (الميسم) : ما يُوسَم به البعير بالنار . وجواب ربَّ فى البيت الذى بعده ، وهو :

ناهَبْتُهَا الْغُنْمَ عَلَى طَيْعٍ أَجْرَدَ كَالْقِدْحِ مِنَ السَّاسِمِ)

أى نهبتُ بالغارة الغنمة على فرس طيِّع مُنقادٍ لراكبه . والقدح بالكسر : السهمُ قبل أن يُراش . والسَّاسِمُ : خشب الآينوس . وهذا كما ترى افتخارٌ لا يليق به القلَّة . وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الستين بعد السبعمئة (١) .

حروف الإيجاب

أنشد فيها ، وهو الشاهد الثالث عشر بعد التسعمائة ^(١) :

٩١٣ (أليسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو وَإِيَّانَا فِذَاكَ بِنَا تَدَانِي
نَعَمْ وَتَرَى الْهَلَالَ كَمَا أَرَاهُ وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي)

على أَنَّ (نَعَمْ) هنا لتصديق الخبر المثبت المؤول به الاستفهام مع النفي ،
فكأنه قيل : إن اللَّيْلَ يَجْمَعُ أُمَّ عَمْرٍو وَإِيَّانَا نَعَمْ ، فَإِنَّ الهمزة إذا دخلت على النافي
تكون لمحض التقرير ، أَيْ حَمَلَ الْمُخَاطَبُ عَلَى أَنْ يَقَرَّ بِأَمْرِ يَعْرِفُهُ ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ
لِلْإِنْكَارِ . وَإِنْكَارُ النَّفْيِ إِبْتَاتٌ .

ومراد الشارح المحقق بهذا التوجيه والشاهد ، الرَّدُّ عَلَى ابْنِ الطَّرَاوَةِ ، فِي
زَعْمِهِ أَنَّ مَجِيءَ نَعَمْ بَعْدَ الاسْتِفْهَامِ الدَّخْلِ عَلَى النَّافِي لِحَنْ ، وَالْوَاجِبُ مَجِيءُ بَلَى ،
فَإِنَّهُ قَدْ لَحَّنَ سَبِيوِيَهُ بِمِثْلِهِ (فِي بَابِ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ صِفَةٌ مَا كَانَ مِنْ سَبَبِهِ) ، قَالَ
فِيهِ : وَإِنْ زَعَمَ زَاعِمٌ أَنَّهُ يَقُولُ : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مَخَالِطٍ بِدَنِيهِ دَاءً ، فَفَرَّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْمُتَوَّنِّ . قِيلَ لَهُ : أَلَسَتْ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الصِّفَةَ إِذَا كَانَتْ لِلأَوَّلِ فَالْتَنَوَيْنِ وَغَيْرِ
الْتَنَوَيْنِ سِوَاءً إِذَا أُرِدَتْ بِإِسْقَاطِ التَّنَوَيْنِ مَعْنَى التَّنَوَيْنِ ، نَحْوُ قَوْلِكَ : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ
مُلَازِمٍ أَبَاكَ ، وَمَرَرْتُ بِرَجُلٍ مُلَازِمٍ أَبِيكَ أَوْ مُلَازِمِكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ بُدْأً مِنْ أَنْ
يَقُولَ : نَعَمْ ، وَإِلَّا خَالَفَ جَمِيعَ الْعَرَبِ وَالنَّحْوِيِّينَ . فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قُلْتَ : أَفَلَسَتْ

(١) الشعراء ٤٤٢ وأمالى القالى ١ : ٢٨٠ والسمط ٦١٧ والمقرب ١ : ٢٩٤ والمغنى ٣٤٧ .

تَجْعَلَ هذا العملَ إذا كان منونًا وكان لشيءٍ من سبب الأول أو التَّيسَرِ (١) به بمنزله إذا كان للأول ، فإنه قائلٌ : نعم . انتهى كلامه (٢) .

قال أبو حيان (في تذكرته) بعد أن نقل كلام سيبويه : قد لَحَنَ ابنُ الطَّرَاوَةِ سيبويه في استعماله نعم في هذين الموضعين ، وقال إنما هو موضع بَلَى لا موضع نَعَمْ . وهو كما قال في أكثر ما يُوجَد من كلام النحاة ، وهو لا شك أكثر في الاستعمال ، وعلى ذلك جاء ما يروون عن ابن عباس ، من قوله في قول الله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ (٣) ﴿ إِنَّهُمْ لو قالوا نعم لكفروا . ولكن قد يوجد مع ذلك خلافه . قال الشاعر :

٤٨١

* أليس الليلُ يَجْمَعُ أمَّ عمرو * .. البيتين .

ويفتقر كلام ابن عباس مع وجود قول هذا القائل إلى فضْل نظر ، وهو أن يقول : (نعم) في قول الشاعر ليس بجواب ، لأنَّ الجواب بنعم إذا جاء بعد الاستفهام إنما يكون تصديقاً لما بعد ألف الاستفهام . ولم يرد الشاعر أن يصدّق أنّه لا يجمعه الليلُ مع أمَّ عمرو ، فلذلك يكون بنو آدم إذا قالوا في جواب : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ : نعم ، كفاراً ، لأنَّ الجواب بنعم يكون تصديقاً لما بعد ألف الاستفهام من النَّفى ، وهو الأكثر في الاستعمال ، ولكنّه لا يمتنع مع ذلك أن يقولوا نعم ، لا على الجواب ، ولكن على التّصديق ، لأنَّ الاستفهام في أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ تقرير ، والتقرير خبر موجب ، فإذا كان التقرير خبراً معناه الإيجاب جاز أن يأتي نعم ، كما يأتي بعد الخبر الموجب للتصديق . وإذا كان الأمر كذلك لم يكن في

(١) هذا نص سيبويه ١ : ٢٢٧ بولاق ٢ : ١٩ هارون . وفي ط : « والتَّيسَر به » تحريف . وفي ش :

« والتَّيسَر به » .

(٢) الكلام مبتور ، وإنما قصد بالاعتباس أن سيبويه استعمل « نعم » في جواب النفي .

(٣) الآية ١٧٢ من سورة الأعراف .

إجازة نعم في الآية وفي الشعر مخالفة لابن عباس فيما قاله ، لأنَّهما لم يتواردا على معنى واحد ، فإن الذي منعه إنمَّا منعه على أن نعم جواب ، وإذا كان جواباً إنمَّا يكون تصديقاً لما بعد ألف الاستفهام ، والذي أجاز به إنمَّا أجاز على أن تكون نعم غير جواب . وإتمام نعم فيه على وجه التصديق ، كما في قولك : نعم ، لمن قال قام زيد . انتهى كلامه . واختصره المرادى (في الجنى الدانى) .

فقد اتفق الشارحُ المحقق وأبو حيَّان في هذا التوجيه .

وقد جاء في الحديث مثل ذلك الشعر ، وهو قول الأنصار للنبي ﷺ [وقد قال لهم ^(١)] : أَلَسْتُمْ ترون [لهم] ذلك ؟ قالوا : نَعَمْ .

وهذا التوجيه نسبه ابن هشام (في بحث نَعَمْ من المغنى) إلى جماعة من المتقدمين والمتأخرين ، منهم الشَّلَوِيُّن ، قال الشَّلَوِيُّن : إذا كان قبل النفى استفهام فإن كان على حقيقته فجوابه كجواب النَّفى المجرد ، وإن كان مراداً به التقرير فالأكثر أن يجاب بما يجاب به النَّفى ، رعيّاً للفظه . ويجوز عند أمن اللبس أن يجاب بما يجاب به الإيجاب ، رعيّاً لمعناه . ألا ترى أنَّه لا يجوز بعده دخول أحد ، ولا الاستثناء المفرغ ؛ لا يقال : أليس ^(٢) أحدٌ في الدار ، ولا أليس في الدَّارِ إلَّا زيد . وعلى ذلك جاء قول الأنصار وقول الشاعر : نعم ، بعد النفى المقرون بهمزة الاستفهام .

قال ابن هشام : وعلى هذا جرى كلامُ سيويهِ ، والمخطئُ مُخطئٌ .

وقال (في بحث بلى) : أَجَرَوُ النَّفَى مع التقرير مُجَرَى النَّفَى المجرد في ردِّه بلى ، ولذلك قال ابن عباس وغيره : لو قالوا نَعَمْ لكفروا . ووجهه أن نعم تصديقٌ

(١) هذه التكملة وتاليها من المغنى ٣٤٧ .

(٢) ط : « ليس » ، صوابه في ش والمغنى .

للمخبر بنفى أو إيجاب ، ولذلك قال جماعة من الفقهاء : لو قال : أليس لى عندك ألف . فقال : بلى ، لزمته . ولو قال : نعم ، لم تلزمه . وقال آخرون : تلزمه فيهما . وجزوا فى ذلك على مقتضى العرف لا اللغة . ونازع السهيلي وغيره فى المحكى عن ابن عباس وغيره فى الآية ، مستمسكين^(١) بأن الاستفهام التقريرى خبر موجب ، ولذلك امتنع سيبويه من جعل أم متصلة فى قوله تعالى ﴿ : أَفَلَا تُبْصِرُونَ أم أنا خير^(٢) ﴾ ، لأنها لا تقع بعد الإيجاب . وإذا ثبت أنه إيجاب فنعم بعد الإيجاب تصديق له . انتهى .

ويشكل عليهم أن بلى لا يجاب بها الإيجاب ، وذلك متفق عليه .

قال الدماميني : لا إشكال ، فإن هؤلاء راعوا صورة النفى المنطوق به ، فيجاب ببلى حيث يراد إبطال النفى الواقع بعد الهمزة ، وجوزوا الجواب بنعم على أنه تصديق لمضمون الكلام جميعه : الهمزة ومدخولها ، وهو إيجاب . ودعواه الاتفاق منازع فيها . أما إن أراد الإيجاب المجرد من النفى أصلاً ورأساً فقد حكى فيه الرضى الخلاف . وأما إن أراد ما هو أعم حتى يشمل التقرير المصاحب للنفى فالخلاف موجود مشهور ، ذكره المصنف عن الشلويين وغيره فى نعم وهنا أيضاً ، بقوله : إنهم أجرؤا النفى مع التقرير مجرى النفى المجرد فى رده ببلى . انتهى .

هذا وقد قال أبو حيان (فى الارتشاف) : وأما قول جحدر :

* أليس الليلُ يجمع أم عمرو * ... البيتين .

فليس نصاً فى أن التقرير يجاب بنعم . انتهى .

(١) هذا ما فى ش والمغنى . وفى ط فقط : « متمسكين » .

(٢) الآيتين ٥١ ، ٥٢ من سورة الزخرف .

فلا يُدفعُ التناقضُ بين كلام ابن عباس وكلام غيره بما ذكره الشارح المحقق ، فلا بد من دليل سمعي يبين جواز ذلك . قال أبو حيان : ولم يُذكر سيوى بيتي جحدر ، وقد ذكر له عدّة تأويلات ، فلا يقوم بمثله حُجّة على اثبات ما ثبت في اللسان العربيّ خلافه . انتهى .

وقد أوّل بثلاثة تأويلات :

أحدها : لابن عصفور ^(١) ، وهو أن تكون نعم فيه جواباً لغير مذكور ، قال : أجرت العرب التقرير في الجواب مجرى النفي المحض وإن كان إيجاباً في المعنى . فإذا قيل : ألم أعطك درهما ، قيل في تصديقه : نعم ، وفي تكذيبه : بلى ، وذلك لأنّ المقرّر قد يوافقك فيما تدّعيه وقد يخالفك ، فإذا قال نعم لم تعلم هل أراد نعم لم تُعطني على اللفظ ، أو نعم أعطيتني على المعنى ، فلذلك أجابوه على اللفظ ولم يلتفتوا إلى المعنى . وأمّا نعم في بيت جحدر فجواب لغير مذكور ، وهو ما قدّره في اعتقاده أنّ الليل يجمعه وأمّ عمرو . وجاز ذلك لأمن اللبس ، لعلمه أنّ كلّ أحد يعلم أنّ الليل يجمعه وأمّ عمرو . وأمّا قول الأنصار فجاز لزوال اللبس ، لأنّه قد علم أنّهم يريدون نعم نعرف لهم ذلك . وعلى هذا يُحمّل استعمال سيبويه لها بعد التقرير . انتهى .

ثانيها : لابن عصفور أيضاً : أنّه جواب لما بعده ، كقولهم : نعم هذه أطلّاهم . قال : ويجوز أن تكون جواباً لقوله : « وترى الهلال » البيت . وفيه نظر ، لأنّ قوله : « وترى الهلال » عطّف على ما قبله ، فهو داخل تحت التقرير .

ثالثها : لأبي حيان ، وتبعه ابن هشام ، قال : الأحسن أن تكون جواباً لقوله : « فذاك بنا تداني » ، فتكون الجملة معترضة بين المتعاطفين ، وليست داخلية تحت التقرير، وتقصدت على نعم لفظاً ومعنى .

(١) النص لم يرد في المقرب ولا في الضرائر ، ولعل ابن هشام في المغني ٣٤٧ قد نقله من مصدر آخر .

ورأيت في ترجمة جميل بن مَعْمَرِ العُدْرِيّ (من كتاب الشعراء لابن قتيبة)
رواية البيت الثاني كذا :

* أرى وضَحَ الهلال كما تراه ^(١) * .

وقد رواه السُّكْرِيّ (في كتاب اللصوص ، في نسخة قديمة صحيحة) .
* بلى وترى الهلال كما أراه * .

وعليهما لا شاهدَ فيه .

قال ابن هشام : ويتحرَّرَ على هذا أنه لو أُجِيبَ أُلَسْتُ بربِّكم بنعم لم
يَكِفْ في الإقرار ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى أوجَبَ في الإقرار بما يتعلَّقُ بالرُّبُوبِيَّةِ
العبارة ^(٢) التي لا تحتمِلُ غيرَ المعنى المراد من المقرِّ ، ولهذا لا يدخل في الإسلام
بقوله : لا إله إلاَّ الله برفع إله ، لاحتماله لنفى الوَحْدَةِ فقط . ولعلَّ ابن عباس رضى
الله عنهما إنما قال : إنَّهم لو قالوا نعم لم يكن إقراراً كافياً . وجَوَّزَ الشَّلَوِيُّ أنَّ يكون
مراده أنَّهم لو قالوا نعم ، جواباً للملفوظ به على ما هو الأوضح لكان كُفْراً ، إذ
الأصل تطابقُ الجوابِ والسؤال لفظاً . وفيه نظر ، لأنَّ التكفير لا يكون
بالاحتمال .

٤٨٣

وقوله : « ولعلَّ ابن عباس » ، يريد أنَّ النقل المشهور عنه نقلٌ بالمعنى قال
الداميني : وهذا لا وجه له ؛ فإنَّه معارضةٌ للتَّغْلِيلِ الثابت المشهور بمجرد احتمال
عدمه من غير ثبوت . انتهى .

(١) الحقُّ أنه في عيون الأخبار ٢ : ١٩٤ برواية : « ترى وضح النهار كما أراه » ، والذي في الشعراء :

بلى وترى السماء كما أراها فيعلوها النهار كما علاني

(٢) ط : « والعبارة » ، صوابه في ش والمغنى .

وقد أورد الدماميني حكايةً عن الوجه الأول من التأويلات لا بأس بإيرادها قال : أُخبرت بمكة سنة ثمانى عشرة ^(١) وثمانمائة ، أن مولانا قاضى القضاة أبا الفضل النويرى الشافعى ، الناظر فى الحُكْم للعزیز ^(٢) بمكة المشرفة ، سأل الشيخ جمال الدين ابن هشام مصنف هذا الكتاب عما جرى به العرف فى هذه الأزمنة ، من أن الانسان إذا طرق باب صاحبه يقول : نَعَمْ نَعَمْ ، يريد الإعلام بحضوره ، وهل لهذا أصل فى لسان العرب ؟ فقال : نعم ، وقد ذكرت ذلك فى كتابى (مغنى اللبيب) . فقال لى ذلك المخبر : لم أظفر بذلك فى المغنى ، وسألت عنه جماعة فلم يحصل جواب .

قلت له : هو فى موضعين : أحدهما قوله قبل هذا : إن نعم تقع جواباً لسؤال مقدر . والثانى قول ابن عصفور إن نعم فى بيت جحدر جوابٌ لغير مذكور . وكذلك قول هذا الطارق : نعم نعم ، جوابٌ لما قدره فى اعتقاده من أن صاحب المنزل لشدة احتفاله والتفاتة إليه يسأل : هل حضر فلان ؟

وقاضى مكة المشار إليه هذا هو أحد مشايخى ، أخبرنى بمغنى اللبيب عن مصنفه ، وأجازنى إجازة عامة ، وكتب لى خطه بذلك . انتهى .

وقول الشاعر : (وذاك بنا تدانى) ذاك إشارة إلى جمع الليل إياها . والتدانى : التقارب .

والبيتان أبرد ما قيل فى باب القناعة من لقاء الأحباب . وقال ابن قتيبة : وجملٌ ممن رضى بالقليل فقال :

(١) ط : « ثمان عشرة » ، وأثبت ما فى ش . وهما وجهان جائزان فى العربية . الأشمونى ٤ : ٧٢ ، قال : « فى ثمانى إذا ركب أربع لغات : فتح الباء ، وسكونها ، وحذفها مع كسر النون وفتحها » .
(٢) ط : « فى الحُكْم العزیز » ، وأثبت ما فى ش .

أَقْلَبَ طَرَفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرَفِي طَرَفَهَا حِينَ تَنْظُرُ^(١)
 وَمِنْهُمَا أَخَذَتْ قَوْلَهَا عُليَّةُ بِنْتُ الْمَهْدِيِّ الْعَبَّاسِيِّ ، أَوْرَدَهُ الصُّوْلَى (فِي
 تَرْجُمَتِهَا مِنْ كِتَابِ الْأَوْرَاقِ^(٢)) :

أَلَيْسَتْ سُلَيْمَى تَحْتَ سَقْفٍ يُكْنِيهَا وَإِيَّايَ هَذَا فِي الْهَوَى لِي نَافِعُ
 وَيُلْبِسُهَا اللَّيْلُ الْبِهْمُ إِذَا دَجَا وَتُبْصِرُ ضَوْءَ الصُّبْحِ وَالْفَجْرُ سَاطِعُ
 تَدْوَسُ بِسَاطِأٍ قَدْ أَرَاهُ وَأَتْنِي أَطَاهُ بِرَجْلِي كُلُّ ذَا لِي شَافِعُ

صاحب الشاهد والبيتان من قصيدة لجحدر بن مالك الحنفي ، قالها وهو في سجن الحجاج وأرسلها إلى اليمامة . وقد تقدّم سبب حبسه مع ترجمته في الشاهد الحادي والستين بعد الخمسمائة^(٣) ، وهي هذه من رواية السكري (في كتاب اللصوص) :

تَأْوِينِي فَبْتُ لَهَا كَبِيعًا هُمُومٌ لَا تُفَارِقُنِي حَوَانِي^(٤)
 هِيَ الْعَوَادُ لَا عَوَادُ قَوْمِي أَطْلَنَ عِيَادِي فِي ذَا الْمَكَانِ
 إِذَا مَا قَلْتُ قَدْ أَجْلَيْنَ عَنِّي ثَنَى رِعَانَهُنَّ عَلَيَّ ثَانِي
 وَكَانَ مَقَرُّ مَنْزِلِي قَلْبِي فَقَدْ أَتْنَفَهْنَهُ فَالْقَلْبُ آتِي
 أَلَيْسَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكَ أَيُّهَا الْبَرْقُ الْيَمَانِي
 وَأَهْوَى أَنْ أُعِيدَ إِلَيْكَ طَرْفِي عَلَى عُدَوَاءٍ مِنْ شُغْلٍ وَشَانِ

آيات الشاهد

(١) الشعراء ٤٤٢ وديوان جميل ٩٢ . وانظر مراجع البيت في حواشيه .

(٢) الأوراق للصولي ٦٩ قسم أشعار أولاد الخلفاء .

(٣) الخزانة ٧ : ٤٦٣ - ٤٦٦ .

(٤) كبيعا ، كذا بالباء باتفاق النسختين وما سيأتي من تفسير البغدادي . والوجه : « كبيعا » كما في

اللسان (كنع) ، حيث أنشد هذا البيت . ومنه قول لقيط بن يعمر في مختارات ابن الشجري ٥ :

ولا تكونوا كمن قد بات مكتنعا إذا يقال له افرج غمّة كنّعا

نظرتُ وناقبتاي على تَعَادٍ مُطَاوَعَتَا الْأَزْمَةِ تَرَحَّلَانِ (١)
إلى ناريهما وهما قريبٌ تَشْوَقَانِ الْحَبَّ وَتُوقَدَانِ
وهيَجَنِي بلحنٍ أعجمي على غُصْنَيْنِ من غَرْبٍ وبَانِ (٢)
فكان البانُ أن بانَت سُلَيْمِي وفي الغَرْبِ اغْتِرَابٌ غيرُ دَانِي
أليس اللَّيْلُ يجمع أمَّ عمرو وإِيَّانَا فذاك بنا تَدَانِي
بَلَى ، وترى الهلال كما أراه ويعلّوها النَّهَارُ كما عَلَانِي
فما بين التفرُّق غيرُ سبعٍ بَقِيْنَ من المحرم ، أو ثَمَانِ
فَيَا أَخَوَيَّ من جُشَمَ بنِ سعدٍ أَقْلًا اللّوْمُ إنْ لم تَنْفَعَانِي
إذا جَاوَزْتَمَا سَعَفَاتِ حَجَرٍ وأودِيَةِ الْيَمَامَةِ فَانْعِيَانِي (٣)
إلى قومٍ إذا سمعوا بنعبي بكى شُبَّانُهُمْ وبكى الْعَوَانِي
وقولا جَحَدَرٌ أَمْسَى رَهِينًا يَحَاذِرُ وَقَعَ مَصْقُولٍ يَمَانِي
يحاذر صَوْلَةَ الْحَجَّاجِ ظُلْمًا وما الْحَجَّاجُ ظَلَامًا لَجَانِي !
ألم تَرْنِي غُذِيْتُ أَخَا حُرُوبٍ إذا لم أُجِنِ كُنْتُ مِجَنًّا جَانِي (٤)
فإنْ أَهْلِكَ فَرَبٌّ فَتَيَّ سِيكِي عَلَيَّ مَخْضَبٍ رَخْصِ الْبَنَانِ
ولم أك قد قَضَيْتُ دِيُونَ نَفْسِي وَلَا حَقَّ الْمَهْنَدِ وَالسَّنَانِ

قوله : « تَأَوَّبْنِي فَبِتْ لَهَا كَبِيعَا » (٥) « أَى أَتَانِي لَيْلًا هُمُومٌ ، من الْأَوْبِ وهو

(١) التعادى ، من العدو ، تُتَابِعُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى فِي الْعَدُو . وفي ش : « على عتاد » . والعتاد ، كسحاب : الأهبة .

(٢) البيت وتاليه في الحيوان ٣ : ٤٤٠ - ٤٤١ مع نسبتهما إلى سُوَّارِ بنِ الْمُضَرِّبِ . وانظر ما في حواشيه من تعليق . ورواية الحيوان : « تَغْنَى الطَّائِرَانِ بَيْنَ لَيْلٍ » .

(٣) ط : « إذا جَاوَزْتَمَا » بالزَّي .

(٤) البيت في الحماسة ١٣٢ بشرح المرزوقي برواية : « وَأَنَّى لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبٍ » .

(٥) انظر ما سبق من تعليق .

الرُّجُوع . والكَبِيع ، بفتح الكاف وكسر الموحدة ، قال السكري : كبيع وكابع بمعنى ، أى مشدود . وقال السيوطى (فى شرح أبيات المغنى) : وكنيعا من كنّع الرجل ، إذا خضع ولان . انتهى . وكأنّ نسخته التى نقل منها كانت بالنون . وحوانى : جمع حانٍ ، من حَنَى عليه حنواً ، أى تعطف ، بدليل ما بعده ، وهو قوله « هى العُودُ » . وزعم السيوطى أنّه من الحين بالفتح ، وهو الهلاك .

قال السكري : ورِيَعَانِهِن : أوائلهنّ . وأنفهنّه قال صاحب الصحاح : نَفِهَتْ نفسه بالكسر : أعيت وكلّت ، وقد أنفّه فلانٌ إبله ونفّٰها ، إذا أكلها وأعيّاها . انتهى . وهو بالنون والفاء والهاء .

قال السكري : الآنى : المُنْتَهَى فى العَلَيَان . وعُدّوَاءُ الشُّغْل ، بضم العين وفتح الدال المهملتين والواو والمدّ ، أى موانعه .

وقوله : « فَإِنْ أَهْلِكَ فَرَبِّ فِتْنَى سِيَّكَى » إلخ ، أورده ابن هشام (فى المغنى) على أنّه يجوز أن يكون الفعل بعد رَبٍّ مستقبلاً كما فى البيت ^(١) . وروى بدل : « مَحْضَبٌ » : « مُهَذَّبٌ » ، وهو المطهّر الأخلاق . والرَّخْص : الناعم . والبَتَانُ : أطراف الأصابع .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشر بعد التسعمائة ^(٢) :

٩١٤ (وقد بُعِدَتْ بِالْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا بلى إِنَّ مَنْ زَارَ الْقُبُورَ لَيَبْعُدَا)

(١) مغنى اللبيب ١٣٧ . وانظر القالى ١ : ٢٨٢ وشواهد التوضيح لابن مالك ١٦ ورصف المباني

١٩٤ وتفسير أبى حيان ٥ : ٤٤٤ .

(٢) لم أجد له تحريجا فى غير هذا الموضع .

على أنّ بعضهم زعم أنّ (بلى) تستعمل بعد الإيجاب كما فى البيت . وهو شاذّ ، وكان القياس نعم .

وإنّما قال شاذّ ولم يقل ضرورة لأنّه جاء مثله فى الحديث الصحيح : أخرج البخارى (فى كتاب الأيمان والنذور من صحيحه) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « بينا رسول الله ﷺ مُضَيَّفٌ إلى قُبّةٍ من أَدَمٍ يمانٍ إذ قال لأصحابه : أتَرْضَوْنَ أن تكونوا رُبْعَ أهلِ الجَنّةِ ؟ قالوا : بلى . قال : أفلم تَرْضَوْا أن تكونوا ثلثَ أهلِ الجَنّةِ ؟ قالوا : بلى . قال : فوالذى نفسُ محمدٍ بيده إنّى لأرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجَنّةِ » .

وقوله : « مُضَيَّفٌ » أى مُسَيّدٌ ظهره الشريف . وبلى الأولى أُجيب بها الاستفهام المجرد عن النفى ، وهو موضعُ نعم ، كما ورد فيه عنه ، فإنّ البخارى قد أخرجه عنه (فى الرقاق أيضاً) قال : « كنّا مع النّبى ﷺ فى قُبّةٍ فقال : أتَرْضَوْنَ أن تكونوا رُبْعَ أهلِ الجَنّةِ ؟ قلنا : نعم . قال : والذى نفسُ محمدٍ بيده إنّى لأرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجَنّةِ . وذلك أنّ الجَنّةَ لا يدخلُها إلا نفسٌ مُسَلِّمةٌ ، وما أنتم فى أهلِ الشُّركِ إلّا كالشَّعْرةِ البيضاء فى جلدِ الثَّورِ الأسود ، أو كالشَّعْرةِ السوداء فى جلدِ الثَّورِ الأبيض » .

وكذا جاء (فى صحيح مسلم) أخرج مُسلم (فى كتاب الهبة) ، عن النُّعْمان بن بشير قال : « انطلق بى أبى يَحْمَلُنِى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله اشْهَدْ أنّى قد نَحَلْتُ النُّعْمانَ كذا وكذا من مالى . فقال : أَكُلَّ بَنِيكَ قد نَحَلْتَ مثلَ ما نَحَلْتُ النُّعْمانَ ؟ قال : لا . قال : فَاشْهَدْ على هذا غَيْرِى . ثم قال : أيسرُّك أن يكونوا إليك فى البرِّ سواءً ؟ قال : بلى . قال : فلا إِذْنٌ » . و (فى صحيح مسلم أيضا) : « أنّت الذى لَقِيتَنى بمَكّةَ ؟ فقال له المحبب : بلى » .

ففى الموضوعين أيضاً وقعت بلى فى جواب الاستفهام المجرد ، وهو موضع نعم .

ومثله فى الشعر قول الكميت بن ثعلبة :
 نشدتك يا فزارَ وأنت شيخٌ إذا خُيرت تُخطىءُ فى الخيارِ
 أصيْحانيَّةٌ أدمتْ بسمي أحبُّ إليك أم أير الحمارِ
 بلى ، أير الحمارِ وخصيتاه أحبُّ إلى فزارَ من فزارٍ^(١)
 والتَّمم الصَّيْحانيّ : تمرّ معروف بالمدينة المنورة .

وهذا من التقارض ؛ فإنَّ نعم استعملت استعمال بلى فى بيتي جحدري ونحوه ، وبلى استعملت استعمال نعم فى هذه الأحاديث وهذين الشعرين .
 وقوله : (وقد بعدت بالوصل) إلخ بعد الشئ بضم العين ، ويُعدى بالباء .
 وفاعل بعدت ضمير الحبيبة ، ويُعدها عنه هنا إنمّا هو موثها وزيارتها القبر . ولهذا
 قال : (بلى إنّ من زار القبور) إلخ . وبينى وبينها ظرف متعلّق بمحذوف حال من
 الوصل . وقوله (ليُبعدا) اللام للتأكيد ، وهى التى تجيء فى خبر إنّ ، وتسمّى
 المرحلقة ، والألف مبدلة من نون التوكيد الخفيفة فإنها تُبدل ألفاً فى الوقف .
 وفاعل يبعُد ضمير من .

وهذا البيت لم أعرفه ولم أنظره إلّا فى هذا الشرح . والله أعلم .

وجاء فى شعر الطُّهويّ :
 فلا تبعدن يا خير عمرو بن جندب بلى إنّ من زار القبور ليُبعدا

(١) الدرة الفاخرة ٨٧ وجهرة العسكرية ٢ : ١٦ والميداني ١ : ١٠٠ والحاسن للبيهقي ١ : ٤٠٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد التسعمائة ، وهو من شواهد
سيبويه ^(١) :

٩١٥ (وَيَقْلُنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا لَكَ وَقَدْ كَبِرَتْ فَقُلْتُ : إِنَّهُ)

على أن سيبويه قال : (إِنَّ) فيه حرف تصديق للخبر ، بمنزلة أَجَلٌ . والهاء
للسكت ، قال سيبويه (في باب ما تلحقه الهاء لتبيين الحركة) : « ومثل ما ذكرت
قول العرب إِنَّهُ ، وهم يريدون إِنَّ ، ومعناها أَجَلٌ » . وأنشد هذا البيت . قال
الأعلم : الشاهد فيه تبيين حركة النون بهاء السكت ، لأنها حركة بناء لا تتغير
لإعراب ، فكرهوا تسكينها لأنها حركة مبنية لازمة . ومعنى إِنَّ ههنا نَعَمْ . انتهى .

٤٨٦

وقال النحاس : وفي نسخة ألى الحسن الأخفش هذا البيت ، وليس عندي
عن ألى إسحاق . وفي النسخة : « أئى فقلت أَجَلٌ » . وسألت عنه أبا الحسن
فقال : إِنَّ بمعنى نعم ، والهاء لبيان الحركة ، وكانت خطباء قريش تفتتح خطبتها
بَنَعَمْ . انتهى .

وقال أبو علي (في البغداديات) بعد نقل قول سيبويه في البيت : وكان أبو
بكرٍ أجاز فيه مرةً أن تكون إِنَّ المحذوفة الخبر ، كأنه قال : إِنَّ الشيب قد علاني ،
فأضمره فجرى بذلك ذكره ، وحذف خبره للدلالة عليه . قال : وحذف الخبر في
هذا أحسن ، لأن عنيته بإثبات الشيب نفسه ، كما أنه يُحذف معها الخبر لما
كان غرضه ووكدّه ^(٢) ، كإثبات المحل في قوله :

(١) في كتابه ١ : ٤٧٥ / ٢ : ٢٧٩ . وانظر البيان ٢ : ٢٧٩ وابن يعيش ٣ : ١٣ / ٨ : ٧٨ ، ١٢٢ ،
١٢٥ ووصف المباني ١١٩ ، ١٢٤ ، ٤٤٤ والمغني ٣٨ ، ٦٤٩ واللسان (أنن ١٧٢) وديوان ابن قيس الرقيات ٦٦ .
(٢) وكده ، أى قصده ومراده وغرضه ، وفي اللسان : « ويقال ما زال ذلك وكدى بضم الواو ، أى
يفعل ودأبى وقصدى » . وفي النسختين هنا : « غرضه » صوابه ما أثبت .

* إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مَرْتَحَلًا (١) *

قال : وهذا أحد ما تُشَبَّه فيه إِنَّ لا النافية العاملة النَّصْب . انتهى .
وزعم أبو عبيد أَنَّ إِنَّ بمعنى نعم غير موجودة ، وهى فى البيت مؤكدة ،
الهاء اسمها وخبرها محذوف ، أى إِنَّه قد كان كما يقلن .

قال الجوهري : قال أبو عبيد : وهذا اختصارٌ من كلام العرب يُكتفى منه
بالضمير ، لأنَّه قد علِم معناه . وأمَّا قول الأخفش إِنَّه بمعنى نَعَمْ ، فإنَّما يريد
تأويله ، ليس أَنه موضوعٌ فى أصل اللُّغة لذلك . انتهى .

قال ابن السَّجَرى (فى أماليه) بعد نقل هذا الكلام عن أبى عبيد : « والهاء
فى تفسير أبى عبيد للشَّان » . ولم يتعقَّبْه بشيء . ولا يخفى أَنَّ ضمير الشَّان
لا يجوز حذف خبره ، بل يجبُ التصريح بجزأى الجملة من خبره .

وقول الشارح المحقق تبعاً لغيره : « الخبر محذوف أى إِنَّه كذلك » ، ليس
الضمير فيه للشَّان لأنَّ شرط خبره أن يكون فى الأصل جملة مستقلة .
و « كذلك » ليس جملة وإنَّما هو شبه جملة ، بل الضمير فيه راجعٌ إلى القول
المفهوم من يقلن ، أى إِنَّ قولهن كذلك .

وكالشارح المحقق نقل ابن هشام (فى المغنى) أنَّ التقدير : إِنَّه كذلك .
ولَقَّ له شارحه ابن الملا من هُنا ومن هُنا كلاماً مختلَّ النظام ، أعرضنا عنه
لعدم جَدَواه فى المقام ، ولقلاقتِهِ على الأفهام .

(١) من الشاهد رقم ٨٨١ ، وهو للأعشى فى ديوانه ١٥٨ :

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مَرْتَحَلًا وإن فى السفر إذ مضوا مهلاً

وقول الشارح المحقق في « إنَّ وراكبها » : إنَّه لتقدير مضمون الدُّعاء وهو خلاف تصديق الخبر ، أقول : لا يخالفه ، فإنَّ جملة لعن الله ناقةً حملتني إليك هي خبريَّة لفظاً ، فالتصديق راجعٌ إليها باعتبار لفظها ووضعها ، وقصدُ الدُّعاء فيها أمرٌ معنويٌّ طارئٌ عليها ^(١) . وقد جاءت في هذا البيت لتصديق الخبر المنفي ، قال ساعدة الهذلي :

ولا أقيمُ بدار الدُّل ، إنَّ ولا آتى إلى الغدر أخشى دونه الحَمَجَا
قال السَّكري (في شرحه) : إنَّ هنا بمعنى نَعَمْ . والحَمَج بفتح الحاء المعجمة والميم والجيم : سوءُ الذِّكر .

وجاءت لتصديق الخبر المثبت أيضاً فيما أنشده ابنُ الشجري ، وهو :
قالوا غدرتْ فقلتُ إنَّ وربِّما نالَ المنى وشفا الغليلَ الغادرُ ^(٢)

وجاءت بعد الاستفهام أيضاً فيما أنشده ابن هشام (في أواخر الباب الخامس من المغنى) ، وهو

قالوا أخفَّتْ فقلتُ إنَّ ، وخيفتني ما إنَّ تزالَ منوطةً برجائى ^(٣)

ونقل ابن المُلّا عن أبى حيَّان أنَّ إنَّ في هذه المواضع هي المؤكدة حُذِفَ معمولوها ، فإنَّه قال : إنَّ كلام ابن الرِّبْرِ لا ينتهز دليلاً لابن مالك على أنَّ إنَّ فيه بمعنى نَعَمْ ، لأنَّه مما حُذِفَ فيه الاسم والخبر ، ولا يجوز حذفهما معاً إلاَّ مع

٤٨٧

(١) كذا في النسختين بالتسهيل ، أى طارئٌ ودخيل عليها .

(٢) أمالى ابن الشجرى ١ : ٣٠٨ ، ٣٢٣٢ وفيها : « وشفى الغليل » بجعل « شفى » فعلا . وانظر

أيضا ابن يعيش ٣ : ١٣٠ . وفيه : « نال العلا » .

(٣) المغنى ٦٤٨ .

إِنَّ . وقد حذفت العربُ الجملةَ إلّا حرفاً منها كما في قولهم : قاربت المدينة ولمّا ، وقوله :

..... وَإِنْ كَانَ فَقِيراً مُعْذِماً قَالَتْ وَإِنْ

فإنّ التقدير : ولمّا أدخلها ، وإن كان فقيراً مُعْذِماً قبلته .

هذا كلامه ، ولا يخفى أنّ المنصوص في إنّ وأخواتها جوازُ حذفِ أحدٍ معموليّها فقط ، ولم يُجْزَ أحدٌ حذفهما معاً . والفرق بينها وبين لَمّا وإنّ ظاهر ؛ فإنّ إنّ لتأكيد نسبة الكلام ، فجاء لمزيد الاعتناء به ، فلا يجوز حذفه ، لئلاّ يبطل الغرض .

وأجاب ابن المُلّا بأنّه إنّما حذف فيهما لسبق القرينة ، وما نحن فيه ليس من ذلك إلّا أن يُدعى أنّ وقوع إنّ في جواب قوله قرينة ، ويكون التقدير إنّها ملعونة . وهو تكلف . ويُشكّل عليه عطفُ جملة الدعاء على جملة الخبر وإنّ صحّحه بعضهم . هذا كلامه .

والبيت الشاهد من جملة أبيات أوردتها صاحب الأغاني ، لعبيد الله بن قيس الرقيّات ، وهي (١) :

صاحب الشاهد

أبيات الشاهد

بَكَرَ الْعَوَاضِلُ فِي الصَّبَا ج يُلْمَنُنِي وَالْوُثْمَنُ
وَيُقْلَنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا لَ وَقَدْ كَبُرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ
لَابَدٌّ مِنْ شَيْبٍ فَدَعُ . نَ وَلَا تُطْلَنَ مَلَا مَكْنَهُ
وَلَقَدْ عَصَيْتُ النَّاهِيَا تِ النَّاشِرَاتِ جُيُوهِنَّ (٢)

(١) الأغاني ٤ : ٧٠ ، ٧١ وديوان ابن قيس الرقيّات ٦٦ - ٦٧ .

(٢) البيت وتاليه في الديوان ٦٧ . والذي في الأغاني بدلها :

يمشّين كالبقر الثقا ل عمدن نحو مراحهنّ
يخفين في الممشى القر ي ب إذا يُردن صديقهنّ

حَتَّى ارْعُوْتُ إِلَى الرَّشَا : وَمَا ارْعُوْتُ لِنَهْيِهِ

وروى : « الصُّبُوح » بدل الصَّبَّاح ، وهو ما يشرب في وقت الصباح .
وبَكَرَ : جاءَ بكرةً ، هذا أصله ثم استُعْمِلَ في كلِّ وقت . والعواذل : جمع عاذلة .
ورواه صاحب الصحاح :

بَكَرْتُ عَلَى عَوَازِلِي يَلْحَيْنِي وَالْوُمُهِنَّ

قال ابن السيرافي : يلحيني : يلمنى على اللُّهُو والغَزَل . والْوُمُهِنَّ على
لومهنَّ لى ، ويقلن : قد شبت وكبرت فقلت : نعم . يريد أنه يأتي ما يأتي على علمٍ
منه بأمر نفسه . والمعنى واضح . انتهى .

والجيوب : جمع جَبٍ ، وهو طَوَق القميص . والارْعَاءُ : التُّزُوع عن
الجهل وحُسن الرجوع عنه . وقد ارعوى : رَجَعَ عن غِيّه . وكَبُرَتْ بكسر الباء
بمعنى صرَتْ كبيراً . والهَاءُ في القوافي للسكْت .

وابن قيس الرُّقِيَّات اسمُه عبيد الله بالتصغير ، وقد تقدمت ترجمته في
الشاهد الثالث والثلاثين بعد الخمسمائة ^(١) .

قال حماد الراوية : إذا أردت أن تقول الشَّعْر فاروْ شعْر ابن قيس الرقيات ،
فإنَّه أرقُّ الناس حواشَى شعر .

وسئل بعضهم في التمييز بينه وبين عمر بن أبى ربيعة فأجاب بأن ابن
أبى ربيعة أشهر بالغزل ، وابن قيس أكثر أفانين شِعْر .

حروف الزيادة

أنشد فيها :

(وما إن طُبْنَا جُبْنٌ)

هو قطعة من بيت وهو :

(وما أن طُبْنَا جُبْنٌ ولكنْ مَنَايَا ودولةً آخِرِينَا)

على أن (إن) تزداد بعد ما النافية . وتقدّم شرحه في الشاهد السبعين بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد التسعمائة :

٤٨٨

٩١٦ (ما إن جَزِعْتُ ولا هَلِغْتُ ولا يَرُدُّ بُكَائِي زَنْدًا)

لما تقدّم قبله . ومثّل بمثالين ، إشارة إلى أنّها تزداد بعد ما النافية مطلقاً ، سواءً كانت الداخلة على الجمل الاسميّة وتكفّها عن عملها عمل ليس ، وتسمّى إن الزائدة الكافة ، أم كانت الداخلة على الجملة الفعلية كما في هذا البيت ، وتسمّى إن الزائدة فقط .

والبيت من قصيدة لعمر بن معديكرب ، أوردها أبو تمام (في أوائل

صاحب الشاهد

الحماسة) . وقبله :

آيات الشاهد

(كم من أخ لى صالح بؤأته يدي لحددا
ما إن جرعت ولا هلع ت ولا يرد بكاي زندا
ألبسته أثوابه وخلق يوم خلقت جلدا
أغنى غناء الذاهبي ن ، أعد للأعداء عدا
ذهب الدين أجبههم وبقيت مثل السيف فردا ^(١))

قوله : « كم من أخ » إلتخ ذكر قبل هذا تبجحه بالشجاعة ، وذكر بهذا إلى آخره صبره على البلاء ، أى كم من أخ موثوق به فوجعت به . وبؤأته : أنزلته . والمبأة : المنزل .

وقوله : (ما إن جرعت ولا هلعت) إلتخ الهلع : أفحش الجزع ، لأنه جرع مع قلة صبر ، وفعلهما من باب فرح ، فكأته قال : ما حزن عليه حزنا شديداً ولا هينا . وهذا نفى الحزن رأساً . وقد أعطى الترتيب حقه لأنه ارتقى فيه من الأدون إلى الأعلى . والزند ، بفتح المعجمة وسكون النون ، يستعمل فى معنى القلة ^(٢) . ويروى بدله (ردأ) أى مردودا . والمعنى : لا يغنى بكاي شيئا . وإنما عَقَبَ نفى الجزع بهذا تنبيهاً على أن صبره عن تأدب وتبصير ومعرفة بالعواقب ، فى حسن التأمل .

وقوله : « أغنى غناء » إلتخ قال التبريزى : يجوز أن يريد بالذاهبين من انقراض من عشيرته ، ويكون المعنى أنه المعتمد عليه بعدهم . ويجوز أن يريد المتغيبين عن المشاهد والمعارك . وأعد بالبناء للمفعول ، يجوز أن يكون المعنى : يقول فى الأعداء : أخذوا فلاناً فإنه يعد بكذا من الفرسان . ويقال إن عمراً كان

(١) الحماسة بشرح المروزقى ١٧٩ وبشرح التبريزى ١ : ١٧٤ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٣ .

(٢) بعده فى التبريزى : « كما يستعملون الفوف والنقىم والقطيمير . وحكى أبو زيد أنهم يقولون إذا

قللوا مأل الرجل : « زندان فى مرقعة » . ثم قال : « ويروى : زيدا ، وقالوا : يعنى أخلأه » .

يَعُدُّ بِأَلْفِ فَارِس . ويجوز أن يكون المعنى أَهْيَأُ لِلْأَعْدَاءِ مَعْدُودًا . فَعَدًّا حَالٌ وَضِعَ
مَوْضِعَ الْمَعْدُود . وروى : « أَعِدَّ » بالبناء للفاعل ، أى أَعِدَّ لَهُمُ السِّلَاحَ . وروى :
« أَعَدَّ » بفتح الهمزة ، ويحتمل معنيين : أحدهما أن يقول أَعَدُّ لَهُمُ وَقَعَاتِي وَأَيَّامِي
عند المفاخرة . والثانى أن يقول : أَعَدَّ لَهُمُ كُلَّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ عَدَدٍ وَعُدَّةٍ . فَعَدًّا
مَفْعُولٌ بِهِ ، والمعنى أَعَدُّ لَهُمُ مَعْدُودَاتِهَا .

وقوله : « وَبَقِيْتُ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا . قَالَ الطَّبْرَسِيُّ ^(١) : أى بَقِيْتُ مُنْفَرِدًا
بِالسِّيَادَةِ كَالسَّيْفِ ، لَا يُجْمَعُ اثْنَانِ مِنْهُ فِي غَمْدٍ . ويجوز أن يريد : بَقِيْتُ
كَالسَّيْفِ لِنَفَادِى وَمُضَائِى فِي الْأُمُورِ .
وعمر بن معد يكرب صحابى تقدمت ترجمته في الشاهد الرابع
والخمسین بعد المائة ^(٢) .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ :

(كَأَنَّ ظَبِيَّةً تَعْطُو)

٤٨٩

هو قطعة من بيت ، وهو :
(وَيَوْمًا تَوَافَيْنَا بِوَجْهِ مُقَسَّمٍ كَأَنَّ ظَبِيَّةً تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلَمِ)
على أن (أن) زائدة بين الكاف ومجرورها ، وهو ظبية .
وتقدّم الكلام عليه في الشاهد الرابع والسبعين بعد الثمانمائة ^(٣) .

* * *

(١) في النسختين هنا : « الطيرسى » ، صوابه ما أثبت . وانظر ترجمته في ٨ : ٣٨٥ وما سبق في
٨ : ٣١٥ . ونسبته إلى طبرستان .

(٢) الخزائن ٢ : ٤٤٤ - ٤٤٦ .

(٣) الخزائن ١٠ : ٤١١ - ٤١٧ .

وأنشد بعده :

(ومن عِصَّةٍ ما يَنْبُتُ شَكِيرُهَا)

وتقدّم شرحه في الشاهد الحادى والخمسين بعد المائتين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد التسعمائة ^(٢) :

٩١٧ (لا وأبيلك ابنة العامر ى لا يدعى القوم أتى أفر)

على أن (لا) تجيء كثيراً زائدة قبل المقسم به ، للإعلام بأن جواب القسم منقضى ، فإن الواو حرف قسم ، وجملة : « لا يدعى القوم » جواب القسم ، وهى منفية ، فأتى بالنافى قبل القسم للإشعار ابتداءً بأن جوابه منقضى ، كقوله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ^(٣) ﴾ .

قال ابن هشام (فى المعنى) : وردّ بقوله تعالى : ﴿ لا أقسم بهذا البلد ^(٤) ﴾ الآيات ، فإن جوابه مثبت ، وهو : ﴿ لقد خلّقنا الإنسان فى كبد ^(٥) ﴾ . ومثله : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ^(٦) ﴾ الآية . وقيل زيدت لمجرد التوكيد وتقوية الكلام ، كما فى : ﴿ لئلا يعلم أهل الكتاب ^(٧) ﴾ وردّ بأنها لا تزداد لذلك صدرأً بل حشواً . انتهى .

(١) الخزانة ٤ : ٢٢ - ٢٣ .

(٢) المختص ٢ : ٢٧٣ وابن يعيش ١ : ١٠ وضرائر ابن عصفور ١٣٢ والمغنى ٢٤٩ وديوان

امرىء القيس ٢٤٩ وشروح المعلقات .

(٣) الآية ٦٥ من سورة النساء .

(٤) الآية الأولى من سورة البلد .

(٥) الآية ٤ من سورة البلد .

(٦) الآية ٧٥ من سورة الواقعة .

(٧) الآية ٢٩ من سورة الحديد .

ويجاب بأن زيادتها ، في صدر القسم المنفى جوابه أغلبي لا كُلتى .
والكاف من (أيلك) مكسورة ، لأنه خطاب مؤث . أقسم بأبيها تعظيماً لها .
و (ابنة العامرى) منادى ، وحرف النداء محذوف ، وهو يا . وابنة العامرى اسمها
هر ، بكسر الهاء وتشديد الراء . وقد أوردها امرؤ القيس في هذه القصيدة بقوله :
وهـر تصيد قلوب الرجال وأقلت منها ابن عمرو حُجـر

والعامرى هو من بنى عمرو بن عامر من الأزد ، واسمه سلامة بن عبد الله .
وقال الخطيب التبريزى في شرح معلقته ، عند قوله :
أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرعى فأجمل
قال الكلبى : فاطمة هى بنت عبید بن ثعلبة بن عامر . قال : وعامر هو ابن
عوف ^(١) بن عُذرة ، ولها يقول .

لا وأيلك ابنة العامر ي البيت

و (أنى) بفتح الهمزة و (أفر) من الفرار ، وهو الهروب ، وخفف راءة للشعر .
قال ابن عصفور (فى كتاب الضرائر) : ومنه تخفيف المشدّد فى القوافى ،
نحو قول امرئ القيس :

* لا يدعى القوم أنى أفر ^(٢) *

وقد خفف عدّة قوافٍ من هذه القصيدة ، وإنما خفف ليستوى له بذلك
الوزن وتطابق أبيات القصيدة . ألا ترى أنه لو شدّد « أفر » لكان آخر أجزائه على
فعلولن من الضرب الثانى من المتقارب ، وهو يقول بعد هذا :
تيم بن مرّ وأشباعها وكندة حولي جميعاً صبر

(١) فى شرح التبريزى : « هو الأجدار بن عوف » .

(٢) تقرأ الراء بالسكون ولكنها تكتب مع علامة الشدة تنبيها على أن أصلها التضعيف .

وآخر جزء من هذا البيت فَعْل وهو من الضرب الثالث من المتقارب ،
 وليس بالجائز له أن يأتي في قصيدة واحدة بأبيات من ضريين ، فخفف لتكون
 ٤٩٠ الأبيات كلها من ضرب واحد . وسواء في ذلك الصحيح والمعتل . انتهى كلامه .
 وبهذا تعلم أنه لم يُصِب من قال : إِنَّ (أفر) فيه مشدّد اجتمع فيه
 ساكنان ، واجتماعهما في القافية جائز ، وهو أبو الفرج بن المعافى ، قال (في
 أماليه) حدّثنا صديقنا الحسن بن خالويه قال : كتب الأخفش إلى صديقي له
 يستعير منه دابة ، ودابة لا يقع في الشعر ، لأنه لا يجمع فيه بين ساكنين ، فقال :
 أردتُ الرُّكوب إلى حاجةٍ فمرّ لي بفاعلةٍ من دَيبِثْ
 وإنما امتنع دخول دابة ونحوها في الشعر لئلا يلتقى فيه ساكنان في غير
 القافية كقوله :

* لا يدعى القوم أنى أفر *

وقد جاء في الشعر في مزاحيف للمتقارب ، وذلك قوله :
 فقالوا : القصاصَ وكان التقا صُ حقاً وعدلاً على المسلمينا (١)
 ورواه بعضهم : و « وكان القصاص » . هذا كلامه .
 واعلم أنّ هذه القصيدة من بحر المتقارب ، وهو فعولن ثمانٍ مرات ، وفيه
 الحذف ، فإنّ أفر وزنه فَعُو ، وحذف منه لُنْ ، فأتى بدله فَعْل . وفي أوّل هذا

(١) انظر الكامل ١٧ والعقد ٥ : ٩٤ واللسان (قصص) والعيون الغامرة للدماميني ١٢٩ . وفي
 الكامل : « فذاك القصاص » . وفي العقد : « رمينا قصاصا » . وفي اللسان : « فَرَمْنَا الْقَصَاصَ » وفي العيون
 الغامرة : « ورمنا قصاصاً » . وفي الكامل والعيون : « فرضا وحتما » ، وفي اللسان : « حكما وعدلا » . وفي
 اللسان بعد إنشاد البيت : قال ابن سيده : قوله التقاصَ شاذ ، لأنه جمع بين الساكنين في الشعر ، ولذلك رواه
 بعضهم : وكان القصاص . ولا نظير له إلا بيت واحد أنشده الأخفش :

ولولا خدائش أخذت دَوَا بٌ سعيد ولم أعطه ما عليها »
 وانظر بقية الكلام فيه .

البيت ثرم ، فإنَّ وزن قوله (لا وَ) فَعْلٌ ، وأصله فَعُولُنْ ، فلحقه الثَّرم فصار وزنه ما ذكر (١) .

وهذا البيت مطلع قصيدة لامرئ القيس على الصحيح ، عند المفضل وأبي عمرو الشيباني ، كما تقدم التنبيه عليه في شرح بيت منها في الشاهد الثامن والخمسين (٢) من أوائل الكتاب ، وتقدم أيضا شرح أبيات منها في الشاهد العشرين بعد السبعمئة (٣) .

صاحب الشاهد

* * *

وأنشد بعده :

(في بئرٍ لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرَ)

على أنَّ زيادة (لا) بين المتضايقين شاذة ، والأصل في بئر حور ، فزيدت (لا) بينهما لفظاً ومعنى ، كما نصَّ عليه الشارح المحقق في باب لا النافية للجنس . أى سَرَى في بئر هلاكٍ وما شَعَرَ بسقوطه فيها .

وهذا قول جماعة . وذَهَبَ الفراءُ وتبعه جماعة إلى أنَّ لا هنا نافية وليست بزايدة قال : لأنَّ المعنى في بئر ماءٍ لا يُحِيرُ عليه شيئاً ، كأَنَّك قلت : إلى غير رشَدٍ توجَّهَ وما دَرَى ، ووقعَ على مالا يتبيَّن فيه عمله ، فهو جحدٌ محض .

وتقدَّم الكلامُ عليه مفصَّلاً في الشاهد الستين بعد المائتين (٤) .

(١) الأثر من أجزاء العروض : ما اجتمع فيه القبض والخرم ، يكون ذلك في الطويل والمتقارب . فالخرم : إسقاط أول الوتد المجموع في أول الشطر من البيت . والقبض : حذف الخامس الساكن . فإذا كان الخرم وحده في فعولن فهو ثلم باللام . وانظر حاشية الدمهورى ٣٧ ، فقد تكفل ببيان مصطلحات الخرم في تفعيلات العروض المختلفة .

(٢) الخزانة ١ : ٣٧٤ .

(٣) الخزانة ٩ : ١٧٥ - ١٨٢ .

(٤) الخزانة ٤ : ٥١ - ٥٦ .

حرفا التفسير

أنشد فيهما ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد التسعمائة (١) :

٩١٨ (وَتَرْمِينِي بِالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِينَنِي لَكِنَّ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي)

على أن (أَيْ) فيه حرف تفسير للجمله قبله .

قال ابن يعيش : قوله أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ تفسير لقوله ترميني بالطرف ، إذ كان معنى ترميني بالطرف : تنظر إليّ نظر مُغْضَبٍ . ولا يكون ذلك إلا عن ذَنْبٍ . انتهى .

وقال (صاحب التخمير) : الرمي بالطرف عبارة عن النظر ، يقال رماه بطرفه ، إذا نظر إليه ، كأنه قال : تفسير رميها بالطرف إِيَّايَ : أنت مُذْنِبٌ ، أَيْ أشارت إليّ بطرفها إشارة دَلَّتْ على أنني مُذْنِبٌ في حقها . هذا كلامه ، والمعنى هو الأول .

٤٩١ وفسّر الدماميني والسيوطي ترميني بِتُشِيرِينَ إلى .

وتعقّبهُ ابن الحنبلي وقال : الطَّرْفُ : نظر العين ، أَيْ وترمينني بالطَّرْفِ ، كأنه سهم . فكثيراً ما يستعار السهم لطرف العين . كما قال الشافعي (٢) :
تُحْدُوا بِدِمِي هَذَا الْغَزَالَ فَإِنَّهُ رَمَانِي بِسَهْمِي مُقْلَتِيهِ عَلَى عَمْدٍ

(١) معاني الفراء ٢ : ١٤٤ . وشرح شواهد التوضيح لابن مالك ٨٣ وابن يعيش ٨ : ١٤٠ والمعنى

٧٦ ، ٤٠٠ ، ٤١٣ والجمع ١ : ١٤٨ / ٢ : ٧١ .

(٢) ط : « قال الشاعر » ، وأثبت ما في ش .

وقال : أى أنت مذهب على التفسير . الرمى بالشئ قد يكون على عمد وقد لا يكون ، والمراد الأول ، لكون المرمى ذا ذنب ولو فى ظن الرامى . والإشارة وإن كانت قد تكون بالطرف ، كما قال :

* أَشَارَتْ بِطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفَةً أَهْلِهَا ^(١) *

وقلنا إن الرمى به بهذا المعنى يستلزم الإشارة به ، فالأولى أن لا تكون الإشارة به مقصودة للشاعر منه ، وأن ليست معنى ترمينى وحده ولا لازمه ، بل لازم مجموع ترمينى بالطرف .

هذا ما قرره . والحاصل أن أى تفسر الجملة وغيرها ، وهى أعم من أن ، لأنه يفسر بها المفرد والجملة ، والقول الصريح وغيره . تقول : رأيت غضنفرأ ، أى أسداً ، وأمرت زيدا أى اضرب ، وقلت له قولاً ، أى عبد الله منطلق ، وخرج زيد بسيفه ، أى خرج وسيفه معه . وإنما يحتاج إلى التفسير إذا كان فى الكلام غرابة أو إبهام أو حذف شئ . وما بعد أى عطف بيان على ما قبلها أو بدلاً منه . كذا قال ابن هشام وغيره . وهذا ظاهر فيما إذا فسرت مفرداً ، وأما إذا فسرت جملة كما فى البيت فلا . وذهب الكوفيون وتبعهم المبرد إلى أنها حرف عطف إذا فسرت مفرداً ، ورد عليهم بأنها تفسر الضمير المرفوع المتصل بلا تأكيد ولا فصل ، وتفسر الضمير المجرور بلا إعادة الجار ، ولو كان ما بعدها معطوفاً بها لم يستقم الأول بدون تأكيد أو فاصل ، ولا الثانى بدون إعادة الجار . ونسب ابن هشام (فى المغنى) هذا القول إليهم وإلى صاحبي (المستوفى ، والمفتاح) ، وردّه بأننا لم نر عاطفاً يصلح للسقوط دائماً ولا عطفاً ملازماً لعطف الشئ على مرادفه .

(١) لم أعثر له على نسبة ، وعجزه كما فى البيان ١ : ٧٨ والعمدة ١ : ٧٨ :

• إشارة مدعور ولم تتكلم •

وبعده :

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبيب المتيم

وقال أبو حيّان (في الارتشاف) : وأما أى فذهب الكوفيون وتبعهم ابن السكّاكى الخوارزمى ^(١) من أهل المشرق ، وأبو جعفر بن صابر من أهل المغرب ، إلى أنّها حرف عطف ، تقول : رأيت الغضنفر أى الأسد ، وضربت بالعُضْب أى السيف ، والصّحيح أنها حرفٌ تفسير يتبع بعدها الأجلّى للأخفى ، عطف بيانٍ يوافق في التعريف والتّكثير ما قبله . انتهى .

واستفيد منهما أنّ ابن السكّاكى ^(٢) هو السكّاكى صاحب المفتاح .

وإذا فسّر بأى فعلٌ أسند إلى ضميرٍ حُكى ذلك الضمير بعدها ، نحو : استكتمته الحديث ، أى سأله كتّامه ، فالتاء من سأله مضمومة . واستكتمه زيدٌ الحديث ، أى سأله كتّامه . واستكتمه يا زيدُ الحديث ، أى سلّه كتّامه . فيجب أن يطابق الضمير بعدها لما قبلها في التكلّم والغيبة والخطاب .

وإن فسّرت الجملة بالمرادٍ منها لم يُحك فاعلها ، كالبيت الشاهد . وإذا تقدّم (تقول) على فعلٍ مسند إلى تاء المتكلم وجئت بإذا مكان أى وجب فتح التاء ، لأنّه ظرفٌ لتقول . ونظم بعضهم هذا فقال :

إذا كنيت بأى فعلاً تفسّره فضمّ تاءك فيه ضمّ معترف ^(٣)
وإن تكن بإذا يوماً تفسّره ففتحك التاء أمر غير مختلف

(١) ش : « ابن السكّاك » في هذا الموضع ، صوابه في ط وبغية الوعاة تحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم .

(٢) ابن السكّاكى ، باتفاق النسختين هنا ، وشهرته « السكّاكى » فقط . وهو أبو يعقوب يوسف ابن أبى بكر بن محمد بن على السكّاكى الخوارزمى ، البلاغى المشهور ، صاحب مفتاح العلوم الذى حوى مداخل لسته من علوم العربية ، لا اثنى عشر ، كما ذكر السيوطى في ترجمته من البغية ٤٢٥ تابعاً لمعجم الأدباء ١٩ : ٥٩ . وهذه العلوم هى : الصرف ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والاستدلال ، والشعر . ولد سنة ٥٥٤ وتوفى سنة ٦٢٦ . وكان معاصراً لياقوت الحموى ، قال في ترجمته : « وهو اليوم حىٌ ببلده خوارزم » .

(٣) معنى اللبيب ٧٧ .

وقوله : إذا كُنَيْتَ بأى ، معناه إذا جئت بضمير مع أى حال كونك تفسره فعلا ، فإنّ الضمير يقال له الكناية ، وكنيت أى أتيت بكناية .
وقال ابن الملا (فى شرح المغنى) : كنّى عن الأمر أى تكلم بغيره ممّا يُستدلّ به عليه ، نحو : فلان كثير الرّماد ، تريد أنّه كريم . وكنيت عن الشئ : سترته ، وهذا المعنى هو المراد هنا . وفعلاً مفعول كنيت ، على التوسّع بحذف الجار . وتفسره نعتٌ له ، أى إذا كنيت عن فعل تريد تفسيره حال كونك مصاحباً لأى . هذا كلامه .

وأجاز التفتازانى (فى حاشية الكشاف) أن يتقدّم (يُقال) أيضاً على ذلك الفعل ، مع قبح ، قال : إذا أريد تفسير الفعل المسند إلى ضمير المتكلم فإنّ أتى بكلمة (أى) كان ما بعدها تفسيراً لما قبلها ، فيجب تطابقهما . ويجوز فى صدر الكلام (تقول) على الخطاب ، و (يُقال) على البناء للمفعول . وإن أتى بكلمة (إذا) كان صدر الكلام فى موضع الجزاء فيجب أن يكون ما بعد إذا على لفظ الخطاب . ولا يستقيم فى صدر الكلام (يُقال) إلّا إذا قُدّر أنّ القائل هو المخاطب ، لكنّها عبارة قلقة . انتهى .

وفيه مخالفة لغيره فى جعل إذا شرطية لا ظرفية .

وقوله : (ترمينى) خطابٌ لامرأة ، والياء الأولى ضميرٌ خطابٍ لها ، فاعل الفعل ، والياء الثانية ضمير المتكلم مفعوله ، والنون الأولى علامة الرفع لا تُحذف إلّا فى الجزم والنصب ، والنون الثانية نون الوقاية .

قال الزمخشري (فى الأساس) : رماه بالطّرف والفاحشة . والطّرف : العين ، ولا يجمع ، لأنّه فى الأصل مصدر ، وقيل هو اسمٌ جامع للبصر لا يشئى ولا يجمع ، وقيل هو نظر العين .

وقوله : (وَتَقْلِينِنِي) هو من الْقَلَى . قال ابن الشجري (في أماليه ^(١)) :
الْقَلَى : الْبُغْضُ ، مَكْسُور . وقد صرّفت العرب منه مثالين : قلاه يقليه مثل رماه
يرميه ، وقليه يقلّاه مثل رضيّه يرضاه . وهو من البياء بدلالة يقلى ، ولو كان من
الواو كان يقلو . وأنشد في يقلى :

وترميننى بالطرف البيت .

وفي التنزيل : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ^(٢) . وروى أبو الفتح لغة ثالثة
قلاه يقلوه قَلَاءً ، مثل رجاه يرجوه رَجَاءً . وأنشد :

إِنْ تَقُلْ بَعْدَ الْوَدِّ أَمْ مُحَلِّمٌ فَسَيَّانٍ عِنْدِي وَدَّهَا وَقَلَّوْهَا ^(٣)

انتهى . و (في القاموس) : قلاه كرماء ورضيّه ، قَلَى وَقَلَاءً وَمَقْلِيَّةً :
أَبْغَضَهُ وَكَرِهَهُ غَايَةً الْكَرَاهَةَ فَتَرَكَهُ . أو قلاه في الهَجْر ، وقليه في البغض .

وقوله : (لَكِنَّ إِيَّاكَ) فيه أقوال : أحدها للفرّاء : أصلها عنده لكنّ
الخفيفة النون ، والنون الثانية بقية أنا ، قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَكُنَّا هُوَ اللَّهُ
رَبِّى ﴾ ^(٤) معناه لكنّ أنا هو الله ربّي ، ترك همز الألف من أنا ، وكثّر بها الكلام
فأدغمت النون من أنا مع النون من لكنّ . ومن العرب من يقول : أنا قلت بتمام
الألف ، فقرئت (لكنّا) على تلك اللغة ، وأثبتوا الألف في اللغتين في المصحف .
ويجوز الوقوف بغير ألف في غير القرآن في أنا . من العرب من يقول إذا وقف : أنه ،
وهى لغة جيّدة ، وهى في عليا تميم وسُفلى قيس . أنشدنى أبو ثرّوان :
وترميننى بالطرف ... البيت .

(١) النص التالى مما سقط من النسخة المطبوعة من أمالى ابن الشجري .

(٢) الآية ٣ من سورة الضحى .

(٣) أنشد بدله في اللسان (قلى ٦٠) قول نصيب :

عليك السلام لا مُلّت قريّة ومالك عندى إن نأيت قَلَاءً

(٤) الآية ٣٨ من سورة الكهف .

يريد : لكنّ أنا إِيَّاكَ لا أَقْلِي ، فتركّ الهمزة ^(١) فصار كالحرف الواحد .
وزعم الكسائي أنه سمع بعض العرب يقول : إنَّ قائمٌ ، يريد : إنَّ أنا قائم فترك الهمز
وأدغم ، وهي نظيرةٌ للكين . انتهى كلامه .

وقد تبعه صاحب الكشّاف (في تفسير هذه الآية) ، وأبو حيان (في
تذكرته) وغيرُهما . ٤٩٣

ثانيها : أن تكون من أخوات إنَّ واسمها ضمير شأن محذوف ، والجملة
بعدها خبرها ، وعليه اقتصر ابن يعيش ، وصاحب اللباب وشراحه . ونقل ابن
المستوفى عن الزمخشري (في مناهيه ^(٢) على المفصل) أنّه قال : وجهه أن يكون
الأصل لكنّه إِيَّاكَ لا أَقْلِي ، الضمير ضمير الشأن ، ثم حذفه كما حذفه مَنْ قال :
إنَّ مَنْ لام في بنى بنت حسّا نَ أَلُمُهُ وَأَعَصِيهِ في الخطوب ^(٣)
ولو روى لكنّ بكسر النون اجتزاءً من الياء بالكسر ، لكان وجهاً سديداً .
ثالثها : أن اسمها ضمير متكلم محذوف لضرورة الشعر ، أى ولكنّي ، كما
حذف اسمها في قول الآخر ^(٤) :

* ولكنّ زنجيٌّ عظيمُ المشافر ^(٥) *

أى ولكنّك زنجيٌّ . وهو قول الخوارزمي ، نقله عنه ابن المستوفى .

(١) ط فقط : « الهمزة » ، وأثبت ما في ش ومعاني القرآن .

(٢) كذا في النسختين هنا ، والظاهر أنها من حواشي الزمخشري ، وسيأتي في ص ٢٣٧ مثل هذا
بعبارة : « في كتب الزمخشري في الحواشي » .

(٣) للأعشى في ديوانه ٢١٩ . وانظر تحريجه في معجم الشواهد .

(٤) للفرزدق في ديوانه ٤٨١ . وانظر معجم الشواهد .

(٥) صواب إنشاده « مشافره » كما في معجم الشواهد .

فإن قلت : إِيَّاكَ ضمير نصب ، فهل يجوز أن يكون اسم لكن ؟ قلت : لا يجوز ، لأنه لو كان اسمها لوجب أن يقال ولكِنَّكَ ، فإنه متى أمكن اتِّصَالُ الضمير لا يُعَدَّلُ إلى انفصاله ، اللهمَّ إِلَّا أن يُدْعَى فصله لضرورة الشعر . قال الأندلسي . (في شرح المفصل) : ولو قلت : أجعلُ الضمير المنفصل اسماً ولا أقلّي خيراً ، وأرتكبُ إجراءً المنفصل مجرى المتّصل ، وأحذف الراجع إلى اسم لكن ، والأصل لكِنَّكَ لا أَقلّيكَ ، لكنتَ لعمري متعسِّفاً . انتهى .

فإن قلت : حيث امتنع في الفصيح جعلُ إِيَّاكَ اسمَ لكنَّ ما وجه فصله عن عامله وتقديمه عليه ؟ قلت : وجهه الحصر ، فإنَّ تقديمَ ما حقُّه التأخير يُفيد ذلك . فأفاد أنها هي التي لا تقلّي ، بخلاف غيرها فإنه يقلّي .

وهذا البيت لم أقف على تتمّته وقائله ، مع أنه مشهورٌ قلّما خلا منه كتابٌ نحويّ . والله أعلم .

حروف المصدر

أنشد فيها ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد التسعمائة وهو من شواهد
سيبويه ^(١) :

٩١٩ (أَعْلَاقَةٌ أُمُّ الْوَلِيدِ بَعْدَمَا أَفْنَانُ رَأْسِكَ كَالثَّغَامِ الْمُخْلِسِ)

على أن (ما) فيه مصدرية على قول بعضهم ، خلافاً لسيبويه فإنه جعل
ما كَافَّةً لِبَعْدَ الإِضَافَةِ .

قال ابن هشام (فى المغنى) : وكونها فيه مصدرية هو الظاهر ، لأن فيه بقاءً
بعد على أصلها من الإضافة ، ولأنها لو لم تكن مضافة لنوّت . انتهى .

وسيبيويه أوردته (فى باب الحروف المشبهة بالفعل) فإنه بعد أن ذكر أن
(ما) تكفها عن العمل قال : ونظير إنما قول المزار الفقعى : « أَعْلَاقَةٌ أُمُّ
الْوَلِيدِ » البيت ، جعل بَعْدَ مع ما بمنزلة حرف واحد ، وابتدأ ما بعده .

قال الأعلم ، وتبعه ابن خلف : بعد لا يليها الجمل ، وجاز ذلك لأن
ما وصلت بها لتتبيها للجملة بعدها ، كما فعل بقلما وربما ، وما مع الجملة فى
موضع جرّ بإضافتها إليها ، والمعنى بعد شبه رأسك بالثغام المخلص . فما مع ما
بعدها بمنزلة المصدر .

(١) فى كتابه ١ : ٦٠ ، ٢٨٣ . وانظر المقتضب ٢ : ٥٤ والأصول ١ : ٢٨٣ / ٢ : ٢٦٨
والأزهية ٧٧ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٢ وابن يعيش ٨ : ١٣١ ، ١٣٤ والمقرب ١ : ١٢٩ ورصف المباني
٣١٤ والمغنى ٣١١ والهمع ١ : ٢١٠ .

هذا كلامهما ، وهو خلاف كلام سيويه . فتأمل ، فإنه جعل ما كافّة
وهما جعلها مصدرية .

وإليه ذهب صاحب اللباب قال : وليست ما في البيت بكافة لبعد عن
الإضافة ، بل مهيئة للإضافة إلى الجملة . وقال (في التعليقة) : وما في البيت وإن
حكم بأنها كافّة ، إلا أن ذلك لا يعجبني ، فإنّ بعد في البيت على معناه
الأصلي ، من اقتضاء الإضافة إلى شيء ، وهو في المعنى مضاف لما بعده ، كأنه
قليل : بعد حصول رأسك أشمط كالثغام المُحَلِّس . فما ذكرت أقرب إلى
الصواب إن شاء الله تعالى . انتهى .

وأورده سيويه (في باب ما جرى في الاستفهام من أسماء الفاعلين
والمفعولين مجرى الفعل) من أوائل كتابه أيضا . قال ابن خلف : الشاهد فيه
إعمال المصدر عمل الفعل ، ونصب أم الوليد بعلاقة ، لأنها بدل من اللفظ
بالفعل ، فعملت عمله ، كأنه قال : أتعلّق أم الوليد بعد الكبر . يُقال : علق
الرجل المرأة يعلّقها علّقاً من باب فرح ، وعلاقة ، إذا أحبّها ، وتعلّقها تعلّقاً .
و (العلاقة) : الحبّ ، وتكون العلاقة أيضاً الارتباط في الأمور المعنوية ، كعلاقة
الخصومة . والعلاقة ، بالكسر هي علاقة السوط ونحوه من الأمور الحسية . وفي
القاموس : العلاقة وتكسر : الحبّ اللازم للقلب ؛ أو بالفتح في المحبة ونحوها ،
وبالكسر في السوط ونحوه . و (الوليد) : مصغر ولد بفتح الواو . قال الأعلام وابن
خلف : وصغر الوليد ليدل على شباب المرأة ، لأن صغر ولدها لا يكون إلا في
عصر شبابها وما يتصل به من زمان ولادتها . انتهى .

وهذا الحصر غير صحيح ، فإنّها قد تكون مُسنّة ولها ولد صغير . والأولى
أن يكون التصغير للتحبيب ، وثكنة إضافتها إليه دون البنت للمدح ، فإن قولهم
أم الوليد وأم الصبيّين صفة مادحة للمرأة .

وقال السيرافي : الرواية الصحيحة (أمّ الوليد) بالتكبير ، ويكون مزاحفاً أى بالوقص ، وهو إسقاط الحرف الثاني من متفاعلين بعد إسكانه ^(١) قال : وإنما جعلت الرواية بالتصغير لأنه أحسن في الوزن . والوليد : الصبي . انتهى .

و (الأفنان) : جمع فَنَن بفتحتين ، وهو العُصْن ، وأراد بها ذوائب شعره ، على سبيل الاستعارة . و (الثَّغَام) بفتح المثلثة والغين المعجمة ، قال أبو حنيفة الدينوري (في كتاب النبات) : أخبرني بعض الأعراب قال : تَنَبَّتْ الثَّغَامَةُ خيوطاً طَوَّالاً دِقَاقاً من أصل واحد ، وإذا جَفَّتْ ابيضَّت كلها . وهو مرعى تُعلِّفه الخيل . وإذا أمحل الثَّغَام كان أشد ما يكون بياضاً ، ويشبهه به الشَّيب . قال حسَّان :

إِذَا تَرَى رَأْسِي تَغْيَّرَ لَوْنُهُ شَمَطاً فَأَصْبَحَ كَالثَّغَامِ الْمُجَلِّ ^(٢)

وإذا كان الثَّغَام مُخْلِساً شَبَّه به الشَّعْر الشَّمِيط ، وهو الذي اختلط بياضه بالسَّوَاد . والخليس من النبات : الذي ينبت الأخضر منه في خلال بَيْسِيهِ . قال المُرَّار الفَقْعَسِي :

* أَعْلَاقَةُ أُمِّ الْوَلِيدِ ... الْبَيْت .

أى بعد ما شَمِطَتْ . والرأس الشَّمِيط : الذي نصفه أبيض ونصفه أسود . وقال بعض الرُّوَاة : إِنَّ رَأْسَهُ لثَاغِمٌ ، إذا ابيضَّ كله .

وقال الدينوري (في موضع آخر من كتابه) : الخَلْس ^(٣) والخَلِيس ،

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى : « قوله بعد إسكانه ، كذا بالأصل ، ولا حاجة إليه » . أقول : وما قاله السيرافي في الوقص يطابق ما ورد في اللسان (وقص ٣٧٦) ؛ إذ جعل الوقص على مرتبتين كما هنا ، إسكان الثاني ثم حذفه .

(٢) ديوان حسان ٣١٠ برواية : « كالثَّغَامِ الْمُجُولِ » : الذي أتى عليه حول .

(٣) الخلس ، وردت في القاموس ولم ترد في اللسان ، وهي بفتح الخاء وسكون اللام .

وهما جميعا : الكلاء اليابس يَنْبُتُ في أصله الرُّطْبُ فيختلط به . قال أبو زياد : يقال
أَخْلَسَتِ الأرض ، وهو الخليس . ومنه قيل أَخْلَسَ رأسُه ، إذا شاب فاختلط
بالسواد .

وقال في موضع آخر : وإذا كان العشبُ منه الرُّطْبُ الأخضرُ ومنه الأصفر
الهائج ، قيل : أَخْلَسَ النَّبْتُ يُخْلِسُ إِخْلَاساً . والنبت خَلِيسٌ ومُخْلِسٌ . ومنه قيل
للشعر إذا شَمِطَ واختلط بياضُه بسواده : خليس . انتهى .

والاستفهام في البيت ، للتوبيخ . يخاطب الشاعر نفسه ويقول : أَتَعْلَقُ أُمُّ
الوليد وتحبُّها وقد كبرت وشبَّتْ .

والمرار بن سعيد الفقعسي : شاعرٌ إسلاميٌّ تقدّمت ترجمته في الشاهد
التاسع والتسعين بعد المائتين ^(١) .

* * *

وأنشد بعده :

(أَعْنُ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرَقَاءَ مَنْزِلَةٍ ماءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ)

على أن (عن) أصلها أَنْ ، قَلَبَ بنو تميم وبنو أسدِ همزتها عينا .

قال ابن يعيش (في شرح المفصل) : وذلك في أَنْ وَأَنَّ خاصّةً ، إيثارةً
للتخفيف ، لكثرة استعمالهما وطولهما بالصَّلَة ، قالوا ^(٢) : أشهد عَنْ مُحَمَّدًا
رسول الله . ولا يجوز مثل ذلك في المكسورة . انتهى .

(١) الخزانة ٤ : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) في النسختين : « بالصلة بالواو يقولون » وفي العبارة إقحام وتحريف ، أثبت صوابه من ابن

يعيش ٨ : ١٤٩ .

وقال ابن المستوفى : إنما قلبوها إلى العين كراهية اجتماع مثلين ، وقلبها إلى الهاء أكثر من قلبها إلى العين . انتهى .

وفيه نظر ، فإنَّ أنْ وأنَّ غير لازم استعمالهما مع ألف الاستفهام .

وهى لغة مرجوحة . قال ثعلب (فى أماليه) : ارتفعت قريشٌ فى الفصاحة عن عننة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجّع قيس ، وعجرفيّة ضبّة ، [وتلّلت بهراء ^(١)] . فأما عننة تميم فإنّ تميما تقول فى موضع أنّ عنّ عبد الله قائم . قال : وسمعتُ ذا الرمة ينشد عبد الملك ^(٢) :

* أعن ترسمت من خرقاء منزلة *

قال : وسمعت ابن هرمة ينشد هارون ، وكان ابن هرمة ربى فى ديار تميم :

أعن تغنّت على ساق مطوّقة ورقاء تدعو هديلاً فوق أعواد ^(٣)

وأما تلتلة بهراء فإنّهم يقولون : تعلمون وتفعلون وتصنعون ، بكسر أوائل الحروف . انتهى .

قال ابن جنى (فى سر الصناعة) بعد نقله ما تقدّم : فأما كشكشة ربيعة ^(٤) فإنّما يريد بها قولها مع كاف ضمير المؤنث : إنكش ، ورأيتكش

(١) التكملة من مجالس ثعلب ١٠٠ . وقد تنبه لهذا السقط مصحح طبعة بولاق .

(٢) علقت على هذا فى حواشى مجالس ثعلب ، بأنه قد سقط هنا اسم القائل ؛ فإن ثعلبا لا يصح أن يكون القائل ؛ فإنه لم يدرك ذا الرمة ، فإن مولده سنة ٢٠٠ . والظاهر أن الأصمعى هو القائل والسامع . انظر الخصائص ٢ : ١١ . وقد تنبه لذلك قديما ابن جنى فى سر الصناعة ١ : ٢٣٤ فقال فى سياق هذا السند بعينه : « عن أبى العباس أحمد بن يحيى أحسبه أنا عن الأصمعى » .

(٣) ديوان ابن هرمة ١٠٧ عن مجالس ثعلب والخصائص وسر الصناعة ١ : ٢٣٥ .

(٤) نسبت الكشكشة عند الجوهري فى الصحاح إلى بنى أسد ، ونسبت كذلك إلى تميم فى اللسان (كشش ٢٣٤) ، قال : « وفى حديث معاوية : تياسروا عن كشكشة تميم ، أى إبدالهم الشين من كاف الخطاب مع المؤنث فيقولون : أبوش وأمش » .

وَأَعْطِيْتُكِشْ ، تفعل هذا فى الوقف ، فإذا وصلتْ أسقطت الشين . وأما كسكسة هوازن ^(١) فقولهم أيضا : أَعْطِيْتُكِشْ ، وَمِنْكِشْ ، وَعَنْكِشْ . وهذا أيضا فى الوقف دون الوصل . انتهى .

والهمزة للاستفهام التقريرى خاطبَ نفسه على طريق التجريد . و (أن ترسَّمت) فى تأويل مصدرٍ مجرور بلام مضمرّة متعلّقة بمسجوم ، والتقدير : لأجل ترسُّمك ونظرك دارها التى نزلت بها أسالت عينك دموعها ؟

وقال ابن المستوفى : فى كتب الزمخشري فى الحواشى : المعنى أَمِنَ أَنْ ترسَّمت ، أى الآن ترسَّمت ، أى تَحَيَّلَتْ ، منصوب لأنه مفعول به ، والتقدير : أَلترسُّمك من خرقاء منزلة سُجِّم ماء عينيك ، كقوله تعالى : ﴿ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾ ^(٢) . انتهى . وهذا غلطٌ من الكاتب ، والصواب مفعول له . انتهى . وليس بغلط كما زعم ، فإن حرف الجر إذا حُذف انتصب ما بعده على المفعول به . وهو معروف شائع .

قال : وترسَّمت الدار : تأملت رسمها ، وكذلك إذا نظرت وتفرَّست أين تُحفر أو تبنى . قاله الجوهري ^(٣) . وخرقاء : صاحبتة ، وهى من بنى عامر بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة . والخرقاء : [غير ^(٤)] الصَّنَاع . انتهى .

(١) فى اللسان (كسس) : « وفى حديث معاوية : « تياسروا عن كسكسة بكر . يعنى إبداهم السين من كاف الخطاب تقول أبوس وأمس ، أى أبوك وأملك . وقيل هو خاص بمخاطبة المؤنث . ومنهم من يدع الكاف بحالها ويزيد بعدها سينا فى الوقف فيقول : مررت بكس ، أى بك » .
ويبدو أن بكراً هذه ليست بكر بن وائل ، بل هى بكر بن هوازن ، وهم قبيل كبير أيضا ، منهم سعد بن بكر بن هوازن أظار النبى ﷺ . جمهرة ابن حزم ٢٦٥ .

(٢) الآية ٢ من سورة الحجرات .

(٣) الصحاح (رسم ١٩٣٢) .

(٤) بمثل هذه التكملة يصح الكلام . وفى اللسان (خرق ٣٦٢) : « أطافت به خرقاء : امرأة غير

صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتا انهدم سريعا » .

أقول : قد تقدّم في ترجمة ذى الرمة في الشاهد الثامن من أول الكتاب ^(١)
 أَنَّ خَرَقَاءَ هِيَ مَيَّةٌ ، وهو قول ثعلب ، وقيل غيرها ، وهو قول ابن قتيبة .
 والبيت مطلع قصيدة طويلة لذي الرمة .

٤٩٦

وقال أبو العباس الأحول (في شرح ديوانه) : حدّثنا بعض أصحابنا عن
 النُسَيْرِ بن قُسَيْمٍ ، أُنِي جَهْمَةُ العدويّ قال : سمعت ذا الرمة يقول : من شعري
 ما ساعدني فيه القول ، ومنه ما أجهدتُ نفسي فيه ، وفيه ما جُننت فيه جنوناً .
 فأما الذي جننت فيه جنونا فقولى :

* ما بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكُبُ *

وأما ما طاوَعَنِي فِيهِ الْقَوْلُ فَقَوْلِي :

* خَلِيلِي غُوجَا مِنْ صَدُورِ الرَوَاحِلِ *

وأما ما أَجْهَدْتُ نَفْسِي فِيهِ فَقَوْلِي :

* أَلَّا نَ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرَقَاءَ مَنْزِلَةً *

وتقدّم شرحه مجملاً في الشاهد الحادى والخمسين بعد الثمانمائة ^(٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد التسعمائة ^(٣) :

٩٢٠ (عَلَيَّ حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي)

هو عَجَزٌ [من ^(٤)] بَيْتٍ لَامِرٍ الْقَيْسِ ، وهو :

(١) الخزائنة ١ : ١٦ - ١١٠ .

(٢) الخزائنة ١٠ : ٢٩٢ .

(٣) رصف المباني ٢٩٢ ، والمغنى ٢٦٦ .

(٤) التكملة من ش .

(تجاوزَتْ أحراساً إليها ومعشراً على جِراساً لو يُسِرُّونَ مَقْتَلِي)
على أن (لو) فيه مصدرية .

قال المراءى (فى الجنى الدانى) : علامتها أن يصلح فى موضعها أن ،
كقوله تعالى : ﴿ يودُّ أحدُهُمْ لو يُعَمَّرُ ^(١) ﴾ . ولم يذكر الجمهور أن لو تكون
مصدرية ، وذكر ذلك الفراء ، وأبو على ، والتبريزى ، وأبو البقاء ، وتبعهم ابن
مالك . ومن أنكرها تأوّل الآية ونحوها على حذف مفعول يودّ وجواب لو ، أى يودّ
أحدُهم طولَ العمر لو يعمرّ بذلك ألف سنة لسرّ بذلك . ولا تقع لو المصدرية
غالباً إلا بعد مفهم تَمَنّى . وقُلْ وقوعُها بعد غير ذلك ، كقول قُتَيْلَة بنت النّضر :
ما كان ضَرَك لو مننتَ ورُبّما منّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحَنِّقُ ^(٢) . انتهى
قال ابن هشام (فى المغنى) : ولا خفاء بما فى ذلك الجواب من التكلف .
ويشهد للمُثَبِّتَيْنِ قراءةُ بعضهم ^(٣) : ﴿ ودوا لو تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا ^(٤) ﴾ بحذف
النون ، فعطف يدهنوا بالنصب على تدهن ، لمّا كان معناه أن تدهن . ويُشكّل
عليهم دخولُها على أن فى نحو : ﴿ وما عَمِلْتُ من سُوءٍ تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً
بعيداً ^(٥) ﴾ . وجوابه : أن لو إنّما دخلت على فعل مقدّر ، تقديره : تودّ لو ثبت
أنّ بينها وبينه .

(١) الآية ٩٦ من سورة البقرة .

(٢) السيرة ٥٣٩ والأصول ٢ : ٢٦٨ والمغنى ٢٦٥ والعينى ٤ : ٤٧١ والتصريخ ٢ : ٢٥٤
والأشعرى ٤ : ٣٤ .

(٣) لم أجد نسبة لهذه القراءة . وفى تفسير أبى حيان ٨ : ٣٠٩ : « وقال هارون : إنه فى بعض
المصاحف : فيدهنوا . ولنصبه وجهان : أحدهما : أنه جواب ودّوا ، لتضمنه معنى ليت . والثانى : أنه على
توهم أنه نُطِقَ بأن ، أى ودوا أن تدهن فيدهنوا ، فيكون عطفاً على التوهم . ولا يجيئ هذا الوجه إلا على
قول من جعل لو مصدرية بمعنى أن » .

(٤) الآية ٩ من سورة القلم .

(٥) الآية ٣٠ من سورة آل عمران .

وأورد ابن مالك السؤال في : ﴿ لو أنَّ لنا كَرَّةً ^(١) ﴾ ، وأجاب بما ذكرناه ، وبأنَّ هذا من توكيد اللفظ بمرادفه نحو : ﴿ فِجَاجاً سُبُلًا ^(٢) ﴾ والسؤال في الآية مدفوع من أصله ، لأنَّ لو فيها ليست مصدرية . وفي الجواب الثانى نظر ، لأنَّ تأكيد الموصول قبل مجيء صلته شاذ ، كقراءة زيد بن على : ﴿ والذين مَن قَبَلِكُمْ ^(٣) ﴾ بفتح الميم . انتهى .

وقد أورد الشارح هذه الآية هنا تبعاً لابن مالك ، فيردُّ عليه أنَّها لو التي للتمنى ، لا مصدرية .

وقد ناقش الدمامينى في توجيه دليل المثبتين بأنَّ « يُدْهِنُوا » منصوبٌ بأنَّ مضمرة جوازاً ، والجموع منها ومن صلتها ، معطوف على الجموع من لو وصلتها ، فهو من باب عطف مصدرٍ على آخر . وهذا ماشى على القواعد ، بخلاف تخريج ابن هشام . انتهى .

والبيت من معلقة امرئ القيس المشهورة ، وقبلة :

وبيضة خدرٍ لا يُرامُ خباؤها تمتعتُ من لهُوٍ بها غيرِ مُعْجَلٍ (

صاحب الشاهد

(١) الآية ١٦٧ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٣١ من سورة الأنبياء .

(٣) الآية ٢١ من سورة البقرة . وقد أثبت الزمخشري هذه القراءة ، ونقلها عنه أبو حيان في البحر ١ : ٩٥ . قال الزمخشري : « وهى قراءة مشككة ، ووجهها على إشكالها أن يقال : أقحم الموصول الثانى بين الأول واصله تأكيداً ، كما أقحم جرير فى قوله :

* يا تيم تيم عدى لا أبالكُم *

تيم الثانى بين الأول وما أضيف إليه . وكأقحاحمهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه فى : لا أبالك * . قال أبو حيان : وهذا التخرىج مذهب لبعض النحويين ، زعم أنك إذا أثبت بعد الموصول بموصول آخر فى معناه مؤكَّد لم يَحْتَجِ الموصول الثانى إلى صلة ، نحو قوله :

من نفر اللاتى الذين إذا هم يهاب اللثامُ حَلَقَةُ البابِ قَعَقَعُوا

وانظر اعتراض أبى حيان على هذا المذهب .

قوله : (وبيضة خدرٍ) إلخ الواو واو رب ، والبيضة استعارة للمرأة الحسناء . قال الرّوزني : تشبّه النساء بالبيّض من ثلاثة أوجه : أحدها بالصّحة والسّلامة عن الطّمث ، ومنه قول الفرزدق :

خَرَجْنَ إلَيَّ لَمْ يُطْمَثْنَ قَبْلِي وَهَنَّ أَصَحُّ مِنْ بِيضِ النَّعَامِ ^(١)

الثاني : الصّيّانة والسّتر ، لأنّ الطائر يصون بيضه ويحضنه .

الثالث : في صفاء اللون ونقائه . وربما شُبّهت النساء ببيض النّعام وأريد أنّهن بيضٌ يشوب ألوانهنّ صفرة . وكذلك بيض النّعام . ومنه قول ذى الرمة :
* كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ ^(٢) * انتهى .

والخدر ، بالكسر : السّتر ، ويطلق الخدر على البيت إن كان فيه امرأة .
وأخدرت الجارية : لزمت الخدر . وأخدرها أهلها ، يتعدّى ولا يتعدّى ،
كخدروها ، بالتشديد والتخفيف . والمعنى : ستروها وصانوها عن الامتهان
والخروج لقضاء الحوائج .

وقوله : (لا يُرام) أى لا يُطلَب . والرّوم : الطّلب . و (الخباء) بكسر
المعجمة بعدها موحّدة : بيت يُعمل من وبر أو صوف أو شعر ، ويكون على
عمودين أو ثلاثة . والبيت أكبر منه ، على ستّة أعمدة إلى تسعة .

(١) ديوان الفرزدق ٨٣٦ برواية : « مشينَ إلَيَّ » ، واللسان (طمّث) برواية : « وقعن إلَيَّ »
و : « فهن أصح » . وطمّثت المرأة ، بالبناء للمفعول ، أى أدْمِيتْ بالافتضاض . أى هن عذارى غير
مفترعات . وفي النسختين هنا : « قلبى » ، تحريف .
(٢) صدره في ديوان ذى الرمة ٥ :

* كَحَلَاءٍ فِي بَرَجٍ صَفْرَاءٍ فِي نَعَجٍ *

وانظر الكامل ٤٥٢ والخصائص ١ : ٣٢٥ والوساطة ٢٩٣ والعمدة ٢ : ٢٤ ، ٧٩ .

و (تَمَتَّعَ) جواب رَبِّ . والتَمَتَّعَ : التَلَذُّذُ بالمتاع ، وهو كل ما يُنْتَفَعُ به ^(١) كالطَّعام والْبَزِّ وأثاث البيت . و (اللَّهْوُ) : ترويح النفس بما لا تقتضيه الحكمة . و (غَيْرُ ^(٢)) روى بالجر على أنه صفة للهو ، وبالنصب على أنه حال من التاء في تَمَتَّعَ .

و (مُعَجَّلَ) : اسم مفعول من أعجله ، أى حمّله على أن يَعَجَلَ : قال التَّبْرِيزِي : غير مُعَجَّلَ أى غير خائف ، أى لم يكن ذلك ممّا كنت أفعله مرّة . وقال أبو جعفر : أى غير خائف . وقال الإمام الباقلاني (في إعجاز القرآن) : قالوا: إنّها كبيضة خدرٍ في صفائها ^(٣) . وهذه كلمة حسنة ، ولكن لم يَسْبِقْ إليها ، بل هي دائرة في أفواه العرب ، وتشبيه سائر . وعنى بقوله « غير معجل » ، أنه ليس ذلك ممّا يَتَّفَقُ قليلاً وأحياناً ، بل يتكرَّرُ له بها ^(٤) . وقد يُحْمَلُ على أنه رابط الجاش ، فلا يَسْتَعِجِلُه ^(٥) إذا دخلها خوفُ حصانتها ومنعتها . وليس في هذا البيت كبير فائدة ، لأنّ الذي في سائر أبياته قد تضمَّنَ مطاولته في المغازلة واشتغاله بها ، فتكريره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى ، إلّا الزيادة التي ذكر من منعتها . وهو مع ذلك سليمُ اللَّفْظِ في المصراع الأوّل دون الثاني . انتهى .

وقوله : « تجاوزت أحراساً » إنلخ قال التَّبْرِيزِي : هو جمع حَرَسَ . انتهى . وهو كحجر وأحجار . وحَرَسَ : جمع حارس ، كخدم جمع خادم ، كذا قال الزوزني . وأجاز أيضاً أن يكون الأحراس جمع حارس كصاحب وأصحاب ،

(١) يُنْتَفَعُ به ، واضحة في ط عسرة القراءة في المخطوطة .

(٢) ط : « وغيره » ، صوابه في ش .

(٣) في إعجاز القرآن ٢٦١ : « في صفائها ورقها » .

(٤) في النسختين : « بل يتكلف للاستمتاع بها » ، صوابه في إعجاز القرآن .

(٥) في الإعجاز : « فلا يستعجل » .

وناصر وأنصار ، وشاهد وأشهاد . ومنعه بعضُهم ، لأنَّ جمع فاعل على أفعال لم يثبت . قال : وأصحابٌ إنَّما هو جمع صَحَب بكسر الحاء ، كنَّير وأنمار ^(١) . وصَحَب بسكون الحاء : اسم جمع ، كنَّهر وأنمار . قال الجوهري : فأما الأشهاد والأصحاب فهو جمع شهيد وصَحَب . و « إلیها » متعلِّق بتجاوزت . وعنَى بالمعشر قومها ، وهو الجماعة من الناس . و « على » متعلِّق بحِراس ، وهو صفة معشر . وروى أيضا :

تجاوزت أحرأساً وأهوال معشر على حِراس

فحِراس وصف معشر فى النصب والجر ، وهو جمع حريص ككرام جمع كريم . وفعله يتعدى بعلَى ، يقال : حَرَصَ عليه حَرَصاً من باب ضرب ، إذا اجتهد ؛ والاسم الحِرْص . وقوله : « لو يُشِيرُون » إلخ المصدر المؤوَّل من لو وما بعدها بدل اشتمال من الياء فى على . وإلى مصدرِيَّة (لو) ذهب التبريزى ، ٤٩٨ قال : يريد أن يُشِرُوا . وأنَّ تضارع لو فى مثل هذا الموضع ، يقال : وددت أن يقوم زيد ، وددت لو قام ، إلاَّ أنَّ لو يرتفع المستقبل بعدها وأنَّ تنصبه . قال تعالى : ﴿ أَيُودُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ ^(٢) ﴾ وقال فى موضع آخر : ﴿ وَدُّوا لو تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ^(٣) ﴾ . انتهى .

و (المقتل) : اسم مصدر بمعنى القتل . وقوله : (يُشِيرُون) قال العسكري (فى كتاب التصحيف ^(٤)) : وممَّا يروى على وجهين هذا البيت . روى

(١) لم أجد هذا النص فى الأصحاب عند الزوزنى ، ولا هو عند التبريزى أو ابن الأنبارى ، ولا هو مما ورد فى الصحاح . كما أنه لم يرد فى اللسان ولا القاموس .

(٢) الآية ٢٦٦ من سورة البقرة .

(٣) الآية ٩ من سورة القلم .

(٤) تصحيف العسكري ٢٢١ .

الأصمعيُّ : « يُشِرُّون » بالشين المعجمة ومعناه يُظهرون ، يُقال أشررت الشيء ، إذا بسطته . وقال الشاعر (١) :

* وَحَتَّى أُشِرَّتْ بِالْأَكْفِ الْمَصَاحِفُ (٢) *

أى أظهرت . ومعناه ليس يُقتل مثلى خفاءً . فيكون قتلهم إياه هو الإظهار . ورواه غيره : « لو يُسِرُّون مقتلي » من غيظهم عليّ . وهذا مثل قول القائل : هو حريص عليّ لو يقتلني . يقال أسررت الشيء ، إذا أظهرته ، وهو من الأضداد . ومعنى يُسِرُّون ، أى هم حراسٌ على إسرار قتلى ، وذلك غير كائن ، لنباهتي وذكرى . انتهى .

وقال في موضع آخر : قال أبو عبيدة في قوله لو يُسِرُّون مقتلى : أى يظهرونه . ورواية الأصمعي : « لو يُشِرُّون » أى يظهرون ، يقال أشررت الثوب ، إذا نشرته ، وشَرَرْتُهُ أيضا . انتهى .

فمعنى الروایتين متفق . وهذا أحسن من قول التَّبْرِيزِيِّ تبعاً لغيره : من رواه بسين غير معجمة احتمل أن يكون معناه يكتمون ، ويحتمل أن يكون معناه يُظهرون ، وهو من الأضداد . انتهى .

قال الزوزني : يقول تجاوزت في زيارتي إليها أهوالاً كثيرة ، وقوماً يحرسونها ، حراساً على قتلي جهاراً .

وترجمة امرئ القيس تقدّمت في الشاهد التاسع والأربعين من أوائل الكتاب (٣) .

(١) هو كعب بن جعيل ، أو الحصين بن حمام المري ، كما في اللسان (شرر ٦٩) . وهو لكعب بن جعيل في رثاء عبيد الله بن عمر في وقعة صفين ٢٩٩ .

(٢) صدره في اللسان ووقعة صفين :

* فما برحوا حتى رأى الله صبرهم *

(٣) الخزائن ١ : ٣٢٩ - ٣٣٥ .

حروف التحضيض

أنشد فيها :

(تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بنى ضَوَّطَرَى لولا الكمى المُنْعَا)

على أنَّ الفعل مقدَّر بعد لولا التحضيضية ، أى لولا تعدُّون .

و (الكمى) : الشُّجاع ، مفعول أوَّل لهذا المقدَّر ، بتقدير مضاف .
والمفعول الثانى محذوف ، والتقدير : لولا تعدُّون عَقْرَ الكمى أَفْضَلَ مجدم .
و (المُنْعَى) : الذى وضع على رأسه البيضة والمغفر . و (بنى ضَوَّطَرَى) :
مناذى ، وهى كلمة سبَّ وذمَّ . وتقدَّم شرح البيت فى الشاهد الرابع والستين بعد
المائة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(يقولون : لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشْفَاعَةِ إِلَى ، فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا)

على أنَّ مجىء الجملة الاسمية بعدها لازمة .

وتقدَّم الكلام عليه فى الشاهد الخامس والستين بعد المائة (٢) .

* * *

(١) الخزائن ٣ : ٥٥ - ٦٠ .

(٢) الخزائن ٣ : ٦٠ - ٦٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والعشرون بعد التسعمائة ^(١) :

٩٢١ (ألا زعمتُ أسماءُ أن لا أحبُّها فقلتُ : بلى ، لولا ينازعُنِي شغلى)

على أنه قد تجيء الجملة الفعلية بعد لولا غير التحضيضية .

وإنما كانت هنا غير تحضيضية لأنَّ الحَضَّ طلبٌ وبحَثٍّ وإزعاجٌ . والشاعر لم يرد أن يحثَّ نفسه على منازعة الشغل ، وإنما يريد الاعتذار عن القيام بمحبَّتها بهذا المانع ، وهو مجاذبته الشغل .

٤٩٩

وإنما لم يقل الشارح المحقق : « وغير الامتناعية » لأنَّها لا تدخل على الفعل . وأجاب عنها بجوابين :

أحدهما أن لولا ليست كلمةً واحدةً رُكِّبَتْ من كلمتين ، وإنما هي كلمتان . قال ابن الأنباري : لولا هنا غير مركَّبة ، بل لا نافية على حالها ، ولَوْ على حالها . وإنما أوَّل لا بلم ليبين أنَّها مستقلةٌ في إفادة النفي كالم في : لو لم .
والجواب الثانى : أن لولا هي الامتناعية ، لكن كان الأصل : لولا أن ينازعنى شغلى ، فلما حُذفت أن ارتفع الفعل كما فى قوله : « تَسْمَعُ بالمَعْيَدِى لا أن تراه » فيكون أن المحذوفة مع الفعل فى تأويل مبتدأ ، أى لولا منازعتى شغلى . ولا يخفى أن هذا ليس من مواضع حذف أن .

والجواب الجيد هو الأول ، ولذا قدَّمه الشارح .

وقد أشار إليهما ابن مالك (فى التسهيل) فقال : « وقد يلى الفعل لولا غير مُفهِمة تحضيضاً فيؤوِّل بلو لم ، أو تجعل المختصة بالأسماء والفعل صلة أن » . قال

(١) ابن يعيش ٨ : ١٤٦ والمغنى ٢٧٦ والهمع ١ : ١٠٥ والهللين ١ : ٣٤ والسكرى ٨٨ .

شارحه ابن عقيل : يشير بهذا إلى تأويل ما استشهد به الكسائى على ما ذهب إليه من أن المرفوع بعد لولا الامتناعية مرفوعٌ بفعل مضمر ، لظهوره فى قوله :

* أَلَا زَعَمْتَ أَسْمَاءُ أَنْ لَا أَحِبَّهَا * ... البيت

وقوله :

لَا دَرَّ دُرُّكَ إِنِّى قَدْ رَمَيْتَهُمْ لَوْلَا حُدِّدْتُ وَلَا عُذِّرَى لِمَحْدُودٍ ^(١)

والتأويل هو أن لو حرف امتناع لامتناع ، ولا نافية بمعنى لم ، أى لو لم ينازعنى ولو لم أحد . ولا قد نفى بها الماضى نحو : ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾ ^(٢) أى لم يصدق ولم يصل . أو لولا حرف امتناع لوجود ، وما بعدها مبتدأ بإضمار أن ، أى لولا أن ينازعنى ، ولولا أن حُدِّدْتُ . ولمَّا حذفت بطل عملها فى تنازعنى فارتفع . انتهى .

ولا حاجة إلى قوله : « ولا قد نفى بها الماضى » إلخ ، بالنسبة إلى البيت الأول ، لأنَّ « لا » إنّما تؤوّل بلم إذا دخلت على الماضى كالبيت الثانى . وأمّا إذا دخلت على المضارع كالبيت الشاهد فلا تؤوّل به . وإنّما قالوا عند إيراده وَحْدَهُ : إنّ لولا بمعنى لو لم ، لِمَا ذكرنا .

وذهب الإمام المرزوقى إلى أن لولا الامتناعية قد يليها الفعل بِقَلَّةٍ ، ولا حاجة إلى التأويل ، كالبيتين .

واعلم أن لولا فيهما سواء كانت لو الشرطية مع لا ، أو امتناعية لأبَدَّ لها من جواب ، فجوابها إمّا فى ما أوجبه بلى قبلها ، أو البيت الذى يليها ، وهو :

(جَزَيْتُكَ ضِعْفَ الْوَدِّ لَمَّا اسْتَكْبَيْتَهُ وَمَا إِنَّ جَزَاكَ الضَّعْفَ مِنْ أَحَدٍ قَبْلِي)

(١) للجموح الظفرى . وانظر الخزائنة ١ : ٤٦٢ .

(٢) الآية ٣١ من سورة القيامة .

صاحب الشاهد

والبيتان أولاً قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي . قال الإمام المازوني في شرحها :
 قوله : « ألا زعمت أسماء » إلخ الزعم يستعمل فيما يُرتاب ولا يتحقق^(١) ،
 ويتعدى إلى مفعولين ، وأن لا أحبها قد سدّ مسدّها وأن هذه مخففة من الثقيلة .
 أراد أنني لا أحبها . أو أن الأمر والحديث لا أحبها ، كأنها استزادت زيارته لها وتوفّره
 عليها ، واستقصرت تهالكه فيها وشغفه بها ، وأدّعت عليه أنّه قد حالّ عن العهد ،
 وتحولّ متراجعاً في درجات الودّ ، فقال مجيباً لها ، ومبطلاً لدعواها : بلى أحبّك ،
 وأرى من المثابرة عليك والسّعى في تحصيل بعض المراد بالليل منك ، ما هو الهوى
 والمُنى ، لولا الشغل المنازع ، والعائق المانع . ولولا يدخل لامتناع الشيء لوجود
 غيره ، وهو يربط جملة من مبتدأ وخبر بجملة من فعل وفاعل ، إلا أنّ خبر المبتدأ
 يحذف تخفيفاً ويكتفى بجواب لولا عنه . وقد يؤتى بالفعل والفاعل بدلاً من المبتدأ
 والخبر ، وهذا كما نحن فيه . ألا ترى أنّه قال : لولا ينازعني شغلي . وجواب لولا ، في
 قوله : بلى ، وقد تقدّم ، والتقدير لولا مجاذبة الشغل الذي أنا بصددده لقمت فيك
 مقام المحبّ ، فإنّي أحبّك . ومثل هذا في تقدّم الجواب وكون الفعل والفاعل مكان
 المبتدأ والخبر ، قول الآخر :

لأدرّ درك إني قد رميتهم لولا حُددت ولا عُذرى لمحدود^(٢)

وذكر بعضهم أنّ جواب لولا فيما بعده ، وهو « جزيتك ضعف الودّ »
 البيت . والضعف هنا بمعنى المضاعف ، كقوله تعالى : ﴿ فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً
 من النار ﴾^(٣) ، أى مضاعفاً . وي بعده :

(١) ش : « ولا يحقق » .

(٢) مضى قبل هذا بصفتين .

(٣) الآية ٣٨ من سورة الأعراف .

(فَإِنْ تَكَ أَنْتَى فِي مَعْدٍ كَرِيمَةٍ عَلَيْنَا فَقَدْ أُعْطِيتِ نَافِلَةَ الْفَضْلِ)

والنافلة : الغنيمة وبه سُمِّيَ ما لَا يَجِبُ مِنَ الطَّاعَاتِ نَوَافِلٌ . وقيل لمن فَعَلَ إِحْسَانًا لَا يَلِزُهُ : تَنَفَّلَ بِهِ . والمعنى : إِنْ تَكْرَمَ عَلَيْنَا امْرَأَةٌ فِي نِسَاءٍ مَعْدٍ فَقَدْ جُعِلَ لَكَ عَلَيْهَا بَعْدَ الْوَاجِبِ فِي إِثَارِكَ وَتَكْرَمَتِكَ زِيَادَةٌ تَفْضِلِينَ بِهَا . وَإِنَّمَا أَضَافَ النَّافِلَةَ إِلَى الْفَضْلِ لِمَا كَانَتْ تَفْضُلُ عَلَى مَنْ سِوَاهَا بِتِلْكَ النَّافِلَةِ .

ثم قال بعد أربعة أبيات (١) :

أبيات الشاهد

(فَإِنْ تَزْعُمِينِي كُنْتُ أَجْهَلُ فِيكُمْ فَأِنِّي شَرِّتُ الْحِلْمَ بِعَدِّكَ بِالْجَهْلِ)
وقال صِحَابِي : قَدْ غُبَيْتَ ، وَخِلْتُنِي غُبَيْتُ فَمَا أَدْرَى أَشْكَلُهُمْ شَكْلِي
عَلَى أَنَّهَا قَالَتْ : رَأَيْتُ خَوِيلِدًا تَنَكَّرَ حَتَّى عَادَ أَسْوَدَ كَالْجِدْلِ
فَنَلَّكَ خَطُوبٌ قَدْ تَمَلَّتْ شَبَابَنَا زَمَانًا ، فُتْبِلِينَا الْمَنُونُ وَمَا نُبْلِي
وَتُبْلَى الْأَلَى يَسْتَلْعِمُونَ عَلَى الْأَلَى تَرَاهَنْ يَوْمَ الرُّوعِ كَالْحِدْلِ الْقُبْلِ)

وقوله : « فَإِنْ تَزْعُمِينِي » إلخ قال المرزوقي : الأكثر زعمت أنه كان يفعل كذا . وقد جاء : زعمته كان يفعل ، فلهذا قال تَزْعُمِينِي . وقال الله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾ (٢) وقال عز ذكره : ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾ (٣) . وَيَسْتَشْهَدُ أَصْحَابُنَا بِدُخُولِهِ عَلَى أَنْ الْخَفَفَةُ وَالْمَثْقَلَةُ ، عَلَى حَدِّ مَا يَدْخُلُ حَسِبَتْ وَظَنَنْتَ عَلَيْهِمَا ، أَنَّهُ يَتَعَدَّى لِمَفْعُولَيْنِ . وقد استشهد سيبويه بهذا البيت أيضاً . وأراد أبو ذؤيب الاعتذارَ إِلَى الْمَرْأَةِ لَمَّا قَالَتْ : إِنَّكَ لَا تَحْبُنِي ، فَقَالَ مُتَنَصِّلاً إِلَيْهَا ، وَذَاكِرًا الْوَجْهَ الَّذِي تَدَاخَلَهَا مِنْهُ مَا أَشْكَلُهَا وَأَخْرَجَهَا إِلَى عَتَبِهِ وَسُوءِ الظَّنِّ بِهِ : إِنْ احْتَجَجْتَ فِي دَعْوَاكَ عَلَيَّ بِأَنِّي كُنْتُ أُسْتَعْمَلُ الْجَهْلَ فِي

(١) ط : « أربع أبيات » صوابه في ش .

(٢) الآية ٧ من سورة التغابن .

(٣) الآية ٤٨ من سورة الكهف .

حُبُّكُمْ فَأَقْدُمُ عَلَى الْأُمُورِ الْمُنْكَرَةِ ، وَأَرْكَبُ الْأَهْوَالَ الْمُرْدِيَّةَ ، وَالْآنَ قَدْ كَفَفْتُ وَكُنْتُ أَتْعَاطِي مِنَ اللَّهْوِ وَالصَّبَا مَا قَدْ أَطْرَحْتَهُ السَّاعَةُ ، فَذَلِكَ ذَلِكَ عَلَى زَوَالِ الْحُبِّ ، فَلَيْسَ اسْتِدْلَالُكَ بِصَحِيحٍ ، وَمَا حَدَّثَ لِي اسْتِغْنَاءُ عَنْكَ ، وَلَا اسْتِبْدَالْتُ بِمَجْلِكِ قِلَافِكَ ، وَلَكِنِّي تَحَلَّمْتُ ، فَجَمِيعُ مَا تَرَيْنَهُ وَتُنْكِرِيْنَهُ مِنَ الْعَادَاتِ الْمُسْتَجَدَّةِ نَتَائِجُ الْحِلْمِ وَالْعَقْلِ . فَأَمَّا الْحُبُّ فَكَمَا كَانَ ، وَالْأَيَّامُ تَزِيدُهُ اسْتِحْكَامًا . وَشَرِيْتُ وَاشْتَرَيْتُ بِمَعْنَى ، وَهُوَ هُنَا مِثْلُ . انْتَهَى كَلَامُهُ .

أقول : وأورده سيبويه (في باب ظننت وأخواتها من أوائل كتابه) فإنه بعد أن ذكر عملها قال : ومما جاء في الشعر معملاً قول أبي ذؤيب . وأنشد البيت . ولم يُرد أن عملها إنما يكون في الشعر ، وإنما أراد : ومما جاء في الشعر شاهداً على إعمالها هذا البيت . والياء المفعول الأول ، وجملة « كنت أجهل فيكم » في موضع المفعول الثاني .

٥٠١

وأورده ابن هشام (في المغنى ، في الجملة التي تقع مفعولاً ثانياً من الباب الثاني) . قال : وقد اجتمع وقوع خبري كان وإن ، والثاني من مفعولي باب ظن ، جملة في قول أبي ذؤيب . وأنشد البيت .

وأورده صاحب الكشاف عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾^(١) على أن الاشتراء فيه مستعار للاستبدال ، كما في البيت .

وزعم بعض من كتب عليه أن أجهل ، فيه ، أفعل تفضيل ، فرواه بالتصّب ، وقال : أي إن تزعميني أنني أجهل الناس فيكم لارتكاب بطالات الهوى فتحوّلي عن هذا الزعم ، فإنّي أخذت الحلم بعدك بالجهل . وهذا وإن كان معناه صحيحاً إلا أنه ليس برواية .

(١) الآية ٤١ من سورة البقرة ، و ٤٤ من المائدة .

وقوله : « وقال صحابى قد غُيبت » إلخ قال المرزوقى : يقول : أنكر أصحابى منى ما تمسكت به من ارعواءٍ وحلم ، حتى قالوا : إنك مغبون فيما قابضت عليه من صيأ وجهل . وأظننتى الغابن الرابع ، لا المخدوع الخاسر . فلا أعلم أمقصيدهم مقصيدى ، وطريقهم طريقى ، ثم غلط أحدنا حتى افترقنا ، أم اختلفنا فى أصل ما نظرنا فيه وأخذنا به ، فلذلك لم يتفق معتبرنا . وقال هذا وهو يعلم اختلاف أحوالهم وتباين طرقهم ، زاريا عليهم وموئخا لهم . ومن هذا الباب قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(١) . وعلى هذا التفسير يكون « أم لا » مضمرأ بعد قوله : أشكلهم شكلى ، وساغ حذفه لما فى الكلام من الدلالة عليه ، وتكون الألف للتسوية . ويجوز أن يكتفى بقوله : أشكلهم شكلى ، فلا يقصد إلى معادلة ولا تسوية . وذلك أن أدري من أخوات أعلم ، وقد يجوز أن تقول : قد علمت أزيد فى الدار . وحكى ذلك سيبويه . ولو قلت : سواء على أو ما أبالى ، لم يكن بُد من ذكر أم . ومثل الأول قول أبى ذؤيب فى أخرى :

* فما أدري أرشد طلابها (٢) *

وقد سمعت من يقول : إن الأمر فى الكل سواء ، وإن أم حيث لم ينطق به مقدر ، وإن أبا الحسن حكى أن بعضهم قال : علمت أزيد عندك ، لا يكتفى به إلا بعد إضمار . وهو قول قوى . وفى هذا كلام ليس هذا موضع بسطه . انتهى . وقوله : « على أنها قالت » إلخ يريد أن هذه المرأة كما أنكرت عادى أنكرت حالتى ، فقالت : رأيت أبا ذؤيب ، وهو خويلد ، تغير عن المعهود ، واسود حتى

(١) الآية ٢٤ من سورة سبأ .

(٢) صدره فى ديوان الهذليين ١ : ٧١ والسكرى ٤٣ :

صار كالجِذْل ، بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ، وهو الخَشْبَةُ التى تُنْصَب
لِلإِبِلِ الجَرَبَى فتحْتَكُ بِهَا وتَسْوَدُّ بما يعلُقُهَا من طلائِهَا . ثم أخذ يعتذر مِنْ تَغْيَرِ
هيئته ولونه ، وتأثير الزمان فيه ، كما اعتذر من تَغْيَرِ شيمته ، فقال : « فتلك
خطوبٌ » البيت . يقول : إِنَّ الذى غَيَّرَنَا خطوبٌ تناوَلَتْ من قِوَانَا واستمتعت بنا
من لَدُنْ شبابنا إلى يومنا . والدهر يُبْلِي جِدَّةَ أهْلِهِ وهم لا يُبْلُونَهُ ، ويأْكُلُهُمْ ويشْرِبُ
عليهم ، ولا ينتقمون منه . وأشار إلى أنواع المنايا وأجناس الحوادث بقوله « المنون » .
وقوله : « وتُبْلِي الأُلَى » البيت ، يقول : وتُبْلِي حوادثُ الدَّهْرِ الرجالَ الذين
يستلثمون اللَّامَاتِ ، وهى الدُّرُوعُ ، راكبين الخيل ، التى تَرَاهُنَّ فى يوم الفزع
لطموج أبصارهنّ وتقلّيب أعينهنّ ذكاءً وشهامَةً ، كأنَّهنَّ الحِداُ القُبُل .
ويستلثمون صلة الأُلَى ، لَأْتَهُ فى معنى الذين . وعلى الأُلَى فى موضع الحال ،
لَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ : رأيتَ زيدا على فرس ، فالمعنى راكباً فرساً . وتَرَاهُنَّ مع ما بعده
صلة الأُلَى الثانية . والحِداُ : جمع حِدَاةٍ كَعَنْبٍ جمع عنبه ، وهى طائرٌ تصيد
الجُرْذَانَ . قال الخليل : وقد تفتح حاؤه . والقُبُل : جمع أَقْبَلٍ وقَبْلَاءَ ، وهو من
صفة الحِداُ . والقُبُل : أن تُقْبَلَ كُلُّ واحدةٍ من العينين على الأخرى ، وهو أَشَدُّ من
الحَوْل ، وإذا كان خلقه كان مذموماً . وهم يَصِفُونَ الخَيْلَ بالشَّوْسِ والخَوْصِ ،
والقُبُل ، يريدون أَنَّها تفعل ذلك لعزّة أنفسِهَا .

٥٠٢

وقد استشهد شَرَّاحُ الألفيَّةِ وغيرهم بهذا البيت ، على استعمال الأُلَى
لجمع المذكر والمؤنث ، وهو الذى واللاتى ، بدليل ما عاد على كَلِّ منهما من
ضميره .

وترجمة أبى ذؤيب تقدّمت فى الشاهد السابع والستين من أوائل
الكتاب (١) .

حرف التوقع

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٩٢٢ (قَدْ أَتْرَكَ الْقَرْنَ مُصَفَّرًا أَنَامِلُهُ)

هو صدر ، وعجزه :

* كَأَنَّ أَثْوَابَهُ مُجَّتْ بِفِرْصَادٍ *

على أَنَّ (قد) مع المضارع تكون للتكثير في مقام التمدح والافتخار . قال سيبويه . وتكون قد بمنزلة ربمَّا . وأنشد البيت ، وقال : كأنه قال : ربمَّا . وأراد بربمَّا التكثير .

ونقله عنه ابن هشام (في المغنى) وقال : الرابع من معاني قد التكثير ، قاله سيبويه في قول الهذلي :

* قَدْ أَتْرَكَ الْقَرْنَ مُصَفَّرًا أَنَامِلُهُ *

وقاله الزمخشري في : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ (٢) قال : أى ربمَّا ، ومعناه تكثير الرؤية . ثم استشهد بالبيت . واستشهد جماعة على ذلك بيت العروض :

قد أشهد الغارة الشَّعواء تحملنى جرداء معروقة اللِّحيين سُرحوبُ (٣) . انتهى

(١) في كتابه ٢ : ٣٠٧ . وانظر شرح الأبيات للسيرا في ٢ : ٣٦٨ والمقتضب ١ : ٤٣ والأزهية

٢٢١ وابن الشجرى ١ : ٢١٢ وابن عيش ٨ : ١٤٧ ورصف المبانى ٢٩٣ والمغنى ١٧٤ والجمع ٢ : ٧٣ وديوان عبيد بن الأبرص ٧١ .

(٢) الآية ١٤٤ من سورة البقرة .

(٣) لامرئ القيس في ديوانه ٢٢٥ . وانظر معجم الشواهد .

وقد جعل الزنجشري (في تفسير سورة التكوير) : أصل مُفَادَ قَدْ وَرَبَّمَا التقليل والتكثير ، إنَّمَا جاء من عكس الكلام . قال عند قوله تعالى : ﴿ عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أُحْضَرْتُ ^(١) ﴾ : فَإِنْ قلت : كُلُّ نفس تعلم ما أُحْضَرْتُ كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ^(٢) ﴾ والأنفُسُ واحدة ، فما معنى قوله علمت نفس ؟ قلت : هو من عكس كلامهم الذى يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه . ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لو كَانُوا مُسْلِمِينَ ^(٣) ﴾ ومعناه معنى كَمْ وأبلغ . ومنه قول القائل :

* قد أترك القِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ *

وتقول لبعض قَوَادِ العسكر : كم عندك من الفُرسان ؟ فيقول : رَبِّ فارسٍ عندى ، أو لا تعدم فارساً عندى . وعنده المقانِب ، وقصده بذلك التَّمادى فى كثرة فرسانه ، ولكنه أراد إظهار براءته من التزديد ، وأنه ممن يُقَلِّلُ كثير ما عنده فضلاً أن يتردد ، فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصِّحة واليقين . انتهى كلامه .

وزعم ابنُ مالك أنَّ مراد سيبويه أنَّ قَدْ مِثْلُ رَبَّمَا فى التقليل ، لا فى التكثير . وردَّ عليه أبو حيان ، وانتصر بعضهم لابن مالك . وقد نقل الجميع الدمامينى (فى الحاشية الهندية) ، وصحَّح كلامَ أبى حيان ، ولا بأس بإيراده فنقول :

(١) الآية ١٤ من سورة التكوير .

(٢) الآية ٣٠ من آل عمران .

(٣) الآية ٢ من سورة الحجر . وقرأ بتخفيف « ربما » نافع وعاصم من السبعة ، وأبو جعفر من

العشرة . إتحاف فضلاء البشر ٢٧٤ .

قال ابن مالك : إطلاق سيبويه القول بأنها بمنزلة ربّما ، موجبٌ للتسوية بينهما في التقليل والصرف إلى المضى . واعترضه أبو حيان فقال : لم يبيّن سيبويه الجهة التي فيها قد بمنزلة ربّما ، ولا يدلُّ على التسوية في كلّ الأحكام ، بل يُستدلّ بكلام سيبويه على نقيض ما فهمه ابن مالك ، وهو أنّ قد بمنزلة ربّما في التكثير فقط . ويدلُّ عليه إنشاد البيت ، لأنّ الإنسان لا يفخر بما يقع منه على سبيل النُدرة والقِلّة ، وإنّما يفخر بما يقع منه على سبيل الكثرة ، فيكون قد بمنزلة ربّما في التكثير . انتهى .

وانتصر بعض الفضلاء لابن مالك رادّاً كلامَ أبى حيان فقال : أمّا قوله : « لم يبيّن سيبويه الجهة » إلخ فإطلاق التسوية كافٍ في الأحكام كلّها ، إلّا ما تعيّن خروجُه . وأمّا قوله : « لأنّ الإنسان » إلخ فجوابه أنّ فخر الإنسان بما يقع منه كثيراً إنّما يكون فيما يقع قليلاً وكثيراً فيفخر بالكثير منه ، أمّا ما لا يقع إلّا نادراً فقط فإنّه يفخر بالقليل منه لاستحالة الكثرة فيه . وترك المرء قرنه مصفراً الأنامل يستحيل وقوعه كثيراً ، وإنّما يتفق نادراً ، فلذلك يفخر به ؛ لأنّ القرن هو المقاوم للشخص ، الكفء له في شجاعته ، فلو فرض مغلوباً معه في الكثير من الأوقات لم يكن قرناً له ، إذ لا يكون قرناً إلّا عند المكافأة غالباً . إذا تقرّر هذا فنقول : لما كان قوله القرن يقتضى أنّه لا يغلب قرنه ، لأنّ القرنين غالبُ أمرهما التعارض ، ثم قضى بأنّه قد يغلبه ، حملنا ذلك على القلّة صوتاً للكلام عن التدافع ، وقلنا : المراد أنّه بتركه كذلك تركاً لا يُخرجه عن كونه قرناً . وذلك هو الترك النادر ، لئلاّ يدفع آخر الكلام أوله . والزحشرى فهم ما فهمه أبو حيان من أنّ قد في البيت للتكثير ، فقد اتّجهت المؤاخذه على ابن هشام في نقله هذا المعنى عن سيبويه ؛ فإنّ سيبويه لم يقله نصّاً ، وإنّما فهمه أبو حيان عنه . ثم أبو حيان ليس جازماً به ، وإنّما قاله معارضاً لفهم ابن مالك ، ومثّل هذا لا يكفي في تسويغ النقل عن

سيويوه ، وغايته فهم جَوَزه أبو حَيَّان ، وسبقه الرخشيُّ إليه ، وهو معارِضٌ لفهم ابن مالكٍ أحدِ المجتهدين في النحو .

كذا قال ذلك الفاضل .

قلت : حاصل كلامه على البيت أنَّ التكثر فيه ملزمٌ للتناقض بناءً على أنَّ القرن هو الكفاء ، وكثرة مغلوبيته تمنع كونه قرناً ، وقد فُرض أنَّه قرن . هذا خَلَف^(١) . وإنَّما يتمُّ ذلك أنَّ لو كان المراد بالقرن واحداً ، وهو ممنوع ، بل الظاهر أنَّ المراد به الجنس . فإذا فرضنا أنَّه غلبَ جميعُ أقرانه ، وهم مائة مثلاً ، كلٌّ واحدٍ مرَّةً ، حصلت كثرة الغلبة مع انتفاء التناقض لتعدد المحالِّ ، وهذا هو اللائق بمقام الافتخار . وظهر بهذا أنَّ قوله : « لاستحالة الكثرة فيه » مستدرَك ، وأنَّ قوله : « إنَّ ذلك فيما يمكن وقوعه قليلاً وكثيراً فلا يُفْتَحَرُّ منه إلَّا بالكثير » لا يُجْديهِ نفعا في مرامه ، بل هو عليه كما عرفته . هذا آخر ما أورده الدماميني .

وقد أجاد في ردِّه ، على هذا الفاضل . وقد أورد هذا الفاضل (في شرح التسهيل) مسلماً ، وشنَّع على ابن هشام غاية التشنيع .

والبيت من قصيدة لعبيد بن الأبرص الأسدي ، أوردها الأصمعيُّ (في الأصمعيات^(٢)) وهذا مطلعها :

صاحب الشاهد

(١) الخلف ، بالفتح : الردى من القول ، والخطأ كذلك ، ومنه في المثل : « سكت ألفاً ونطق خلفاً » يضرب للرجل يطيل الصمت ، فإذا تكلم تكلم بالخطأ . ولا عبرة بما جاء في المعجم الوسيط من ضبطه بالضم .

(٢) ليست في نسخ الأصمعيات المطبوعة . وقد سبق مثل هذا من نسبة قصيدة مضرر الأسدي إلى الأصمعيات في الشاهد ٨٢١ الذي سبق في ١٠ : ١٠٣ . والقصيدة في مختارات ابن الشجرى ٩٩ - ١٠٠ وجمهرة القرشي ١٧ من المقدمة والأغاني ١٩ : ٨٩ ، وديوان عبيد ٤٧ - ٤٩ .

أبيات الشاهد

٥٠٤

(طاف الخيال علينا ليلة الوادى
أننى اهتديت لركب طال ليْلهم
يُطوِّفُونَ الفلاَ في كلِّ هاجرة
من آل أسماء لم يُلِمَّ بميعادِ
في سُبَسبٍ بين دكداكٍ وأعقادِ
مثل الفنيقِ إذا ما حثَّه الحادى^(١))

إلى أن قال :

(اذهبْ إليكْ فإِنِّى من بنى أسدِ
قد أترك القِرْنَ مصفراً أناملُهُ
أبلغْ أبا كربٍ عَنِّى وإخوتَهُ
لا أعرفنَّكَ بعدَ اليومِ تندُبُنِى
فإنَّ حَيِّثُ فلا أحسِبُكَ فى بلدِى
فانظُرْ إلى ظلِّ مُلْكٍ أنتَ تاركُهُ
الخيرُ يبقِى وإنَّ طال الزَّمانُ بهِ
أهل القِبابِ وأهل المَجْدِ والنَّادِى^(٢)
كأنَّ أثوابه مُجَّتْ بِفرصادِ
قولاً سيذهبُ غوراً بعدَ إنجادِ
وفى حياتِى ما زودتَنِى زادِى
وإن مرضتُ فلا أحسِبُكَ عَوادِى
هل تُرسِنَ أَوَاحِيهِ بأوتادِ^(٣)
والشرُّ أخبثُ ما أوعيتُ من زادِ)

وقوله : « أننى اهتديت » التفات من الغيبة إلى الخطاب . والسَّبَسَبُ :
المفازة والفقر . والدكداك بفتح الدال ، هو من الرَّمْل : ما التبدَّ ولم يرتفع . وأعقاد :
جمع عَقْدٍ بفتح فكسر ، هو ما تعقَّد من الرَّمْل ، أى تراكم . وطَوَّفَ : مبالغة
طاف . والفنيق بفتح الفاء وكسر النون : الفحل المُكْرَم من الإبل .

وقوله : « اذهبْ إليك » ، أى اذهبْ إلى قومك بدليل قوله : « فإِنِّى من
بنى أسد » ، فلا يَرِدُ أنَّ مجرور إلى وفاعل متعلِّقها ضميرانِ لشيء واحد .

(١) ويروى :

مثل المهاة إذا ما احتثها الحادى

يكلفون سراها كل يَحْمَلِ

(٢) ويروى : « وأهل الجرد والنادى » .

(٣) ويروى : « إلى فء ملك » .

وقوله : « قد أترك القرن » هو بكسر القاف : المثل في الشجاعة .
 والأنامل : رموس الأصابع . وأترك يحتمل أن يكون من الترك بمعنى التخلية ويتعدى
 إلى مفعول واحد ، فمُصَفَّرًا حال من قرن . ويحتمل أن يكون من الترك بمعنى
 التصيير ، فيتعدى لمفعولين ثانيهما مصفراً . والمعنى أقتله فينزف دمه فتصفر
 أنامله . وقال الأعلم : خصَّ الأنامل لأنَّ الصفرة إليها أسرع ، وفيها أظهر . وقال
 ابن السيرافي (في شرح أبيات الغريب المصنف) : يريد أنه يقتل القرن فتصفر
 أنامله . ويقال إنه إذا مات الميت اصفرَّت أنامله . وأثواب : جمع ثوب . ومُجَّت :
 دُميت ، والمراد صُبِغت . والفرصاد ، بكسر الفاء ، قال الأعلم : هو الثوث ،
 شبه الدم بحمرة عُصارتِهِ . وفي القاموس : الفِرصاد : الثوث أو أحمره ، أو صِبغٌ
 أحمر . والثوث ^(١) فيه لغتان ، يجوز في آخره بالثاء المثلثة ، وبالمثناة . وأنكر
 صاحب الصحاح الأول ، ورَدَّ عليه . حكى أبو حنيفة الدينوري (في كتاب
 النبات) أنه بالمثلثة ، وقال : لم يسمع في الشعر إلَّا به . وأنشد لمحبوب التَّهْسَلِيّ :
 لَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ أَوْ طَرْفٍ مِنْ الْقَرْيَةِ حَزَنٌ غَيْرُ مَحْرُوثٍ
 أَشْهَى وَأَحْلَى لِعَيْنِي إِنْ مَرَرْتُ بِهِ مِنْ كَرْخِ بَغْدَادَ ذِي الرِّمَانِ وَالثُّوثِ
 وقوله : « لا أعرفتك » لا ناهية . ونهى المتكلم نفسه قليل . والأواخي :
 جمع آخِيَّة بالمد والتشديد ، وهو حبلٌ يدفن طرفاه في الأرض وفيه عُصِيَّة
 أو حَجِير ، فتظهر منه مثلُ عروة تشدُّ إليه الدابة .

والبيت الشاهد قد تداوله الشعراء ، فبعضهم أخذ المصراع ، وبعضهم أخذه
 تماماً بلفظه ، وبعضهم أخذ معناه . قال أبو المثلَّم الهذلي ، يرثي صخر الغيِّ الهذلي :
 وَيَتْرُكُ الْقَرْنَ مَصْفَرًّا أَنَامِلَهُ كَأَن فِي رِطَاطِيهِ نَضَحَ إِرْقَانٍ ^(٢)

(١) ش : « والثوث » بتاءين .

(٢) شرح السكري ٢٨٦ . وروى : « نضخ أرقان » . والأرقان ، بالفتح : البرقان .

والإرقان بكسر الهمزة ، وبالقاف : الزعفران .

وقال المنتحل الهذلي ، يرثى ابن أثيلة :

والتارك القرن مصفراً أنامله كأنه من عُقارٍ قَهْوَةٍ ثَمِلٌ ^(١)

وقال زهير بن مسعود الضبي :

هَلَّا سَأَلْتُ هَذَاكَ اللَّهَ مَا حَسَبِي عِنْدَ الطَّعَانِ إِذَا مَا احْمَرَّتِ الْحَدَقُ ^(٢)
هَلْ أَتَرَكَ الْقِرْنَ مُصَفِّراً أَنَامِلُهُ قَدْ بَلَّ أَثْوَابُهُ مِنْ جَوْفِهِ الْعَلَقُ

وقالت ربيعة الهذلية ترثى أخاها عمراً ذا الكلب :

الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ يَتَّبِعُهَا مُثْعَنَجْرٌ مِنْ نَجِيعِ الْجَوْفِ أُسْكُوبُ ^(٣)
وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ مُصَفِّراً أَنَامِلُهُ كَأَنَّهُ مِنْ نَجِيعِ الْجَوْفِ مَخْضُوبُ

وقال زهير بن أبي سلمى :

قَدْ أَتَرَكَ الْقِرْنَ مُصَفِّراً أَنَامِلُهُ يَمِيدُ فِي الرُّمَحِ مَيْدَ الْمَائِحِ الْأَسَنِ ^(٤)

المائح : الذى يملأ الدلو فى أسفل البئر عند قلة مائها . والأسن ، بفتح

الهمزة وكسر السين : الذى أصابته ريحٌ منتنةٌ من ريح البئر أو غير ذلك ، فغشى عليه أو دار رأسه . وقال أحد بني جرم :

(١) شرح السكرى ١٢٨٢ .

(٢) حماسة ابن الشجرى ٢٣ . من أبيات . وبين البيتين :

وجالت الخيل بالأبطال معلمة شعث التواصى عليها البيض تأتلق

(٣) شرح السكرى ٥٨٠ برواية : « أنعوب » .

(٤) ديوان زهير ١٣١ برواية :

يفادر القرن مصفراً أنامله يميل فى الرمح ميل المائح الأسنى

وأترك القرن مصفراً أنامله دامي المرادع منكباً على العفر^(١)

وقالت عمرة بنت شذاد الكلبية ، ترثي أخاها مسعود بن شذاد :

قد يطعن الطعنة النجلاء يتبعها مضرج بعدها تغلى بإزباد^(٢)

ويترك القرن مصفراً أنامله كأن أثوابه مجت بفِرصاد

وتقدمت ترجمة عبيد بن الأبرص في الشاهد السادس عشر بعد المائة^(٣) ،

ووقع نسبة البيت الشاهد في كتاب سيبويه إلى بعض الهذليين ، ولم أره في أشعارهم من رواية السكري . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

* (لَمَّا تُزَلُّ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدْ) *

على أنه قد يحذف الفعل بعد (قد) لدليل ، والتقدير : وكأن قد زالت ،

فحذف زالت لدلالة ما قبله عليه ، وكسرت الدال من قد للقفية .

وأراد الشارح الفعل الماضي كما مثل ، فإن حذف المضارع بعدها غير

مسموع . وهذا عجزٌ وصدرة :

(أَفَدَّ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا)

وتقدم شرحه في الشاهد الخامس والعشرين بعد الخمسمائة^(٤) .

(١) ط : « المذارع » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح .

(٢) في حماسة ابن الشجرى ٨١ . أبيات على هذا الروى لفارعة بنت شذاد المريية ، ترثي أخاها

مسعود بن شذاد ، وكان أغار على جرم فأسروه ثم لم يسقوه حتى مات عطشا .

(٣) الخزائن ٢ : ٢١٥ - ٢١٩ .

(٤) الخزائن ٧ : ١٩٧ - ٢٠٥ .

(٤) عند ابن يعیش : « أن أصل هل » .

قد ، والاستفهام فيها بتقدير أَلْف الاستفهام ، كما كان ذلك في مَنْ وَمَتَى ، والأصل أَمَنْ ، أمتي ^(١) ، ولَمَّا كثر استعمالُها في الاستفهام حُذِفَت الألف وتضمَّنت معناها . وكذلك هل الأصل فيها : أَهْلٌ ، وكثر استعمالُها في الاستفهام ، فحذفت الألف للعلم بمكانها . انتهى .

وما نقله عن سيبويه مذكورٌ في باب بيان أم لِمَ تدخل على حروف الاستفهام ولم تدخل على الألف ^(٢) . وقد وقع مثلٌ هذا في أوائل كتاب سيبويه (في باب ما يختار فيه النصب من أبواب الاشتغال أيضا ^(٣)) : وتقول أم هل فإنها بمنزلة قد ، ولكنهم تركوا الألف استغناءً ، إذ كان هذا الكلام لا يقع إلا في استفهام . انتهى .

ولم يقف ابن هشام على هذين النَّصَّيْنِ من كلام سيبويه ، فاعترض على الزمخشري بقوله : ولم أر في كتاب سيبويه ما نقله عنه ، وإنَّما قال (في باب عِدَّة ما يكون عليه الكلم) ما نصُّه : « وهل هي للاستفهام » لم يزد على ذلك . انتهى . وقد ردَّ عليه الدَّمامينيُّ بأنَّه لا يلزم من عدم رؤيته هو لذلك عدم وقوعه ، وكان الأوَّلُ به تحسين الظنِّ بالزمخشري ، فإنَّه أَمَّا في هذا الفنِّ ، ثَبِتَ في النقل ، وما نقله عن سيبويه مَسْطُورٌ في موضعين من كتابه . ثم نقل كلاميه من كتابه ، وقال : فإن قلت فما تصنع في دفع المعارضة التي أشار إليها ، وهي مخالفة قول سيبويه في باب عِدَّة ما يكون عليه الكلام ، لقوله في غيره : إنَّ هل إنَّما تكون بمنزلة قد ؟ قلت : أحمل ذلك على أنَّها للاستفهام باعتبار قيامها مقام الهمزة

(١) عند ابن يعيش : « كما كان ذلك في مَنْ وَمَتَى وما ، والأصل : أَمَنْ وأمتي وأما » .

(٢) سيبويه ٣ : ١٨٩ .

(٣) سيبويه ١ : ١٠٠ .

المحذوفة المفيدة للاستفهام ، لا أنها موضوعة للاستفهام بنفسها ، جمعاً بين كلاميه . انتهى .

وكلام الزمخشري (في كشافه) ، كالمفصل قال : هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ، والأصل أهْل ، بدليل قوله :

* أهل رأونا بسَفَح القاع ذِي الأكم *
 والمعنى أقْد أتى ، على التقرير والتقريب جميعاً ، أى أتى على الإنسان قبل

زمانٍ قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئاً مذكوراً ، أى كان شيئاً منسياً غير مذكور . انتهى .

وتبعه البيضاوى فقال : هو استفهامٌ تقرير وتقريب ، ولذلك فسّر بقْد ، وأصله أهْل ، كقوله : أهل رأونا البيت انتهى .

ومعنى قول الزمخشري : « في الاستفهام خاصة » أنّ هل لا تكون بمعنى قد إلاّ ومعها استفهام لفظاً كالبيت المتقدم ، أو تقديراً كآية الكريمة . فلو قلت : هل جاء زيد بمعنى قد جاء ، من غير استفهام لم يجز . وقوله : « على التقرير » أى المفهوم من الاستفهام المقدّر . وقوله : « والتقريب » أى المفهوم من هل بمعنى قد .

وإنّما استشهد الشارح بالبيت الذى أورده دون بيت المفصل فإنّه طَعَن ٥٠٧
 فى ثبوته . قال ابن هشام : وقد رأيت عن السيرافى أنّ الرواية الصحيحة : « أم هل رأونا » وأم هذه منقطعة بمعنى بل ، فلا دليل فيه . انتهى . ولهذا عدل الشارح عنه ، فللهِ درّه ما أدقّ نظره .

المذهب (الثانى) أنّ هل بمعنى قد دون استفهام مقدّر ، وهو مذهب الفراء (١) . قال فى تفسير الآية : المعنى قد أتى على الإنسان حين من الدهر .

وهل قد تكون جحداً وتكون خبراً . فهذا من الخبر . وقوله : لم يكن شيئاً مذكوراً ، يريد كَانْ شيئاً ولم يكن مذكوراً ، وذلك حين خَلَقَهُ من طينٍ إلى أنْ نفَخَ فيه الرُّوحَ . انتهى .

وتبعه الإمام الواحدى (فى الوسيط) فقال : قال المفسِّرون وأهل المعانى : قد أتى ، فهل ههنا خبر وليس باستفهام . وقوله : (على الإنسان) يعنى آدم (حين من الدهر) : قدرُ أربعين سنة ، (لم يكن شيئاً مذكوراً) لا فى السماء ولا فى الأرض ، يعنى أنه كان جسداً مُلْقًى من طين قبل أن يُنفخ فيه الرُّوح . قال عطاءً عن ابن عباس : إنَّما تم خَلْقُهُ بعد عشرين ومائة سنة . انتهى . وقال ابن هشام : إنَّ هل تأتى بمعنى قد ، وذلك مع الفعل ، وبذلك فسَّرَ قوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين ﴾ جماعةً منهم ابن عباس رضى الله عنهما ، والكسائى ، والفراء ، والمبرد . قال (فى مُقتَضَبِهِ ^(١)) : هل للاستفهام نحو : هل جاء زيد ، وتكون بمنزلة قد نحو قوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ . انتهى .

وبالغ الزمخشري فزعم أنَّها أبداً بمعنى قد ، وأنَّ الاستفهام إنَّما هو مستفاد من همزة مقدَّرة معها . وفسَّرَها غيره بقَدْ خاصَّة ولم يحملوا قد على معنى التقريب ، بل على معنى التحقيق . وقال بعضهم : معناها التوقُّع ، وكأنَّه قيل لِقَوْمٍ يتوقَّعون الخبر عمَّا أتى على الإنسان ، وهو آدم عليه السلام . قال : والحين هو زمن كونه طيناً . انتهى .

المذهب (الثالث) لابن مالك أنَّها تتعيَّن لمعنى قدَّ إن دخلت عليها همزة الاستفهام ، وإن لم تدخل فقد تكون بمعنى قد ، وقد تكون للاستفهام : قال (فى

(التسهيل) : وقد تدخل عليها الهمزة فيتعين مرادفة قد^(١) . انتهى . ومفهومُه أنَّها لا تتعينُ لذلك إذا لم تدخل عليها الهمزة ، بل قد تأتي لذلك كما في الآية ، وقد لا تأتي له .

المذهب (الرابع) أنَّها لا تأتي بمعنى قد ، وإنَّما هي للاستفهام . وذهب إليه جماعة . ثم اختلفوا في الآية فقال أبو حيَّان : هي على بابها من الاستفهام ، أى هو ممن يُسأل عنه لغرابته ، أتى عليه حين من الدهر لم يكن كذا ، فإنه يكون الجواب : أتى عليه ذلك وهو بالحال المذكورة . وقال مكِّي في تقرير كونها على بابها من الاستفهام : والأحسن أن تكون على بابها للاستفهام الذى معناه التقرير ، وإنَّما هو تقرير لمن أنكر البعث ، فلا بُدَّ أن يقول : نعم قد مضى دهرٌ طويل لا إنسان فيه ، فيقال له : من أحدثه بعد أن لم يكن ، وكَوْنُه بعدَ عَدَمِه ، كيف يمتنع عليه بعثه وإحياءه بعد موته ؟ وهو معنى قوله : ﴿ ولقد عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢) أى فهلا تذكرون فتعلمون أن من أنشأ شيئاً بعد أن لم يكن ، قادرٌ على إعادته بعد موته وعدمه . انتهى . قال السمين (فى الدر المصون) : قد جعلها لاستفهام التقرير خلافاً لأبى حيَّان ، فى جعله استفهاماً محضاً ، لأنَّ التقرير هو الذى يجب أن يكون ، لأنَّ الاستفهام لا يرُدُّ من البارئ تعالى إلَّا على هذا النحو . انتهى .

وإلى التقرير ذهب الزجاج أيضاً قال : معنى ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ أى ألم يأت على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . والمعنى قد كان شيئاً إلاَّ أنَّه كان تراباً وطنينا إلى أن نُفخ فيه الروح ، فلم يكن قبل نفخ الروح فيه شيئاً

٥٠٨

(١) الذى فى التسهيل ٢٤٣ : « فترجع مرادفة قد » ، وأشير فى حواشيه إلى أنها فى بعض النسخ :

« فتتعين » .

(٢) الآية ٦٢ من سورة الواقعة .

مذكورا . ويجوز أن يكون يُعْنَى به جميعُ الناس ، ويكون أنهم كانوا نُطْفَا ، ثم عَلَقَا ، ثم مُضَعًّا ، إلى أن صاروا شيئاً مذكورا . انتهى .

وقد اختار هذا المذهب ابنُ جنى فقال (فى باب إقرار الألفاظ على أوضاعها الأول من كتاب الخصائص ^(١)) : وأما هل فقد أُخْرِجَتْ عن بابها إلى معنى قد ، نحو قول الله : ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ قالوا : معناه قد أتى عليه ذلك . وقد يمكن عندى أن تكون مُبْقَاةً فى هذا الموضع على بابها من الاستفهام ، فكأنه قال ، والله أعلم : هل أتى على الإنسان هذا . فلا بدّ فى جوابه من نَعَمْ ملفوظاً بها أو مقدرة ، أى فكما أنّ ذلك كذلك فينبغى للإنسان أن يحتقر نفسه . وهذا كقولك لمن تريد الاحتجاج عليه : بالله هل سألتنى فأعطيتك ، أم هل زرّنى فأكرمتك ؟ أى فكما أنّ ذلك كذلك فيجب أن تعرف حقّى عليك . ويؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ^(٢) ﴾ إلى ﴿ هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ أفلا تراه عزّ اسمه كيف عدّد عليه أياديّه وألطفاه له . فإن قلت : فما تصنع بقول الشاعر :

* أَهْلٌ رَأَوْنا بِسَفْحِ الْقُفِّ ذى الأَكِمِ *

ألا ترى إلى دخول همزة الاستفهام على هل ، ولو كانت للاستفهام لم تُلاقِ همزته ، لاستحالة اجتماع حرفين لمعنى واحد . وهذا يدلّ على خروجها عن الاستفهام إلى الخبر . فالجواب أنّ هذا يمكن أن يقوله صاحب هذا المذهب . ومثله خروج همزة الاستفهام إلى التقرير . ألا ترى أنّ التقرير ضربٌ من الخبر وذلك ضدّ الاستفهام . ويدلّ على أنّه قد فارق الاستفهام امتناعُ النصب بالفاء فى جوابه والجزم بغير الفاء . ألا تراك لا تقول : ألسنت صاحبنا فنكرمك كما تقول : لست صاحبنا فنكرمك ، ولا تقول فى التقرير : أأنت فى الجيش أثبت اسمك ، كما تقول فى

(١) الخصائص ٢ : ٤٦٢ - ٤٦٣ .

(٢) الآية ٢ - ٣ من سورة الإنسان .

الاستفهام الصريح أنت في الجيش أثبت اسمك ، كما تقول : ما اسمك أذكرك ،
أى إن أعرفه أذكرك . ولأجل ما ذكرنا من حديث همزة التقرير ما صارت تنقل
النَّفَى إلى الإثبات ، والإثبات إلى النفى . وذلك كقوله :

الستم خيرَ مَنْ ركبَ المطايا وأنذى العالمينَ بطونَ راج^(١)

أى أنتم كذلك . انتهى كلامه .

وقوله : « لاستحالة اجتماع حرفين لمعنى واحد » على نمط ما تقدّم عنه في
الشاهد السادس بعد التسعمائة ، وتقدّم ردّه .

وصوب أبو حيان هذا المذهب ، وردّ ما عداه ، قال (فى شرح
التسهيل) : إن مرادفة هل لقد لم يَقم عليها دليل واضح ، إنّما هو شيء قاله
المفسّرون فى قوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين ﴾ : إنّ معناه قد أتى . وهذا
تفسير معنّى لا تفسير إعراب ، ولا يرجع إليهم فى مثل هذا ، وإنّما يرجع فى ذلك
إلى أئمة النحو واللغة ، لا إلى المفسّرين . وإمّا البيت فيحتمل أن يكون من الجمع
بين أداتين لمعنى واحد على سبيل التوكيد ، كقوله :

* ولا لِلْمَا بهم أبداً دواءً^(٢) *

بل الجمع بين الهمزة وهل أسهل ، لاختلاف لفظهما .

وتبعه ابن هشام (فى المغنى^(٣)) فقال : وقد عكس قوم ما قاله الزمخشري
فزعّموا أنّ هل لا تأتى بمعنى قد أصلا . وهذا هو الصواب عندى ، إذ لا مُتمسك
لمن أثبت ذلك إلّا أحد ثلاثة أمور :

(١) لجرير فى ديوانه ٩٨ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) لمسلم بن معبد الوالى ، كما فى معجم الشواهد .

(٣) المغنى ٣٥٢ .

أحدها تفسير ابن عباس رضى الله عنهما ، ولعله إنما أراد أن الاستفهام في الآية للتقرير وليس باستفهام حقيقى . وقد صرح به جماعة من المفسرين ، وقال بعضهم ^(١) : لا تكون هل للاستفهام التقريرى وإنما ذلك من خواصّ الهمزة . وليس كما قال .

والثانى : قول سيبويه الذى شافه العرب وفهم مقاصدهم . وقد مضى أن سيبويه لم يقل ذلك .

والثالث : دخول الهمزة عليها فى البيت ، والحرف لا يدخل على مثله فى المعنى ، وهو شاذٌ ويمكن تخريجه على أنه من الجمع بين حرفين بمعنى واحد على سبيل التوكيد . انتهى باختصار .

ويردّ عليهما أن ما ردّاه هو قول سيبويه إمام البصريين والمبرّد ، وقول إمام الكوفيّين الكسائى وتلميذه الفراء ، وكلّهم أئمة النحو والتفسير واللغة ، وقد خالطوا العرب الفصحاء ، وسَمِعُوا كلامهم ، وفهموا مقاصدهم ، وثبت النقل عنهم ، فيتعيّن الأخذ به وردّ من خالفهم فى هذا الباب . والله أعلم بالصواب .

وقوله : (أهل عَرَفَت الدَّارَ بِالْعَرِيَّتَيْنِ) هو من قصيدةٍ لخطام المُجاشعِى ، تقدّم شرح أبياتٍ منها فى الشاهد الخامس والثلاثين بعد المائة ، مع ترجمته ^(٢) قال اللخمي (فى شرح أبيات الجمل) : هذه القصيدة من بحر السريع وربما حَسِب من لا يُحَسِّن العروض أنها من الرّجز . وليس كذلك ، لأنّ الرجز لا يكون فيه مَعُولان فيردّ إلى فعولان . ومثله :

(١) فى المعنى : « فقال بعضهم » .

(٢) الخزّانة ٢ : ٣١٣ - ٣١٨ .

* قد عرّضت أروى بقول إفناد^(١) *

وهو مستفعلن مستفعلن فعولان. انتهى .

والغريّان : موضع بالكوفة نحو فرسخين عنها . وهو مثنى الغريّ ، بفتح الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وتشديد الياء . قال البكري (في معجم ما استعجم) : قال المفجّع^(٢) : الغريّ : موضع بالكوفة ، ويقال إنّ قبر علي بن أبي طالب رضى الله عنه بالغريّ . ويقال الغريّان . ويقال إنّ النّعمان بناهما على قبريّ عمرو بن مسعود ، وخالد بن نضلة لما قتلها . قالت بنت معبد بن نضلة ترثيهما :

ألا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِيّ بَنِي أَسَدٍ بِعَمْرٍو بَنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ^(٣) . انتهى
وقوله : « النعمان » خطأ ، وصوابه « المنذر » . والغريان في الأصل :
مَنَارَتَانِ عَلَى قَبْرِ عَمْرٍو بَنِ مَسْعُودٍ ، وَخَالِدِ بْنِ نَضْلَةَ الْأَسَدِيِّينَ ، كَانَ الْمُنْذَرُ

(١) الإفناد : مصدر أفند ، إذا خرف وأنكر عقله من هرم أو مرض . وفي النسختين : « بقولي انجاد » صوابه من ديوان رؤية ٣٨ واللسان (فند ٣٣٥) وما سبق في ٢ : ٣١٣ . ومقتضى تعليق البغدادى أن يكون : « بقول » بكسرة واحدة مضافا إلى ما بعده ، ليكون الوزن « فعولات » . وهو المطابق لضبط ابن جني في كتاب العروض له ص ٨١ . لكن ضبط بالتنوين في كل من الديوان واللسان الذى فسر به بقوله : « إنما أراد : بقول ذى إفناد ، وقول فيه إفناد » .

(٢) هو محمد بن أحمد - وقيل محمد - بن عبد الله البصرى النحوى ، المعروف بالمفجع . قال ياقوت : كان من كبار النحاة ، شاعرا مهلقا شيعيا . وبينه وبين ابن دريد مهاجاة . صنف كتاب الترجمان في الشعر ومعانيه ، المنقذ في الأيمان ، يشبه الملاحن لابن دريد ، عرائس المجالس ، وغيرها. مات سنة ٣٢٠ . معجم الأدباء ١٧ : ١٩٠ - ٢٠٥ . وإنباه الرواة ٣ : ٣١٣ وبغية الوعاة ١ : ٣١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . وفي حواشى البغية نقلا عن النجاشي في كتاب الرجال المطبوع في بمباى سنة ١٣١٧ : « وله شعر كبير في أهل البيت ، يذكر فيه أسماء الأئمة ويتفجع على قتلهم حتى سمي المفجع . وقال في بعض شعره :

إن يكن قبل لى المفجع نبزاً فلعمرى أنا المفجع هماً » .

(٣) البيان ١ : ١٠٨ ومعجم ما استعجم ٩٩٦ وشروح سقط الزند ١٨١٦ . وقد ورد بدون نسبة في أسماء المغتالين (نواذر المخطوطات ٢ : ١٣٤) وذيل الأمالي ٣ : ١٩٥ والأغانى ١٩ : ٨٨ .

الأكبر اللخمي يغريهما بالدماء ، أى يَطْلِيهما بها . كذا (فى كتاب أسماء المغتالين من الأشراف فى الجاهلية والإسلام لابن حبيب) ، وفى (ذيل الأمالى للقالى) ، وفى (الأغانى) ، وفى (الأوائل) لأبى الضياء الموصلى .

وزعم الجوهري ، وتبعه جماعة منهم ابن ثباتة (فى شرح رسالة ابن زيدون ^(١)) أنّهما قبرا مالِك وعَقِيل : نديمي جذيمة الأبرش ، وسُمَيّا غريّين لأنّ النعمان كان يُغريهما بدم من يقتله فى يوم بؤسه .

وهذا غلط واشتباة من وجهين :

أحدهما : أنّ بين جذيمة الأبرش وبين النعمان بن المنذر ستّة ملوك ، أحدهم : عمرو اللخمي ، وهو ابن أخت جذيمة الأبرش . ثانيهم : امرؤ القيس بن عمرو المذكور . ثالثهم : النعمان بن امرئ القيس المذكور ، وهو النعمان الأكبر الذى بنى الخوزنق . رابعهم المنذر بن امرئ القيس صاحب الغريّين ، وهو المنذر الأكبر ابن ماء السماء ، أخو النعمان الأكبر . خامسهم : المنذر بن المنذر ، وهو الأصغر . سادسهم : أخوه عمرو بن المنذر ، وهو عمرو بن هند . ثمّ النعمان بن المنذر الذى ذكره الجوهري . وكلّهم ملوك الحيوة ، وهى أرض الكوفة . وإذا كان الأمر على ما ذكر فما معنى تغريتهما النعمان بن المنذر بالدم ، مع كونهما نديمي جذيمة الأبرش .

٥١٠

الثانى : أنّ الذى كان له يوم بؤس إنّما هو المنذر الأكبر . ولم يتنبّه لهذا ابن برّى (فى حاشيته على الصحاح) ولا الصفدى (فيما كتبه عليه) .

وهذه قصّة الغريّين من عدّة طرق أحدها لابن حبيب ، قال (فى كتاب المغتالين) :

ومنه عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الأسدَيان ، وكان يَفِدَانِ على المنذر الأكبر في كلِّ سنة ، فيقيمان عنده وينادِمانه ، وكانت أسدٌ وغطفان لا يدينون للملوك ويُغيرون عليهم ، فوفداً سنةً من السنين فقال المنذر لخالد يوماً ، وهم على الشراب : يا خالد ، مَنْ رُبُّكَ ؟ فقال خالد : عمرو بن مسعودٍ ربِّي ورُبُّكَ ! فأمسك عليهما ثم قال لهما : ما يمنعكما من الدُّخول في طاعتي وأن تدنوا مني كما دَنَتْ تميمٌ وربيعة ؟ فقالا : أئبَّت اللعن ، هذه البلاد لا تلائم مواشيَنَا ، ونحن مع هذا قريبٌ منك بهذا الرمل ، فإذا شئت أجبناك . فعلم أنهم لا يدينون له ، وقد سمع من خالد الكلمة الأولى ، فأوحى إلى الساقى فسقاها سُمًّا ، فانصرفا من عنده بالسُّكر على خلاف ما كانا ينصرفان ، فلمَّا كان في بعض الليل أحسَّ حبيبُ بن خالدٍ بالأمر ، لما رأى من شدَّة سكرهما ، فنادى خالداً فلم يُجِبْهُ ، فقام إليه فحرَّكه فسقط بعضُ جسده ، وفعل بعمرو مثل ذلك فكان حاله كحالِ خالد (١) ، وأصبح المنذر نادماً على قتلهما . فغدا عليه حبيبُ بن خالد فقال : أئبَّت اللعن ، أسعدَكَ الأهل ، ندماك وخليلاك تتابعا (٢) في ساعةٍ واحدة ، فقال له : يا حبيب ، أعلى الموت تستعدينى ، وهل ترى إلّا ابنَ ميّت وأخا ميّت ؟ ثم أمر فحفرَ لهما قبرانِ بظاهر الكوفة ، فدفنا فيهما ، وبنى عليهما منارتين ، فهما الغريّان ، وعَقَرَ على كلِّ قبرٍ خمسين فرساً وخمسين بعيراً ، وغرَّاهما بدمائهما ، وجعل يومَ نادَمَهما يومَ نعيم ، ويومَ دَفَنَهما يومَ بؤس . هذا ما أورده ابن حبيب .

وقال القائلُ (في ذيل أماليه) : حدَّثنا أبو بكر بن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال : قال لى عمى : سمعتُ يونس بن حبيب يقول : كان

(١) ط : « حاله كحالهِ » ، وأثبت ما في ش وأسماء المغتالين ٢ : ١٣٤ .

(٢) كذا في نسختي الخزنة ونسختي أسماء المغتالين اللذين هما أصل ما في النوادر . وأراها « تتابعا » ،

بالياء المثناة التحتية أى تساقطا .

المنذر بن ماء السماء جَدُّ النُّعْمَانِ بن المنذر ، يناديه رجلان من العرب : خالد بن المضلل ، وعمرو بن مسعود الأسديان ، فشرب ليلةً معهما فراجعهما الكلام فأغضباه ، فأمر بهما فجُعلا في تابوتين ^(١) ودُفنا بظاهر الكوفة : فلَمَّا أَصْبَحَ سأل عنهما فأخبرَ بذلك ، فنَدمَ وركبَ حتَّى وقفَ عليهما ، وأمرَ ببناء الغريين ^(٢) وجعلَ لنفسه يومين : يومَ بؤسٍ ويومَ نعيمٍ ، في كلِّ عامٍ ^(٣) ، فكان يضغُ سريره بينهما ، فإذا كان يومَ نعيمه فأوَّلَ من يطلُعُ عليه وهو على سريره يعطيه مائةً من إبلِ الملوك ، وأوَّلَ من يطلعُ عليه في يومَ بؤسه يُعطيه رأسَ ظريَّانٍ ، ويأمرُ به فيُذبحُ ويغرَّى بدمه الغريَّان . انتهى .

وكذا روى هذه الحكاية إسماعيل بن هبة الله الموصلي (في كتاب الأوائل) عن الشَّرْقِيِّ بن القُطَامِيِّ .

وقد رجَعَ المنذر عن هذه السُّنَّة السيِّئة . روى الموصلي (في أوائله) أنَّ المنذر استمرَّ على ذلك زماناً حتَّى مرَّ به رجل من طيِّءٍ ، يقال له حَنْظَلَةُ بن عَفْرَاء ، فقال له : أبيتَ اللعنَ ، أتيتُكَ زائراً ، ولأهلي من خيرك مائراً ، فلا تكن ميرتهم قتلى ^(٤) . فقال : لا بدَّ من ذلك ، وسلنني حاجة قبله أقضيها لك . قال : تؤجِّلني سنةً أرجعُ فيها إلى أهلي وأُحكِمُ أمرهم ثمَّ أرجعُ إليك في حكمك . قال : ومن يتكفل بك ^(٥) حتَّى تعود ؟ فنظر في وجوه جلسائه فعرف منهم شريكاً

(١) في ذيل الأملی ٣ : ١٩٥ : « فقتلا وجعلا في تابوتين » .

(٢) في ذيل الأملی : « بينان الغرين » .

(٣) في كل عام ، ساقط من الأملی .

(٤) مار أهله بميرهم ميذا : جلب إليهم الميرة ، وهي الطعام .

(٥) ش : « يكفل بك » . يقال كفّل به كفلاً وكفّلاً وتكفل به أيضاً : ضمنه .

ابن عمرو ، أبا الحوفزان [بن شريك ^(١)] ، فانشأ يقول :

٥١١

يا شريكاً يا ابنَ عمرو هل من الموت مَحالُه
يا أخا كلِّ مُصابٍ يا أخا مَنْ لا أخا له
يا أخا شيبان فُكِّ الـ يومَ رهناءَ قد أنى له ^(٢)
إنَّ شيبانَ قبيْلُ أكرمَ اللهُ رجاله
وأبوك الخيرُ عمرو وشرَّاحيلُ الحَمالِه ^(٣)
وفتاك اليومَ في الحجـ يدِ وفي حُسْنِ المقالِه

فوثب شريك وقال : أبيت اللعن ، يده يدي ، ودمه دمي إن لم يعد إلى أجله . فأطلقه المنذر ، فلما كان القابلُ جلس في مجلسه ، وإذا ركبٌ قد طلع عليهم ، فتأملوه فإذا هو حنظلةٌ قد أقبل متكفناً متحنطاً ، معه نادبته ، وقد قامت نادبةُ شريكٍ تندبه ، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما وأبطل تلك السنة .

وقد ذُكر في إبطال المنذر هذه السنة غير هذا . وأورده الموصلي والميداني

في مثل ، وهو :

* إِنَّ غداً لناظره قريبُ *

(١) التكملة من ش . والحوفزان اسمه الحارث بن شريك بن عمرو الشيباني ، كما في النقائض ٧٨٢ . وما يجدر ذكره أن كنية شريك هي « أبو الحوفزان » وعلى ذلك جاء في أمثال الميداني : « فالتفت الطائي إلى شريك بن عمرو بن قيس بن شيبان ، وكان يكنى أبا الحوفزان » .
(٢) أنى له الأمر يأتي : حان يحين ، أي حان له أن يُفتَلَ . وفي النسختين : « قد أناله » تحريف ، صوابه ما أثبت . وفي أمثال الميداني ١ : ١٢٣ : « قد أنى له » بالياء ، تحريف أيضاً . كما أن رواية الميداني : « فك اليوم ضيقاً » .
(٣) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وهو قطعة من بيت :

وإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإنّ غداً لناظره قريبُ

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد التسعمائة ، [وهو من شواهد س ^(١)]

٩٢٤ (أَطْرَبًا وَأَنْتَ قِنْسَرِي)

على أنّ همزة الاستفهام فيه للإنكار .

قال ابن هشام (فى المغنى) : هى فيه للإنكار التوبيخى ، فيقتضى أنّ ما بعدها واقع ، وأنّ فاعله ملومٌ ، نحو : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ ^(٢) . انتهى .

وأورده سيبويه (فى باب ما ينتصب فيه على المصدر) ، قال : وأمّا ما ينتصب فى الاستفهام من هذا الباب فقولك : أقيماً يا فلان والناس قعود ، وأجلوساً والناس يفرّون . لا يريد أنّه يخبر أنّه يجلس ، ولا أنّه قد جلس وانقضى جلوسه ، ولكنّه مخبرٌ أنّه فى تلك الحال فى جلوسٍ وفى قيام . وقال العجاج :
* أَطْرَبًا وَأَنْتَ قِنْسَرِي *

وإنّما أراد : أتطرب ؟ أى أنت فى حال تطرب ؟ ولم يرد أن يخبر عمّا مضى ولا عمّا يستقبل . انتهى .

(١) تكملة ساقطة من النسختين . وانظر سيبويه ١ : ١٧٠ ، ٤٨٥ وشرح أبياته لابن السيرافى ١ : ١٥٢ والمخصص ١ : ٤٥ وابن الشجرى ١ : ١٦٢ وابن يعيش ١ : ١٢٣ والمقرب ٢ : ٥٤ والمغنى ١٨ والهمع ١ : ١٩٢ والأشمونى ٤ : ٢٠٣ واللسان (قسر ٤٠٣ قنسر ٤٣٠) ودويان العجاج ٦٦ .

(٢) الآية ٩٥ من سورة الصافات .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصب طرب على المصدر الموضوع موضع الفعل ، والتقدير : أتطرب طرباً . والمعنى : أتطرب وأنت شيخ . والطَّرب : خِفَّة الشوق هنا . والطرب أيضاً : خِفَّة السرور . و (القنسرى) : الشيخ ، وهو معروف في اللغة ، ولم يُسمع إلا في هذا البيت . انتهى .

صاحب الشاهد

وهو من قصيدة للعجاج أولها :

آيات الشاهد

بكِيتٍ وَالمَحْتَزِنُ الْبَكِيُّ وَإِنَّمَا يَأْتِي الصَّبَا الصَّبِيُّ
أَطْرِباً وَأَنْتَ قِنْسَرِيٌّ وَالذَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِيٌّ
مِنْ أَنْ شَجَاكَ مَنْزِلٌ عَامِيٌّ قَدْماً يُرَى مِنْ بَعْدِهِ الْكِرْسِيُّ
* مُحَرَّنَجُمُ الْجَامِلِ وَالنَّوِيَّ *

وهذه القصيدة من مشطور السريع . وضربها كعروضها مشطور مكشوف ^(١) وهو الضرب الخامس منه ^(٢) .

قال ابن المُلَّا : زَعَمَ السِّيَوطِي (في شرح الأبيات) أَنَّهَا أَرْجُوزَةٌ . وفيه نظر ؛ لِأَنَّ جَعْلَهَا مِنَ الرِّجْزِ يُوَدِّى إِلَى أَنْ يَكُونَ فِي ضَرْبِهَا سَوَى الشَّطْرِ تَغْيِيرَانِ : ٥١٢
حذف نون مستفعلن وتسكين لامه ، وإنْ أَطْلُقَ عَلَى مَجْمُوعِهَا اسْمَ الْقَطْعِ .
وجعلها من السريع إنما يُوَدِّى إِلَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا تَغْيِيرٌ وَاحِدٌ ، وهو حذف تاء

(١) الكشف : حذف السابع المتحرك ، وهو تاء مفعولات . وكذا وردت « مكشوف » بالشين في النسختين . وقد اختلف العروضيون ، فالأكثر على أنه بالشين المعجمة ، لكن الزمخشري وصاحب القاموس جعلاه تصحيفاً صوابه بالسين المهملة ، وهو ظاهر الاشتقاق من الكشف وهو القطع ، يقال كسف عرقوب راحلته ، أى قطعه بالسيف . وهو معارض بأن للكشف وجهاً لأن إزالة الحرف الأخير مشبه بإزالة الغطاء عن الشيء . انظر الديمهورى ٣٦ . ولم يعرف الدماميني في العيون الغامزة إلا الكشف بالمعجمة . انظر ١٠٤ ، ١١١ ، ١٩٨ ، ٢٢٨ .

(٢) صوابه « السادس » ، لأنه من العرض الرابعة المكسوفة المشطورة التى ضربها مثلها ، وهى سادسة الضروب كما في متن الكافي وغيره . وقد تنبه لهذا الخطأ مصحح الطبعة الأولى .

مفعولات المسمى بالكشف ^(١) وتغيير واحد أولى من تغييرين ، اللهم إلا أن يقال : أطلق عليها الأرجوزة وإن كانت من السريع لشبهها بما كان مشطور الرجز ، وزوجف بالقطع . وأما ضرب مطلعها فمزاحف بالخبثن ، الذى هو حذف الثانى الساكن ، فوزنه فعولن . وإن جعل من الرجز وجب أن يكون فيه ثلاث تغييرات ^(٢) . انتهى .

وقوله : « بكيت » هو خطاب لنفسه . و « المحتزن » : مُفتعل من الحزن . قال الجوهري : احتزن وتحنن بمعنى . وأنشد البيت . و « البكى » : الكثير البكاء ، فعيل من بكى يبكى . و « الصبا » بكسر أوله والقصر : التصابي والميل إلى الجهل ، وحقيقته أن يفعل كالصبيان . والصبي : فعيل ، قال صاحب الصحاح : يقال صبي بين الصبا والصباء ، إذا فتحت الصاد مددت ، وإذا كسرت قصرت . وصبي صباء كسمع سماعا : لعب مع الصبيان .

وقوله : (أطرباً) تقدم إعرابه عن سيبويه . قال ابن خلف : انتصب طرباً بفعل مضمر دل عليه الاستفهام ، لأنه بالفعل أولى ، والتقدير : أتطرب طرباً . وإنما ذكر المصدر دون الفعل لأنه أعم وأبلغ في المراد . وقد استشهد به ابن مالك على وجوب حذف عامل المصدر الواقع في توبيخ . قال السيوطي : والمشهور أنه منصوب على أنه مفعول مطلق ، وقيل إنه على الحال المؤكدة ، أى أتطرب في حال طرب . حكى ذلك أبو حيّان . انتهى .

(١) انظر ما سبق من تحقيق .

(٢) الحق أنه قد جرى العرف على تسمية ما كان من مشطورات الرجز والسريع والمنسرح أراجيز ، وجاءت أراجيز العرب منسوجة على ذلك . وإنما يكون الخلاف في تسمية بحر الأرجوزة من الرجز أو السريع أو المنسرح .

ولا يخفى ركاكته . وقيل : نُصِبَ بفعل مقدّر : أتأتى طرباً ، كما يقال : أتأتى معصيةً ، على أنه مفعول به . والطَّرَبُ هنا : خِيفَةٌ من حُزن ، كما يدلّ عليه السياق ، خلافاً للأعلم . وَبَخَّ نفسه على وقوع الحزن منه ، مع حالة الشَّيْخوخة ، على ديارٍ أحبَّته الحالِيَّةُ ، وحقُّه أن لا يستفزّه الحزن ، وأن يكون متشبّثاً ^(١) لكونه ممّن حنّكته التجارب .

و (الدَّوَارِيُّ) : مبالغة دائر ، والياء لتأكيد المبالغة ، كالياء في أحمرّ . وفي الصحاح : الدَّوَارِيُّ : الدهر يدور بالإنسان أحوالاً . وأنشد البيت .
وقوله : « من أن شَجَاكَ » من تعليلية متعلّقة بطربا ، أو ببيكيت . وشجاء بالجم ، يَشْجُوهُ ^(٢) شجواً ، إذا حَزَنَهُ . و « العامّي » : منسوب إلى العام ، وهو الحَوْلُ والسَّنَةُ . والمنزل العامّي : الذي أتى عليه حَوْل . و « الكِرْسِيُّ » : منسوب إلى الكِرْس بكسر الكاف ، وهي الأبوال والأبعار يتلبّد بعضها إلى بعض .
و « قَدَمًا » بالكسر : ظرف ليرى بالبناء للمفعول ، ونائبه ضمير طلل أو منزل ، وجملة من عهده الكِرْسِيُّ حال منه .

و « مُخْرَجِم » بفتح الجيم : مكان الاخرنجام ، وهو الازدحام ، وهو معطوف على الكِرْسِي ، وواو العطف محذوفة . و « الجامل » بالجم : الجمال والإبل ، وهو اسم جمع . والنُّوِيُّ : جمع نوًى بضم النون وسكون الهمزة بعدها ياء ، جمع على فُعلول ، وهو حُفْرة تحفّر حول الخباء تمنع من دخول المطر .
وهذا المصراع أورده الزمخشري (في المفصل ^(٣)) ، قال : أسماء المكان والزمان ما بنى من الثلاثيّ المزيد فيه والرباعيّ فعلى لفظ اسم المفعول . وأنشده .

(١) ط : « مثبتا » وأثبت ما في ش .

(٢) ط : « يشجو » ، وأثبت ما في ش .

(٣) المفصل وابن يعيش ٦ : ١٠٩ .

والمعنى أن العجّاج يُنكر على نفسه الطربَ في كِبَر سنّه ، فيقول : أتطرب
 طرباً وتخفّ خِفّةً ، والحال أنت مسنٌ كبير لا يليق بك الطرب ، والدهر دوّارٌ
 بالإنسان يُديره من حالٍ إلى حال ، ويقلّبه من الشباب إلى الشَّيب ، وفيه تسليّة .
 وذلك الطربُ من أجل أن حَزَنَكَ منزلٌ مضى عليه عام ، وقد خلا أهله منه
 فاندرس ، وكنتَ قديماً تعهده ، فيه الأكراسُ ومكانُ ازدحام الإبل والنوى ، والآن
 اندرسَ ولم يبقَ منه شيء .

٥١٣

وقال بعضُ فضلاء العجم : قوله : قَدْماً يُرى إنلخ صفة منزل . ومُحرَّجَم
 الجامل بدّل من الكِرسى بدّل الاشتغال ، والنوى عطف عليه ، ويجوز أن يكون
 صفة منزل . هذا كلامه .

وترجمة العجّاج تقدمت في الشاهد الحادى والعشرين من أوائل
 الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد التسعمائة (٢) :

٩٢٥ (وهل أنا إلّا من غَزِيّة إن غَوَتْ غَوَيْتُ وإن تَرَشَّد غَزِيّةُ أُرشِد)

على أن (هل) هنا استفهامٌ صوريٌّ بمعنى النفي .

وقد روى أيضاً : « وما أنا إلّا من غَزِيّة » .

(١) الخزائن ١ : ١٧٠ .

(٢) العقد ٥ : ١٦٩ والأغاني ٩ : ٤ ، ٥ والمغنى ٦٥٠ والحماسة بشرح المرزوق ٨١٥
 والأصمعيات ١٠٧ .

قال أبو حيان (في الارتشاف) : وتنفرد هل دون الهمة بأن يراد بالاستفهام بها الحجد ، نحو : هل يقدر على هذا غيري ، أى ما يقدر . ويعينه دخولُ إلّا نحو : ﴿ وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ ^(١) ﴾ ، وهل أنا إلا من غزِيَّة ، أى ما يجازى إلّا الكفور ، وما أنا إلّا من غزِيَّة . ولا يجوز : أزيد لا قائم ولا أقام إلّا زيد . وتقول : هل يكون زيد إلّا عالما ، ولا يجوز : ألم يكن زيد إلّا عالما ، ولا أليس زيد إلّا عالما . انتهى .

والبيت من قصيدة لدريد بن الصمة ، رثى بها أخاه عبد الله بن الصمة ، وأوردتها أبو تمام في الحماسة وانتقى منها أبياتاً (في مختار أشعار القبائل) . وأوردتها الأصبهاني أيضاً (في الأغاني) ، وكذلك ابن عبد ربّه أوردتها (في العقد الفريد) . وهذه أبيات منها ، وهو أول ما أورده أبو تمام :

نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ	ورهِطَ بَنَى السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمُ شَهِدَى ^(٢)
فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِالْفَقَى مَدَجِّجٍ	سَرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرَدِ
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى	غَوَايَتُهُمْ وَأَنْتَنِي غَيْرُ مَهْتَدٍ
أَمْرُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى	فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ عَوْتُ	غَوِيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشُدِ ^(٣)
دَعَانِي أَخِي وَالْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقَعْدِ ^(٤)
تَعَادَوْا فَقَالُوا : أَرَدَتِ الْخَيْلُ فَارِساً	فَقُلْتُ : أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكُمْ الرَّدَى
فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرِّمَاحُ تُنْشِئُهُ	كَوْقَعِ الصَّيَاصَى فِي النَّسِيجِ الْمَمْدِدِ

(١) الآية ١٧ من سورة سبأ . وهى قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبى عمرو ، وابن عامر . وقرئ

أيضاً : « تُجَازَى » .

(٢) العقد : « وقلت لعارض » . وعارض : قوم من بنى جشم ، كما يأتى .

(٣) العقد : « وما أنا » .

(٤) لم يرد هذا البيت في العقد .

فكننتُ كذات البؤ ريعتُ فأقبلتُ إلى قطع من مسك سقبٍ مقدّد^(١)
 فطاعنتُ عنه الخيل حتى تبددتُ وحتى علاني حالك اللون أسود^(٢)
 قتال امرئ آسى أخاه بنفسه ويعلم أن المرء غير مخلّد^(٣))
 إلى أن قال بعد أبيات كثيرة :

(وطيب نفسي أننى لم أقل له كذبت ولم أبخل بما ملكت يدي^(٤)
 وهونٌ وجدى أن ما هو فارطٌ أمامي ، وأنى هامة اليوم أوغد^(٥))

قال صاحب الأغاني : كان السبب في مقتل عبد الله بن الصمّة أنّه كان
 غزا غطفان ، ومعه بنو جشم وبنو نصر أبناء معاوية ، فظفر بهم وساق أموالهم في
 يومٍ يقال له يوم اللوى ، ومضى بها فلما كان منهم غير بعيدٍ قال : انزلوا بنا . فقال
 له أخوه دُرَيْد : نشدتك الله أن لا تنزل ، فإن غطفان ليست بغافلةٍ عن أموالها .
 فأقسم لا يذهب حتى يأخذ مِرْبَاعَه وينتقع نقيعةً فيأكل ويُطعم . والنقيعة : ناقةٌ
 ينحرها من وسط الإبل ، ثم يقسم بعد ذلك ما أصاب على أصحابه . فأقام
 وعصى أخاه دُرَيْدا ، فبينما هم كذلك إذ سطعت الدواخن ، إذا بغبارٍ قد
 ارتفع^(٦) أشد من دُخانهم ، وإذا عيس وفزارةٌ وأشجعٌ قد أقبلت ، فتلاحقوا

٥١٤

(١) لم يرد في العقد ولا في الأغاني ولا في الحماسة . وفي الأصمعيات :

« إلى جذم من مسك سقبٍ مُجلّد » .

(٢) لم يرد في العقد . وفي الأغاني : « أشقر اللون مزبد » . وفي القافية إقواء ، وروى في أسود :

« أسودى » كم يقال أحمرى وأصفرى . عن شرح المرزوقي .

(٣) لم يرد في العقد . وفي الأصمعيات : « طعان امرئ » ، و « وأعلم » . الأغاني : « واسى أخاه » ،
 و « أيقن » .

(٤) الحماسة ٨٢١ . وفي العقد والأصمعيات : « وهونٌ وجدى أننى لم أقل له » .

(٥) في الأصمعيات : « وارد اليوم أو غد » . وهذا البيت لم يرد في الحماسة .

(٦) وكذا في الأغاني ٩ : ٣ « إذا » بغير واو قبلها .

بالمَنْعَرَج من رملة اللوى (١) ، فقتَلَ رجلٌ من بنى قارب ، وهم بنو عبس (٢) ، عبد الله بن الصَّمَّة ، فتنادوا : قُتِلَ عبدُ الله : فعَطَفَ دريدٌ فذبَّ عنه فلم يُغنِ شيئاً ، وجرح دريدٌ فسقط ، فكفُّوا عنه وهم يُروْنَ أَنَّهُ قد قُتِلَ . واستنقذوا المال ونجا من هرب ، فمرَّ الزَّهْدَمَانِ ، وهما من عبس : زهدمٌ وقيسٌ : ابنا حزن بن وهب ابن رَوَاحَة . قال دريد : فسمعت زهدماً العبسي يقول لكرِّدم الفزارى : إِنِّى أَحْسَبُ دريداً حيّاً فانزِلْ فَأَجْهَزهْ عليه . قال : قد مات . قال : انظر إلى سَبَّتِه هل تَرْمِزُ (٣) ؟ فشددتُ من حَتَّارها (٤) . قال : فنظر فقال : قد مات . فولَّى عنه ومال بالزُّجَّ إلى سَبَّتِه فطعنه فيها ، فسال دمٌ كان قد احتقنَ في جوفه . قال دريد : فعرفتُ الخِفَّةَ حينئذ ، حتَّى إذا كان الليل مشيت وأنا ضعيفٌ قد نزفنى الدَّمُ حتَّى ما أكاد أبصِر ، فمررتُ بى جماعةً تَسِير ، فدخلتُ فيهم فوقعت بين عرقوبى بغير ظُعينَة (٥) ، فنفر البعير فنادت : أعوذ بالله منك ! فأنسبُ لها ، فأعلمتِ الحى بمكانى ، فغسل عَنى الدم ، وزُوِّدت زاداً وسِقَاءً فَنجوت . ورثاه بهذه القصيدة . ثم حجَّ كردمٌ بعد ذلك فى نفرٍ من بنى عبس ، فلما قاربوا ديار دريد (٦) تنكروا خوفاً ، ومرَّ بهم دريدٌ فأنكرهم ، ثم عَرَفَ كردماً فعانقه ، وأهدى له (٧) فرساً وسلاحاً وقال له : هذا ما فعلتُ بى يوم اللوى . انتهى .

(١) الأغاني : « من رملة اللوى » .

(٢) الأغاني : « وهم من بنى عبس » ، وهو الأوفق .

(٣) ترمز : تتحرك . والسبة ، بالفتح : الاست .

(٤) ط : « فشت » تحريف ، وأثبت ما فى ش . وفى الأغاني : « فسددت » . والختار ، كسحاب : أطراف جلدة الاست ، أو حلقة الدبر .

(٥) الظعينة : المرأة فى الهودج . ط : « ظعنته » ، صوابه فى الأغاني و ش مع أثر تصحيح فيها .

(٦) ط : « دار دريد » ، وأثبت ما فى ش والأغاني .

(٧) فى الأغاني : « فأهدى إليه » .

وقوله : « نصحتُ لعارض » إنلخ عارضٌ : قومٌ من بنى جشم ، كان دُرِيدُ نهاهم عن النزول حيث نزلوا فَعَصَوْه ، و « رهط بنى السَّوداء » فيهم . و « القوم شُهْدَى » أى حاضرين مقامى ، أو شهودى أتى قد نهيهم .

وقوله : « فقلتُ لهم ظُنُّوا » إنلخ استشهد به صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ وَإِنِ لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ ^(١) على أَنَّ الظنَّ بمعنى اليقين .

وأنشده الزَّجَّاجى أيضا (فى باب من مسائل إن الخفيفة من الجُمْل) قال اللخمي : ظُنُّوا هنا معناه أيقنوا ، وهو من الأضداد ، يكون شكًا ويكون يقينا .

وقال الطبرسى (فى شرح الحماسة) : المعنى أيقنوا أَنَّ سيأتىكم ألفا فارس مقنَّعين فى الحديد . ويجوز أن يكون معناه : ظُنُّوا كُلَّ ظَنٍّ قبيح بهم . قال الإمام عبد القاهر : يشبه أن تكون الباء هنا مثلها فى قوله : ظننتُ بهم خيرا وما ظُنُّ به أنه يفعل كذا . ثم يكون قد حُذِفَ من الكلام شيء ، كأنه قال : ظُنُّوا بِالْفَنَى مدجج هذه صفتهم ما يكون من أمرهم وأمرهم معهم إذا هم أتوكم . ويكون من باب التعليق كقولك : ظنَّ يزيد أى شيء يصنع إذا قلتَ له كذا وكذا ؟ انتهى .

والمُدَجَّج ، بفتح الجيم وكسرها : الكامل السلاح ، وقيل : لابس السلاح وإن لم يكْمُل . وقيل بالكسر للفارس ، وبالفتح الفرس ، وإنهم كانوا يدرعون الخيل . وسرَّاتهم بالفتح : أشرفهم ، مبتدأ ، وبالفارسيَّ خبره ، والباء بمعنى فى . والدَّرْع الفارسيُّ يصنع بفارس . والمسرد : المحكم النَّسج ، وقيل هو الدَّقِيق الثَّقب .

٥١٥

وقوله : « فلما عَصَوْنى » إنلخ العَوَاية بالفتح ، يقول : لما أصرُّوا على ما كانوا عليه تَبِعْتُ رأيهم وأنا أرى عُدُولَهُم عن الصَّواب ، وأتتى غير مصيبٍ مثلهم .

وقوله : « أمرتهم أمرى » يجوز أن يريد به المأمور به ، والأصل : أمرتهم بأمرى ، فحذف الباء . ويجوز أن يكون مصدر أمرت ، وجاء به لتوكيد الفعل .
 ومُنْعَرَج اللوى ، بفتح الراء : منعطفه . واللوى : موضع الوقعة . و « لم يستبينوا » أى لم يتبينوا الرشد فى الحال حتى جاء الوقت المقدّر له . وذكر العَدِ يكثر فيما يتراخى من عواقب الأمور ، والمعنى فى المستأنف من الوقت . وهذا زاد عليه ضحى لأنه من النهار أضوا ، فكانَّ المعنى : لم يتبين لهم ما دعوتهم إليه إلا فى الوقت الذى لا لبس فيه . وقد تمثّل بهذا البيت أمير المؤمنين علىّ رضى الله عنه ، بعد ما ظهر من أمر الخوارج ما ظهرَ من التحكيم فى قوله : « وقد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة أمرى ، ونخلتُ لكم مخزون رأى ، لو كان يُطاع لقصير أمر ، فأيتهم علىّ إباء المخلّفين الجُفأة ، والمنابذين العصاة ، حتى ارتاب النَّاصِحُ بنُصيحته ، وضنَّ الزند بِقَدْحِهِ ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن : أمرتهم أمرى ... البيت (١) » .

وقوله : (وهل أنا إلا من غزِيَّة) أى ما أنا إلا من غزِيَّة فى حالة العَيِّ والرشاد ، فإن عدلوا عن الصواب عدلت معهم ، وإن اقتحموه اقتحمت معهم . وغزِيَّة بفتح الغين وكسر الزاى المعجمتين : رهط دريد . وقال أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) : غزِيَّة : جدُّ دريد : يقول : أنا تابع لقومى ، على رُشدٍ كانوا أم غى . قال صاحب الصحاح : العَيِّ : الضلال ، والخِيَّة أيضاً . وقد غَوَى بالفتح يَغْوَى بالكسر غيًّا وغَوَاية . وأنشد البيت . والرُّشد جاء فعله من باب فَرِحَ ومن باب نصر .

وقوله : « دعانى أخى » إلخ لم يروه أبو تمام . واستشهد به ابن الناظم وغيره فى دخول الباء الزائدة فى المفعول الثانى لوجد . والقعد بضم القاف والبدال ، ويجوز

فتح الدال أيضا . قال ابن سيده (في المحكم) : هو الجبان اللثيم القاعد عن الحرب والمكارم . وقال صاحب الصحاح : ورجل قُعْدُد وقُعْدُدٌ ، إذا كان قريب الآباء إلى الجد الأكبر . ويُمدح به من وجه ، لأنَّ الولاء للكُبر (١) . ويُذمُّ به من وجه ، لأنه من أولاد الهَرَمَى ، ويُنسب إلى الضَّعْف . وأنشد البيت .

وقوله : « تَنَادَوْا فَقَالُوا » إلخ يريد بالخيال الفرسان . يقول : نادى بعضهم بعضاً : أهلك الفرسان فارساً ! فقلت : أعبد الله ذلكم هالك ؟ وإنما دعاه إلى هذا القول أمران : أحدهما سوء ظن الشقيق ، والآخر أنه علم إقدامه في الحرب .

وقوله : « فَجِئْتُ إِلَيْهِ » أى لَأَقِيهِ بنفسى ، فلحقته والرِّمَاحُ تنوَّشه ، أى تتناوله . والصَّيَاصَى : جمع صَيْصِيَّة ، وهى شوكة الحائك فى نسجه الممدود ، إذا أراد تمييز طاقات السَّدَى بعضها من بعض . وسميت بذلك تشبيهاً بصيصية الديك ، وهى دابرتة فى ساقه ، وبصيصية الثور ، وهو قرنه .

وأما قوله تعالى : ﴿ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ﴾ (٢) فمعناه : من حصونهم وقلاعهم .

وقوله : « فَكَنت كَذَاتِ الْبَوِّ » إلخ قال أبو تمام (فى مختار أشعار القبائل) : ذَاتِ الْبَوِّ : ناقة . وَرِيَعَت : أَفْرِعَت . وَالْمَسْكُ : بالفتح : الجِلْد . وَالْبَوُّ : جلد الحَوَارِ يُحْشَى بالتبن ، فإذا لم تَدَرَّ الناقةُ أَلْقَوْهُ إِلَيْهَا فَدَرَّت . انتهى . يقول : فَكَنت كَنَاقَةٍ لَهَا وَلَدٌ ، فَأَفْرِعَتْ فِيهِ لَمَّا تَبَاعَدَتْ عَنْهُ فِي مَرَعَاهَا ، فَأَقْبَلَتْ نَحْوَهُ فَإِذَا هُوَ جِلْدٌ مَقْطُوعٌ . كَأَنَّهُ انْتَهَى إِلَى أَخِيهِ وَقَدْ فُرِغَ مِنْ قَتْلِهِ (٣) وَقُدِّد ، أى قُطِّع . وَالسَّقَبُ بالفتح : الذَّكَرُ مِنْ أَوْلَادِ الْإِبِلِ .

٥١٦

(١) الكبر ، بضم : أكبر ذرية الرجل . ويقال أيضا فلان كُبر قومه ، أى أقعدهم فى النسب .

(٢) الآية ٢٦ من سورة الأحزاب .

(٣) ط : « فَرَعَ مِنْ قَتْلِهِ » .

وقوله : « فطاعنْتُ عنه الحَيل » إلخ أى دفعت الفُرسانَ عنه حتَّى
تكشَّفوا ، وإلى أن جُرحت فسالَ الدم على . وقوله : « حالك اللون أسودُ » فيه
إقواء ، وهو من عيوب القوافي (١) .

وقوله : « قتالَ امرئٍ » إلخ يقول : قاتلت عنه قتالَ رجل جعل نفسه أُسوةَ
أخيه ، أى مثله فيما نابَه من خَيْرٍ أو شَرٍّ ، وعلم أنَّه سيموت ، فاخترَ مواساةَ
أخيه لِيَسْلَمَ معاً ، أو يموتا معاً .

وقوله : « وطيبَ نفسى » إلخ أى طيبَ نفسى كوفى لم أخالفه فى شئٍ رآه ،
ولا قَبَّحت عليه ما أتاه ، ولم أبخل عليه بشئٍ من مالى ، أى أعظمتَه فى القول عند
مخاطبته ، وفى الفعل عند معاملته . فأشار إلى القول بقوله : لم أقل له كذبت ،
وإلى الفعل بقوله : ولم أبخل إلخ .

وقوله : « وهَوَّنَ وجدى » إلخ الوجد : الحُزن . والفارط : الذى يتقدَّم
الواردين فيهِىءُ الدلاء والحوض ، ويستقى الماء . أى هَوَّنَ وجدى علىَّ بأنَّ لحاقي
به قريب ، كما يقرب لحاقُ الواردين بالفارط . والهامة هنا : الذهاب ، مِن هامَ على
وجهه يهيم هَيْماً ، إذا ذهب من العِشْقِ أو غيره (٢) .

وترجمة دريد بن الصمة تقدمت فى الشاهد الثانى بعد التسعمائة (٣) .

* * *

(١) فى شرح المرزوقى ٨١٨ : « ويروى علانى حالك لونُ أسود ، والضعفُ فيه ظاهر
وأجود من هذا أن يروى : حالك اللون أسودى ، وهو يريد أسودى ، كما قيل فى الأحمر أحمرى » .

(٢) كذا ظنه البغدادى من هام يهيم . ولم أجِد من فسره بذلك غيره . والحق أنه بمعنى الميت ، يقال
فلان هامة اليوم أو غد ، أى يموت اليوم أو غدا ، كما فى اللسان هوم ٢٠٩) حيث أنشد بيت كثير :

وكل خليل راعى فهو قاتل من آجلِك هذا هامة اليوم أو غد

(٣) انظر هذا الجزء الحادى عشر ص ١١٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س^(١) :

٩٢٦ (أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بِكَى لَمْ يَقْضِ عِبْرَتَهُ إِثْرُ الْأَحْبَةِ يَوْمَ الْبَيْنِ مَشْكُومٌ)
على أنه يجوز أن تأتى (هل) بعد أَمْ .

وليس فيه جمع استفهامين ، فإنَّ أَمْ عند الشارح كما تقدّم فى حروف العطف مجردة عن الاستفهام إذا وقع بعدها أداة استفهام ، حرفاً كانت أَمْ اسماً . وأَمْ المنقطعة عند الشارح حرفٌ استئناف بمعنى بل فقط ، أو مع الهمزة بحسب المعنى ، وذلك فيما إذا لم يُوجَد بعدها أداة استئناف . وليست عاطفةً عنده ، وفقاً للمغاربة .

قال المرادى (فى الجنى الدانى) : إن قلت : أَمْ المنقطعة هل هى عاطفة أو ليست بعاطفة ؟ قلت : المغاربة يقولون : إنها ليست بعاطفة ، لا فى مفردٍ ، ولا فى جملة . وذكر ابنُ مالك أنها قد تعطف المفرد ، كقول العرب : إنها لإبلٌ أَمْ شاء . قال : فأَمْ هنا لمجرد الإضراب عاطفةٌ ما بعدها على ما قبلها ، كما يكون ما بعد بل فإنّها بمعناها . انتهى .

قال ابن هشام (فى المغنى) : لا تدخل أَمْ المنقطعة على مفرد ، ولهذا قدّروا المبتدأ فى : إنها لإبل أَمْ شاء . وخرّق ابن مالك فى بعض كتبه إجماع النحويّين فقال : لا حاجة لتقدير مبتدأ . وزعم أنها تعطف المفردات كبل ، وقدّرها بيل دون

(١) فى كتابه ١ : ٤٨٧ . وانظر المقتضب ٣ : ٢٩٠ وأصول ابن السراج ٢ : ٦٠ وابن يعيش ٤ : ١٨ / ١٥٣ والممع ٢ : ٧٧ ، ١٣٣ والمفضليات ٣٩٧ وديوان علقمة ١٢٩ . والأغاني ٢١ : ١١٢ والضرائر ٢٠٨ .

الهمزة . واستدلّ بقول بعضهم : إنّ هناك لإبلاً أم شاء بالنصب . فإنّ صَحَّت روايته فالأوّلَى أن يقدّر لشاء ناصب ، أى أم أرى شاء . انتهى .

ومن ذهب إلى أنّ أم عاطفة ابنُ يعيش ، ثم اضطرب كلامه في نحو : أم هل ، وفى : أم كيف . فتارة ادّعى تجريد أم عن الاستفهام ، وتارة ادّعى التجريد عن هل . قال فى فصل حرفى الاستفهام : من المحال اجتماع حرفين بمعنى واحد . فإن قيل : فقد تدخل على هل أم وهى استفهام ، نحو : أم هل كبير بكى البيت ؟ فالجواب أنّ أم فيها معنيان : أحدهما الاستفهام ، والآخر العطف ، فلمّا احتيج إلى معنى العطف فيها مع هل نُخلع منها دلالة الاستفهام وبقي العطف بمعنى بل للترك ، ولذلك قال سيبويه : إنّ أم تجيء بمعنى لا بل ، للتحويل من شيء إلى شيء . وليس كذلك الهمزة ، لأنّها ليس فيها إلّا دلالة واحدة (١) . انتهى كلامه .

٥١٧

وقوله : « من المحال اجتماع حرفين بمعنى واحد » هو فى هذا تابع لابن جنى ، وقد ذكرنا فى الشاهد السادس بعد التسعمائة أنّه لا مانع من اجتماعهما للتأكيد ، كقوله :

* ولا لِّلما بهم أبداً دواءً *

والعطف هنا على قوله من عطف الجمل ، وليس لها تشريك فى غير الوجود .

وقال ابن يعيش أيضاً فى فصل الحكاية : وأما ما حكاه أبو على من قولهم : [ضَرَبَ (٢) مَنْ مَنَّا ، فهى حكاية نادرة . ووجهها أنها جردت من الدلالة على

(١) ابن يعيش ٨ : ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) التكملة من ابن يعيش ، مع بقوط كلمة « أبو على » من ابن يعيش .

الاستفهام حتى صارت اسما كسائر الأسماء ، يجوز اعرابها وتثنيها وجمعها ، كما جردوا أيًا من الاستفهام حيثُ وصفوا بها فقالوا : مررت برجلٍ أيّ رجل . وقد فَعَلُوا ذلك في مواضع . فمن ذلك قول الآخر :

أم هل كبيرٌ بكى ... البيت

فقد خلع الاستفهام من هل دون أم ، لأنّ هل قد استعمل في غير الاستفهام نحو : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ ^(١) ﴾ أي قد أتى . ونحو : ﴿ هل جزاءُ الإحسان إلا الإحسان ^(٢) ﴾ أي ما جزاء الإحسان ، فكان اعتقاد نزع الاستفهام منها أسهل من اعتقاد نزعِه من أم . فأما قول الشاعر :

* أم كيف يَنْفَعُ ما تُعْطَى العَلُوقُ به * ... البيت .

فإنه ينبغي أن يَعْتَقِدَ نزع دليل الاستفهام من أم وقَصَرَهَا على العطف لا غير . ألا تَرَى أَنَا لو نزعنا الاستفهام من كيف للزم إعرابها كما أعربت مَنْ . هذا كلامه ، وأنت ترى اضطرابه .

فَلَلهُ در الشارح المحقق . ما أبعد مَرامه ، وأدقّ كلامه .

والبيت من قصيدة طويلة عِدَّتْهَا سبعة وخمسون بيتا ، لَعَلَمَةُ الفحل . وقبله :

(هَلْ ما عَلِمْتَ وما اسْتُودِعْتَ مَكْتُومٌ أم حبلُها إذْ نَأَتْكَ اليومَ مَصْرُومٌ) وهو مطلع القصيدة ، وقد أوردَها المفضَّل (في المفضَّلِيَّاتِ) ، وشرحها ابنُ الأَثيرِ وأورد له قصيدةً أخرى طويلةً مطلعها :

صاحب الشاهد

(١) الآية الأولى من سورة الإنسان .

(٢) الآية ٦٠ من سورة الرحمن .

(طحا بك قلب في الحسانِ طروبُ بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبُ
يَكْلُفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلَيْهَا وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخَطُوبُ)
وهما من أبيات تلخيص المفتاح . والقصيدتان جيدتان .

روى صاحبُ الأغاني بسنده إلى حمادِ الرواية قال : كانت العرب تُعْرِضُ
أشعارها على قريش ، فما قبلوه منها كان مقبولا ، وما ردُّوه منها كان مردودا ، فَقَدِمَ
عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها :
* هل ما علمت وما استودعت مكتومُ *

فقالوا : هذه سيمط الدَّرَّ (١). ثم عاد إليهم في العام المقبل فأنشدهم :
* طحا بك قلب في الحسانِ طروبُ *

فقالوا : هاتان سيمطا الدَّرَّ (٢).

وقوله : « هل ما علمت » إلخ هل هنا دخلت على الجملة الاسمية ، فإنَّ
ما موصولة مبتدأ ، وما الثانية معطوف عليها ، ومكتوم خبر المبتدأ ، والفاعلان
بالخطاب ، الأول بالبناء للمعلوم ، والثاني بالبناء للمجهول . والمكتوم : المستور .
وأم عند الشارح حرف استئناف بمعنى بل ، لأنَّها منقطعة وفيها معنى الهمزة كما
يأتى ، وجملة حبلها مصرور من المبتدأ والخبر استئنافية ، وإذ تعليلية متعلقة بمصرور
بمعنى مقطوع . والحبل استعارة للوصل والمحبة . ونأثك أصله نأث عنك ،
فحذف عن ووصل الضمير بالفعل ، ونأث بمعنى بُعِدَتْ . والمعنى : هل تكتم
الحبيبة وتحفظ ما علمت من ودِّها لك (٣) وما استودعته منها من قولها : أنا على

٥١٨

(١) كذا في النسختين . وفي الأغاني ٢١ : ١١٢ وديوان علقمة ١٣١ من مجموع خمسة

دواوين : « سيمط الدهر » .

(٢) في الأغاني والديوان : « سيمطا الدهر » .

(٣) يقال احتفظ الشيء لنفسه : احتصَّه به .

العهد لا أُحُولُ عنك ، وشيئتي الوفاء لك . بل انصرمَ حبْلُها منك لبعدها
عنك ؛ فَإِنَّ من غاب عن العين غاب عن القلب . وهذه شِيمة الغواني ، كما قال
الشاعر (١) :

وإنْ حَلَفْتُ لا ينقضُ النَّأْيُ عَهْدَها فليس لمخضوبِ البنانِ يمينُ
وقدَّرنا الهمزة مع أُمٍّ لَأَنَّ المعنى يقتضيها ، كما تقدَّم من الشارح من أنَّها
لا يجب تقديرها مع أُمٍ المنقطعة ، وإنَّمَا هي بحسب المعنى ، فَإِنْ اقتضاها قُدِّرَتْ
وإلا فلا .

وقد قدَّرها ابن جنى (فى المحتسب) على طريقة البصريين ، قال فى سورة
الطور : ومن ذلك قراءة الناس : ﴿ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (٢) ، وقرأ مجاهد : (بل
هُمْ (٣)) وهذا هو الموضع الذى يقول أصحابنا فيه : إنَّ أُمٍ المنقطعة بمعنى بل ،
للترك والتحوُّل ، إلاَّ أنَّ ما بعد بل متيقن ، وما بعد أُمٍ مشكوك فيه مسئول عنه .
وذلك كقول علقمة بن عبدة : هل « ما علمت » البيت ، كأنه قال : بل
أَحْبَلُها (٤) اذ نأتك مصروم . ويؤكدُه قوله بعده : أُمٍ هل كبير بكى
البيت . ألا ترى إلى ظهور حرف الاستفهام ، وهو هل ، فى قوله : أُمٍ هل كبير
بكى ، حتَّى كأنه قال : بل هو كبير . تركَ الكلام الأول وأخذَ فى استفهامٍ
مستأنف . انتهى .

(١) هو كثير عزة ، كما فى زهر الآداب ١٧ وديوانه ١٧٦ . وقبل البيت :

وإنْ هِىَ أعطتك اللبان فإنها لآخرَ من خُلَّتْها ستلين

(٢) الآية ٣٢ من سورة الطور .

(٣) قرأها وحده فى الآية من سورة الطور . وقرعوا جميعا فى الآية ٥٣ من سورة الذاريات :

« أتواصوا به بل هم قوم طاغون » .

(٤) هذا ما فى ش والمحتسب ٢ : ٢٩١ . وفى ط : « بل حبيلها » .

ولم يذكر ابن الأنباري في شرحه من هذا شيئاً ، وإنّما نقل ما يتعلق بمعناه ، قال : قال الضبّي : أى هل ما علمت وما استودعت من حبّها مكتوم عندها أم منتشر . وغيره قال : معناه هل ما علمت ممّا كان بينك وبينها وما استودعت من حبّها مكتوم عندها ، فهى على الوفاء ، أم قد صرّمتك . وقال الرّستميّ : المعنى هل تكتم السرّ الذى علمت وما كان بينها وبينك وتكتم ما استودعتك من حبّها إرادة الوفاء لها ، أم تصرمها إذ نأت عنك .

هذا ما أورده . وقول الرستميّ غير مناسب للنسيب والمذهب الغراميّ . وقد تبعه الأعلام فقال : هل تبوح بما استودعتك من سرّها يأساً منها ، أم تصرم حبّلها لنأيها عنك ويُعدّها . انتهى .

وقوله : (أم هل كبير بكى) إلخ أم هنا منقطعة أيضاً بمعنى بل ، ومجرّدة عن الاستفهام لدخولها على هل ، كما تقدّم عن الشارح . قال ابن عصفور (فى الضرائر) : تقدّم كبير على بكى ضرورة . وإذا وقع بعد أدوات الاستفهام ما عدا الهمزة اسمٌ وفعل فإنّك تقدّم الفعل على الاسم فى سعة الكلام ، ولا يجوز تقديم الاسم على الفعل إلّا فى ضرورة شعر كالبيت ، ولولا الضرورة لقال : أم هل بكى كبير .

هذا كلامه ، وتبعه ابن عَقِيل والمرادى (فى شرح التسهيل) .

وأقول : هذا ليس منه ، فإنّ هل داخلة على جملة اسمية نحو : هل زيد قائم ، أى هل كبير موصوفٌ بهذه الصفة مشكوم . فكبير مبتدأ ، وبكى صفته ، ومشكوم خبره ، فإنّ المحذّث به مشكوم لا بكى ، كما يشهد به المعنى . ولو كان بكى هو المحذّث به نحو : هل زيد قام ، لكان كما قال ، ضرورة فى الشعر قبيحاً فى الكلام .

وقال الأعلم : أراد بالكبير نفسه ، أى هل تجازيك بيكائك على إثرها وأنت شيخ . والمشكوم : المجازى . والشكّم : العطية جزاءً ، فإن كانت ابتدائية فهي الشكّد (١) . انتهى .

وقال العيني : أراد بالكبير قيس بن الخطيم . ولا أعلم له وجهاً ومناسبةً هنا .

وقال ابن الأنبارى : المشكوم : المجزى ، وقد شكّمته أشكّمه شكّما من باب نصرته نصراً ، والاسم الشكّم بالضم ، وهو المكافأة بحسن الصنيع . وإثّر الأحبة ، بكسر الهمزة وسكون المثلثة ، وفتحهما لغة . والبين : الفراق . وإثّر ويوم متعلّقان بيكى . وقوله : « لم يقض عبّته » هو صفة ثانية لكبير . والعبرة بالفتح : الدّمة . قال الضّبيّ : لم يقض عبّته ، أى لم يشتف من البكاء ، لأنّ فى ذلك راحةً ، كما قال امرؤ القيس :

* وإن شِفاى عبّة لو صبيتها (٢) *

وقال غيره : أى لم ينفذ (٣) ماء شئونه ، ولم يُخرِجْ دمعَه كلّهُ ، لأنّه إذا لم يخرجْه كان أشدّ لأسفه واحتراق قلبه . وحكى عن أبى بكر بن عيَّاش أنّه كان يشتدّ حزنه حتّى يكاد يحترق قلبه ولا يقدر على إظهار قطرةٍ من دموعه ، فوقف ذو الرمة بكناسة الكوفة يُنشدّ وحضّره أبو بكر ، وهو ينشد :

لعلّ انحدار الدّمع يُعقِب راحةً من الوجدِ أو يَشفى نجيّ البلابل (٤)

(١) الشكّد ، بالفتح : المصدر ، وبالضم : العطاء نفسه .

(٢) ويروى : « عبرة مهراقة » ، وهو من معلقة امرئ القيس . وعجزه :

* وهل عند رسم دارس من معول *

(٣) ط : « ينفذ » بالذال المعجمة ، صوابه فى ش .

(٤) ديوان ذى الرمة ٤٩٢ والعقد ٣ : ٢٣٥ .

فتعاطى البكاء بعد ذلك ، فكان إذا حزن واشتدَّ حزنه يتعاطى البكاء فيبكي ويسيل دمه ، فيستريح لذلك .

روى صاحبُ الأغاني بسنده إلى العباس بن هشام عن أبيه قال :
مرَّ رجلٌ من مُزينة على باب رجلٍ من الأنصار وكان يُتَّهم بامرأته ، فلما
حاذى بابه تنفَّس ثم تمثَّل :

هل ما عَلِمْتَ وما اسْتَوْدَعْتَ مكتومٌ أم حبلُها إذْ نَأْتِكَ اليومَ مصرومٌ
قال : فعَلِقَ به الرجلُ فرفعه إلى عمر رضى الله عنه فاستعداه عليه ، فقال له
التمثِّل : وما عَلَيَّ أنْ أنشدتُ بيتَ شعرٍ ؟ فقال له عمر : مالك لم تُنشدِه قبل أن
تبلغ إلى بابه ؟ ولكنك عَرَضْتَ به مع ما تعلمه من القالة فيك . ثم أمر به فضرب
عشرين سوطاً . انتهى .

وعلقمة بن عبدة شاعر جاهلي تقدمت ترجمته في الشاهد الثاني عشر بعد
المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(أم كيف يَنْفَعُ ما تُعْطَى العَلَوُ به رثمان أنِفِ إذا ما ضُنَّ باللَّبَنِ)
على أنَّ الاستفهام يجوز أن يقع بعد أم المجردة من الاستفهام كما ذكرنا .
وتقدَّم شرحه مفصَّلاً في الشاهد السادس بعد التسعمائة (٢) .

* * *

(١) الخزانة ٣ : ٢٨٢ - ٢٨٤ .

(٢) الخزانة ١١ : ١٣٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٩٢٧ (هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصرؤم أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثر الأحبة يوم البين مشكوم)

على أن (أم) إذا جاءت بعد (هل) يجوز أن يعاد معها هل ويجوز أن لا يعاد ، بخلاف أم إذا جاءت بعد اسم استفهام فإنه يجب أن يعاد معها ذلك الاسم ، كما بيّنه الشارح . وقد اجتمع في البيتين إعادة هل وتركها ، فإن أم الأولى جاءت بعد هل ولم تُعَدَّ هل معها ، وقد أعادها مع أم الثانية في البيت الثاني .

وقد مضى شرحهما . وقد أوردهما سيبويه (في باب أو) بعد باب أم المنقطعة ، وأنشد فيه قول مالك بن الرّيب :

ألا ليت شعري هل تغيّرت الرّحا رَحَا الحزن أو أضحت بفلج كما هيا (٢)

وقال : وكذلك سمعناه ممن يُنشد من بنى عمّه . وقال : قال أناس أم أضحت ، على كلامين ، كما قال علقمة : هل ما علمت وما استودعت البيت .

٥٢٠

قال الأعلام : الشاهد فيه دخول أم المنقطعة في البيتين . انتهى .

وفي هذه القصيدة بيت من شواهد المفصل وغيره ، فينبغي أن نشرحه هنا مسبوqاً بأبيات ثلاثة ، وهي :

(١) في كتابه ١ : ٤٧٨ والمقتضب ٣ : ٢٩٠ والأغانى ٢١ : ١١١ ، ١١٣ والمختص ٢ : ٢٩١ والأزهيّة ١٣٧ وابن الشجرى ٢ : ٣٣٤ ورصف المبانى ٩٤ ، ٤٠٦ والمهم ٢ : ٢٣٣ والأشباه والنظائر ٤ : ٩ والمفضليات ٣٩٧ وديوان علقمة ١٢٩ .

(٢) أمالى القالى ٣ : ١٣٧ . وقد سبق في ٢ : ٢٠٥ .

أبيات الشاهد

(كَأَنَّهَا خَاضِبٌ زُعْرٌ قَوَادِمُهُ أَجَنَى لَهُ بِاللَّوَى شَرَى وَتُشُومُ
يَظُلُّ فِي الْحَنْظَلِ الْخُطْبَانِ يَنْقُفُهُ وَمَا اسْتَطَفَّ مِنَ التَّنُومِ مَخْدُومُ
فُوهُ كَشَقِّ الْعَصَا لَأَيًّا تَبَيَّنَهُ أَسْكُ مَا يَسْمَعُ الْأَصْوَاتِ مَصْلُومُ
حَتَّى تَذَكَّرَ بَيِّضَاتٍ وَهَيَّجَهُ يَوْمٌ رَذَاذٍ عَلَيْهِ الدَّجْنُ مَغِيومُ)

وقوله : (كَأَنَّهَا خَاضِبٌ) إِنْخَ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ أَيْ كَأَنَّ النَّاقَةَ فِي سُرْعَتِهَا ظَلِيمٌ ^(١) وَهُوَ ذَكَرَ النِّعَامَ . وَالزُّعْرُ بِالضَّمِّ : الْقَلِيلَةُ الرَّيشِ ، وَالْأَسْمُ الزُّعْرُ بِفَتْحَتَيْنِ . وَالْقَوَادِمُ الْعَشَرُ : رِيَشَاتُ فِي مَقْدَمِ الْجَنَاحِ . قَالَ الْكَلَالِيُّ : الْخَاضِبُ : الظَّلِيمُ يَخْضِبُ فِي الشِّتَاءِ ، وَهُوَ أَنْ يَحْمَرَ جِلْدُهُ وَسَاقَاهُ وَيُظْهِرَ عَلَيْهِ قِشْرٌ أَحْمَرُ ، وَيَكْتَنَزُ ^(٢) لَحْمَهُ وَيَشْتَدُّ عَصْبُهُ وَيَعْفُو رِيْشُهُ ، أَيْ يَكْثُرُ . قَالَ : وَلَا تَطْلُبُ الْخَيْلُ الظَّلِيمَ إِذَا خَضِبَ فِي الشِّتَاءِ ، فَإِذَا قَاطَ اسْتَرْخَى فَانْتَشَرَ رِيْشُهُ وَبَمِنْ وَبَطْنِ ، فَطَلَبَتْهُ الْخَيْلُ . وَقَوْلُهُ : (أَجَنَى لَهُ) أَيْ أَدْرَكَ أَنْ يُجْتَنَى ، يُقَالُ : قَدْ أَجَنَتْ الشَّجَرَةُ ، أَيْ أَدْرَكَ ثَمَرُهَا وَأَنَّ لَهُ أَنْ يُجْتَنَى . وَ (الشَّرَى) بِفَتْحٍ فَسَكُونُ : شَجَرُ الْحَنْظَلِ ، وَاحِدَتُهُ شَرِيَّةٌ ، وَالظَّلِيمُ يَأْكُلُ حَبَّ الْحَنْظَلِ . وَ (التَّنُومُ) شَجَرٌ يَنْبُتُ فِي بِلَادٍ دُمُثَ ، يَطُولُ ذِرَاعًا ، وَرَقَةٌ أَغْيِيرُ يَشْبَهُ وَرَقَ الْآسِ ، وَلَهُ ثَمَرٌ مِثْلُ الشَّهْدَانِجِ ^(٣) .

وقوله : « يَظُلُّ فِي الْحَنْظَلِ » إِنْخَ إِذَا صَارَ لِلْحَنْظَلِ خُطُوطٌ تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ وَلَمْ يَدْخُلْهُ بَيَاضٌ وَلَا صُفْرَةٌ فَهُوَ الْخُطْبَانُ ، الْوَاحِدَةُ خُطْبَانَةٌ بِضَمِّ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ . يُقَالُ : قَدْ أَخْطَبَ الْحَنْظَلُ . وَقَالَ الرَّسْتَمِيُّ : الْخُطْبَانُ مِنَ الْحَنْظَلِ إِذَا صَارَ فِيهِ خُطُوطٌ خَضِرٌ وَصُفْرٌ ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا يَكُونُ مَرَارَةً . وَيَنْقُفُهُ : يَسْتَخْرِجُ

(١) الكلام بعده إلى « الظليم » التالية ، ساقط من ش .

(٢) كَذَا فِي النُّسَخَتَيْنِ ، وَالْمَعْرُوفُ « يَكْتَنَزُ » أَيْ يَجْمَعُ وَيَمْتَلِئُ .

(٣) الشَّهْدَانِجُ ، بِكَسْرِ النُّونِ : حَبُّ الْقَيْتَبِ .

حَبَّه . يقال نَقَفْتُ الحَنْظَلَ أَنْقَفَهُ نَقْفًا بِتَقْدِيمِ الْقَافِ عَلَى الْفَاءِ ، مِنْ بَابِ نَصَرَ ، إِذَا كَسَرْتَهُ وَاسْتَخْرَجْتَ حَبَّه . وقوله : « وما اسْتَطَفَّ » أى وما ارتفع وأمكن . و « مَخْدُوم » بمعجمتين : مقطوع ومأكول ، يقال خُدِمَت الدَّلْوُ ، إِذَا انْقَطَعَتْ عُرَاهَا .

وقوله : « فوه كَشَقَّ العَصَا » إلخ أى فمه كَشَقَّ العَصَا ، والضمير للخاضب ، أى فمه لاصقٌ ليس مفتوحا ، لا تكاد ترى شِدْقَه . ولأياً ، بسكون الهمزة ، وهو البطء منصوب بنزع الخافض ، أى بِلَايٍ . وَتَبَيَّنَ ، مضارعٌ أصله بتأين ، ويجوز أن يكون مصدراً وذلك إذا قرأته بضم ما قبل النون . قال الرستمي : قوله كَشَقَّ العَصَا ، أى لا يستبين ما بين مِنْقَارِيهِ وَلَا يُرَى خَرْقُهُمَا إِذَا ضَمَّهُمَا ، فكأنه من خفائه شَقَّ في عصا . والشَّقُّ : مصدر شَقَقْتَ العَصَا والشَّيْءَ شَقًّا . والأَسْكُ : الصغير الأذن . وقوله : « أَسْكُ مَا يَسْمَعُ » موضع ما خفض ، وإن شئت ابتدأت ما فكأنك قلت : الذى يسمع به الصوت مصلوم ، وهو الأذنُ بعينها . وإن شئت كانت ما نافية . والمصلوم : المقطوع الأذنين ، يقال صَلَّمَ أُذُنَهُ وَاصْطَلَمَهَا ^(١) ، إِذَا اسْتَأْصَلَ قَطْعَهَا . وَالنَّعَامُ كُلُّهَا صُلِّحَ : والأصلح : الأصم الذى لا يسمع .

وقوله : « حَتَّى تَذَكَّرَ » إلخ حتى بمعنى إلى متعلقة بيبطل . يقول : هذا الظليم يرعى الحُطْبَانَ والتُّنُومَ ، ثُمَّ تَذَكَّرَ بِيَضِّهِ فِي أَدْحِيهِ فَرَّاحَ إِلَى بِيَضِّهِ قَبْلَ أَوَانِ الرُّوَّاحِ . والرَّذَاذُ : المطر الخفيف . وعليه : على اليوم . والدَّجَنُ بسكون الجيم : إِبَاسُ الْعَيْمِ وَظُلُمَتِهِ . وروى أيضا : « عليه الريح » ، وروى أيضا : « عَلَنَهُ الرِّيحُ » أى علت الريحُ ذلك الظَّليمَ بشِدَّتِهَا ، فزاد ذلك الظَّليمُ سُرْعَةً فِي عَدْوِهِ . قال الرستمي : يعنى أن الظليم ذكر ببيضه فبادر إليه ، فهو أَشَدُّ لَعْدُوهُ . ومغيم : فيه

٥٢١

(١) ط : « واصطلها » ، صوابه في ش .

غيم . يقال غامت السماء وأغامت وغيمت ، وأكثر ما يجيء هذا مُعلّلاً ، وكان القياس مغيم كمبيع ، فجاء مغيوم على خلاف القياس ، وهو محلّ الشاهد . واستشهد به ابن الناظم والمرادى (فى شرح الألفية) .

ومن أبيات هذه القصيدة :

أبيات الشاهد

(بل كل قوم وإن عزّوا وإن كثروا عريفهم بأثافي الشرّ مرجوم)
عريفهم : سيّدهم وعظيمهم . وأثافي الشرّ هنا : عظائمه . وإنّما أراد الدّواهى ، أى هى كأمثال الجبال . قال الشاعر :

فلما أن طعّوا وبغّوا علينا رميناهم بثلاثة الأثافي
وثلاثة الأثافي هى الجبل .

(والحمد لا يُشترى إلّاه ثمنٌ مما يَضِنُّ به الأقوامُ معلوم)
قال الضبى : إلّا له ثمنٌ يشقُّ على مشتريه . وقال الرستمى : يقول لا يُحمد المرء إلّا ببذل المضمون من ماله . وقال أحمد : معناه لا يُشترى الحمد إلّا بأثمانٍ تضنُّ بها النفوس ، أى يغالى به فيبذل فيه المضمون به .
(والجودُ نافيةٌ للمال مهلكةٌ والبخلُ باقٍ لأهليه ومدموم)
والجهل ذو عَرَض لا يُستردُّ له والحلم آونةٌ فى الناس معدوم)
لا يُسترد : لا يراد ولا يطلب ، أى يعرض لك وأنت لا تريده . يقول :
الناس يُسرعون إلى الشرّ فمتى أرادوه وجدّوه .

(ومن تعرّض للغربان يزجرها على سلامته لابدّ مشؤم)
يقول : من يزجر الطير ، وإن سلّم ، فلا بد أن يصيبه شؤم . والغربان يُتشاءم بها . فمن تعرّض لها يزجرها ويطردها خوفاً أن يصيبه الشؤم فلا بد أن يقع بما يخاف ويحذر .

(وكلُّ حصنٍ وإن طالت سلامته على دعائمه لابدّ مهدوم)

حروف الشرط

أنشد فيها ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد التسعمائة (١) :

٩٢٨ (لو يَشَأْ طَارَ به ذُو مَيْعَةٍ لَاحِقُ الْآطَالِ نَهْدُ ذُو خُصْلٍ)

على أن الجزم بلو ضرورة ، لأنّ لو موضوعة للشرط في الماضي .

قال ابن الناظم : أكثر المحققين أنّها لا تستعمل في غير المضى . وذهب قومٌ إلى أنّها تأتي للمستقبل بمعنى إنّ ، كقوله تعالى : ﴿ وَلِيُخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا ﴾ (٢) . وليس ما استدلّ به بحجّة ، لأنّ غاية ما فيه أنّ ما يُجْعَل شرطاً للو مستقبلٌ في نفسه أو مقيدٌ بمستقبل ، وذلك لا ينافي امتناعه فيما مضى لامتناع غيره . انتهى .

وفيه ردٌّ لقول والده (في الألفيّة والتسهيل) ، قال (في التسهيل) : واستعمالها في المضى غالباً ، فلذلك لم يجزم بها إلّا اضطراراً . وزعم أطراد ذلك على لغة . انتهى .

٥٢٢

وقال (في شرح الكافية الشافية) : أجاز الجزم بها في الشعر جماعة منهم ابنُ الشجري ، واحتجّ بقوله « لو يَشَأْ طَارَ به » البيت . وهذا لا حجة فيه ، لأنّ من العرب من يقول : جايحي ، وشا يَشَأْ ، بترك الهمزة ، فيمكن قائلُ هذا البيت أن

(١) أسرار البلاغة ٦٥ وابن الشجري ١ : ١٨٧ ، ٣٣٣ وشواهد التوضيح لابن مالك ١٩ والمغنى ٢٧١ ، ٦٩٨ والهمع ٢ : ٦٤ والأشئوني ٤ : ١٤ ، ٤٢ والحامسة ١١٠٨ وديوان علقمة ١٣٤ تحقيق الصقال ودرية .

(٢) الآية ٩ من سورة النساء .

يكون من لغته ترك همزة يشاء ، ثم أبدل الألف همزة ^(١) كما قيل في عَالَمٍ وخَاتَمٍ :
عَالَمٍ وخَاتَمٍ . قال : وكما فعل ابن ذَكْوَانَ في ﴿ تَأْكُلُ مِنْسَأَتُهُ ﴾ ^(٢) حين قرأ بهمزة
ساكنة ، والأصل مِنْسَأَةٌ مِفْعَلَةٌ من نسأته ، أى زجرته بالعصا ، فأبدلت الهمزة
ألفاً ثم أبدلت الألف همزةً ساكنة .

قال المرادى : فظاهر هذا الكلام أنه لا يُجيز ذلك في السَّعة ولا في
الضرورة أيضاً ، وهو ظاهر كلامه في آخر باب عوامل الجزم . وقد أجازناه هنا في
الضرورة وحكى هنا أن منهم مَنْ زعمَ اطرادَ ذلك على لغة . قيل : فعلى هذا يكون
ثلاثة مذاهب . انتهى .

وقد أجاب ابن هشام (في المغنى) عن البيت بكلام ابن مالك (في شرح
الكافية) ، وأجاب عن قوله :

تَامَتْ فَوَادُكَ لَوْ يَحْزُنُكَ مَا صَنَعْتُ إِحْدَى نِسَاءِ بَنَى ذُهْلٍ بَنَ شِيَابَانَا ^(٣)
بأنه قد خُرج على أن ضمة الاعراب سكنت تخفيفاً كقراءة أبى عمرو :
﴿ وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمُ ^(٤) ﴾ و ﴿ يُشْعِرُكُمْ ^(٥) ﴾ و ﴿ يَأْمُرُكُمْ ^(٦) ﴾ . انتهى .

وما نقلوه عن ابن الشجرى من أنه جَوَزَ الجزم بـلو في الشعر غير موجود في
أماليه ، وإنما أخبرنا بأنها جَزِمَتْ في بيت ، وقد تكلم عليه في مجلسين (من

(١) في النسختين : « ثم أبدل الهمزة ألفاً » ووجهه ما أثبت . وانظر ما سياتى .

(٢) الآية ١٤ من سورة سبأ . وعزا هذه القراءة أبو حيان في تفسيره ٧ : ٢٦٧ إلى ابن ذكوان
وجماعة ، منهم بكار والوليدان : ابن عتبة وابن مسلم .

(٣) البيت للقيط بن زرارة ، في شواهد التوضيح ٢٠ والمغنى ٢٧ والأشمونى ٤ : ٤٣ واللسان

(تم ٣٤٢) .

(٤) من الآية ١٤ من سورة التوبة .

(٥) من الآية ١٠٩ من سورة الأنعام .

(٦) من الآية ٦٧ من سورة البقرة وآيات أخرى كثيرة .

أماليه (الأول هو المجلس الثامن والعشرون ، قال : بيتٌ للشريف الرضّى من قصيدةٍ رثى بها أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الكاتب الصائى :
 إِنَّ الْوَفَاءَ كَمَا اقْتَرَحْتَ فَلَوْ تَكُنْ حَيًّا إِذْنُ مَا كُنْتُ بِالْمَزْدَادِ (١)

جَزَمَ بَلَوْ وَلَيْسَ حَقُّهَا إِنْ يُجَزَمَ بِهَا ، لِأَنَّهَا مَفَارِقَةٌ لِحُرُوفِ الشَّرْطِ وَإِنْ اقْتَضَتْ جَوَابًا كَمَا تَقْتَضِيهِ إِنْ الشَّرْطِيَّةِ . وَذَلِكَ أَنَّ حَرْفَ الشَّرْطِ يَنْقُلُ الْمَاضِيَ إِلَى الْإِسْتِقْبَالِ ، كَقَوْلِكَ : إِنْ خَرَجْتَ غَدًا خَرَجْنَا ، وَلَا تَفْعَلْ ذَلِكَ لَوْ ، وَإِنَّمَا تَقُولُ : لَوْ خَرَجْتَ أَمْسٍ خَرَجْنَا . وَقَدْ جَاءَ الْجَزْمُ بَلَوْ فِي مَقْطُوعَةٍ لَامْرَأَةٍ مِنْ بَنَى الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ :

فَارِسًا مَا غَادَرُوهُ مُلَحَمًا غَيْرَ زُمَيْلٍ وَلَا نِكْسٍ وَكَلْ
 لَوْ يَشَاءُ طَارَ بِهَا ذُو مِيعَةٍ لِاحِقِ الْآطَالِ نَهْدٌ ذُو خُصَلْ
 غَيْرَ أَنَّ الْبَأْسَ مِنْهُ شَيْمَةٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرَى بِالْأَجَلِ . اهـ

وَكُتِبَ عَلَى هَامِشِ النُّسخَةِ تَلْمِيذُهُ أَبُو الْيُمْنِ الْكِنْدِيُّ بِخَطِّهِ : لَيْسَ لِلرُّضِيِّ وَلَا لِأَمْثَالِهِ ، أَنْ يَرْتَكِبَ مَا يَخَالِفُ الْأَصُولَ ، وَلَكِنْ لَوْ جَاءَ مِثْلُ هَذَا عَنِ الْعَرَبِ فِي ضَرُورَاتٍ شَعَرَهُمْ لِاحْتِمَالِ مِنْهُمْ ، وَذَلِكَ أَنَّ لَوْ وَإِنْ كَانَتْ تَطْلُبُ جَوَابًا كَمَا يَطْلُبُهُ حَرْفُ الشَّرْطِ ، لَيْسَتْ مُوجِبَةً لِلْإِسْتِقْبَالِ كَإِذَا ، بَلْ يَقَعُ بَعْدَهَا الْمَاضِي لِلْمَاضِي ، كَمَا يَقَعُ الْمُسْتَقْبَلُ لِلْمُسْتَقْبَلِ ، فَلَا يُجَزَمُ بِهَا الْبَتَّةُ . وَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ يَشَاءُ شَاهِدٌ عَلَى الْجَزْمِ بَلَوْ ، وَلَكِنَّهُ مَقْصُورٌ غَيْرُ مَهْمُوزٍ ، كَمَا يَقْصُرُ الْمَمْدُودُ فِي الشَّعْرِ . انْتَهَى .
 وَفِيهِ نَظَرٌ ، فَإِنَّهُ مُصَادِمَةٌ لِلْمَنْقُولِ .

وَالْمَجْلِسُ الثَّانِي هُوَ الْمَجْلِسُ الْأَرْبَعُونَ (٢) قَالَ فِيهِ : وَلَوْ مِنْ الْحُرُوفِ الَّتِي

(١) أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١ : ١٨٦ . وَانْظُرْ دِيْوَانَ الشَّرِيفِ الرُّضِيِّ ١ : ٢٩٨ .

(٢) أَمَالِي ابْنِ الشَّجَرِيِّ ١ : ٣٣٣ .

تقتضى الأجوبة ، وتختصّ بالفعل ، ولكنّهم لم يجزموا به ، لأنّه لا ينقل الماضى إلى الاستقبال كما يفعل ذلك حروفُ الشرط . وربما جزموا به فى الضرورة . ثم أنشد هذه المقطوعة وبيّث الشريف الرضى .

وكتب تلميذه أبو اليُمْن الكندى هنا على هامشه أيضاً : قد تقدّمت هذه الأبيات ، وذكره فى يشا الجزم وجعله إياها حُجّة للرّضى فى الجزم بلو . وقد رددت ذلك هناك بما يُغنى عن الإعادة . انتهى .

وهذه المقطوعة أوردها أبو تمام (فى باب المراثى من الحماسة) ، وأوردها الأعلم (فى حماسته) أيضاً . وكذا أوردها صاحب (الحماسة البصرية ^(١)) وكلّهم قالوا : إنّها لامرأة من بنى الحارث .

قال ابن الشجرى : الرواية نصب فارس بمضمر يفسره الظاهر ، وما صلة ، والمفسر من لفظ المفسر لأنّ المفسر متعدّ بنفسه إلى ضمير المنصوب . ولكن لو تعدّى بحرف جرّ أضمرت له من معناه دون لفظه ، كقولك : أزيداً مررت به ، والتقدير : أجزت زيدا ، لأنك إن أضمرت مررت أضمرت الجار ، وذلك مما لا يجوز . فالتقدير إذن : غادروا فارساً . ويجوز رفع فارس بالابتداء والجملة التى هى غادروه وصف له ، وغير زُميل خبره ، ولا موضع من الإعراب فى وجه النصب للجملة التى هى غادروه ، لأنّها مفسّرة ، فحكمها حكم الجملة المفسّرة . وحسن رفعه بالابتداء وإن كان نكرةً لأنّه تخصّص بالصفة ، وإذا نصبته نصبت غير زُميل وصفاً له ، ويجوز أن يكون وصفاً للحال التى هى ملحما . والمُلحَم : الذى ألحمتّه الحرب ، وذلك أن ينشَبَ فى المعركة فلا يتّجه له منها مخرج . ويقال للحرب : المَلحمة . والزُميل : الجبان الضعيف . والنكس من

الرجال : الذى لا خير فيه ، مشبّه بالنكس من السهام ، وهو الذى ينكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله . والوكّل : الذى يكل أمره إلى غيره . والميعة : النشاط ، وأوّل جرى الفرس ، وأوّل الشّباب . والآطال : الخواصر ، واحدها إطلّ وقد يخفّف . وهو أحد ما جاء من الأسماء على فِعْل ، ومنه إبل . ولاحق الآطال ، أى قد لصقت إطلّه بأختها من الضمّ . وجَمَعَت الإِطْلُ فى موضع التثنية ، وذلك أسهل من الجمع فى موضع الوَحْدَة ، كقولهم : شابت مفارقة . ولو قالت : « للاحق الإطلين » بسكون الطاء أعطت الوزن والمعنى حقهما . والنّهد من الخيل : الجسم المشرف . وقولها : « غير أنّ البأس » نصبٌ غير على الاستثناء المنقطع . والبأس : الشدّة فى الحرب . والشّيمة : الطبيعة . وصُرُوف الدهر : أحداثه . انتهى كلام ابن السجّرى .

وقد أورد ابن الناظم وابن عقيل البيت الأوّل فى باب الاشتغال (من شرح الألفيّة) .

وقال الكندى فيما كتبه : الرواية برفع فارس ، كذا رواه أبو زكريا (١) عن المعرّى وغيره ، وكذا قرأناه على الشيوخ عنه . انتهى .

ولا مانع من كون نصب فارس رواية غير المعرّى ، فقد رواه بالنصب شراح الحماسة . والملحم : اسم مفعول من ألحمه ، إذا تركه طعمة لعوافى السباع . وغادروه : تركوه . والزّميل بضم الزاى وتشديد الميم المفتوحة . والنّكس بكسر النون وسكون الكاف . والوكّل بفتحيتين ، وهو مجرور سَكَن آخره للقفية .

وقولها : (لو يَشَأ) حكّت الحال ، والمراد : لو يشاء لأنجاه فرسٌ له ذو نشاط ، أى لو اختار الفرار لأمكنه ، لكنّه كان سجيّته البأس والأنفة من العار

٥٢٤

(١) ش : « أبو زكرياء » . ويعنى الخطيبُ أبا زكريا يحيى بن على التبريزى . وانظر شرح التبريزى

بالفرار . و (الميعة) بفتح الميم . و (التَّهْد) بفتح النون وسكون الهاء : وصف من
تَهْدُ الفرسُ بالضم تُهَوِّدَةً . و (حُصَل) : جمع خُصْلَة ، وهى من الشعر معروفة ،
والمراد ذيله الكثير الشعر .

* * *

وأنشد بعده :

(لو يغير الماءِ حَلْقِي شَرِقُ كُنْتُ كَالْعَصَّانِ بِالماءِ اعتصارى)

وتقدّم شرحه فى الشاهد التاسع والخمسين بعد الستائة (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا)

وتقدّم شرحه أيضا فى الشاهد الخامس والستين بعد المائة (٢) ، وأصله :

(يقولون لَيْلَى أَرْسَلْتُ بِشَفَاعَةِ إِلَى فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا)

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد التسعمائة (٣) :

٩٢٩ (هَا خَيَّانِي كُلَّ يَوْمٍ غَنِيمَةٍ وَأَهْلَكْتُهُمْ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعٌ)

على أَنَّ خبر أَنَّ الواقعة بعد لو قد يجيء بقلّة وصفاً مشتقاً ، ولم يُشترط أن
يكون فعلاً ، وإنّما الفعل أكثرى .

(١) الخزائن ٨ : ٥٠٨ - ٥١٣ .

(٢) الخزائن ٣ : ٦٠ - ٦٢ .

(٣) الأغاني ١١ : ١٣٢ .

وقال ابن هشام (في المغنى ^(١)) : قال الزمخشري : يجب كون خبر أن فعلاً ليكون عوضاً من الفعل المحذوف . وردّه ابن الحاجب وغيره بقوله تعالى : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ﴾ ^(٢) ، قالوا : إنما ذلك في الخبر المشتق ، لا الجامد كالذى في الآية وفي قوله :

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجرٌ تنبو الحوادث عنه وهو ملموم ^(٣)
وردّ ابن مالك قول هؤلاء بأنه قد جاء اسماً مشتقاً ، كقوله :

لو أن حياً مُدريك الفلاج أدركه مُلاعِبُ الرّماح ^(٤)

وقد وجدتُ آيةً في التنزيل وقع فيها الخبر اسماً مشتقاً ولم يتنبّه لها الزمخشري كما لم يتنبّه لآية لقمان . ولا ابن الحاجب ، وإلا لما منع من ذلك . ولا ابن مالك ، وإلا لما استدللّ بالشعر . وهي قوله تعالى : ﴿ يودّوا لو أنّهم بادؤوا في الأعراب ﴾ ^(٥) . وقد وجدتُ آيةً الخبر فيها ظرف ، وهي : ﴿ لو أن عندنا ذكراً من الأولين لَكُنّا ﴾ ^(٦) . انتهى .

وقد خطّاه الدماميني في هذا فقال : هوّل المصنف بقصور نظر هؤلاء الأئمة ، وتبيّح بالاهتداء إلى ما لم يهتدوا إليه . ثم إن ما اهتدى إليه دونهم ليس بشيء ، وذلك أن لو في هذه الآية ليست ممّا الكلام فيه ، لأنّها مصدرية أو للتمنى ، والكلام إنّما هو في « لو » الشرطية . وقد كنت قديماً ممّا يزيد ^(٧)

(١) المغنى ٢٧٠ .

(٢) الآية ٢٧ من سورة لقمان .

(٣) تميم بن مقبل في ديوانه ٢٧٣ . وانظر معجم الشواهد .

(٤) للبيد في ديوانه ٣٣٣ . وانظر معجم الشواهد .

(٥) الآية ٢٠ من سورة الأعراب .

(٦) الآية ١٦٨ ، ١٦٩ من سورة الصافات .

(٧) ط : « ما يزيد » .

على ثلاثين سنة في ابتداء مطالعتي لهذا الكتاب ذكرت ذلك لشيخنا ، وكتبه على حاشية نسخه . ثم رأيت (في شرح الحاجبية للرضي) أن لو فيها مصدرية . وقد وجدت المسألة أيضاً في كلام ابن الحاجب نفسه ، وذلك أنه قال في منظومته :
لو أنهم بادؤوا في الأعراب لو للتمني ليس من ذا الباب . انتهى

وأجاب بعض مشايخنا : قد يدعى أن لو التي للتمني شرطية أشرت معنى ٥٢٥ التمني ، كما نقله في المغني عن بعضهم ، وصححه أبو حيان (في الارتشاف) ، وذلك لأنهم جمعوا لها بين جوابين : جواب منصوب بعد الفاء ، وجواب باللام ، كقوله :

فلو نُبِشَ المقابر عن كليـب فيُخبرَ بالذنائب أي زير^(١)
يوم الشعثمين لقرَّ عيناً وكيف لقاء من تحت القبور

فلعله يختار هذا القول ، فتبجحه على مختاره . فقول ابن الحاجب : ليس من ذا الباب ، أي من باب لو الشرطية ، ممنوع عنده . انتهى .

أقول : لا يصح تبجحه بشيء لا يعترفون به . ولو في الشاهد أيضاً ليست شرطية كما يأتي .

والبيت من قصيدة للأسود بن يعفر ، أوردها أبو محمد الأعرابي (في
فرحة الأديب) ، وأبو الفرج الأصبهاني (في كتاب الأغاني) ، وهذا مطلعها :

(أتاني ولم أخش الذي ابتعنا به خفيراً بنى سلمى : حرير ورافع
هما خياني كل يوم غيمة وأهلكتهم لو أن ذلك نافع
وأبتعت أحرهم طريق الأهم كما قيل نجم قد حوى متائع

(١) لمهل بن ربيعة في الأصمعيات ١٥٤ وأمالى القالى ١ : ٢٤ / ٢ : ١٣١ ... وانظر معجم

الشواهد .

وخير الذى أعطىكم هى شرّة
فلا أنا مُعطيكم على ظُلامة
وإني لأقري الضيف وصّى به أبى
فقولا لتيحيان ابن عاقرة آستها
ولو أن تيحان بن بلج أطاعنى
وإن يك مدلولاً على فائسى
مُهولة فيها سيوف لوامع
ولا الحقّ معروفاً لكم أنا مانع
وجار أبى التيحان ظمان جائع
أجر فلاقى الغنى أم أنت نازع
لأرشدته إنّ الأمور مطالع
أخو الحرب لا قحّم ولا متجازع

وبقى أبيات منها . والسبب فيها أن أبا جَعَلَ البرجُمى جمع جمعاً من أسدٍ
وتميم وغيرهم ، فَعَزَّوْا بنى الحارث ^(١) بن تيم الله بن ثعلبة ، [فنذروا بهم وقاتلوهم
قتالاً شديداً حتى فَضُّوا جمعهم ، فلحق رجلٌ من بنى الحارث بن تيم الله بن
ثعلبة ^(٢)] جماعة من بنى نهشل ، منهم الجراح بن الأسود بن يعفر ، وحرير ^(٣)
ابن شمر بن هِزَّان بن زهير بن جندل ، ورافع بن صُهيب بن حارثة بن جندل ،
وعمر بن حرير، والحارث بن حرير بن سلمى بن جندل ^(٤) وهو فارسُ العَصماء ،
فقال لهم : هلُم إلى أنتم طلقاء فقد أعجبني قتالكم ، وأنا خير لكم من العطش .
فنزل إليهم ليوثقهم ^(٥) ، وتفرَّس الجراح فى فرسه الجودة فوثب عليها ونجا . فقال
التيمى لرافع وحرير وأصحابيهما : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعم ، ونحن لك خُفراءُ
بفرسك . فلما أتى الجراح أباه أمره أن ينطلق بها فى بنى سعد ، فابتطنها ثلاثة

(١) ط : « ففر مع بنى الحارث » ش : « فغزوا مع بنى الحارث » ، صوابهما ما أثبت من الأغاني ١٢١ : ١ وما سبق فى ١ : ٤٠٤ عن الأغاني .

(٢) التكملة من الأغاني ومما سبق فى ١ : ٤٠٤ .

(٣) فى الأغاني : « والحر » وما هنا صوابه كما سبق فى ١ : ٤٠٤ .

(٤) فى الأغاني : « وعمر والحارث ابنا حدين بن سلمى بن جندل » . ويعد فى النسختين : « فلحقهم رجل من بنى تيم الله بن ثعلبة » وموضع هذه العبارة هو ما أثبت فى التكملة السابقة .

(٥) فى الأغاني : « ليجز نواصيه » ، وكذلك فى الخزنة ١ : ٤٠٤ .

أبطن ، فلماً رجع رافع وحرير وأصحابُهما إلى بنى نهشل قالوا : إنا خفراء فارس
العصماء . وأوعدوا الجراح . وكان بنو جرول حلفاء بنى سلمى بن جندل ، على
بنى حارثة بن جندل . وأعان ثيحان بن بلج رافعاً وحريرا على الجراح حتى ردوا إلى
التميمي فرسه ، فقال الأسود بن يعفر في ذلك هذه القصيدة يهجوهم .

وقوله : « أتاني » فاعله خفيرا بنى سلمى ، وجملة « ولم أخش الذي ابتعثنا
به » معترضة . وابتعثنا بالبناء للمفعول . وخفيرا : مثني خفير ، حذف نونه
للإضافة . والخفير ، بالخاء المعجمة والفاء ، هو الذي يأخذ الشيء في ذمته
ويتعهده ، من الخِفارة ، بضم الخاء وكسرهما ، وهي الذمّة ، ومنه الخفير بمعنى
المُجير . يقال : خفرتُ بالرجل ، من باب ضرب ، إذا أجرته وكنت له خفيرا
تمنعه . وحرير بالتصغير وبإهمال أوله ، ورافع تقدّم نسبهما .

وقوله : « هما خياني » من الخيبة بالخاء المعجمة ، يقال خاب الرجل
خيبةً ، إذا لم يتلّ ما طلب ، وخيبتُه أنا تخييتُ . وكلّ اكتسب الظرفية من إضافته
إلى الظرف . وجملة « أهلكتهم » معطوفة على جملة أتاني ، يريد أهلكتهم بالهجو
لو أنّ ذلك الإهلاك نافع لي . فلو هنا لا يظهر كونها للشرط ، والمعنى يقتضى
كونها للتمنى ، وحينئذ تكون ممّا ليس الكلام فيه .

وقوله : « وأبتغتُ آخرهم » إلخ قال أبو علي (في كتاب الشعر) : يريد
هجوت آخرهم كما هجوت أولهم ، أى ألحقت آخرهم بأولهم في الهجاء لهم .
فأراد بقوله : ألاههم أولاهم ، فحذف الواو التي هي عين ، لأنّ هذه الحروف وإن
كانت من أنفس الكلم فهي تُشبه الزيادة ، لما يلحقها من الانقلاب والحذف .
وقوله : « كما قيل نجم » في الصحاح : خوت النجم تخوى خيّا : أمحلت ، وذلك
إذا سقطت ولم تُمطر في نوبتها . ومتتاع بالهمز ، لأنّه اسم فاعل من التتابع بالمشاة

التحتية^(١) . قال في الصحاح : التتابع : التَّهافتُ في الشرِّ واللجاجُ ، ولا يكون التتابع إلا في الشر .

وقوله : « هي شِرَّةٌ » بكسر الشين ، وهو الشرُّ بفتحها . والظُّلُمة ، بالضم : ما تطلبه عند الظالم ، وهو اسمٌ ما أخذ منك . و « عاقرة استيها » : كلمة سبٍّ وشم . ومُجرٍ : اسم فاعل من أجرى إجرأً ، بمعنى جارى مجارة . ونزع عن الشيء : كَفَّ عنه . وانتهى .

والقَحْم بفتح القاف وسكون المهملة : الشيخ المسنّ العاجز .

والأسود بن يعفر : جاهليٌّ تقدمت ترجمته في الشاهد الثاني والستين^(٢) من أوائل الكتاب .

* * *

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد التسعمائة^(٣) :

٩٣٠ (أكرم بها خُلةٌ لو أنَّها صدقتْ موعودها أو لو أنَّ النصَّح مقبولٌ)

لما تقدَّم قبله . والشاهد في (لو الثانية) فإنَّ خبر أنَّ بعدها وصفٌ مشتقٌّ

لا فِعْلٌ ، بخلاف أنَّ الأولى بعد لو فإنَّ خبرها فعل ماضٍ مع فاعله . وفي هذا

(١) المعهود أن يعامل هذه المعاملة اسم الفاعل من الثلاثي المعتل ، أما نحو المتتابع من التتابع ، والمتساير من التساير ، فلا تقلب فيه الياء همزة . وفي الحديث : « المتبايعان بالخيار مالم يتفرقا » . وذلك لأن عين الفعل من تبايعا وتبايعا لم تعل ، فهي نحو عَيْنَ وَعَوْر ، فهو عاين وعاور .

(٢) كذا في النسختين ، وصوابه « الرابع والستين » . انظر الخزانة ١ : ٤٠٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ٨٨٩ برواية : « فيا لها خلة » وديوان كعب بن زهير ٧ برواية : « ياويلها

خلة » . وانظر شرح القصيدة لابن هشام ٢٦ - ٣٠ .

أيضاً لا يتعيّن أن تكون شرطية ، بل يجوز أن تكون لو في الموضعين للتمنى فلا جواب لها ، فلا تكون ممّا الكلام فيه . ويجوز أن تكون فيهما شرطية والجواب محذوف يدلّ عليه أوّل الكلام ، تقديره : لو صدقت أو قبلت النصح لكرّمت^(١) وما أشبهه .

وكذا جوّز الوجهين ابن هشام (في شرح بانت سعاد) قال في شرح البيت : لو محتملة لوجهين : أحدهما التمتى مثلها في : ﴿ فلو أن لنا كزّة ﴾^(٢) . والثاني الشرط ، ويرجّح الأوّل سلامته من دعوى حذف ، إذ لا يحتاج حينئذٍ لتقدير جواب . ويرجّح الثاني أنّ الغالب على لو كونها شرطية . ثم الجواب المقدّر محتمل لأن يكون مدلولاً عليه بالمعنى ، أى لو صدقت لتّمّت خيالها ، فتكون مثلها في قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ المجرّمون ناكسوا رؤسهم ﴾^(٣) أى لرأيت أمراً عظيماً . ولأنّ يكون مدلولاً عليه باللفظ ، أى لكانت كريمة ، فتكون مثلها في قوله تعالى : ﴿ ولو أن قرآناً سوّرت به الجبال ﴾^(٤) الآية أى لكفروا به ، بدليل : ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾^(٥) . والنحويون يقدّرون لكان هذا القرآن ، فيكون كالأية قبلها . والذي ذكرته أولى ، لأنّ الاستدلال باللفظ أظهر . ويرجّح التقدير الثاني في البيت بأنّه استدلال باللفظ ، وبأنّ فيه ربطاً للو بما قبلها ، لأنّ دليل الجواب جواب في المعنى ، حتّى ادّعى الكوفيون أنّه جواب في الصناعة أيضاً ، وأنّه لا تقدير . وقد يقال إنّّه يعده أمران :

أحدهما : أنّ فيه استدلالاً بالإنشاء على الخبر .

(١) ط : « أكرمت » ، صوابه في ش .

(٢) الآية ١٠٣ من سورة الشعراء .

(٣) الآية ١٢ من سورة السجدة .

(٤) الآية ٣١ من سورة الرعد .

(٥) الآية ٣٠ من سورة الرعد .

والثاني : أنَّ الكرم وإن كان المراد به الشرف ، مثله في ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَىٰ كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴾^(١) ، فلا يحسن بحال المحب تعليق كرم محبوبه على شرط ، ولا سيما شرط معلوم الانتفاء ، وهو شرط لو . وإن كان المراد به مقابل البخل لم يكن أكرم بها^(٢) « مناسباً لمقام التسيب ، بل لمقام الاستعطاء .

وقد يجاب عن الأول بأمرين :

أحدهما : منع كون التعجب إنشاءً ، وإنمّا هو خبر . وإثما امتنع وصل الموصول بما أفعله لإيهامه ، وبأفعل به كذلك مع أنّه على صيغة الإنشاء ، لا لأنّهما إنشاء .

الثاني : أنَّ المراد من الدليل كونه ملوّحاً بالمعنى المراد ، وإن لم يصلح لأن يسدّ مسدّ المحذوف .

وعن الثاني^(٣) أن المراد به ضدّ البخل ، وهو أعمّ من الكرم بالمال والوصال . انتهى .

وهذا البيت من قصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير بن أبي سلمى في مدح النبي ﷺ . وقبله من أول القصيدة إليه أبيات خمسة ، وبعده :

(لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دَمِهَا فَجَعٌ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ
فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثَوَابِهَا الْغُولُ
وَلَا تَمْسُكُ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ إِلَّا كَمَا يُمَسِّكُ الْمَاءُ الْغَرَابِيلُ
فَلَا يَغَرُّنَكَ مَا مَنَّوْا وَمَا وَعَدُوا إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَحْلَامَ تَضْلِيلُ

صاحب الشاهد

(١) الآية ٢٩ من سورة النمل .

(٢) في النسختين : « الكرم بها » صوابه من شرح ابن هشام ٢٧ .

(٣) أى الثاني من قوله « يبعده أمران » .

كانت مواعيدُ عُرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلاّ الأباطيلُ
أرجو وأمل أن تدنو مودَّتُها وما إخالَ لدينا مِنْكَ تنوِيلُ)

وقوله : (أكرمُ بها حُلَّة) إنخ ضمير بها راجعٌ إلى سعاد في أوّل القصيدة .
وصفّها في هذه الأبيات بالصدّد وإخلاف الوعد ، والتلوّن في الودّ ، وضرب لها
عُرقوباً مثلاً ، ثم لام نفسه على التعلّق بمواعيدها . و (أكرمُ بها) : صيغة تعجّب ،
بمعنى ما أكرمها ، وحُلّة تمييز . والحُلّة بالضم في الأصل : مصدرٌ بمعنى
الصدّاقة ، يطلق على الوصف ، وهو الخليل والخليلة ، يستوى فيه المذكور
والمؤنث . ومن إطلاقه على المذكور قولُ الشاعر ^(١) :

ألا أبلغا نُحلتى جابراً بأنّ خليلك لم يُقتل

وصدق يكون لازماً ومتعدّياً ، يقال : صدّق في حديثه وصدق الحديث ،
إذا لم يكذب . و (موعودها) فيه ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون اسم مفعول على
ظاهره ، ويكون المراد به الشخص الموعود ، وأراد به نفسها . والثاني : أن يكون
كذلك ، ويكون المراد به الشيء الموعود به ، وأراد به وصالها . والثالث : أن يكون
مصدراً كالمعسور والميسور ، أى الوعد والعسر واليسر . فإن قدرته اسماً للشخص
فانتصابه على المفعولية ، وإن قدرته اسماً للموعود به احتمل أن يكون مفعولاً به على
المجاز ، وأن يكون على إسقاط في ، والمفعول محذوف أى صدقتنى في موعودها .
وإن قدرته مصدراً كان على التوسّع . و « أو » لأحد الشيئين . حاول إحدى هاتين
الصفيتين منها ، أو بمعنى الواو فيكون قد حاول حصولهما معاً . والنصح : مصدر
نصح ونصح له ، والاسم النصيحة . والمراد : لو أنّ النصح مقبولٌ عندها . وقال
ابن هشام : أل عَوْضٌ من المضاف إليه ، والأصل لو أنّ نُصَحِيهَا ، من إضافة
المصدر إلى المفعول .

(١) هو أوفى بن مطر المازنى ، كما في اللسان (خطأ ٥٩ خلل ٢٣١) .

وقوله : « لَكِنَّهَا خُلَّةٌ » إلخ لكنّ هنا لتأكيد مفهوم ما قبلها ، كقولك :
لو كان عالماً لأكرمته لكنّه ليس بعالم . وجملة « قد سيطَ » صفةُ خُلَّة . وسيطَ :
مجهول ساطه يسوطه سوطا ، إذا خلطه بغيره . ومنه السَّوطُ للآلة التي يضرب
بها ، لأنها تسوط اللحم بالدم . وفجعَ : نائب الفاعل ، ومن بمعنى في متعلّق
بسيطَ . والفجع : مصدر فجعه ، إذا فاجأه بما يكره . والولع : الكذب ، مصدر
ولع من باب ضرب . والإخلاف : مصدر أخلف يُخلف فهو مُخلف ، وهو أن
يقول شيئا ولا يفعله في المستقبل . فالكذب يكون في الماضي ، والإخلاف في
المستقبل . والاسم منه الخُلف بالضم . والتبديل : التغيير ، يقال بَدَّلَ الشَّيْءَ
تبديلاً أى غيَّره وإن لم يأت له ببدل . وأبدله بغيره واستبدل به ، إذا أخذَهُ مكانه .
والمعنى أنها لو كان لها صاحبٌ فجعته بصدّها ، ولو وعدت بالوصل كذبت في
قولها وأخلفت وعدّها ، تستبدل بالأخلاء ، ولا تراعى حقّ الوفاء . وهذا الكلامُ
وأمثاله من أقاويل العشاق على سبيل الشكوى مِنْ صَدِّ الاحباب ، ويُعِدِّهم بعد
الدنو والاقتراب ، ومُرَّ هِجْرَانِهِمْ عَقَبَ حُلُوِّ الوصال ، ويُخلِّهم على مساكن
العشق بطيف الخيال . ليس بذي صِرْف ، إنما يُوردونه لأحد غرضين : إمّا لإظهار
التلذُّذ بالصبر على ما يفعله المعشوق والرضا بأفعاله ، كما قال ابن أبي الحديد :

متغيّر متلون متعنّت متعتّب متمنّع متدلّل

ذكر عِدّة خصالٍ من جناية الحبيب وتجنّيه ، وتلوّنه وتأيّيه . ثم قال بعد
ذلك :

أستعذِبُ التعذيبَ فيه كأنما جَرَعُ الحميمِ هي البرودُ السَّلْسُلُ

وإمّا لتنفير مَنْ يسمع بحسن معشوقهم عن عشقه ، بذكر بُخْله
بوصاله ، وتعنّته ودلاله ، فيصفو مَوْرَدُ العشق من كدر الغيرة والمزاجم ، ويخلو
العاشق بما يجلو بصره من المشاهدة .

وقد عَرَّضَ بهذا الغرض ابنُ سناءِ المُلْك في قوله :

أشكو إليها رِقَّتِي لترقُّ لي فتقول تطمع بي وأنت كما تَرَى
وإذا بكيتُ دماً تقول شِمْتُ بي يومَ النوى فصبغتِ دمعك أحمرًا
مَنْ شاءَ يمنحها الغرامَ فدونه هذى خلائقُها بتخيير الشُّرَا

وقد صرَّح به ابن أبي الحديد في قوله :

فياربَّ بغُضِّها إلى كلِّ عاشق سواي وقُبِّحها إلى كلِّ ناظرٍ

وقد بالغ ابن الخياط في تصريحه بغيره العشاق فأحسن ، حيث قال :

أغارُ إذا آنستُ في الحىَّ أنةً جذارًا وخوفًا أن يكون لحبه

وربَّما عيب على كعبٍ هذا الكلامُ لأنه يشعر بأنَّ معشوقته تُعَدُّ وتُخلف وتُبَدِّل . ويجاب بأنَّ مراده المبالغة في فرط دلالها ، وتُبْخِلُها بوصالها ، بحيث لو صاحبت إنسانا لاستبدلت به وفجعتَه ، ولو وعدت بالوصل لكذبت في وعدها ومطلَّته . على أنَّها لا تصاحب مصادقا ، ولا تعد بوصالها عاشقا . وهو قريبٌ من قول الآخر :

* ولا تَرى الضَّبَّ بها ينجَحِرُ (١) *

أى لا ضَبَّ بها فينجَحِر .

وكلام كعبٍ هذا مناسبٌ لما تسمَّيه علماء البديع تأكيدا المدح بما يشبه الذم . وإنما أطنبت الكلام فيه لأنَّ ابن هشام لم يزد على حلِّ ألفاظه .

(١) البيت لعمر بن أحمَر . ديوانه ٦٧ . وصدره :

* لا تفرع الأرنَب أهوالها *

وقوله : « فما تدوم على حالٍ » إلخ الفاء سببيّة أى بسبب ما جُبلت عليه من تلك الأحلاق ، لا تدوم على حال . وما نافية وتدوم فعل تامٌ لا ناقص . وقوله : « كما تَلَوْنُ » الكاف نعت لمصدرٍ محذوف ، وما مصدرية ، أى تتلون سعاد تلوّناً كتلوّن الغول ، لأنّ الذى لا يدوم على حالة متلوّن . وتَلَوْنُ أصله تتلوّن بتاءين . والغُول : جنسٌ من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أنّها تتراعى للنّاس فى الفلاة ، فتتغوّل تغوّلاً ، أى تتلوّن تلوّناً فى صورٍ شتى ، وتُغوّلهم [أى ^(١)] تُضِلّهم عن الطريق . وقد أبطل النّبى ﷺ زعمهم بقوله : « لا غول ^(٢) » ، أى لا تستطيع أن تُضِلَّ أحداً .

وقوله : « ولا تَمَسِّكُ بالعهد » إلخ معطوف على « فما تدوم » . وتمسّك أصله تَمَسَّكُ بتاءين . ويجوز « تَمَسَّكُ » بضم التاء . والعهد هنا : الموثّق أو اليمين أو الذمّة . والزّعم : القول على غير صحّة ، ويحتمل أن يكون زعمتُ هنا بمعنى كَفَلْتُ . والمعنى أنّها لا يُوثّق بوَدّها ، ولا يُركَن إلى عهدّها ، لأنّ إمساكها للعهد كإمساك الغرابيل للماء . فكما أنّ المشبّه به محال كذلك المشبّه ، وهذا تشبيه معقولٍ بمحسوس . وما أحسن قول ابن ثُبّانة المصرى :

لم تَمَسِّكِ الهُدْبُ دَمْعِي حِينَ أَذْكَرْكُمْ إِلَّا كَمَا يُمَسِّكُ الْمَاءُ الْغَرَابِيلُ ^(٣)

وقوله : « فلا يُغَرِّنُكَ ما مَنَّتْ » إلخ الفاء لِمَحْضِ السَّبَبِيَّةِ كالواقعة فى جواب الشرط ، كقولك : زيد كاذبٌ فلا تغترّ بقوله . وما موصولة أو موصوفة أو مصدرية . وَمَنَّتْ ^(٤) أصله مَنَيْتُ عَلَى فَعَلْتُ ، فقلبت الياء المتحركة ألفاً

(١) هذه من ش .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه عن أبى هريرة . وقال السيوطى : « صحيح » . الجامع الصغير ٩٩١٣ .

(٣) الهدب ، بالضم : جمع هدبة ، وهى الشعرة النابتة على شفر العين .

(٤) هذا على رواية : « ما مَنَّتْ وما وعدت » ، وهى رواية ابن هشام فى شرحه . أما ما سبق فى رواية

البغدادى فهو « ما متوا وما وعدوا » .

لِإِنْفِتَاحِ مَا قَبْلَهَا ، وَحُذِفَتْ لِلْسَاكِنِينَ . يُقَالُ تَمَنَّيْتُ الشَّيْءَ تَمَنُّيًّا ، أَيْ اشْتَهَيْتَهُ وَطَلَبْتَهُ . وَمَتَّيْتُ غَيْرِي تَمَنِّيَّةً ، إِذَا أَطْمَعْتَهُ بِشَيْءٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَهُوَ مُتَعَدِّ لِمَفْعُولَيْنِ مُحْذَوَيْنِ ، وَالتَّقْدِيرُ إِذَا جُعِلَتْ مَا اسْمًا : مَتَّكَه ، أَوْ مَتَّكَ إِيَّاهُ . وَإِذَا جُعِلَتْ حَرْفًا : مَا مَتَّكَ الْوَصْلَ (١) ، أَيْ فَلَا يَغَرَّكَ تَمَنِّيُّهَا إِيَّاكَ الْوَصْلُ . وَكَذَا وَعَدْتُ يَتَعَدَّى لِاثْنَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ (٢) ﴾ ، وَالتَّقْدِيرُ : مَا وَعَدْتَكِهِ أَوْ مَا وَعَدْتُكَ إِيَّاهُ ، أَوْ مَا وَعَدْتُكَ الْوَصْلَ . وَالْوَعْدُ عَنَا لِلْخَيْرِ ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَهُ . وَقَوْلُهُ : « إِنَّ الْأَمَانِيَّ تَضْلِيلٌ » مُسْتَأْنَفٌ ، وَالْأَمَانِيَّ : جَمْعُ أُمْنِيَّةٍ ، وَهِيَ مَا يَتَمَنَّاها الْإِنْسَانُ ، أَيْ يَطْلُبُهُ وَيَشْتَهِيهِ . وَالْأَحْلَامُ : جَمْعُ حُلْمٍ بَضْمَتَيْنِ ، وَهُوَ مَا يَرَاهُ النَّائِمُ . وَتَضْلِيلٌ : مُصَدَّرٌ ضَلَّلَ يَضِلُّ ، إِذَا أَوْقَعَ غَيْرَهُ فِي الضَّلَالِ .

وقوله : « كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ » إِنْخِ هَذِهِ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ . وَكَانَتْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ عَلَى بَابِهَا ، وَأَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى صَارَتْ . وَمَوَاعِيدُ : جَمْعُ مِيعَادٍ ، كَمَوَازِينِ جَمْعَ مِيزَانٍ ، وَعُرْقُوبٌ هُوَ ابْنُ مَعْبَدٍ ، وَيُقَالُ ابْنُ مُعِيدٍ ، أَحَدُ بَنِي عَبْدِ شَمْسَ بْنِ ثَعْلَبَةَ . كَانَ مِنَ الْعَمَالِقَةِ ، وَقِيلَ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ . وَعَدَّ رَجُلًا ثَمَرَةً نَخْلَةٍ لَهُ فَجَاءَهُ الرَّجُلُ حِينَ أَطْلَعَتْ ، فَقَالَ لَهُ : دَعَهَا حَتَّى تَصِيرَ بِلْحًا ، فَلَمَّا أَبْلَحَتْ جَاءَهُ الرَّجُلُ ، فَقَالَ : دَعَهَا حَتَّى تَصِيرَ رَطْبًا . فَلَمَّا أَرَطَبَتْ قَالَ : دَعَهَا حَتَّى تَصِيرَ تَمْرًا . فَلَمَّا أَثْمَرَتْ قَطَعَهَا لَيْلًا وَلَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا شَيْئًا . فَصَارَ مَثَلًا فِي خَلْفِ الْوَعْدِ . وَالْأَبَاطِيلُ : الْأَكَاذِيبُ ، جَمْعُ أَبْطُولَةٍ كَأَحَادِيثِ جَمْعِ أَحْدُوْثَةٍ . وَقَالَ الصَّاعَانِيُّ ، ٥٣٠ تَبَعًا لِلْجَوْهَرِيِّ : الْبَاطِلُ : ضِدُّ الْحَقِّ ، وَجَمْعُهُ أَبَاطِيلٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ . وَهَذَا الْبَيْتُ تَأْكِيدٌ لِلْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ .

(١) ش : « وَإِذَا جُعِلَتْ حَرْفًا مَتَّكَ الْوَصْلَ » ، صَوَابُهُ فِي ط وَشَرْحُ بَازِئِ سَعَادٍ ٣٧ .

(٢) الْآيَةُ ٢٠ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ .

وقوله : « أرجو وآمل » البيت ، تقدّم شرحه مفصّلاً مع ترجمة كعب في الشاهد الرابع عشر بعد السبعمئة (١) .

ولم يقع في الشرح من هذه القصيدة غير هذين البيتين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والثلاثون بعد التسعمئة (٢) :

٩٣١ (تَمُدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَلْوِيهَا وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَّنَا نُشْكِيهَا)

على أنّ مجيء المضارع خبر أنّ الواقعة بعد لو قليل ، والكثير الماضى .

وجواب لو محذوف دلّ عليه تشتكى . وبعبده :

(مَسَّ حَوَايَا قَلَمًا تُجْفِيهَا)

وهذا الرجز أورده أبو زيد فى نوادره ، والأصمعى (فى كتاب

الأضداد (٣)) ، وقال : تقول أشكيت الرجل ، إذا أتيت إليه ما يشكو منه . وأشكيتُهُ : نزعتُ عنه شكايته .

وكذا قال ابن السكيت (فى أضداده) ، وأنشد هذا الرجز .

وأورده ابن جنى أيضا (فى سر الصناعة ، وفى الخصائص) ، قال : قد

(١) الخزنة ٩ : ١٤٣ - ١٥٥ . وكتب الشنقيطى بقلمه تعليقا : « ولم يقع فى الشرح من هذه القصيدة غير هذين البيتين .

(٢) الأضداد للأصمعى ٥٧ وللجستانى ١٠٦ ولابن السكيت ٢٠٨ والخصائص ٣ : ٧٧ وسر الصناعة ١ : ٤٣ والخصص ١٢ : ١٣/١٩٨ : ٣٦٣ واللسان (شكا ١٧٠) .

(٣) لم أجد الرجز فى نوادر أبى زيد بمختلف طبعتها . ولعل الذى حمل البغدادى على هذا أنه وجد ابن جنى فى الخصائص وسر الصناعة يعزو الإنشاد إلى أبى زيد . ولا يلزم من هذا أن يكون فى نوادره .

تَأْتِي أَفْعَلْتُ لِلسَّلْبِ وَالنَفْيِ ، نَحْوُ : أَشْكَيْتُ زَيْدًا إِذَا زُلْتُ لَهُ ^(١) عَمَا يَشْكُوهُ .
وَأَنْشُدْ هَذَا الرِّجْزَ وَقَالَ : أَيْ لَوْ أَتْنَا نَزُولَ لَهَا عَمَا تَشْكُوهُ .

وَأُورِدَهُ ابْنُ السَّكَيْتِ (فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ أَيْضًا) ، قَالَ شَارِحُ أَيْيَاتِهِ ابْنُ السَّيْرَانِيِّ : وَصَفَ إِبِلًا قَدْ أَتْعَبَهَا ، فَهِيَ تَمُدُّ أَعْنَاقَهَا . وَالْإِبِلُ إِذَا أُعِيتَ ذَلَّتْ وَمَدَّتْ أَعْنَاقَهَا أَوْ لَوَتْهَا . وَقَوْلُهُ : تَشْتَكِي ، يَقُولُ : قَدْ ظَهَرَ بِهِذِهِ الْإِبِلُ مِنَ الْجَهْدِ وَالْكَلالِ وَالضُّمُورِ مَا لَوْ كَانَتْ نَاطِقَةً لَشَكَّتَهُ وَذَكَرَتْهُ . فَظُهُورُ مِثْلِ ذَلِكَ بِهَا يَقُومُ مَقَامَ شَكْوَى اللِّسَانِ . انْتَهَى .

وَالْحَوَايَا : جَمْعُ حَوِيَّةٍ ، وَهِيَ كِسَاءٌ مَحْشُوٌّ حَوْلَ سَنَامِ الْبَعِيرِ ، وَهُوَ السَّوِيَّةُ .
وَالْحَوِيَّةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلْجَمَالِ ، وَالسَّوِيَّةُ قَدْ تَكُونُ لغيرِهَا .

وَأَنْشُدَهُ صَاحِبُ الصَّحَاحِ أَيْضًا (فِي مَادَّةِ جَفَا) قَالَ : جَفَا السَّرَجُ عَنْ ظَهْرِ الْفَرَسِ وَأَجْفَيْتُهُ أَنَا ، إِذَا رَفَعْتَهُ عَنْهُ . وَأَنْشُدَهُ وَقَالَ : أَيْ قَلَمًا نَرَفَعُ الْحَوِيَّةَ عَنْ ظَهْرِهَا . وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ ابْنُ بَرِّيٍّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى الصَّحَاحِ ، وَلَا الصَّفْدَى فِي حَاشِيَتِهِ عَلَيْهِ . وَلَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِ الرَّاجِزِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ .

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّانِي والثَّلَاثُونَ بَعْدَ التَّسْعِمَائَةِ ^(٢) :

٩٣٢ (وَاللَّهُ لَوْلَا شَيْخُنَا عَبَّادُ لَكَمْزُونَا الْيَوْمَ أَوْ لَكَادُوا)
عَلَى أَنَّ اللَّامَ فِي (لَكَمْزُونَا) فِي جَوَابِ الْقِسْمِ لَا فِي جَوَابِ لَوْلَا ، عَمَلًا
بِالْقَاعِدَةِ ، وَهِيَ أَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ شَرْطٌ وَقَسِمَ فَالْجَوَابُ بَعْدَهُمَا لِلْسَّابِقِ مِنْهُمَا ، سِوَاءِ

(١) وَكَذَا فِي الْخَصَائِصِ وَسِرِّ الصَّنَاعَةِ .

(٢) إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ ٢٣٨ .

(٣) أَدَبُ الْكَاتِبِ ٣٧٩ وَالْجَوَالِقِيُّ ٣٣٣ وَالْاِقْتِضَابُ ٤١٥ .

كان أداة الشرط إن ، أم لو ، أم لولا^(١) ، وفقاً لابن جنى وابن عصفور^(٢) . قال :
ولزم كونه ماضياً لأنه مغن عن جواب لولا ، وجوابها لا يكون إلا ماضياً .

وفيه ردُّ على ابن مالك في زعمه (في التسهيل) أنَّ أداة الشرط إن كانت لو
أو لولا فالجواب يتعيَّن أن يكون لهما ، سواء تقدَّم القسم عليهما أو تأخَّر عنهما ،
كقوله :

فأقسِمُ لو أبدى التَّدي سَوَادَه لَمَّا مسحت تلك المُسالاتِ عامراً^(٣)
وقول الآخر^(٤) :

* واللَّه لولا الله ما اهتدينا *

ويردُّ البيهقي الأول على الشارح في قوله : « وكذا تقول : والله لو جئتنى
ما جئتك ، ولا تقول : لَمَّا جئتك . ولو كان الجواب للو لجاز ذلك^(٥) » . ويجاب
عنه بأن دخول اللام على ما النافية .

وما اختاره الشارح المحقق هو قول ابن عصفور (في شرح الإيضاح)
قال : وقد يدخلون أنَّ على لو لجعل الفعل الواقع بعدها جواباً للقسم ، كما
يدخلون اللام على إن الشرطيَّة ، فيقال أقسِمُ أنَّ لو قام زيد قام عمرو . ومنه قوله :
فأقسِمُ أنَّ لو التقينا وأنتمُ لكان لكم يومٌ من الشرِّ مظلمٌ
انتهى كلامه .

٥٣١

(١) ش مع أثر تغيير : « أو لو ، أولولا » .

(٢) ش : « لابن عصفور وابن جنى » .

(٣) العينى ٤ : ٤٥٠ والأشموقي ٤ : ٢٨ واللسان (سيل ٣٧٣) .

(٤) هو عامر بن الأكوع ، أو عبد الله بن رواحة ، أو كعب بن مالك . وانظر معجم الشواهد .

(٥) للمسيب بن علس . وقد سبق الكلام عليه في الشاهد ٨١٦ من الجزء العاشر ص ٨٠ .

وزهب (في شرح الجمل) إلى خلاف هذا ، فجعل الشرط وجوابه جواب القسم ؛ فإنه لما أنهى ^(١) الكلام على روابط الجملة الواقعة جواب قسم قال : إلا أن يكون جواب القسم لو وجوابها ، فإنَّ الحرف الذى يربط المقسم به بالمقسم عليه إذ ذاك إنما هو أن نحو : والله أن لو قام زيد لقام عمرو . ولا يجوز الإتيان باللام كراهة الجمع بين لام القسم ولام لو . قال ناظر الجيش (في شرح التسهيل) : وقول ابن مالك بعيد ، لأنه يبعد أن يكون للقسم جواب مقدّر في نحو : والله لو قام زيد لقام عمرو ، والله لولا زيد لقام عمرو ، بل ربما يستحيل ذلك ، لأنَّ المقسم عليه إنما هو قيام عمرو المعلق على قيام زيد ، أو على وجوده . وإذا كان المقسم عليه كذلك فكيف يتجه تقدير جواب غير الشرط المذكور ؛ إذ لو قدّر جواب غير ذلك لكان شيئاً غير معلق على غيره ، والفرض أنَّ المقسم عليه إنما هو أمر معلق على شيء لا أمر مستقل بنفسه . وإذا كان الأمر كذلك اتّجه كلام ابن عصفور (في شرح الجمل) ، واضمحَلَّ كلامه (في شرح الإيضاح) .

فإن قيل : هذا بعينه موجود في الشرط غير الامتناعى ، لأنَّ المقسم عليه أيضاً في نحو : والله إن قام زيد ليقومنَّ عمرو ، إنما هو قيام عمرو المعلق على قيام زيد ، ومع هذا فقد أتى المقسم بجواب يخصّه ، فلم لا يقال إنَّ الشرط يكون جواباً للقسم ؟

فالجواب أنَّ جواب الشرط الامتناعى ممتنع الوقوع ، إمّا إذا كان حرف الشرط لو ، فلائته علّق على حصول أمر قد ثبت أن وجوده ممتنع . وأمّا إذا كان لولا ، فلائنا الامتناع معها علّق على وجود شيء مقطوع بأنّه موجود . وإذا كان

(١) هذا ما في ش . وفي ط : « انتهى » .

جواب الامتناعى ممتنع الوقوع امتنع تقدير جواب القسم ، إذ يلزم من تقديره أن يكون المقدّر ممتنع الوقوع ، ليتطابق جواب الشرط والقسم ، لأنّ جملة القسم إنّما هى مؤكّدة لجملة الشرط ، فيتعيّن اتفاق المدلولين . ولا شكّ أن جواب القسم إذا قدّرناه ليس ثمّ ما يدلّ على أنّه ممتنع ، فيلزم من تقديره حينئذ تخالف الجوابين ، من حيث إنّ أحدهما مقطوعٌ بامتناعه ، والآخر ليس كذلك . وأمّا جواب الشرط غير الامتناعى فليس ممتنع الوقوع ، وإذا لم يكن ممتنع الوقوع فجواب القسم مُساوٍ له فى احتمال الوقوع وعدمه ، فلذلك جاز أن يقدر مدلولاً عليه بجواب الشرط ، لأنّ المتساويين يجوز دلالة كلّ منهما على الآخر . انتهى كلامه .

والبيتان من رجزٍ أوردهما صاحبُ الصحاح (فى مادة كمر) قال :
الكَمر : جمع كَمرة . والمكمور : الرجل الذى اصاب الخاتنُ طرفَ كَمَرَتِهِ .
والكِمَرى : العظيم الكَمرة . وكامرته فكَمَرَتَهُ أَكْمُرُهُ ، إذا غلبته بِعَظَمِ الكَمرة .
وأنشدَهُما .

ولم يتكلّم ابن بَرّيّ ولا الصّفديّ (فى حاشيتيهما) عليه هنا بشيء .
وأوردهما ابنُ قتيبة فى باب ما أُبدل ^(١) من القوافى (من أدب الكاتب) كذا :
والله لولا شيخنا عبّادُ لكمرونا عندها أو كادُوا
فرشَطَ لما كره الفرشاطُ بفَيْشَةٍ كأنّها ملطاطُ

٥٣٢

قال ابن السّيد (فى شرح أبياته) : معنى كمرونا غلبونا بِعَظَمِ كَمَرِهِمْ . والكَمر : جمع كَمرة ، وهى رأسُ الذكر . والفرشطة والفرشاط : فتح الفخذين . والملطاط : شفير الوادى والنهر . وقال ابن دريد : الملطاط أشدُّ انخفاضاً من الوادى وأوسع منه . وقال غيره : الملطاط عَظْمُ ناقةٍ من رأس

(١) ط : « أبدله » ، صوابه فى ش وأدب الكاتب ٣٧٨ .

البعير . وصَفَ قوماً تفاخروا بعِظَم كمرهم ، فكاد المفاخرون لهم يغلبونهم ، حتَّى أخرج شيخهم عَبَادَ كمرته فغلبهم . انتهى كلامه .

وزاد الجواليقي في شرحه بيتين بعد البيتين الأولين ، وهما :

يحملُ حَوْقاء لها أحيادُ لها رثاتٌ ولها أكبادُ

وقال في شرحه : كمرونا : غلبونا بعظم الكمرة ، والكمرة : رأس الذكر من الإنسان خاصةً ، وزعم قوم أنه لكل ذكرٍ من الحيوان ^(١) . وحَوْقاء : عظيمة الحُوق . والحُوق بضم المهملة حرف الكمرة ، وهو إطارها . والأحياد : جمع حَيْد ، بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية ، وهو الحرف الثاني من الشيء ، نحو حُيود القرن . وحَيْدُ الجبل : نادرٌ يندُر منه . ولها رثاتٌ : جمع رِثة . وأكباد : جمع كَبِد . وليس ثَمَّ رِثةٌ ولا كَبِد ، وإنما أراد عَظَمَها . وقوله : « فرشط » الفرشطة : أن يُلصق الرجل أليته بالأرض ويتوسَّط ساقيه . والملطاط ، قال ابن دريد : ملطاط الرأس : جُمَلته . والفيشة بفتح الفاء : الذكر . وعَبَادُ هذا رجلٌ من إيادٍ له حديث . وذلك أنَّ حَيَّينَ كانا قد جَعَلَا بينهما خطراً في المُكامة ، فعَلَبَ الحَيُّ الذي فيه عَبَاد . انتهى .

وكابن قتيبة أورده عبد اللطيف البغدادى (في شرح نقد الشعر لقدامة) ، قال قدامة : ومن عيوبه الإكفاء ، وهو اختلافُ حروف الروى ، فيكون دالاً وذالاً وسيناً وشيناً ، ونحو ذلك من الحروف المتقاربة .

قال عبد اللطيف البغدادى : اختلاف حروف الروى في قصيدة هو الإكفاء ، من قولك : كَفأتُ الإناءَ ، إذا قَلَبْتَهُ . ويقال أيضاً أكفأتُ الشيء ، إذا أَمَلْتَهُ . فلمَّا اختلف حرف الروى عن وجهه الذى يجب له قيل لذلك : إكفاء .

(١) في شرح الجواليقي : « أنه يقال لكل ذكر من الحيوان » .

وأكثر ما يكون هذا في الحروف المتقاربة . وهذا في النثر المسجوع ليس بعيب ،
وأما في النظم فأكثر ما يرتكبه الأعراب دون الفحول والمشاهير ، ولهذا لا أُجيزه
لشعراء زماننا كما أُجيز لهم العيوب الباقية ، اللهم إلا في الأرجاز الحريّة التي تُقال
بديهاً ، فإنها تحتمل ما لا يحتمل الشعر الكائن عن رويّة وتمهل .

فإن قيل : فهل العربُ تعرف حروف المعجم حتّى تُلزم بها ؟ قيل : إنّها
وإن لم تعرفها بأسمائها فإنّها تعرفها بأجرامها ، وتُميّز بينها بأصداؤها . ولهذا يلتزم
الشاعر منهم حرف الروي فلا يخالفه إلا في الأقل ، وإلى ما يقرب منه . ولهذا قال
قاتلهم (١) :

لو قد حَداهنّ أبو الجوديّ برجزٍ مُسَحَفِرِ الرويّ
* مستوياتٍ كُنُوى البريّ *
*

ولا يبعد أن يشعر الواحد منهم بمخارج الحروف ومدارجها ، بل هو
الغالب من حالهم ، لكن لا يُتقنون تمييزه . وقد أنشدوا :

* وقافية بين الثنية والضرّس *

زعم المفسّرون أنّه أراد الشين أخت الضاد . والحكاية المشهورة عن رجل
منهم ، أنّه قامر على أن يشرب غلبة لبن ولا يتنحنج ، فلما كدّه الأمر قال : كبشٌ
أملح : قيل له : ما هذا ؟ تنحنجت ! قال : « من تنحنج فلا أفلح » . مع أنّه قد
ورد عن بعضهم تسمية بعض الحروف ، قال :

* كما كُتبت كافٌ تلوح وميمها (٢) *

(١) هو الراجز أبو الجودي ، كما سبق في ٧ : ٤٢ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) نسب في اللسان (كوف) إلى الراعي ، وليس في ديوانه . وانظر معجم الشواهد . وصدره :

* أهاجتك أطلالٌ نَعَفَتْ رسومها *

وقال الآخر (١) :

* قلت لها قفى فقالت قاف *

فإن قيل : فلم أجزت الإكفاء للعرب وحظرت على أهل زماننا ؟ فنقول : العرب مطبوعون غير متعلمين ، وجفاة لا يعرفون الكتاب (٢) ، بل يقولون بالسليقة . وأما المحدثون فأهل كتابة وتعلم وتعمل ، وإن كان العرب أيضا غير خالين من تعلم وتعمل وكتابة . ولهذا قلما يقع الإكفاء وغيره من العيوب إلا من الأعراب الأقحاح ، البعداء عن التعليم والتخريج . ولهذا قال بعض العلماء : اختلاف حروف الروى هو الإكفاء ، وهو غلط من العرب ولا يجوز لغيرهم ، لأن الغلط لا يجعل أصلاً في العربية يقاس عليه ، وإنما يغلطون فيه إذا تقاربت الحروف . وأنشد :

إن يأتني لصٌ فإني لصٌ أطلسُ مثل الذئبِ إذ يُعسُ

* سوقى حُدائى وصغيرى النَّسُ (٣) *

وأنشد الأخفش :

إذا نزلتُ فاجعلانى وَسَطاً إني كبيرٌ لا أَطِيقُ العَنَدَا (٤) *

(١) هو الوليد بن عقبة ، كما في مخرج شواهد الشافعية ٢٧١ .

(٢) الكتاب : الكتابة . وفي ش : « الكتابة » .

(٣) ط : « قوسى حُدائى » ، وأثبت ما في ش مع أثر تصحيح مطابق لما في الموشح ٢٠ و اللسان

(نس) . وفي اللسان والموشح أيضا : « حُدائى » . وفي ط : « وصغيرى » ، صوابه في ش والموشح واللسان .

(٤) العند : جمع جمع للعنود ، وهى الناقة لا تخالط الإبل ، تَبَاعَدُ عنها فترعى ناحية . وضبطه

الجواليقى « العندا » بالتحريك ، وقال في تفسيره : العند : الجانب والناحية . وكان هذا الشاعر قد كبر ، والرجل إذا كبر عاد كالعصى ، والصبيان يخافون بالليل . يقول : اجعلانى وسطكما فإني لا أطيق أن أكون في الجانب . ثم قال : ويروى : « العَنَدَا » ، وهو جمع عائد أو عنود . ونحوه في الاقتضاب . وفي ط :

« العند » ، صوابه في ش واللسان (عند) والاقتضاب ٤١٥ .

وأنشد غيره :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ الْقَطَا الْمَنْقُضِ بِاللَّيْلِ أَصْوَاتُ الْحَصَا الْمَنْقُزِ (١)

وقال :

وَاللَّهِ لَوْلَا شَيْخُنَا عَبَّادُ لَكَمَرْنَا عِنْدَهَا أَوْ كَادُوا
فَرَشَطُ لَمَّا كُرِهَ الْفَرَشَاطُ بِفَيْشَةٍ كَأَنَّهَا مِلْطَاطُ

والمِلطاط : رحي البُرُر . وأنشد ابن الأعرابي :

أَزْهَرُ لَمْ يُولَدْ بِنَجْمِ الشُّحِّ مِمْمَ الْبَيْتِ كَرِيمُ السِّنْخِ (٢)

وما كان من هذا التغير في موضع التصريع فقد يمكن أن لا يكون عيبا ،
وأن يكون الشاعر لم يقصد التصريع ، لكن أتى بما يشبه التصريع ، فتوهم عليه
العيب . فأما ما أنشده ابن قتيبة من قول الشاعر :

حَشَوْرَةُ الْجَنِينِ مَعْطَاءُ الْقَفَا لَا تَدْعُ الدَّمْنَ إِذَا الدَّمْنُ طَفَا (٣)

* إِلَّا بَجَرَجٍ مِثْلَ أَثْبَاجِ الْقَطَا (٤) *

(١) أدب الكاتب ٣٧٩ والجواليقي ٣٣٣ والاقطصاب ٤١٤ .

(٢) لرؤبة في ملحقات ديوانه ١٧١ و سر الصناعة ١ : ١٩٦ . وانظر أدب الكاتب ٣٨٠
والجواليقي ٣٣٧ والاقطصاب ٤١٦ وشرح شواهد الشافية ٤٢٠ ، ٤٢١ . والأزهر : الأبيض . لم يولد
بهذا النجم ، هو ما كان يعتقد العرب من أثر الكواكب في الإنسان حين يولد بمطلع واحد فيها .
والمِمْم : المقصود . والسِّنْخ : الأصل .

(٣) أدب الكاتب ٣٨١ والجواليقي ٣٣٨ والاقطصاب ٤١٦ . والحَشَوْرَةُ : العظيمة .
والمَعْطَاء ، بفتح الميم ، من المعط ، بالتحريك ، وهو قلة الشعر . والدمن ، بالكسر : البعر . طفا : علا فوق
الماء . يعني ناقة اشتد بها الظمأ فهي تشرب الماء مَهْمَا شابه من شوائب ولا تعافها . وفي الاقطصاب :
« لا تدع الدهن إذا الدهن » تحريف .

(٤) الأثباج : جمع ثبج ، بالتحريك ، وهو الصدر ، أو ما غلظ من الوسط . شبه جرعاتها في
عظمها بأثباج القطا .

فإنه ليس إكفاءً كما زعم ، لأن الروى الألف لا الفاء (١) .

ومن الإكفاء ما أنشدنا بعضهم :

بُنِيَ إِنَّ الْبِرَّ شَيْءٌ هَيْنُ المنطقُ اللَّيْنُ والطُّعْمُ (٢)

وأنشدنا أيضاً (٣) :

قَبَحَتْ مِنْ سَالِفَةٍ وَمِنْ صُدُغٍ كَانَتْهَا كُشْيَةُ ضَبٍّ فِي صُقْعٍ (٤)

الصُّقْعُ : شبه مخلاة .

وفي الحديث أَنَّ سَعْدًا قَالَ : رَأَيْتُ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ

يقول :

بَازِلُ عَامِينَ حَدِيثٌ سَنَى سَنَحَحَ اللَّيْلُ كَأَنِّي جَنَى (٥)

* لِمَثَلِ هَذَا وَلَدْتَنِي أُمِّي *

فأما قول أبي جهل (٦) :

مَا تَنْقُمُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مِنِّي بَازِلُ عَامِينَ حَدِيثٌ سَنَى

* لِمَثَلِ هَذَا وَلَدْتَنِي أُمِّي *

وقد رَوَيْنَا نحوه عن عليٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، ففيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يكون

إِكْفَاءً وما قبل الياء هو الروى . والثاني : أن يكون أراد أن يُطْلَقَ بِالْأَلْفِ فيقول مَنِيَا

(١) وكذا يرى الجوالقي وابن السيد .

(٢) الرجز منسوب إلى جدة سفيان ، في تهذيب اللغة ١٥ : ٣٧٠ . وانظر معجم الشواهد .

(٣) ش : « بعضهم » .

(٤) الرجز لرجز لجواس بن هُرَيم ، في الموشح ١٩ وشرح أدب الكاتب للجوالقي ٣٣٧ والاقتضاب

٤١٧ ، وبدون نسبة في الحيوان ٦ : ١٠٨ والعمدة ١ : ١١٠ وأدب الكاتب ٣٨١ .

(٥) ديوان علي بن أبي طالب ١٢٥ . وانظر معجم الشواهد .

(٦) انظر السيرة ٤٥٠ ومعجم الشواهد .

وسنيّاً فحذف . والثالث : أن تكون الياء حرف الروي ويكون مقيداً . وهذا هو الأوضح . انتهى .

وهذه جملة منقحة كافية في الإكفاء .

والأبيات التي أوردها من أدب الكاتب . أمّا قوله : « إذا نزلت » إلخ فقد قال ابن السّيد : العند بفتححتين : الجانب ، ورواه ابن دريد « العند » جمع عاند ، وهو المائل المنحرف . وزاد بعده :

* ولا أطيق البكرات الشردا *

وأما قوله : « كأن أصوات القطا » إلخ . فقد قال أيضا : قال أبو عليّ البغدادى : رويته عن ابن قتيبة « المنغص » بالغين المعجمة والصاد المهملة ، وهو من الغصص ، ومعناه المختنق . ورويته عن غير ابن قتيبة « المنقض » بالضاد المعجمة والقاف ، وهو الصّواب . شبه صوت انقضاى القطة إذا انقضت بأصوات الحصى إذا قرع بعضها بعضا . والمنقز : المتوائب ، يقال قرز ، وانقز ، إذا وثب .

وأما قوله : « أزهى لم يولد بنجم » إلخ فقد قال أيضا ^(١) الميمم : المقصود لكرمه . والسّنخ بالخاء المعجمة والجيم ^(٢) : الأصل . وقد روى السّنح بالخاء المهملة .

وأما قوله : « حشورة الجنين » إلخ فقد قال أيضا : الحشورة : العظيمة . والمعطاء : التي تساقط شعرها . والدّمّن بالكسر : الزّبل . والأثباج ، الأوساط . يصف ناقة قد اشتدّ عطشها ، فهي تشرب الماء بما يطفو عليه من الزّبل ولا تعافه ، وشبه جرعاتها في عظمها بأثباج القطا .

(١) الكلام بعده إلى « أيضا » التالية ساقط من ش .

(٢) وكذا في الاقتضاب ٤١٦ . ولم يرد في المعاجم المتداولة .

وأما قوله : « قُبِحَتْ من سالفَةٍ » إلخ فقد قال أيضا : هذا الرجز لجوَّاس بن هُرَيم . والسَّالفة : صفحة العنق . والكُشْيَة بالضم : شحمة بطن الضَّبِّ . والصُّقْع : الناحية من الأرض ، ويروى : « صقْع » بالغين معجمة . هجا امرأة وشبهه سالفَتها وصُدغها في اصفرارهما بكُشْيَة ضَبٍّ في صُقْع من الأرض . وأراد أن يقول : من سالفَتين وصُدغين ، فلم تمكنه التثنية ، فوضع الواحد موضع الاثنين اكتفاءً بفهم السامع . وقوله : « كَأَنَّهَا كُشْيَة » إنّما أفرد الضمير ولم يقل كأنَّهما لأنه أراد سالفَتَها وصُدغَها ، وهى أربع ، فحمله على المعنى . انتهى .

ونقلنا شرح هذه الأبيات تكميلاً للفائدة .

والبيت الشاهد لم أقف على قائله ، والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثلاثون بعد التسعمائة ^(١) :

٩٣٣ (لَيْنٌ مُنِيَتْ بنا عن غِبِّ معركةٍ لا تُلَفِنَا عن دِمَاءِ القومِ نَتَّقِلُ)
على أنه يجوز بقلّة في الشعر أن يكون الجواب للشرط مع تأخره عن
القسم ، فإنّ لامَ لَئِن موطّئة للقسم ، وقوله : لا تُلَفِنَا جواب الشرط دون القسم ،
بدليل الجزم .

وقد خلا عن ذكر هذه الضرورة كتابُ الضرائر لابن عصفور .

وأجاب ابن هشام (في المغنى) بأنّ اللام زائدة ، ولم يخصّه بالضرورة .
قال : وليست اللام موطّئة في قوله :

(١) ديوان الأعشى ٤٨ . وانظر العيني ٣ : ٢٨٣ / ٤ : ٤٣٧ والأشعري ٤ : ٢٩ .

لئن كانت الدنيا على كما أرى تباريح من ليلي فَلَلموتُ أَرَوْحُ (١)

وقوله :

٥٣٥

لئن كان ما حَدَّثْتُهُ اليومَ صادقاً أَصُمُّ في نهارِ القَيْظِ للشمسِ باديا (٢)

وقوله :

أَلِمِمَ بزَيْنَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قد أَفْدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لَئِنْ كَانَ الرِّحِيلُ غَدَا (٣)

بل هي في ذلك كله زائدة .

أَمَّا الْأَوَّلَانِ فَلَأَنَّ الشرط قد أُجِيبَ بالجملة المقرونة بالفاء في البيت الأول ، وبالفعل المجزوم في البيت الثاني ، فلو كانت اللام للتوطئة لم يُجَبَّ إِلَّا القسم . هذا هو الصحيح . وخالف في ذلك الفراء فزعم أَنَّ الشرط قد يُجَاب مع تقدُّم القسم عليه .

وَأَمَّا الثالثُ فَلَأَنَّ الجواب قد حُذِفَ مدلولاً عليه بما قبله ، فلو كان ثمَّ قسمٌ مقدَّر لزم الإجحاف بحذف جوابين . انتهى .

والجواب الجيد ما قاله الشارح من أَنَّ هذا ضرورة ، فَإِنَّ جوابه لا يتأتَّى في

قوله :

حلفت له إن تدلج الليل لا يزل البيت الآتي

(١) وكذا في المغني ٢٣٦ . والبيت لذى الرمة في ديوانه ٨٦ برواية : « تباريح من مى » ، وهي صاحبته . وفي الكامل ٤٢١ : « تباريح من ذكراك للموت أروح » .

(٢) لامرأة من عقيل ، كما سيأتى في ص ٣٣٦ ، ٣٤٠ .

(٣) لعمر بن أبي ربيعة في الأغاني ١ : ٤٥ : ٢ / ١٣٢ : ٦ / ١٩ وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢٠٨ وملحقات ديوانه ٤٨١ . وأنشده في المغني ٢٣٦ . أفد البين ، أى دنا الفراق وأزف .

وقد نقلوا عن الفراء جوازه في الكلام أيضاً . ورأيت كلامه مضطرباً في هذه المسألة ، فتارة أجاز بمرجوحية كما نقلوا ، وتارة جزم بأن ما ورد منه في الشعر ضرورة .

أما الأول فقد قاله في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ^(١) ﴾ من سورة البقرة ، وهذا نصه : صَيَّرُوا جَوَابَ الْجَزَاءِ بِمَا يُلْقَى بِهِ الْيَمِينَ ، إِمَّا بِلَامٍ ، وَإِمَّا بِلا ، وَإِمَّا بِإِنَّ وَإِمَّا بِمَا ، فتقول في ما : لئن أتيتني ما ذلك لك بضائع . وفي إن : لئن أتيتني إن ذلك لمشكور . وفي لا : ﴿ لئن أخرجوا لَا يُخْرِجُونَ معهم ^(٢) ﴾ . وفي اللام : ﴿ وَلئن نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَ الْأُذُنَ ^(٣) ﴾ . وإنمَّا صَيَّرُوا جواب الجزاء كجواب اليمين ، لأن اللام التي دخلت في : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ ، وفي : ﴿ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ ^(٤) ﴾ ، وفي : ﴿ لئن أخرجوا ﴾ إنما هي لام اليمين ، كان موضعها في آخر الكلام ، فلما صارت في أوله صارت كاليمين ، فلقيت بما يُلقى به اليمين . وإن أظهرت الفعل بعدها على يفعل جاز ذلك ، وجزمته فقلت : لئن تقم لا يقيم إليك . وقال الشاعر :

لئن تك قد ضاقتَ عليكم بيوتُكم ليَعْلَمُ ربي أن بيتي واسعٌ ^(٥)
وأنشدني بعض بني عُقيل :

لئن كان ما حدثته اليوم صادقاً أضم في نهار القيظ للشمس بادياً ^(٦)
وأركب حماراً بين سرج وفروية وأغر من الخاتام صُعري شمالياً

(١) الآية ١٠٢ من سورة البقرة . وانظر معاني الفراء ١ : ٦٥ - ٦٩ .

(٢) الآية ١٢ من سورة الحشر .

(٣) الآية ١٢ من سورة الحشر .

(٤) الآية ٨١ من سورة آل عمران .

(٥) البيت للكُميت بن معروف ، كما سبق في الشاهد ٨١٤ . وانظر معاني الفراء ٢ : ١٣١ .

(٦) مضي الكلام عليه قريباً .

فَالْعَمَى جَوَابُ الْيَمِينِ مِنَ الْفِعْلِ ، وَكَانَ الْوَجْهَ فِي الْكَلَامِ أَنْ يَقُولَ : لَنْ كَانَ كَذَا لَا تَيْتَنُكَ ، وَتَوَهَّمِ الْغَاءَ اللَّامِ ، كَمَا قَالَ الْآخِرُ :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحاً لِحُرَّةٍ لَنْ كُنْتُ مَقْتُولاً وَتَسْلَمُ عَامراً^(١)

فَاللَّامُ فِي لَنْ مَلْغَاةٌ ، وَلَكِنَّهَا كَثُرَتْ فِي الْكَلَامِ حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا إِنْ .
أَلَا تَرَى أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ قَالَ :

فَلَنْ قَوْمٌ أَصَابُوا غِرَّةً وَأَصَبْنَا مِنْ زَمَانٍ رَقِصَا^(٢)
لَلْقَدِ كَانُوا لَدَى أَزْمَانِنَا لِصَنِيعَيْنِ : لِبَاسٍ وَتَقَى

فَادْخُلْ عَلَى لَقْدٍ لَأَمَّا أُخْرَى ، لَكثَرَةُ مَا تَلَزَمَ الْعَرَبُ اللَّامَ فِي لَقْدَ ، حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا مِنْهَا . وَأَنْشَدُنِي بَعْضُ بَنِي أَسَدَ : ٥٣٦

فَلَا وَاللَّهِ لَا يُلْفَى لَمَّا بِي وَلَا لِلْمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءً^(٣)

وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

كَمَا مَا أَمْرٌ فِي مَعْشَرٍ غَيْرِ رَهْطِهِ ضَعِيفُ الْكَلَامِ شَخْصُهُ مُتَضَائِلٌ^(٤)
قَالَ : « كَمَا » ثُمَّ زَادَ مَعَهَا « مَا » أُخْرَى ، لَكثَرَةُ كَمَا فِي الْكَلَامِ ، فَصَارَتْ كَأَنَّهَا مِنْهَا . وَقَالَ الْأَعَشَى :

* لَنْ مُنِيَتْ بَنَا عَنْ غَبٍّ مَعْرَكَةٍ * الْبَيْت .

فَجَزَمَ « لَا تَلْفِنَا » وَالْوَجْهَ الرَّفْعَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ^(٥) ﴾ ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا جَاءَ بَعْدَ حَرْفِ يُنَوَّى بِهِ الْجَزْمَ صَيَّرَ مَجْزُوماً جَوَاباً

(١) لَقَيْسُ بْنُ زَهْرٍ ، كَمَا فِي سَبْيُوهِ ٣ : ٤٦ هَارُونَ . وَانْظُرْ مَعْجَمَ الشُّوَاهِدِ .

(٢) مَجْهُولُ الْقَائِلِ ، وَتَخْرِيجُهُ فِي مَعْجَمِ الشُّوَاهِدِ .

(٣) لِمُسْلِمِ بْنِ مَعْبُدِ الْوَالِيِّ ، كَمَا فِي مَعْجَمِ الشُّوَاهِدِ .

(٤) لَابِنِ هَرْمَةَ فِي مَلْحَقَاتِ دِيَوَانِهِ ٢٧٤ بِرَوَايَةٍ : « فَإِنْ أَمْرًا » .

(٥) الْآيَةُ ١٢ مِنْ سُورَةِ الْحَشْرِ .

للمجزوم ، وهو في معنى رَفَع . وأنشدني القاسم بن معن عن العرب :
 حلفتُ له إنْ تدلجَ اللَّيْلُ لا يَزُلْ أَمَامَكَ بَيْتٌ من بيوتَي سائرٍ (١)

والمعنى : حلفت له لا يزال بيت ، فلما جاء بعد المجزوم صير جواباً للمجزوم .
 ومثله في العربية : آتيك كى إنْ تحدّثَ بحديثٍ أسمعُه منك ، فلما جاء بعد الجزم
 جُزِم . انتهى نصُّه بحروفه .

وأما كلامه الثانى فقد قاله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ لئن اجتمعت الإنسُ
 والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتونَ بمثله ﴾ (٢) من سورة الاسراء ، قال :
 لا يأتون جوابٌ لقوله لئن ، والعرب إذا أجابت لئن بلا جعلوا ما بعد لا رفعاً ، لأنَّ
 لئن كاليمين ، وجواب اليمين بلا مرفوع . وربما جَزَم الشاعر ، لأنَّ (لئن) إن التى
 يُجَازَى بها زيدت عليها لام ، فوجَّه الفعلُ فيها إلى فَعَلَ ، ولو أتى بيفْعَل لجاز
 جُزْمه . وقد جزم بعضُ الشعراء بلئن ، وبعضهم بلا التى هى جوابُها . قال
 الأعشى :

لئن مُنيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ لا ثلُفنا عن دِماءِ القومِ ننتفلُ
 وثُلُفنا بالقاف أيضاً . وأنشدتنى عُقَيْلِيَّةُ فصيحَةً :

* لئن كان ما حَدَّثْتَهُ اليومَ صادقاً * البيتين

وأنشدنى الكسائى للكُميت بن معروف :
 لئن ثَكَّ قد ضاقت عليكم بلادُكم ليعلم رِئى أن بيتى واسعُ
 انتهى كلامه .

(١) هو الشاهد ٩٣٥ . وهو مجهول القائل كما في شرح الشاهد .

(٢) الآية ٨٨ من سورة الإسراء . وانظر معانى الفراء ٢ : ١٣٠ - ١٣١ .

ووافقه ابن مالك ، قال (في التسهيل) : « وقد يُعْنَى جوابُ الأداة مسبقة بالقسم ^(١) » . يعنى إن لم يتقدّم مبتدأ أو أُخّر القسم عن الشرط وجب الاستغناء عن جوابه بجواب الشرط ، وإن أُخّر الشرط استغنى في أكثر الكلام عن جوابه بجواب القسم ، ولا يمتنع الاستغناء بجواب الشرط مع تأخّره .

ومن شواهد ذلك عنده ^(٢) قول الفرزدق :

لئن بَلَّ لى أرضى بِلَالٍ بدفعةٍ من الغَيْثِ فى يُمنى يديه انسكأبها ^(٣)
أكنْ كالذى صابَ الحيا أرضه التى سقاها وقد كانت جدياً جنأبها
مع أبيات أخر .

قال ناظر الجيش : وهذه الأبيات أدلة ظاهرة على المدعى ، غير أن المصنّف لم ينسب هذا المذهب لبصرى ولا كوفى ، جريا منه على طريقته المألوفة ، وهى أنّه إذا قام الدليل عنده على شيء اتّبعه ، ثم إنّه قد ينبّه على خلاف ذلك إن كان ، وقد لا يتعرّض إلى ذلك . والجماعة يذكرون أنّ هذا القول إنّما هو قول الفراء . قال ابن عصفور : ولا يجوز جعل الفعل جواباً للشرط إذا توسّط بينه وبين القسم ، فأما قول الأعشى : « لئن مُنيت بنا البيت » ، وقوله : « لئن كان ما حدّثته البيت » ، فاللام فى لئن ينبغى أن تكون زائدة ، كالتى فى قوله : « أمسى لمجهودا » . ومن ثمّ قال أبو حيان : وهذا الذى أجازاه ابن مالك هو مذهب الفراء ، وقد منعّه أصحابنا والجمهور . ثمّ نقل كلام ابن عصفور . وأقول : إنّ ابن عصفور لم يذكر دليلاً على امتناع ما ذكره المصنّف ، بل عمّد إلى

٥٣٧

(١) التسهيل لابن مالك ١٥٣ .

(٢) فى غير التسهيل ، وقد يكون فى شرحه .

(٣) ديوان الفرزدق ٥٤ من قصيدة يمدح فيها بلال بن أبى بردة ، برواية « بلالٌ بدفعةٍ » .

الأدلة على هذا الحكم فأخرجها عن ظاهرها بغير موجب ، وحكم بزيادة اللام مع إمكان القول بعدم الزيادة . وبعد فلا يخفى على الناظر وجه الصواب . فالوقوف مع ما ورد عن العرب ، حيث لا مانع يمنع من الحمل على ظاهر ما ورد عنهم . انتهى كلام ناظر الجيش .

صاحب الشاهد

والبيت من قصيدة مشهورة للأعشى ، تقدّم شرح أبيات منها في الشاهد التاسع والثلاثين بعد الستائة (١) . وقبله :

أبيات الشاهد

(إِنِّي لَعَمْرُ الَّذِي حَطَّتْ مَنَاسِمُهَا تَخْدِي وَسِيْقَ إِلَيْهِ الْبَاقِرُ الْعُيْلُ
لَنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدَدًا لَنَقْتُلَنَّ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمِثَلُ)
وإن منيت بنا عن غب معركة البيت

يخاطب بها يزيد بن مُسهر الشيباني ، وكان حرّض بنى سيار أن يقتلوا سيّداً من رهط الأعشى على ما تقدّم سببه هناك (٢) .

وقوله : « حَطَّتْ مَنَاسِمُهَا » الخطّ بمهملتين : الاعتماد . والمَنَسِم ، كمجلس : طرف حُفّ البعير ، والضمير المؤنث ضمير الإبل وإن لم يجر لها ذكر ، لأنّ المناسم خاصّة بها تدلّ عليها . والعائد إلى الذى محذوف ، تقديره إليه ، أى إلى بيته . وتخدّى بالخاء المعجمة والبدال المهملة : تسير سيراً شديداً فيه اضطرابٌ لشِدَّتِهِ . وروى « له » بدل تخدى ، فالعائد مذكور . والباقر : اسمٌ جمع للبقر . والعُيْل بضم الغين المعجمة والمثناة التحتيّة : جمع عُيْل بفتح فسكون ، بمعنى الكثير . يقول : أقسم بالله الذى تسرع الإبل إلى بيته ، ويُساق إليه الهُدَى .

(١) الخزائن ٨ : ٣٩١ - ٣٩٤ .

(٢) الخزائن ٨ : ٣٩٧ .

وقوله : « لئن قَتَلْتُمْ » إلخ اللام موطئة آذنت أَنَّ الجواب الآتي ، وهو قوله لنقتلن ، جواب القسم لا جواب الشرط . والعميد : الكبير الذى يُعمد فى الأمور الشديدة ويُقصد . والصدد ، بفتحتين : المقارب . وقوله : « فتمثل » أى نقتل الأمثل ، وهو الأفضل . يعنى : والله لئن قتلتم منا دون السيد لنقتل أعظمكم . وتقدم شرحهما بأكثر من هذا مع أبيات أخر فى الشاهد السادس والسبعين بعد السبعمئة (١) .

وقوله : (وإن مُنيت) هكذا جاءت الرواية بالعطف على قوله (قتلتم) ، والمشهور فى كتب النحويين : (لئن مُنيت) باللام الموطئة . والأمر سهل . ومُنيت بالخطاب والبناء للمفعول ، مِن مُنى له ، أى قُدر . ومَنى يَمْنى كرمى يرمى بمعنى قُدر ، والاسم بالفتح والقصر . قال سويد بن عامر المصطلقى :
لا تأمن الموت فى جَلٍّ ولا حَرَمٍ إن المنايا تُوفى كلَّ إنسانٍ (٢)
واسلك طريقك تمشى غير محتشمٍ حتى تبين ما يَمْنى لك المانى
فكل ذى صاحب يوماً يفارقه وكل زادٍ وإن أبقيته فانى
والخيرُ والشرُّ مقرونان فى قرْنٍ بكل ذلك يأتيك الجديدان

روى السيد المرتضى (فى أماليه) أَنَّ مسلماً الخزاعى ثم المصطلقى قال : شهدت رسول الله ﷺ وقد أنشده مُنشد هذه الأبيات لسويد ، فقال ﷺ : « لو أدركته لأسلم » . والتاء نائب الفاعل بتقدير مضاف ، والأصل مُنى اجتماعك بنا ، فالباء من بنا متعلقة بهذا المضاف ، فلما حُذف صار الضمير

٥٣٨

(١) الخزانة ٩ : ٤٥٤ - ٤٦١ .

(٢) أمال المرتضى ١ : ٣٦٨ . والأبيات تروى أيضاً لأبى قلابة الهذلى فى ديوان الهذليين ٣ :

٣٩ - ٤٠ مع خلاف فى الرواية والترتيب . وانظر اللسان (منى) .

المجرور ضمير رفع . وقوله : (عن غِبِّ مَعْرَكَةٍ) عن هنا بمعنى بَعْدَ ، متعلقة بقوله منيت . وبه استشهد ابنُ النازم (في شرح الألفية) . والغِبِّ بالكسر والمَعْبَةُ بالفتح : العاقبة ، وروى أيضًا : « عن جِدِّ معركة » بكسر الجيم بمعنى الشِدَّة والمجاهدة فيها . والمعركة : موضع الحرب ، يقال عَرَكْتَ القومَ في الحرب عَرَكًا ، أى أوقعْتُهُمْ في شِدَّة . وعَارَكَ مَعَارَكَةً وعِرَاكًا : أى قاتل . وأصل العَرَكُ الدَّلْكُ والفَرَكُ ، ومن لازمه التليين والتذليل . وقوله : (لا تُثْلِفْنَا) لا نافية ، وتلفنا مجزوم بأن بحذف الياء على أنه جزء الشرط . وألْفَى كَوَجَدَ معنى وعملاً فتعدى ^(١) إلى مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر ، كقوله :

قد جَرَّبُوهُ فَأَلْفَوْهُ الْمَغِيثَ إِذَا مَا الزُّرُوعَ تَحَمَّ فَلَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ ^(٢)

كذا قال ابن مالك . فالمفعول الأول لألْفَى في البيت ضمير المتكلم مع الغير ، وخملة تنتفل هى المفعول الثانى ^(٣) . وذهب ابن عصفور إلى أنها تعدى إلى مفعول واحد ، وأن المنصوب الثانى حال ، واستدل بالتزام تنكيره . وردَّ بوروده معرفة كما في البيت ، ودعوى زيادة اللام ضعيفة . و (عن دِمَاءِ) متعلق بقوله (ننتفل) بالفاء . قال صاحب الصحاح : وانتفل من الشيء ، أى انتفى منه وتصل ، كأنه إبدال منه . وأنشد البيت .

قال شارح جمهرة الأشعار : يقال انتفل وانتفى بمعنى واحد ، كما قال :

أمنتفلاً عن نصر بُهَّة خِلْتَنِي إِلَّا إِنْبَى مِنْهُمْ وَإِنْ كُنْتُ أَيْتَمًا ^(٤)

(١) ش : « فيتعدى » .

(٢) مجهول القائل . وانظر العيني ٢ : ٣٨٨ والهمع ١ : ١٤٩ .

(٣) ش : « هو المفعول الثانى » .

(٤) مختارات ابن الشجرى ٣١ . وهو في ديوان المتلمس ٣٩ برواية مخالفة ، وكذلك في اللسان

(نفل ١٩٦) .

وقيل ننتفل : نَجُحِد ، والمعنى : إن قُدِّرَ أن تَلْقَانَا بعد المعركة لم ننتِف من قَتَلْنَا قَوْمَكَ ، ولم نَجُحِد . انتهى .

وقال العيني : قوله لئن منيت بنا ، أى لئن ابتليت بنا ، من مُنى بأمرٍ كذا ، إذا ابْتَلَى به ، مِنْ ^(١) مَنَى يَمْنَى من باب فتح يفتح ، وَمَنَا يَمْنُو من باب نصر ينصر . وَأَمَامَنَى يَمْنَى ، إذا أنزل المَنَى فمصدره مَنِيَا على وزن فَعْل ، بفتح الفاء وسكون العين ، وبابه من باب ضرب يضرب . وَمَنَى أيضاً بمعنى قَدَّر ، ومنه المَنِيَّة ، وهو الموت ، لأنه مقدَّر على الخلق كلَّهم . وَمُنِيَتْ على صيغة المجهول ، وبنا جارٌّ ومجرور مفعولٌ ناب عن الفاعل . وقوله : « لا تَلْفَنَا » جملة مجزومة لأنها جواب الشرط ، وننتفل جملة وقعت حالاً من الضمير المنصوب في لا تُلْفَنَا . هذا خلاصة كلامه في هذا الباب ، فتأملهُ تَرَى ^(٢) العجبُ العُجاب .

وترجمة الأعشى تقدّمت في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب ^(٣) .

* * *

وأنشده بعده ، وهو الشاهد الرابع والثلاثون بعد التسعمائة ^(٤) :

٩٣٤ (لئن كان ما حُدِّثْتُه اليومَ صادقاً أَصُمُّ في نهارِ القَيْظِ للشَّمْسِ بادياً)
على أنه جاء (أَصُمُّ) جواباً مجزوماً لأن الشرطية ، بعد تقدّم القسم المشعر به اللام الموطئة ، وهو قليل في الشعر كالبيت الذي قبله .

(١) ط : « ومن » ، صوابه في ش والعيني .

(٢) كذا في النسختين غير مجزوم .

(٣) الخزائن ١ : ١٧٥ - ١٧٨ .

(٤) المغنى ٢٣٦ والعيني ٤ : ٢٣٨ والتصريح ٢ : ٢٠٤ والجمع ٢ : ٤٣ والأخفونى ٤ : ٢٩ .

وهذه اللام تدخل على أداة شرطٍ حرفاً كانت أم اسماً كما قال الشارح المحقق ، تُؤذن بأنّ الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها ، لا على الشرط ، ومن ثمّ تُسمّى اللام المؤذنة ، وتسمّى الموطئة أيضاً ، لأنّها وطأت الجواب للقسم ، أى مهّدته له ، سواء كان القسم قبلها مذكوراً ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَةُ لِيَوْمِنَها ﴾^(١) ، أم غير مذكور كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا أَخْرَجُوا لَاحِرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَمَّا قُوتِلُوا لَاحِرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَمَّا نَصَرُوهُمْ لِيَوْمِنَها ﴾^(٢) . وقد يكتفى بنيتها عن لفظها ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٣) ، والأصل : ولئن لم تغفر لنا . ولولا نيتها لقليل : وإن لم تغفر لنا وترحمنا نكون من الخاسرين ، كما قيل : ﴿ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٤) وكذا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾^(٥) . وقول بعضهم : ليس هنا قسمٌ مقدّر ، وإنما الجملة الاسمية جوابُ الشرط على إضمار الفاء ، فقد قال الشارح وغيره : مردودٌ ، لأنّ حذفها خاصٌ بالشعر . قال سيبويه : ولابدّ من هذه اللام مظهرةً أو مضمرة . يعنى اللام التى تقارن أداة الشرط .

وقال ابن مالك (فى شرح التسهيل) : وأكثر ما تكون اللام مع إنّ . ومن مقارنتها غير إنّ من أخواتها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ

(١) الآية ١٠٩ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ١٢ من سورة الحشر .

(٣) الآية ٢٣ من سورة الأعراف .

(٤) الآية ٤٧ من سورة هود .

(٥) الآية ١٢١ من سورة الأنعام .

مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلَتَنْصُرُنَّهُ ^(١) . ومثله قول القطامي :

وَلَمَّا رُزِقَتْ لِیَأْتِیَنَّكَ سِیُّهُ جَلْبًا وَلَیْسَ إِلَیْكَ مَا لَمْ تُرْزَقِ ^(٢)

ومثله قول الآخر :

لَمَتْنِ صَلَحَتْ لَیْقُضِیَنَّ لَكَ صَالِحٌ وَلَتُجْزِیَنَّ إِذَا جُزِیْتَ جَمِیلاً ^(٣) اهـ .

وكذا (في المغني) لابن هشام ، لكنه قال : وعلى هذا فالأحسن في قوله
تعالى : ﴿ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ أن لا تكون موطئة وما شرطية ، بل
للابتداء وما موصولة ، لأنه حمل على الأكثر : قال ابن جني (في سر الصناعة) :
وقد شبه بعضهم إذ بإن فأولها اللام ، فقال :

غَضِبْتُ عَلَى وَقَدْ شَرِيتُ بِجُزَّةٍ فَلَاذْ غَضِبْتُ لِأَشْرَبِنَ بِخُرُوفٍ ^(٤) . اهـ .

ووجه الشبه أن إذ ترد للتعليل ، وإن للشرط ، وهما متقاربان .

قال ابن هشام : وأغرب ما دخلت عليه اللام إذ ، وهو نظير دخول الفاء
في : ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأَوَّلُكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ ^(٥) . شبهت إذ
بأن فدخلت الفاء بعدها ، كما تدخل في جواب الشرط . انتهى .

قال ابن مالك : ولابد من هذه اللام مظهرة أو مضمرة . وقد يستغنى بعد
لئن عن جواب ، لتقدم ما يدل عليه ، فيحكم بأن اللام زائدة . فمن ذلك قول
عمر بن أبي ربيعة :

(١) الآية ٨١ من سورة آل عمران .

(٢) ديوان القطامي ٣٦ والمجم ٢ : ٤٤ .

(٣) المغني ٢٣٥ والمجم ٢ : ٤٤ .

(٤) البيان ٣ : ٣٤٤ والقال ١ : ١٥٠ والمغني ٢٣٦ والمجم ٢ : ٤٤ .

(٥) الآية ١٣ من سورة النور .

أَلِمَّ بَزِينَبَ إِنَّ الْبَيْنَ قَدْ أَفِيدَا قَلَّ الثَّوَاءُ لَنَنْ كَانَ الرَّحِيلُ غَدَاً (١)

ومثله :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمٌ صَرِيحاً لِحُرَّةٍ لَنَنْ كُنْتُ مَقْتُولاً وَيَسْلُمُ عَامِرٌ (٢). انتهى .

وقال (في شرح الكافية) : لَأَقْسَمَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا

شرط .

وقال ابن عصفور : وهذه اللام الداخلة على أداة الشرط عند البصريين

زائدة للتأكيد ، وموطئة لدخول اللام على الجواب ، ودالة على القسم إذا حذف .

انتهى .

ومثله لابن جنى (في سر الصناعة) قال : واللام في لَنَنْ إِنَّمَا هِيَ زائدة

مؤكددة يدلُّك على أَنَّهَا زائدة ، وَأَنَّ اللام الثانية هِيَ الَّتِي تَلَقَّتْ الْقِسْمَ ، جَوَازُ

سُقُوطِهَا فِي نَحْوِ قَوْلِ الشَّاعِرِ (٣) :

فَأَقْسَمْتُ أَنِّي لَا أَحُلُّ بِصَهْوَةٍ حَرَامٍ عَلَى رَمْلِهِ وَشَقَائِقِهِ (٤)

فَإِنْ لَمْ تَغْيَرْ بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ لَأَتَّحِينَ لِلْعَظَمِ ذُو أَنَا عَارِقُهُ

٥٤٠

ولم يقل فلئن . ويدلُّك أيضا على أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : وَاللَّهِ لَنَنْ قَمْتُ لِأَقَوْمٍ ،

أَنَّ اعْتِمَادَ الْقِسْمِ عَلَى اللام فِي لِأَقَوْمٍ ، وَأَنَّ اللام فِي لَنَنْ زائدةٌ مِنْهَا بُدُّ ، قَوْلُ

كثِيرٌ :

(١) سبق الكلام عليه في ص ٣٢٨ .

(٢) لقيس بن زهير ، كما سبق في حواشي ٣٣٠ .

(٣) لعارق الطائي ، كما في الحماسة بشرح المرزوقي ١٧٤٥ واللسان (صها) .

(٤) ورواية الحماسة : « حرام عليك » ، وهو الصواب . وفي الحماسة واللسان : « فأقسمت

لا أحلُّ » .

لئن عاد لي عبدُ العزيز بمثلها وأمكنني منها إذن لا أقيلها ^(١)

فرفعه أقيلها يدلُّ على أن اعتماد القسم عليه ، ولو أن اللام في لئن عاد لي هي جواب القسم لا نجزم لا أقيلها ، كما نقول : إن تقم إذن لا أقم . انتهى كلامه .

وهذا البيت ما بعده :

(وأركبُ حماراً بين سرجٍ وفروةٍ وأغرٍ من الخاتامِ صُغرى شِمالياً)

كذا أنشدتهما الفراء وقال : أنشدنيهما بعض عُقيل فصيحة ^(٢) ، ولم يصرَّح بقائلِهما .

وقوله : (لئن كان ما) إلخ اللام زائدة ، وما عبارة عن الكلام ، وحُدِّثته بالبناء للمفعول ، والتاء للخطاب نائب الفاعل ، والهاء ضمير ما . وقد طغى قلم العيني هنا فقال : حُدِّثته على صيغة المجهول ، والضمير المستتر فيه مفعول نائب عن الفاعل . انتهى . و (اليوم) ظرفٌ عامله حُدِّثته ، وصادقاً خبر كان من الهاء (٣) . وفيه إسنادٌ مجازي ، لأنَّ المتَّصف بالصدق حقيقة قائلُ الكلام لا الكلام . و (أصمُّ) جوابُ الشرط ، وفي متعلِّقة به . و (القِيظ) : شِدَّة الحرِّ ، والفصل الذي يقول له الناس الصَّيْف . و (للشَّمْس) متعلِّقٌ ببادياً . والبادى : البارز . ورُويَ بدله : (ضاحياً) بمعناه . وبادياً حال من فاعل أصم .

وقوله : (أركبُ) بالجزم معطوف على أصم . والفروة معروفة . وركوب الحمار بين السرج والفروة هيئةٌ مَنْ يُندَّد به ويُفَضَّح بين الناس . وقوله : (وأغرٍ)

(١) لكثير عزة في ديوانه ٣٠٥ . وقد سبق في ٨ : ٤٧٣ بولاق .

(٢) في معاني الفراء ١ : ٦٧ : « بعض بنى عقيل » ، وفي ٢ : ١٣١ : « وأنشدتني امرأة عقيلة فصيحة » .

(٣) كذا في النسختين ، ولعله : « خبر كان أو حال من الهاء » كما توقعه مصحح بولاق . وذلك باعتبار كان تامة عند القول بالحالية .

مجزوم بحذف الياء للعطف على أَصَمُّ أيضاً ، وهو بضم الهمزة وكسر الراء ، مضارع أعراه إعرأ أى جعله عارياً . والخاتام : كالحَيَّاتِم : لغة في الخاتم بفتح التاء وكسرها . وأراد بصغرى شماله خنصرها ، فَإِنَّ الخاتم يكون زينةً للشمال ، فَإِنَّ اليمين لها فضيلة اليُمن ، فَجَعَلَ الخاتم في الشمال للتعادل . يقول : إن كان ما نُقِلَ يعنى لك ، من الحديث صحيحاً ، جعلنى الله صائماً فى تلك الصفة ، وَأَرْكَبْنِي حماراً للخزى والفضيحة والتَّكَال ، وَجَعَلَ خِنَصَرَ شِمَالِي عَارِيَةً مِنْ حُسْنِهَا وزينتها بَقَطْعِهَا .

هذا ما ظهر لى فيه . والله أعلم .

وَعُقِيلٌ بالتصغير : أبو قبيلة ، وهو عُقِيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثلاثون بعد التسعمائة ^(١) :

٩٣٥ (حَلَفْتُ لَهُ إِنْ تَدْلَجَ اللَّيْلُ لَا يَزِلُّ أَمَامَكَ بَيْتٌ مِنْ بِيوتَى سَائِرُ)
على أَنَّهُ جَزْمٌ (لَا يَزِلُّ) فى ضرورة الشعر بجعله جوابَ الشرط ، وكان القياس أن يُرفع ويُجعل جواباً للقسم ، لكنَّه جزم للضرورة ، فيكون جواب القسم محذوفاً مدلولاً عليه بجواب الشرط .

وقال ابن عصفور : وليس حلفت فيه قسماً كما ذهب إليه الفراء ، بل هو خبرٌ محضٌ غير مرادٍ به معنى القسم ، لأنَّ القسم إذا تقدَّم على الشرط بُني الجوابُ عليه ولم يُبنَ على الشرط . انتهى .

(١) معانى الفراء ١ : ٦٩ والمقرب لابن عصفور ١ : ٢٠٨ .

ولا يخفى تعسّفه ، والصوّاب ما ذهب إليه الشارح المحقق .

قال الفراء : أنشدني هذا البيت القاسم بن معن عن العرب ، والمعنى :

حلفت له لا يزال [أمامك (١)] بيت . فلمّا جاء بعد المجزوم صيّر جواباً للمجزم . ٥٤١

و (تُدَلِّج) : مضارع أدلج إدلاجاً ، ومعناه سار اللَّيْلَ كُلَّهُ ، فإن سار من آخر اللَّيْلِ فقد أدلج بتشديد الدال . و (اللَّيْلَ) ظرف له . و (يَزَلُّ) مضارع زال يزال من أخوات كان . و (أَمَامَكَ) بالفتح بمعنى قُدَّامَكَ ، خبرها مقدّم . و (بَيْتٌ) اسمها مؤنّث . و (من يَبُوتِي) صفة له . وكذا (سائر) . وأراد بالبيت جماعة من أقاربه ، وهذا مشهور . يقول : إن سافرت في الليل أرسلت جماعة من أهلي يسرون أمامك يخفرونك ويحرسونك إلى أن تصل إلى مأمنك .

وهذا البيت لم أقف على قائله ولا تتمّه . والله أعلم به .

* * *

وأنشد بعده :

(إِنَّكَ إِنْ يُصْرِعَ أَخُوكَ تُصْرِعُ)

وتقدم شرحه في الشاهد الثاني والتسعين بعد الستائة (٢) ، وفي الشاهد

الحادى والثمانين بعد الخمسمائة (٣) . فراجع .

* * *

(١) التكملة من معاني الفراء .

(٢) الخزائن ٩ : ٥٢ .

(٣) الخزائن ٨ : ١٩ - ٢٩ .

وأنشد بعده :

(لئن مُنيتَ بنا عن غِبِّ معركةٍ)

وتقدّم شرحه قريباً (١)

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثلاثون بعد التسعمائة (٢) :

٩٣٦ (فَإِنْ يَكُ مِنْ جَنِّ لأَبْرَحَ طَارِقاً وَإِنْ يَكُ إِنْسَاءً مَا كَها الْإِنْسُ تَفْعُلُ)

على أَنَّ أداة الشرط إذا لم يكن لها جواب في الظاهر يجب أن يكون شرطها ماضياً لفظاً ومعنى ، نحو : أكرمك إن أتيتني ، ومعنى فقط نحو : أكرمك إن لم تقطعني .

وقد يحىء في الشعر مستقبلاً . قال سيبويه : وقد يجوز في الشعر آتى من يأتني (٣) . وتقدّم نقله في الشاهد الرابع والتسعين بعد الستائة .

وكذا شرطُ إن في هذا البيت جاء مستقبلاً ، مع أنه لا جزاء لها في الظاهر . وهو خاصٌ بالشعر .

وقد خلا كتاب الضرائر لابن عصفور من ذكر هذه الضرورة .

وبيان أن إن لا جواب لها هنا : أن قوله لأبرح جواب قسم مقدّر ، واللام الموطئة محذوفة ، أى والله فلئن يك من جن لأبرح . وهذا دليل جواب الشرط المحذوف ، والتقدير : فإن يك من جن فقد أبرح . ولا يجوز أن يكون لأبرح جواب الشرط ، لاقتارانه باللام التي يجاب بها القسم ، فإن إن لا تأتى (٤) في جوابها اللام ، وأبرح وإن كان ماضياً إلا أنه في معنى المستقبل ، لأنه دليل جواب الشرط كما قاله الشارح المحقق بعد هذه الأبيات . والماضى المتصرف إذا وقع جواب

(١) انظر ما سبق ٣٢٧ .

(٢) العينى ٣ : ٢٦٩ والمهم ٢ : ٣٠ . والبيت من لامية العرب . وانظر القالى ٣ : ٢٠٦ .

(٣) ط : « أتى من يأتى » صوابه في ش وسيبويه ١ : ٢٣٨ أو ٣ : ٧٠ هارون .

(٤) ش : « لا يأتى » .

قسم فالأكثر أن يقترن باللام مع قد ، نحو قوله تعالى : ﴿ تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا ^(١) ﴾ ، أو ربّما ، كقول الشاعر :

لئن نَزَحْتَ دَارَ لِسَلَمَى لِرُبِّمَّا غَنِينَا بِخَيْرٍ وَالذِّيَارُ جَمِيعُ ^(٢)

أو بما مُرَادِفَةٌ رَبِّمَّا ، كقول آخر :

فَلَنْ بَانَ أَهْلُهُ لَيْمًا كَانَ يُؤْهَلُ ^(٣)

وقد يَسْتَعْنِي باللام الماضي المتصرف في النظم والنثر ، قال تعالى : ﴿ وَلئن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ^(٤) ﴾ . وفي الحديث عن امرأة من غِفَارٍ أَنَّهَا قَالَتْ : « وَاللّٰهُ لَنَزَلَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ إِلَى الصُّبْحِ فَأَنَاخَ » . وفي حديث سعيد بن زيد : « أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ يَقُولُ : مَنْ أَخَذَ شَيْئاً مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا ^(٥) » الحديث .

٥٤٢

وإن وُجِدَتْ استطالة قَسَمٍ جازَ أفراد الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ . وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ . وَشَهِيدٍ وَمَشْهُودٍ . قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُحُدِّ ^(٦) ﴾ ، وكقول النبي ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَدِدْتُ أَنْ أَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَأُقْتَلَ » الحديث ^(٧) . وإن لم توجد استطالة والفعل غير متصرف وجب الاقتران باللام مفردة كقوله :

(١) الآية ٩١ من سورة يوسف .

(٢) للمجنون في ديوانه ١٩٣ وتزيين الأسواق ٦٨ .

(٣) لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ٣٣٢ . وانظر معجم الشواهد .

(٤) الآية ٥١ من سورة الروم .

(٥) انظر الحديث وتخريجه في الألف المختارة من صحيح البخارى برقم ٣٠٧ وتمام الحديث : « طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ » .

(٦) الآيات ١ - ٤ من سورة البروج .

(٧) أخرجه البخارى في كتاب التمني . من حديث أبى هريرة . وانظر شواهد التوضيح لابن مالك

* لعمري لنعم الفتى مالك *

كذا في شرح التسهيل لابن مالك .

صاحب الشاهد

وهذا البيت من لامية العرب للشنفرى . وقبله :

أبيات الشاهد

(وليلة نحس يصطلى القوس ربها وأقطعهُ اللاقى بها يتنبّل
دعستُ على غطشٍ وبغشٍ ، وصحبتى سعارٌ وإرزيزٌ ووَجَرٌ وأفكَلُ
فأَيِّمْتُ نِسواناً وأَيِّمْتُ إلدَةً وعُدْتُ كما أبدأتُ والليلُ أَلِيلُ
وأصبحَ عَنى بالعميصاءِ جالساً فريقان : مسؤلٌ وآخر يسألُ
فقالوا : لقد هَرَّتْ ليلٌ كلابنا فقلنا : أذِئْبْ عَسَّ أم عَسَّ فُرْعُلُ
فلم يك إلا نبأةً ثم هَوَمْتُ فقلنا : قِطاةٌ ريعٌ أم ريعٌ أَجْدُلُ
فإن يك من جنِّ لأبرح طارقاً) البيت

قوله : « ليلة نحس » الواو واو ربّ ، وأراد بالنحس البرد ، ولهذا يصطلى
بالقوس والسهام صاحبها لشدة البرد .

وقوله : « دعست » إلخ دعست : دفعت دفعا بإسراع وعجلة ، وهو
جوابُ ربّ . والعَطَشُ : الظلّة . والبَغْشُ : المطر الخفيف . وجملة وصحبتى إلخ
حال من التاء . والسُّعار بالضم : حرٌّ يجده الإنسان في جوفه من شدة الجوع
والبرد . وإرزيز بالكسر : صوتُ أحشائه من الشدّة . والوَجَر ، بالجيم والراء
المهملة : الخوف . والأفكَلُ : الرعدة .

و « أَيِّمْتُ نِسواناً » أى جعلتهنَّ أيامى بقتل أزواجهن . و « أَيِّمْتُ إلدَةً »
أى جعلت الأولاد أيتاماً بقتل آبائهم .

وشرح هذه الأبيات الثلاثة تقدّم بالاستيفاء في الشاهد الثامن بعد الثمانمائة (١) .

وقوله : « وأصبح عني » إلخ الغميصاء بضم الغين المعجمة وفتح الميم وبعد المثناة التحتية صاد مهملة ، قال أبو عبيد البكري (في معجم ما استعجم) : موضع في ديار بني جذيمة من بني كنانة . وقال الشُّراح : موضع بنجد . وجملة أصبح معطوفة على عُذْتُ . والجالس : اسم فاعل من جلس الرجل ، إذا أتى الجلّس ، بفتحتين (٢) ، وهو اسم نجد ، كما يقال أتهم الرجل ، إذا أتى تَهامة . قال الزّحشرى (في شرحه) : أصبح تستعمل ناقصة وتامة ، والوجهان محتملان . أمّا كونها تامةً فيحتمل أنّه أخبر عن الفريقين بأنّهما دخلا في الصّباح في هذه الحال ، وفريقان الفاعل وجالسا حال وبالغميصاء حال من الضمير في جالس ، أى أصبح جالسا وهو بالغميصاء . والوجه الآخر : أن تكون ناقصة وفريقان اسمها ، وجالسا خبرها ، والواجب أن يطابق الخبر الاسم في التثنية والجمع ، ولكن اكتفى بالواحد عن الاثنين ، وقد جاء ذلك ، فمنه قوله :
وكأنّ في العينين حبّ قرنفُلٍ أو سُبُلًا كُحِلَتْ به فانهلَّت (٣)
فأفرد كُحِلَتْ وهو يريد كحلّتا . وكذلك فانهلّت أى فانهلّتا . وأمّا « عني » فالعامل فيه فعلٌ محذوف يفسّره يسأل ، تقديره أصبح يسأل فريقان

٥٤٣

(١) الخزّانة ١٠ : ٣٤ - ٤٠ .

(٢) كذا في النسختين ، والمعروف أنّه بفتحة واحدة ، كما في اللسان والقاموس ومعجم ياقوت . ومنه قول إبراهيم بن هرمة :

فإن سكنت بالغور حنّ صباية إلى الغور ، أو بالجلس حنّ إلى المجلس
وقول بعض الأعراب :

وكنت امرأ بالغور متى زمانة وبالجلس أخرى ما تعيد وما تبدى

(٣) لسلمى بن ربيعة كما في الحماسة ٥٤٧ بشرح المرزوقي . وانظر معجم الشواهد .

عَنِّي . والداعى إلى هذا التقدير أن يسأل ومسؤل صفة لفريقان ، فلو عمل واحد منهما فى عَنِّي لأعملت الصفة فيما قبلها ، ولا تعمل فيما قبلها ، لأنها نازلة منزلة الصلة مع الموصول ، فكما أن الصلّة لا تعمل فى الموصول ولا فيما قبله ، فكذلك الصّفة . ويجوز أن يكون « عَنِّي » صفة لجالس فلما قدّم صار حالاً . وبالغميصاء ظرف ، والعامل فيه جالس ، أى جالساً بالغميصاء ، ولا يعمل فيه ما هو صفة لفريقان لما ذكرنا قبل . ويجوز أن يكون خبر أصبح ، أى أصبح فريقان مستقرّين بالغميصاء . فعلى هذا يكون جالساً حالاً من الضمير المستقرّ . ولم تشّ الحال لما ذكرنا قبل من الاكتفاء بالواحد . ويجوز أن يكون حالاً من فريقان ، لأنه وإن كان نكرة فقد وُصف . ويجوز أن يكون جالساً صفة لفريقين ، وإنما أفرد لما تقدّم ، فلما قدّم جالساً نُصب على الحال . ومسؤل خبر مبتدأ محذوف ، أى أحدهما مسؤل والآخر يسأل . وقال شيخنا محب الدين : الجيد أن تقدّر المبتدأ ، هما فريق مسؤل وآخر يسأل . انتهى كلامه .

وقوله : « وقالوا لقد هَرَّت » إنخ قال الزمخشري : هَرير الكلب : صوته وتُباحه من قلة صبره على البرد . وهَرَّ الكلب يَهَرُّ هَريراً . والعَسُّ : الطَّوْف بالليل . وعَسَّ الكلبُ ، إذا طاف وطلب ، ومنه سُمِّي العَسَس . والفُرعل بضمّتى الفاء والعين المهملة : ولد الضبع . والفاء رابطة لما بعدها بما قبلها ، واللام فى ، لقد جراب قسم محذوف ، أى والله لقد . ولبيل ظرف هَرَّت ، ويجوز جعله حالاً من كلابنا ، وموضع هذه الجملة نصبٌ بقالوا . وقوله : « أذئب » يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، أى أهو ذئب عَسّ ، فعسّ على هذا صفة ذئب ، أى عاسّ . ويجوز أن يكون مرفوعاً بفعل يفسره عَسّ ، وعلى هذا لا يكون لعسّ محلّ لأنه مفسر . وأم معادلة لهمزة الاستفهام متصلة ، لأنه يصح أن يقدر بأيّهما فيقال أيّهما عَسّ . وقيل منقطعة ، لأن كل واحدٍ من الاسمين وهما ذئب وفرعل قد اختصّ بخبرٍ أسند إليه . انتهى .

وقوله : « فلم يك إلا نبأ » إلخ قال الزمخشري : أصله يكون ، حذفت حركة النون بالجازم فحذفت الواو لالتقاء الساكنين ، ثم حذفت النون لكثرة استعمال هذه الكلمة . ولا يقاس عليها . وكان هنا تامة ، لأنها بمعنى الوجدان ، ونبأ فاعلها . والنبأ : الصّوت . والتّهويم : النّوم . وفاعل هوّمت ضمير الكلاب . وثُمَّ عطفَت جملة هوّمت على جملة لم يك . وريع : أفرع . والرّوع : الإفزاع والأجدل : الصّقر . والمعنى أنّه لم يوجد من الأصوات [إلا نبأ ^(١)] ، فزال نوم الكلاب كما يزول نوم القطاة والأجدل بأدنى حركة أو صوت . والكلام في رفع قطاة وأم كما تقدّم . وترك التانيث في ريعت شاذّ كقوله :

* ولا أرض أبقل إبقالها (٢) *

وقيل إنّ القطاة طائر ، والطائر اسم جنس فلم تلحق التاء حملاً على الجنس ، فكأنّه قال : أطائر ريع . انتهى .

وقوله : « فإن يك من جنّ » إلخ اسم يك ضمير يعود على الطارق المفهوم من المقام . والطارق : الذي يأتي ليلاً . ومن جنّ خبره . وقال الزمخشري : اسم يك مضمر فيها ، أى إن كان المرء . ومن جنّ خبره ، أى جنياً . واللام في لأبرح جواب قسم محذوف ، أى والله لأبرح ، وجوابه أغنى عن جواب الشرط . والبرح : الشدّة . وطارقاً تمييز ، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في أبرح ، وهو الطارق . والكاف يجوز أن تكون اسماً فموضعها نصبٌ بتفعل ، أى ما تفعل الإنس مثلها . والضمير عائد إلى الفعلة التي وُجدت . والإنس مبتدأ وتفعل خبره . انتهى .

٥٤٤

ودخول الكاف على الضمير ضرورة ، والضمير عائد إلى المفهوم من المقام ، أى ما تفعل الإنس مثل هذه الفعلة التي فعّلها هذا الطارق .

(١) بمثلها يلتزم الكلام .

(٢) لعامر بن جوين الطائي . وهو من شواهد الخزائن ١ : ٤٥ وسيبويه ١ : ٢٤٠ .

وقال التبريزي في شرحه : أبرح بمعنى كَرَّم وعَظُم ، ويجوز أن يكون حكى عن القوم ، فيريد أنه كان يأتي بالبرحاء وهي الداهية . وقال فيه بعض اللغويين : أبرح : أتى بالبرح وهي الشدة . انتهى .

وترجمة الشنفرى تقدّمت في الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين (١) مع شرح أبيات من هذه القصيدة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والثلاثون بعد التسعمائة (٢) :

٩٣٧ (فَإِنْ تَبْتَئِسْ بِالشَّنْفَرَى أَمْ قَسْطَلِ لَمَّا اغْتَبَطْتُ بِالشَّنْفَرَى قَبْلُ أَطْوَلُ)

لما تقدّم قبله ، من أن وقوع المضارع شرطاً لأنّ التى لا جواب لها في الظاهر ضرورة ، والقياس فإن ابتأس ، فإنّ جملة « لَمَّا اغْتَبَطْتُ » إنخ جواب قسم مقدّر ، ولأَمْ التوطئة قبل إن مقدّرة ، والتقدير : فوالله لئن لم تبتئس . وجواب الشرط محذوف وجوباً مدلول عليه بجواب القسم .

و (تبتئس) : تفتعل من البؤس بالضم وسكون الهمزة ، ويجوز تخفيفها . يقال بئس بالكسر ، إذا نزل به الضرّ ، فهو بائس . وابتأس : لَقِيَ بُؤْساً وحُزناً . والباء سببية أى بسبب (٢) فراق الشنفرى ، وهو صاحب هذه القصيدة الشهيرة بلامية العرب . وهذا البيت منها ، والذي قبله أيضاً .

و (الشَّنْفَرَى) بالقصر ، قال التبريزي (في شرح الحماسة) قال أبو العلاء : تكلم بعض الناس في اشتقاق هذا الاسم ، فزعم قوم أنه يراد به

(١) الشاهد من لامية العرب . وانظر أُمالى القالى ٣ : ٢٠٥ .

(٢) ط : « سبب » ، صوابه في ش .

الأسد ، وقيل الجمل الكثير الشعر ، ويجب أن يكون من قولهم شنفارة ، إذا كان حاداً . وإن كان النون زائداً فيجوز أن يكون من قولهم : أذن شنفارية إذا كانت كثيرة الشعر والوبر . وقالوا: ضَبَّ شَفَارِيَّ إذا كان طويلاً ضخماً . وقالوا شَفَرَ الرجل ، إذا أَقْلَ العطية . وشَفَرَ المأل ، إذا قَلَّ . انتهى . وقال في شرح القصيدة : قال أبو العباس ثعلب : الشَّنْفَرَى : البعير الضخم ، وقال : الشَّنْفَرَى : العظيم الشفتين . انتهى .

وتقدّمت ترجمته مع شرح أبيات من أولها في الشاهد السادس والعشرين بعد المائتين (١) .

والقُسْطَل : الغبار . وأُمُّ قُسْطَل : كنية الحرب ، سُمِّيت به لأنها تثير الغبار وتولّده . و (اغتبطت) فاعله ضمير أم قسطل . واغتبط : مطاوع غبطته من الغبطة ، يقال غبطت الرجل أغبطه غبطاً من باب ضرب ، والاسم الغبطة بالكسر ، إذا اشتبهت أن يكون لك مثل ماله ، وأن يدوم عليه ما هو فيه . وحسّده أحسّده حسداً ، إذا اشتبهت أن يكون لك ما له وأن يزول عنه ما هو فيه . فغبطته : تمنّيت أن أكون مثله . واغتبط صار مغبوطاً . والباء للسببية ، و (قُبِلَ) بالبناء على الضم ، أى قبل موته ، وما مصدرية مؤولة مع الفعل بالمبتدأ ، بتقدير مضاف و (أطول) خبره ، والتقدير : لزمن اغتباطها بالشَّنْفَرَى قبل موته أطول من زمن بُوسها بموته . وقال شراح القصيدة : ما بمعنى الذى ، وهو مبتدأ ، وأطول خبره . ويجوز أن تكون ما مصدرية . فإذا كانت بمعنى الذى كان العائد محذوفاً تقديره : للذى اغتبطت به من الشَّنْفَرَى وبسببه . هذا كلامهم ، ولا يخفى تكلفه .

وقال المعرب : لَمَّا اغْتَبَطْتُ جَوَابَ قِسْمٍ مَحْذُوفٍ ، وَهَذَا الْجَوَابُ أَغْنَى عَنْ
جَوَابِ الشَّرْطِ ، وَالشَّرْطُ هُنَا مَوْطِئٌ لِلْقِسْمِ ، وَأَكْثَرُ مَا يَأْتِي بِاللَّامِ ، وَقَدْ جَاءَ بِغَيْرِ
لَامٍ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا (١) ﴾ . انْتَهَى .
وَلَمْ يَتَعَرَّضْ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِمَا تَعَرَّضَ لَهُ الشَّارِحُ الْمُحَقِّقُ .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ :

(لَعَنَ تَكُّ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ يُبْثِثُكُمْ لِيَعْلَمَ رَبِّي أَنَّ بَيْتِي وَاسِعٌ)
عَلَى أَنَّ فِعْلَ الشَّرْطِ الْمَحْذُوفِ جَوَابُهُ قَدْ جَاءَ مُضَارِعاً فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ ،
وَالْقِيَاسِ : لَعَنَ كَانَتْ .

وَتَقْدِمُ شَرْحُهُ فِي الشَّاهِدِ الرَّابِعِ عَشَرَ بَعْدَ الثَّمَانِيَةِ (٢) .

* * *

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّامِنُ وَالثَّلَاثُونَ بَعْدَ التَّسْعِمَائَةِ (٣) :

٩٣٨ (إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لَا نِعَالَ لَنَا إِنَّا كَذَلِكِ مَا نَحْفَى وَنَتَّبِعِلْ)
عَلَى أَنَّ مَجِئَ الشَّرْطِ فِيهِ مُضَارِعاً كَالْأَيَّاتِ الَّتِي قَبْلَهُ ضَرُورَةٌ ، وَالْقِيَاسُ إِمَّا
رَأَيْنَا .

و (إِمَّا) أَصْلُهُ إِنْ الشَّرْطِيَّةُ وَمَا الزَّائِدَةُ ، وَلَامُ التَّوَطُّعَةِ مُقَدَّرَةٌ قَبْلَ إِنْ ، وَجُمْلَةٌ
(إِنَّا كَذَلِكَ) إِخْلَاجُ جَوَابِ الْقِسْمِ الْمُقَدَّرِ ، وَهُوَ دَلِيلُ جَوَابِ الشَّرْطِ . وَالَّذِي دَلَّنَا

(١) الآية ٧٣ من سورة المائدة .

(٢) الخزانة ١٠ : ٦٨ - ٧١ .

(٣) الأزهية ٧٧ ، ١٥٢ وابن السجري ٢ : ٢٤٦ ، ٣٤٥ والمغني ٣١٤ وديوان الأعشى ٤٥ .

على أن هذه الجملة جواب القسم عدم اقترانها بالفاء . ولا يحسن جعلها جواب الشرط بادعاء حذفها ، لأن حذفها خاص بالشعر كما يأتي في الشرح قريباً .
ولم يصب التبريزي وشارح جمهرة الأشعار في قولهما : حذف الفاء لعلم السامع ، والتقدير : فإننا كذلك نحفي ونتنعل . انتهى .
وأشار إلى أن ما الثانية زائدة أيضاً .

وروي بدلها : « قد نحفي ونتنعل » . و (ترينا) خطاب لامرأة . وحفاة : جمع حاف ، وهو الذى يمشى بلا نعل . وجملة (لا نعال لنا) صفة كاشفة لحفاة . قال الشارحان : المعنى إن ترينا نتبذل مرةً ونتنعم أخرى ، فكذلك سيئنا . وقيل : المعنى إن ترينا نستغنى مرةً ونفتقر مرةً . وقيل : المعنى إن ترينا نميل إلى النساء مرةً ونتركهن أخرى . انتهى .

والبيت من قصيدة للأعشى مشهورة ، قد ألحقت بالمعلقات ، وتقدم شرح أبيات منها . وقبله :

صاحب الشاهد

(قالت هُريرةٌ لما جئت زائرُها وبلى عليك وبلى منك يا رجلُ)

قالوا : هذا البيت أخصت بيت قالته العرب . و « زائرُها » حال من التاء بتقدير زائرًا لها . وإنما قالت له كذا لسوء حاله . وقولها : « وبلى عليك » لفقره ، و « وبلى منك » لعدم استفادتي شيئاً منك . ثم أخذت في تبين سبب سوء حاله بأنه قد أفنى ماله في ملاذ نفسه وشهواتها ، فقال مجيباً لها بقوله : إنا ترينا حفاةً ، إلخ ، وهو بتقدير القول ، أى فقلت لها : إنا ترينا إلخ . وبعده :

أبيات الشاهد

(وقد أخالسُ ربَّ البيتِ غفلته وقد يُحاذِرُ منى ثم ما يُبُلُ
وقد أقودُ الصبّا يوماً فيتبعنى وقد يصاحبنى ذو الشرّة العزلُ
وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعنى شاوٍ مثلُ شلولٍ مثلُ شلولٍ شولُ)

فِي فَتِيَّةِ كَسِيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنْ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ
 نَازَعَتْهُمْ قُضْبُ الرِّيحَانِ مُتَكِنًا وَقَهْوَةٌ مُزَّةٌ رَاوَقَهَا خَضِلُ
 لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا وَهِيَ رَاهَنَةٌ إِلَّا بِهَاتٍ وَإِنْ عَلَوْا وَإِنْ تَهَلُّوا
 يَسْعَى بِهَا ذُو زُجَاجَاتٍ لَهُ نَطْفٌ مُقْلَصٌ أَسْفَلَ السَّرِيَالِ مُعْتَمِلُ
 وَمُسْتَجِيبٌ تَحَالِ الصَّنَجِ يَسْمَعُهُ إِذَا تَرَجَّعَ فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفُضْلُ
 وَالسَّاحِبَاتُ ذُبُولُ الْحَزْرِ آوَنَةٌ وَالرَّافِلَاتُ عَلَى أَعْمَازِهَا الْعِجْلُ
 مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَوْمٌ قَدْ لَهَوْتُ بِهِ وَفِي التَّجَارِبِ طُولُ اللَّهْوِ وَالْغَزْلُ (

٥٤٦

قوله : « وقد أحالس رب البيت » إلخ أسارق ، و يروى « أراقب » ، وغفلته
 بالنصب بدل اشتغال من رب البيت . وإتما يراقب غفلته ليلهو بامرأته . وهذا
 ممّا يقتضى بذل المال لها حتّى توافقه . وقوله « ما يثل » أى ما ينجو متى
 ولا يخلص . ووأل يثل بمعنى نجا ينجو ، والموئل : موضع النجاة .

وقوله : « وقد أقود » إلخ الصبا اسم من صبا يصبو صبوة ، أى مال إلى
 الجهل والفتوة . وفيه قلب ، أى يقودنى الصبا فأتبعه . والشرّة بالكسر هى شرّة
 الشباب ، وهو حرصه ونشاطه . ويروى بدله : « ذو الشارة » وهى الهيئة الحسنّة .
 والغزل بكسر الزاى ، وهو الذى يحبّ الغزل بفتححتين ، وهو محادثة النساء . وهذا
 أيضاً مما يوجب بذل الأموال .

وقوله : « وقد غدوت » إلخ أى ذهبت غدوة . والحانوت : بيت الحمار .
 والشاوى : الذى يشوى اللحم . والمثّل بكسر الميم وفتح الشين : الخفيف فى
 الحاجة . والمثلثل ، بضم الشينين : المتحرك . والشول بفتح أوله وكسر ثانيه :
 الذى يحمل الشيء ، يقال شلت به وأشلت . وقيل هو من قولهم : فلان يشول فى
 حاجته ، أى يعنى بها ويتحرك فيها . ومن رواه « شول » بضم ففتح فهو معناه ،
 إلا أنّه للتكثير . وهذا أيضاً يحمل على الإسراف فى المال .

وقوله : « في فتية » إلخ أى مَعَ فتية . وشبَّههم بالسيوف في الصَّرامة والمضاء . وقوله : « قد علموا » إلخ هذا عذرهم في إتلاف المال في اللذات (١) .
وعدم ادِّخارهم شيئاً لأنَّه لا وجه لادِّخارهم ، مع علمهم أنَّه لا ينجو شريف ولا وضعيع من الموت ، ولا غنى ولا فقير . وروى بدله :

..... قد علموا أن ليس يدفع عن ذى الحيلة الحيلُ

أى قد علموا أنَّ ما قُدِّرَ عليهم فلا بد أن يكون . يريد أنَّ الفتيان قد علموا أنَّ الموت يعم الناس جميعاً ، فهم يُبادِرُونَ إلى اللذات ، قبل حلول الموت فيهم .
وهذا البيت من شواهد كتاب سيبويه والمفصل وغيره ، وهو تخفيف أنَّ المفتوحة ، واسمها ضمير الشأن المحذوف . قال ابن جنى (فى المحتسب) عند قراءة الأعرج وغيره : ﴿ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾ و ﴿ أَنْ غَضَبُ اللَّهِ ﴾ : من خَفَّفَ ورفع فَأَنَّ عنده مخففة واسمها ضمير الشأن محذوف ، ولم يكن من إضماره بدٌّ لأنَّ المفتوحة إذا خَفَّفَت لم تصر حرف ابتداء ، إنَّما تلك إنَّ المكسورة ، وعليه قول الشاعر (٢) :

* قد علموا أنَّ هالك *البيت

أى بأنَّه هالك كلُّ من يخفى ويتنعل . وسبب ذلك أنَّ اتصال المكسورة باسمها وخبرها اتصال العامل بالمعمول فيه ، واتصال المفتوحة باسمها وخبرها اتصالان : أحدهما اتصال العامل بالمعمول فيه ، والآخر اتصال الصلَّة

(١) الكلام من هنا إلى « اللذات » التالية ساقط من ش .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ٤٥ . وهو بتمامه :

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يخفى ويتنعل

وانظر المحتسب ١ : ٣٠٨ / ٢ : ١٠٢ - ١٠٣ .

بالموصول . ألا ترى أنَّ ما بعد المفتوحة صِلَةً ، فلمَّا قوى مع الفتح اتِّصالُ أنَّ بما بعدها لم يكن لها بدٌّ من اسم مقدَّر محذوف تعمل فيه ، ولمَّا ضعف اتِّصال المكسورة بما بعدها جاز إذا خَفَّفَتْ أن تفارق العملَ وتخلَّصَ حرفُ ابتداء . انتهى .

وقال السيرافي : وفي كتاب مَبْرُمان : هذا البيت معمولٌ . والبيت :

* أن ليس يَدْفَعُ عن ذى الحيلة الحِيلُ *

قال : والشاهد في كلتا الروايتين واحد ، لأنه في إضمار الهاء ، وتقديره أنَّه هالك وأنَّه ليس .

قال ابن المستوفي : والذي ذكره السيرافي صحيح ، ولا شك أن النحويين غيَّروه ليقع الاسم بعد أن المخففة مرفوعا ، وحكمه أن يقع بعد أن المثقلة منصوبا ، فلما تغيَّر اللفظ تغيَّر الحكم . وقال سييويه : أن هالك الرفع فيه على إضمار الهاء . انتهى .

وقوله : « نازعتهم قُضِبَ الرِّيحان » إلخ نازعتُهم : جاذبتهم . وقُضِبَ : جمع قضيب ، يريد : تناولت منهم قُضِبَ الرِّيحان عند التَّجِيَّة ، فاتَّهم يُناولون الرِّيحان عند ما يحسُّ بعضهم بعضا . وقال الأصمعي : هذا تمثيل ، يريد نازعتهم حَسَنَ الأحاديث وطرائفها . والقهوة : الخمر . والمُرَّة بالضم : المرء التي فيها مزازة . والراووق : إناء الخمر ، قاله ابن حبيب . وقال أبو عبيدة : الراووق والتَّاجود : ما يخرج من ثقب الدَّن والمعروف من الكرايس (١) يروِّق فيه الخمر . والخَضِيل ، بفتح فكسر : الدائم النَّدى .

(١) في اللسان : « والكرايس : راووق الخمر » .

وقوله : « لا يستفيقون » إلخ أى شربهم دائم ليس لهم وقت معلوم يشربون فيه . والرَّاهِنَةُ ، بالنون : الدائمة ، وقيل المُعَدَّة . والراهية بالمشناة التحتية : الساكنة (١) . وقوله : « إلّا بهات » ، أى بقولهم : هات ، أى إذا ابطأ عنهم قالوا : هات . وقوله « إنْ علّوا » أى إن شربوا مرّة بعد مرّة . والعلل : الشرب الثانى . وقوله : « نهلوا » أى شربوا مرة واحدة .

وقوله : « يسعى بها » أى بالقهوة . والنَّطَف ، بفتحتين : القِرْطَة ، والواحدة نَطْفَةٌ ، وقيل اللؤلؤ العظام . ومُقْلَص بكسر اللام : مشمر ، وهو صفة ذو زجاجات . والسُرَّيَال : القميص . والمعتل : الذى يعمل ، وهو النشيط . وقيل النَّطَف : الثَّبان بلغة أهل اليمن ، من جلدٍ أحمر .

وقوله : « ومستجيب » إلخ أى وعندنا مستجيب ، وأراد به العود ، أى إنّه يجب الصنّج ، فكأنَّ الصنّج دعاه فأجابه . قال أبو عمرو : يعنى بالمستجيب العودَ شبهَ صوته بصوت الصنّج ، فكأنَّ الصنّج دعاه فأجابه . وروى بالجر فيكون معطوفا على فتية قبله بأربعة أبيات . ويسمعه روى بالبناء للفاعل وبالبناء للمفعول ، والقينة فاعل ترجّع ، وهى عند العرب الأمة مغنّية كانت أم غير مغنّية . والفُضْل ، بضمّتين ، قال أبو عبيدة : هى التى عليها ثوبٌ بلا درع . وقال أبو عمرو : هى التى لبست فضول ثيابها ، وهى ثياب الخدمة .

وقوله : « والسَّاجِبَات » بالرفع والجر كالذى قبله . والرافلات : النساء اللواتى يرقلن بشياهنّ أى يُجرّرنها . والعِجْلُ بكسر ففتح ، هو جمع عِجْلَةٍ ، وهى مَزَادَةٌ كالإداوة . قال أبو عبيدة : شبه أعجازهنّ لضخّمها بالعِجْل . وقال الأصمعى : أراد أنهنّ يخدمنه معهنّ العِجْلُ فيهنّ الخمر .

(١) إشارة إلى رواية « راهية » ، وهما روايتان ، كما فى اللسان (رها ٦٣) .

وقوله : « مِنْ كُلِّ ذَلِكَ » إلخ خبره مقدّم ، ويومٌ مبتدأ مؤخر ، وقد لهوت به صفته ، وفي التجارب خبر مقدم : جمع تجرّية ، وطول مبتدأ والغزل معطوف عليه . يقول : لهوت في تجاربي وغازلت النساء .

وترجمة الأعشى تقدّمت في الشاهد الثالث والعشرين من أوائل الكتاب (١) .

وأنشد بعده :

(لئن مُنيتَ بنا)

تمامه :

..... عن غِبِّ معركةٍ لا تُلَفِنَا عن دماء القوم نَنْتَفِلُ (

وتقدم شرحه قريبا (٢) .

وأنشد بعده :

(مَنْ يَفْعَلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا)

تمامه :

(وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ)

وتقدم الكلام عليه في الشاهد الحادى والتسعين بعد الستمائة (٣) .

٥٤٨

(١) الخزانة ١ : ١٧٥ .

(٢) هو الشاهد ٩٣٣ فى ص ٣٢٧ .

(٣) الخزانة ٩ : ٤٩ - ٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثلاثون بعد التسعمائة ^(١) :

٩٣٩ (فَإِنْ عَثَرْتُ بَعْدَهَا إِنْ وَأَلْتِ نَفْسِي مِنْ هَاتَا فَقُولَا لَا لَعَا)

على أنه إن دخل الشرط على شرط بدون فاء كَانَ الجواب للشرط الأول ، وكان الشرط الأول مع جوابه جواب الشرط الثاني . والتقدير : إن وألت نفسي فإن عثرت بعدها فقولا : لا لعا .

وهذا البيت من مقصورة ابن دريد المشهورة ، وهو من المولدين ، فكان الأولى الاستشهاد بكلام مَنْ يوثق به ، كقوله :

إِنْ تَسْتَغِيثُوا بِنَا إِنْ تُذْعَرُوا تَجِدُوا مِنَّا مَعَاقِلَ عِزِّ زَانِهَا كَرُمُ ^(٢)

أى إن تذكروا فإن تستغيثوا بنا تجدوا إلخ . وفيه ضرورة ، وهو وقوع الشرط الثانى المحذوف جوابه مضارعاً ، والقياس مُضِيَّهُ كما تقدم .

ونقل شراح التسهيل عن ابن مالك أَنَّ الشرط الثانى مقيّد للأول بمثابة الحال ، فكأنه قيل فى البيت : إِنْ تَسْتَغِيثُوا بِنَا مَذْعُورِينَ .

وجعله بعضهم مؤخراً فى التقدير ، فكأنه قال : إِنْ تَسْتَغِيثُوا بِنَا تَجِدُوا مَعَاقِلَ عِزِّ إِنْ تَذْعَرُوا ، وما قبله الجواب ، فهو على هذا مقدّم فى المعنى .

قال ابن عقيل : والصحيح فى مسألة توالى الشروط أَنَّ الجواب للأول ، وجواب الثانى محذوف لدلالة الشرط الأول وجوابه عليه ، وجواب الثالث محذوف لدلالة الشرط الثانى وجوابه عليه . فإذا قلت : إِنْ دَخَلْتُ الدَّارَ إِنْ كَلَّمْتُ زَيْدًا إِنْ

(١) مقصورة ابن دريد والمعنى ٦١٤ .

(٢) سقطت كلمة « منا » من ط . والبيت ، وهو مجهول القائل ، من شواهد المعنى ٤١٦ والمعنى

٤ : ٤٥٢ والتصریح ٢ : ٢٥٤ والأشباه والنظائر ٤ : ٣٤ والأشعوى ٤ : ٣١ .

جاء إليك فأنت حرٌّ ، فقولك : فأنت حرٌّ جوابُ إن دخلتَ ، وإن دخلتَ وجوابه دليلُ جوابٍ إن كَلَمْتَ ، وجوابه دليلُ جوابٍ إن جاء . والدليل على الجواب جوابٌ في المعنى ، والجواب متأخر ، فالشرط الثالث مقدّم ، وكذا الباقي ، وكأنّه قيل : إن جاء فإن كلمت فإن دخلت فأنت حرٌّ. فلا يَعتَقُ إلّا إذا وقعت هكذا : مجيء ، ثم كلامٌ ، ثم دخول . والسَّماع يشهد لهذا القول ، قال : « إن تستغيثوا بنا » البيت . وعليه عملُ فصحاءِ المولّدين ، وقال ابن دريد :

* فإن عثرتُ بعدها إن وألّت * البيت

وقال بعض الفقهاء : الجواب للأخير ، والشرط الأخير وجوابه جواب الثاني ، والشرط الثاني وجوابه جواب الأوّل . وعلى هذا لا يعتقُ حتّى يوجد كذلك دخولٌ ثم كلامٌ ثم مجيء . وقال بعضهم : إذا اجتمعت حصل العتق تقدّم المتأخر أو لا . وما ذكر محمولٌ على ما إذا كان التوالى بلا عاطف ، فإن عطف أحد الشرطين على الآخر فإن كان العطف بأو فالجواب لأحدهما من الأوّل والثاني دون تعيين ، نحو : إن جئتنى أو إن أكرمتَ زيداً أحسنُ إليك . وقالوا فيما إذا دخلت الفاء على أداة شرطٍ بعد أخرى ، نحو : إن جئتنى فإن أحسنتَ إلى جئتكَ : إنّ الجوابَ للثاني ، وما دخلت عليه الفاء من الشرط وجوابه جوابُ الأوّل . وهذا فيه إخراجُ الفاء عن العطف وجعلها لربط جملة الجزاء بالشرط .

وقال ابن مالك (في شرح الكافية) : إذا اجتمع شرطانٍ بعطفٍ فالجوابُ لهما ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَوَمَّنَا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ إِنْ يَسْأَلُكُمْوهَا فُيُخَفِّكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾^(١) . وهذا على مقتضى ما سبق فيما إذا كان العطف بالواو وإن تكرّرت أداة الشرط ، وفيما إذا كان

العطف بالفاء . وإنما تكرر الشرط بلا أداة في المكرّر . وأمّا المعطوف بأَوْ فلا يدخل في هذا ، لما عَلِمَ من أَنَّ أَوْ لأحد الشيئين أو الأشياء ، فليس المقصود مجموع الشرطين بل أحدهما . وهذا بخلاف ما نحن فيه ؛ فإنَّ المقصود المجموع ، فالتوالى على الجواب لم يتحقّق في العطف بالواو والفاء .

قال ابن عقيل : وثبت في نسخة من التسهيل عليها خطّه بعد قوله : « وإنَّ توالى شرطان أو قسم وشرط استغنى بجواب سابقهما » ما نصّه : « وثاني الشرطين [لفظاً ^(١)] أولهما معنى في نحو : إنَّ تَتَّبِعْ إنَّ تَذُنْبُ تُرْحَمَ » . وظاهر هذا الكلام يقتضى أنّه إنّما يرى تقديم المؤخّر فيما كان نحو هذا ، وهو ما يكون فيه الأوّل مترتباً على الثاني وقوعاً عادة ، فهو موافق للقول الأوّل الصحيح من وجهٍ ومخالفة من وجه . فالموافقة في اعتقاد التّقديم من تأخيرهِ ، والمخالفة في الإشعار بالتفصيل ، إذ قَضِيَّتْهُنَّ أنّهما إذا لم يكونا كذلك فكلُّ منهما واقعٌ موقعه ، نحو : إنَّ جِئْتَنِي أن أحسنتَ إليّ أكرمتك . وأصحاب القول الأوّل لا يفرّقون بين المرتبة وغيرها . فالتأخّر عندهم متقدّم مطلقاً . انتهى .

وبيت ابن دريد قبله :

(ما كنتُ أدري والزّمانُ مُولَعٌ بشتِّ مَلُومٍ وتنكيثِ قَوَى
أنَّ القضاءَ قاذِفِي في هَوَا لا تَسْتَبِيلُ نفسُ مَنْ فيها هَوَى)

أبيات الشاهد

وبعده :

(وإن تكن مُدَّتْها موصولةٌ بالَحْتَفِ سَلَطْتُ الأَسَى على الأَسَى)

وقوله : « ما كنتُ أدري إلخ ، المولَعُ : مِنْ أُولِعَ بالشيءِ على ما لم يُسَمَّ فاعله ، فهو مُولَعٌ بفتح اللام ، أى مُغرَمٌ به ، والباء متعلّقة به . والشَّتُّ : مصدر

(١) التكملة من ش .

شَتَّ الأَمْرُ يَشِثُّ بالكسر شَتًّا وشَتَاتًا ، أى تَفَرَّقَ . وجملة « والزمان مَوْلَعٌ » إلى آخر البيت اعتراضٌ بين أدرى وبين ما سدَّ مسدًّا مفعوليها ، وهو : « أَنَّ القضاء » البيت الآتى . والملموم : المجتمع . والتنكيث : النقص . والقوى : جمع قُوَّة ، وهى فى الأصل إحدى طاقات الجبل ، ثم استُعير . ويكتب بالألف عند البصريين لأنَّ ألفه منقلبة عن واو . وبالياء عند الكوفيِّين لانضمام أوَّله . وهذا المعنى مأخوذٌ من قول جرير :

لا يَأْمَنَنَّ قَوًى نَقَضَ مِرَّتَهُ إِنِّى أرى الدهر ذا نَقْضٍ وإِمْرَارٍ^(١)

وقوله : « أَنَّ القضاء » إلخ أَنَّ بفتح الهمزة مع معمولها سَدَّتْ مَسَدًّا المفعولين لأدرى فى البيت السابق . والقاذف : الرامى ، وهو مضاف إلى ياء المتكلم . والهَوَّةُ بضم الهاء : حفرة يَضِيقُ أعلاها ويتَّسع أسفلها . ولا تَسْتَبِيلُ : لا تبرأ، مِنْ بَلٍّ من مرضه وأبلَّ ، إذا برأ منه . وكان حقُّه أن يقول : لا تنجو ولا تخلص ونحوهما . وجملة لا تستبيلُ إلخ صفةٌ هَوَّةٌ . وهَوَى : سَقَطَ ، يكتب بالياء . وهذا المعنى مأخوذٌ من قول الأفوه الأودى^(٢) :

فصروُفُ الدهرِ فى أَطْبَاقِهِ خِلْفَةٌ فيها ارتِفَاعٌ وانْحِدَارُ^(٣)
بينما الناسُ على عَليائِهَا إذ هَوَوْا فى هَوَّةٍ منها فغَارُوا

وقوله : (فَإِنْ عَثَرْتُ) إلخ عَثَرْتُ : سقطت ، ومصدره العِثَارُ . وأمَّا العثور فهو مصدر عَثَرْتُ عليه بمعنى اطلَّعت عليه . و (وأَلَتْ) : نجت وخلصت ، وفعله أَلَّ يَلُّ وَأَلَا من باب ضرب . والموئل : موضع النَّجَاة . والضمير فى بعدها ٥٥٠

(١) ديوانه ٣١٠ من قصيدة مطلعها :

حيُّوا المَقَامَ وحيُّوا ساكن الدار ما كدَتْ تَعْرِفُ إلَّا بعد إنكار

(٢) ديوان الأفوه ١١ من الطرائف الأدبية .

(٣) الأطباق : جمع طبق ، وهو الحال . وفى التنزيل العزيز : « لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عن طَبَقٍ » .

راجع إلى الهوة ، وقيل راجع إلى العثرة المفهومة من عثرت . ونفسى فاعل وألت . هاتا ^(١) بمعنى هذه ، والمشار إليه الهوة . وها حرف تنبيه . وتا : اسم إشارة للمؤنث ، وهي ستعمل على أربعة أضرب : إما أن تستعمل مفردة وليس معها ها تنبيه ولا حرف خطاب ، كقولك : تا ، وهذا أخصر ما يكون . وإما أن يكون معها حرف التنبيه مثل هاتا . وإما أن يكون خطاباً وتنبيه مثل ها تاك ، أو خطاب بلا تنبيه مثل تاك .

وقوله : (لالعا) قال الخليل : لعا كلمة تقال عند العثرة . وقال ابن سيده : لعا كلمة يدعى بها للعائر ، معناها الارتفاع . وقال أبو محمد بن السيد : لعا من أسماء الفعل مبنى على السكون ، والتنوين فيه علامة التنكير كالتنوين في صه ومه . وهى كلمة يراد بها الانجبار والارتفاع . وقد بين أبو عثمان سعيد بن عثمان القزاز الفعل الذى لعا اسمه فقال : يقال لعا لك الله ، أى نَعَشَكَ الله ورفعَكَ . فلعا اسمٌ لَنَعَشَ ، كما أنَّ هيهات اسمٌ لَبَعُدَ ، وصه اسمٌ لَاسْكُتَ . ولا فى قوله لا لعا : نفى للدعاء . ولعا تكتب بالألف ، لأنها منقلبة عن واو ، ولذلك أدخلها الخليل وغيره فى باب العين واللام والواو .

وحكى أبو عبيد (فى الأمثال) : « ومن دعائهم لا لعا لفلان ، أى لا أقامه الله » .

فجعل لعا اسماً لإقامته الله . وهو قريب من القول الأول ، لأنه إذا أقامه فقد رفعه ، وإذا رفعه فقد نَعَشَه .

وقد ردَّ عليه ذلك أبو عبيد البكرى وقال : هذا ما قاله أحد ، وإِنَّمَا قال

(١) ش : « وهاتا » مع كتابه الواو بخط مغاير .

اللُّغَوِيُّونَ : لَعَاً : كلمة تقال للعائر في معنى اسْلَمَ ، وكذلك دَعَدَعَ ^(١) . وقد روى في حديث مرفوع « أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُقَالَ لِلْعَائِرِ دَعَدَعَ ، وَلِيَقُلَ لَهُ : اللَّهُمَّ ارْفَعْ وَانْفَعْ » . وقال الأعشى ميمون :

بَذَاتِ لَوِثٍ عَفْرَنَاءِ إِذَا عَثَرْتُ فَالْتَّعَسُ أَدْنَىٰ لَهَا مِنْ أَنْ يُقَالَ لَعَا ^(٢)
ومعنى البيت ينظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرْتَبَيْنِ ^(٣) » ، وتأويله : أَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ إِذَا تُكِبَ مِنْ وَجْهِ أَنْ لَا يَعُودَ لِمِثْلِهِ .
فابن دريد يقول : إِنْ عَثَرْتُ بَعْدَ أَنْ نَجَتْ نَفْسِي مِنْ هَذِهِ فَحَقِّي أَنْ يُقَالَ لِي : لَالْعَا ، لِأَنِّي خَالَفْتُ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ .

وقوله : « وَإِنْ تَكُنْ مُدَّتُّهَا » إلخ أى مُدَّة النكبة ، المفهومة من قوله :

* أَنَّ الْقَضَاءَ قَاذِفِي فِي هَوَّةٍ *

وموصولة : متصلة . والحتف : الموت ، يقال مات فلان حتف أنفه وحتف أنفيه ، إذا مات على فراشه من غير قتل . والإسبى الأول بكسر الهمزة وضمها والقصر ، جمع إسوة بكسر الهمزة وضمها ، وهو القدوة وما يأتسى به الحزين ، أى يتعزى ويتسلّى ، يكتب بالياء على مذهب الكوفيين وبالألف عند البصريين ، لأنّ ألفه منقلبة عن الواو . والأسى الثانى بفتح الهمزة والقصر ، هو الحُزن ويكتب بهما ، لأنّ التثنية أُسَيَانِ وَأَسَوَانِ . وأما الإساء بكسر الهمزة والمدّ

(١) ش : « دغدغ » في هذا الموضع وتاليه ، صوابه في ط وفصل المقال للبكرى : ١٠١ . وفي القاموس : « ودغ ودغدغ مبتنien على السكون ، كانت تقال للعائر ، كدعدعاً ودعاً متوتنين . أو لم يستعمل إلا كذلك » .

(٢) ديوان الأعشى ٨٣ . والمختضب ١ : ١٤١ .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد ، من حديث أبى هريرة . الجامع الصغير

فهو الدَّواء . واسم الفاعل الآسى كالفاضى ، وهو المُداوى والطَّبيب ، وجمعه
الإسَاء ، كراع ورعاء ، ويجمع على أساة أيضاً ، كرام ورُماة .

ومعنى البيت مأخوذ من قول الخنساء :

وما سيكون مثل أخى ولكن أعزى النفس عنه بالتأسى ^(١)

وقال الشَّمرذل ^(٢) بن شريك ، وقيل غيره :

ولولا الأسى ما عشت فى الناس ساعة ولكن إذا ما شئت جاؤبنى مثلى ^(٣)

وترجمة ابن دريد تقدمت مع شرح أبيات من هذه المقصورة فى الشاهد
الثامن والسبعين بعد المائة (٤) .

٥٥١

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الأربعون بعد التسعمائة ^(٥) :

٩٤٠ (فأما الصُّدور لا صُدور لجعفر)

على أنه لا تحذف (الفاء) من جواب (أمّا) إلا فى الضرورة كما هنا ، فإنَّ
التقدير : فلا صدور لجعفر .

والصُّدور مبتدأ ، وجملة « لا صُدور لجعفر » من اسم لا النافية للجنس
وخبرها فى محلِّ رفع خبر المبتدأ . وهذا كقوله :

(١) ديوان الخنساء ٨٥ .

(٢) ش : « الشمرذل » مع طمس نقطة الذال يجعلها فتحة ، والصواب ما فى ط . والشمرذل بن
شريك : شاعر من شعراء الدولة الأموية ترجم له فى الشعراء ٧٠٤ والأغانى ١٢ : ١١٦ - ١١٧
والمؤتلف ١٣٩ . وهو من شعراء الحماسة .

(٣) نسبه فى اللسان (أسا ٣٨) إلى حريث بن زيد الخيل .

(٤) الخزائن ٣ : ١١٩ - ١٢١ .

(٥) ابن يعيش ٧ : ١٣٤ / ٩ : ١٢ .

* فَأَمَّا الْقِتَالُ لَا قِتَالَ لَدَيْكُمْ (١) *

وتقدم الكلام عليه في الشاهد السادس والسبعين من أوائل الكتاب .
ورابط الجملة بالمبتدأ هو العموم المستفاد من النفي ، فَإِنَّ قَوْلَهُ « لَا صَدُورٌ » عَامٌّ
يشمل الصدور المتقدمة وغيرها ، فصار بمنزلة الذكر العائد . وقد بين هناك .

وهذا المصراع صدرٌ ، وعجزه :

(وَلَكِنَّ أَعْجَازًا شَدِيدًا ضَرِيرُهَا)

هكذا أنشده جماعة من النحويين ، منهم أبو علي (في التذكرة وغيرها) ،
وابن جنى (في سر الصناعة وغيره) ، وابن يعيش وابن خلف وغيرهم . ووقع في
نسخ الشرح : (لَدَيْكُمْ) بدل (لجعفر) . وهو تخليطٌ من التَّسَاخ . وقبله :
(تَزَاجِمُنَا عِنْدَ الْمَكَارِمِ جَعْفَرٌ بِأَعْجَازِهَا إِذْ أَسْلَمَتْهَا صَدُورُهَا)

كذا أنشدتهما يعقوب بن السكيت عن المفضل ، لرجل من الضُّبَابِ (في
كتاب أبيات المعاني) ، وقال : يقول : بنو جعفرٍ ضعفاءٌ عن حربنا ، استعانوا
بالتَّسَاءِ . وذلك أَنَّ قُطَيْةَ بِنْتَ الْحَارِثِ تَزَوَّجَهَا بِشْرُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ
مَرْوَانَ ، فَكَانَ بَيْنَ الضُّبَابِ وَجَعْفَرٍ حَرْبٌ ، فَأَعَانَتْ بَنُو أُمَيَّةَ بَنِي جَعْفَرٍ عَلَى
الضُّبَابِ . انتهى كلامه .

وجعفر : أبو قبيلة ، وهو جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن
صعصعة . وقوله : « بِأَعْجَازِهَا » متعلِّقٌ بِتَزَاجِمُنَا . والأعجاز : جمع عَجَزٍ .
والعجز من كُلِّ شَيْءٍ : مؤخِّره . والعجز من الرجل والمرأة : ما بين الوركين . وأراد

(١) الخزائن ١ : ٤٥٢ - ٤٥٤ . وعجزه :

• وَلَكِنَّ سِيرًا فِي عِرَاضِ الْمَوَاقِبِ •

بالأعجاز هنا النساء ، لأنهن متأخرات عن الرجال . وأسلمتها : خذلتها وما أعانتها . و (الصدور) : جمع صدر ، وهو من الإنسان وغيره فوق البطن . وأراد بالصدور هنا أكابرهم وأشرفهم . و (الضرير) بالضاد المعجمة : المضارة ، وأكثر ما يستعمل في الغيرة ، يقال ما أشدَّ ضريره عليها . والضرير أيضاً : التحمل والصبر ، يقال إنه لذو ضرير على الشيء ، إذا كان ذا صبرٍ عليه ومقاساةٍ له . وناقّة ذات ضرير ، إذا كانت بطيئة التعب . والضرير أيضاً : حرف الوادي ، يقال : نزل فلان على أحد ضريرى الوادي ، أى على أحد جانبيه . يقول : إن بنى جعفر لا رجال فيهم ، فهم كالنساء ، وأما نساؤهم فهنّ شديداً الضّرر ، فهنّ كالرجال في المقاومة والمدافعة وإيصال الضّرر .

وقطيّة بنت الحارث على لفظ مصغر القطاة . والضباب بكسر الضاد المعجمة ، هو أخو جعفر بن كلاب المذكور ، واسمه معاوية . وأمهما ذؤيبة بنت عمرو بن مرة بن صعصعة . وهو أبو قبيلة أيضاً ، سمى الضباب بأسماء أولاد ابنه عمرو ، فإن ابنه عمراً ولد له ضب ، ومضب ، وضباب ، وحسل ، وحسيل . وهذه الأسماء سُموا الضباب .

وقائل البيتين شاعر إسلامي . والله أعلم .

وأنشد بعده :

٥٥٢

(لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيء)

وتمامه :

(نَعَصَ الموتَ ذا الغنى والفقير)

وتقدّم شرحه فى الشاهد الستين من أوائل الكتاب فى باب المبتدأ والخبر (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(وقائلةٌ خولان فانكح فتاتهُنَّ)

وتمامه :

(وأكرومةُ الحيين خلّو كما هيا)

وتقدّم الكلام عليه فى الشاهد السابع والسبعين من أوائل الكتاب (٢) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادى والأربعون بعد التسعمائة (٣) :

٩٤١ (رأْتُ رجُلًا أيّما إذا الشَّمْسُ عارضَتْ

فِيضْحَى وأَيّما بالعشيّ فَيَحْصُرُ)

على أن ابن خروف قال : قد يبدل الميم الأول من أُمّا ياءً كما فى البيت .

أقول : أورده أبو العباس المبرد (فى الكامل) فى ثلاثة مواضع ، فرواه فى أول الثلث الثالث بالإبدال فى الأوّل فقط ، ورواه فى الثلث الأوّل على الأصل فى الموضوعين بلا إبدال . ورواه فى أوائله بالإبدال فى الموضوعين ، فإنّه أورد بعض أبياتٍ لجميل بن معمر ، منها فى وصف قوس :

(١) الخزنة ١ : ٣٧٩ - ٣٨٦ .

(٢) الخزنة ١ : ٤٥٥ - ٤٥٧ .

(٣) معاني الفراء ٢ : ١٩٤ ، والكامل ٤٣ ، ١٦٦ ، ٥٧١ ، والمختضب ١ : ٢٨٤ والأزهية ١٥٧

والممتع ٣٧٥ والمغنى ٥٦ والممع ٢ : ٦٧ والأشمونى ٤ : ٤٩ وديوان عمر ٨٦ .

على نبعة زوراء أئما خطامها فمئن وأئما عودها فعتيق (١)

وقال : قوله : « أئما » يريد أما ، واستثقل التضعيف فأبدل الياء من أحد الميمين . ويُشَدُّ بيت ابن أبي ربيعة :

رأت رجلاً أئماً إذا الشمس عارضت فيضحي وأئما بالعشي فيخصر

وهذا يقع ، وإنما بابه أن يكون قبل المضاعف كسرة فيما يكون على فعال ، فيكروهن التضعيف والكسرة ، فيبدلون من المضعف الأول ياءً للكسرة ، وذلك قولهم : دينار وقيراط وديوان ، وما أشبه ذلك . فإن زالت الكسرة وانفصل أحد الحرفين من الآخر رجع التضعيف فقلت : دنانير ، وقراريط ، ودواوين . وكذلك إن صغرت فقلت : قريريط ، ودنينير . انتهى كلامه .

وقوله : « وهذا يقع » ، يريد أنه نادر .

صاحب الشاهد
وهذا البيت من قصيدة لعمر بن أبي ربيعة ، وقد سقناها برمتها مع شرح أبيات منها في الشاهد التسعين بعد الثلاثمائة (٢) ، وشرح أبيات أخر منها في باب العدد (٣) .

قال المبرد في الموضع الثاني : وما يُستظرف (٤) في التحافة قول ابن أبي ربيعة :

أبيات الشاهد
رأت رجلاً أمّا إذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعشي فيخصر
أخا سقر جوّاب أرضي تقاذفت به فلولت فهو أشعث أغبر
قليلاً على ظهر المطيّة ظلّه سوى ما نفى عنه الرداء المحبر

(١) الكامل ٤٢ وديوان جميل ١٥١ .

(٢) الخزانة ٥ : ٣١٢ - ٣٢٢ .

(٣) الخزانة ٧ : ٣٩٤ - ٤٠٠ .

(٤) وكذا في الكامل بالطاء المعجمة .

ومن أعجب ما قيل فى النحافة قولُ مجنونِ بنى عامر :
 ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ صدى أينما تذهبُ به الريحُ يذهبُ (١)
 ومن الإفراط فيه قول آخر :
 فلو أن ما أبقيتِ منى معلقٌ بعودٍ ثمامٍ ما تأوَّدَ عودُها (٢) . انتهى

قوله : (رأث رجلاً) إلخ فاعل رأث ضمير نَعَم أو أسماء ، فى بيت قبله :
 (قفى فانظري يا أَسَمَ هل تعرفينه أهذا المُعِيرُ الذى كان يُذَكِّرُ
 فقالت : نَعَم لا شكَّ غيرَ لونه سرى الليل يُحيى نَصَه وتهجُرُ)

والقائلة « قفى » محبوبته نَعَم . والمُعِيرُ : نسبة إلى جدِّه المُعيرة بن عبد الله ، وتقدَّم شرحهما هناك . وجملة « أيما إذا الشمس » إلخ صفة لرجلا ، والأصل رجلاً يضْحى وقتَ معارضة الشمس إياه ويخصر بالعشى ، فهو أخو سفرٍ يصلى الحرَّ والبرد بلا ساتر ، فجىء بأَيما للتفصيل . و (إذا) ظرفٌ ليضْحى ، قدَّم عليه لوجوب الفصل بين أَمَّا والفاء . والشمس فاعل فعلٍ محذوف يفسره ما بعدها . و (عارضت) : قابلتْ ، والمفعول محذوف أى عارضته . ومعارضة الشمس : ارتفاعها حتى تصير فى حِيال الرأس . قال ابن السيد (فيما كتبه على الكامل) : عارضت : صارتُ قبالةَ العيون فى القبلة . قال صاحب الصحاح : وضحيْتُ بالكسر ضَحَى : عَرِقت . وضحيْتُ أيضاً للشمس ضَحَاءً بالمد ، إذا برزت . وضحيْتُ بالفتح مثله . والمستقبل أضْحى فى اللغتين جميعاً . انتهى .

وحاصله أنه جاء من باب فرح ومنع .

(١) ديوان المجنون ٨٠ .

(٢) لأبى العوام بن كعب بن زهير ، أو الحسين بن مطير ، أو كثير عزة ، كما فى العينية ٤ : ٤٥٧ .

وقال المبرد في الثلث الثالث : قوله يَضْحَى : يظهر للشمس . وقوله « فَيُخْصَر » يقول في البرد . وإذا ذكر العشي فقد دل على عَقِيب العشي . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنْتَ لَا تَنْظُمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ^(١) ﴾ . انتهى .

وقال الفراء في تفسيره : قوله تعالى (وَلَا تَضْحَى) : لا تصيبك شمس مؤذية . وفي بعض التفسير ^(٢) : لَا تَضْحَى : لا تعرق . والأوّل أشبه بالصواب . قال الشاعر :

رَأْتُ رَجُلًا أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ ... الْبَيْتِ

فَقَدْ بَيَّنَّ ^(٣) . انتهى .

وقوله : (وَأَيُّمَا بِالْعَشِيِّ فَيُخْصَر) الظرف متعلق بما بعده ، وقُدِّم عليه وجوباً للفصل بين أَمَّا والفاء . والعشي والعشية من صلاة المغرب إلى العتمة . كذا في الصحاح . ويقابله الغداة . ويقال لهما البردان والأبردان . وإذا برد الرجل في العشي فمن الضرورة أن يبرد بالغداة ، فهو يُريدُهما لاستلزام أحدهما للآخر كما أشار إليه المبرد . ويخْصَر بالخاء المعجمة والصاد المهملة ، قال صاحب الصحاح : الْخَصَرُ بالتحريك : البرد . يقال قد خَصِرَ الرجلُ ، إذا آلمه البردُ في أطرافه . يقال خَصِرَتْ يَدِي . وخَصِرَ يَوْمُنَا : اشتدَّ برْدُهُ ، وماءٌ خَصِرٌ : بارد . انتهى .

وقوله : « أَمَّا سَفَر » صفة أخرى لرجلا . والجَوَاب : صفة مبالغة من جَابَ الأرضَ يجوبها جَوْبًا ، إِذَا قَطَعَهَا بِالسَّيْرِ . والتقاذف : الترامى . والفلاة :

(١) الآية ١١٩ من سورة طه .

(٢) وكذا في معاني الفراء . وفي ش : « التفاسير » .

(٣) بعده في معاني الفراء : « ويقال ضَجِيثٌ » .

الأرض التى لا ماء فيها . والأشعث وصف من شعث الشعر شعثاً ، فهو شعث من باب تعب ، أى تغير وتلبّد لقلة تعهده بالدهن . ورجل أشعث وامرأة شعناء . والشعث أيضاً : الوسخ ، ورجل شعث : وسخ الجسد . وشعث الرأس أيضاً ، وهو أشعث أغبر ، أى من غير استحداد ولا تنظف . والشعث أيضاً : الانتشار والتفرق كما يتشعث رأس المسواك . وفى الدعاء : لَمَّ اللهُ شَعْنَكُمْ ، أى جمع أمركم . كذا فى المصباح .

وقوله : « قليلا على ظهر المطيئة » إلخ هذا وصف آخر لرجلا . ومعنى النحافة التى ذكرها المبرد فى هذا البيت وبيائها أن العرب تستعمل القلة بمعنى الحقارة ، فيقولون لكل شيء حقير قليل ، ويجعلون القلة أيضاً بمعنى التفتى ، فيقولون : قل رجل يقول ذلك إلا زيد . ويقال لشخص كل شيء ظل . فالمعنى أنه لا شخص له من النحافة ، إلا أن رداءه المحبر يعظم جسمه فينفى عنه بعض النحافة . وهو مثل قول الآخر :

فانظر إلى جسمى الذى موهنته للناظرين بكثرة الأثواب

وهذا نحو قول المتنبي :

روح تردّد فى مثل الخلال إذا أطارب الريح عنه الثوب لم يبين (١)

وقد يجوز أيضاً أن يريد الظل بعينه ، أى لولا ظل ثوبه لم يكن لظل جسمه ظل يُرى . وقيل معنى ظلّه استظلاله ، أى لا يأوى إلى ظل فلا ينفى عنه حرّ الشمس إلا ما كان من رداءه . والرداء : ما يلبس على النصف الأعلى . والإزار :

ما يُلبَس في النصف الأسفل . وهما إذا كانا من جنس واحد حُلَّة . والمحجَّر ، بالخاء
المهملة : المزِين والمنقَّش . يقال : حَبَّرَت الشيء حَبْرًا من باب قَتَلَ ، إذا زَيَّنَّته .
وحَبَّرَته بالتشديد مبالغة .

وترجمة عمر بن أبي ربيعة تقدمت في الشاهد السابع والثاني من أوائل
الكتاب ^(١) .

تاء التأنيث الساكنة

أنشد فيها :

(بَحْوَانَ يَعْصِرْنَ السَّلِيْطَ أَقَارِيْهُ)

وتقدّم شرحه والكلامُ عليه فى الشاهد السادس والسبعين بعد الثلاثئة من

باب العلم ^(١) ومر فى باب التأنيث أيضا ^(٢) .

(١) الخزانة ٥ : ٢٣٤ - ٢٤١ .

(٢) الصواب أنه ذكره فى باب العَلَم . انظر الخزانة ٧ : ٣٤٦ . ولم يذكره فى باب المذكر

والمؤنث إلا سردا بدون تعليق . الخزانة ٧ : ٤٤٦ .

التنوين

أنشد فيه :

(وقولِي إِنَّ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَنْ)

وتقدّم شرحه مفصلاً في الشاهد الرابع من باب الإعراب من أول الكتاب (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(وحاتم الطائي وَهَّابُ المِئْي)

وتقدّم شرحه في الشاهد الرابع والأربعين بعد الخمسمائة في باب العدد (٢) وفي باب الجمع أيضاً (٣) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (٤) :

٩٤٢ (فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكِرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلاً)

(١) الخزائن ١ : ٦٩ - ٧٨ .

(٢) الخزائن ٧ : ٣٧٥ - ٣٧٨ .

(٣) الخزائن ٨ : ٣٠ .

(٤) في كتابه ١ : ٨٥ . وانظر معجم الشواهد .

على أن حذف التنوين من (ذاكر الله) لضرورة الشعر ، فإنّ ذاكراً بالنصب والتنوين معطوف على غير ، ولفظ الجلالة منصوب بذاكراً ، ولو كان مضافاً إلى الجلالة لكان حذف التنوين واجباً ولا ضرورة . وإنّما أثر حذف التنوين للضرورة على حذفه للإضافة لإرادة تماثل المتعاطفين في التنكير . والتنوين يُحذف وجوباً للإضافة ، نحو: غلامك ؛ ولشبهها نحو : لا مال لزيد ، إذا لم تُقدّر اللام مقحمة . فإنّ قدّرت فهو مضاف . ولدخول أل كالرجل ، ولما منع الصّرف نحو فاطمة ، وللوقف في غير النصب ، وللاتصال بالضّمير نحو ضاربك فيمن قال إنه غير مضاف ، وللبناء في النداء وغيره نحو يا رجل ، ولا رجل ، ولكون الاسم علماً موصوفاً بابن كما في الشرح . وحذفه في غير ذلك فإنّما سببه مجرد التقاء الساكنين ، وهو غير جائز إلّا في الشّعْر . وقد نصّ سيبويه عليه في الباب الذي ترجمته (باب من اسم الفاعل جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى) ، قال : وزعم عيسى أن بعض العرب يُنشد هذا البيت :

* فالفتية غير مستعيب * البيت

لم يحذف التنوين استخفافاً ليعاقب المجرور ، ولكنه حذفه لالتقاء الساكنين . وهذا اضطرار . انتهى .

قال الأعلام : الشاهد فيه حذف التنوين من ذاكراً لالتقاء الساكنين ونصب ما بعده وإن كان الوجه إضافته . وفي حذف تنوينه لالتقاء الساكنين وجهان : أحدهما أن يشبه بحذف النون الخفيفة إذا لقيها ساكن ، كقولك اضرب الرجل ، يريد اضرب الرجل . والوجه الثاني : أن يشبه بما حذف تنوينه من الأسماء الأعلام إذا وصف بابن مضاف إلى علم . وأحسن ما يكون حذف التنوين للضرورة في مثل قولك : هذا زيد الطويل ، لأنّ النعت والمنعوت كالشيء الواحد ، يشبه المضاف والمضاف إليه . انتهى .

وقال ابن خلف : تحريك التنوين لالتقاء الساكنين أجود من حذفه ، إذ هو حرفٌ يحتمل التحريك ، والذي يَحذفه يشبَّهه بحروف المدِّ واللين . قال المبرد : قد قرأتُ القراء : ﴿ قل هو الله أحدُ الله الصَّمَد ﴾ وليس الوجه حذفُ التنوين لالتقاء الساكنين ، إنَّما يُحذف من الحروف لالتقاء الساكنين حروف المدِّ واللين ، ويجوز هذا في التنوين تشبيهاً بهنَّ . وقال أبو الحسن : سمعت محمد بن يزيد المبرِّد يقول : سمعت عُمارة يقرأ : ﴿ ولا اللَّيْلُ سابقُ النَّهَارِ ﴾ . قال أبو الحسن : والأوَّلَى : ﴿ سابقُ النهارِ ﴾ ولا ذاكَرَ الله . وإنَّما الضرورة قوله :

* عمرو الذى هشم الثريد لقومه (١) *

وهو فى النعت أسهل منه فى الخبر كزيد الظريف قائم . انتهى .

وحذف التنوين فى الاثنين لا شك فى شذوذه كما قال الشارح المحقق . وجعل ابن هشام (فى المغنى) حذف التنوين لالتقاء الساكنين من القِلَّة ، وأورد البيت والآيتين . وهو فى هذا مخالفٌ لسيبويه والجمهور . وممن تبع سيبويه ابنُ الشجرى ، قال (فى أماليه) : ومن حذف التنوين لالتقاء الساكنين ما روى عن أبى عمرو فى بعض طرقه : ﴿ قل هو الله أحدُ الله الصَّمَد ﴾ وحذفه على هذا الوجه متَّسع فى الشعر ، وكقوله :

ثُمَيْدُ الذى أَمْجُ دَارُهُ أَخُو الخمرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعُ (٢)
وكقول الآخر :

حَيْدَةُ خَالِى وَلَقِيطٌ وَعَلِىٌّ وَحاتمُ الطائِى وَهَابُ المِئِى (٣)

(١) لعبد الله بن الزبيرى ، أو مطرود الخزاعى ، كما فى معجم الشواهد . وعمرو هذا هو هاشم بن عبد المطلب .

(٢) لحميد الأحمى ، أو مالك بن حريم ، أو مالك بن عمرو ، كما فى معجم الشواهد . وانظر معجم البلدان (أمج) وابن الشجرى ١ : ٣٨٢ / ٢ : ١٨٢ .

(٣) لامرأة من العرب . وانظر معجم الشواهد فى فصل الباء الساكنة من الأركان .

وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

كَيْفَ نَوْمِي عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا تَشْمَلِ الشَّامَ غَارَةً شَعْوَاءُ (١)
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي عَنْ خِدَامِ الْعَقِيلَةِ الْعِذْرَاءُ

أراد : وتبدي العقيلة العذراء لها عن خدام . والخدام : الخُلخال . أى ترفع المرأة الكريمة ثوبها للهرب فيبدو خلخالها . والجملة التى هى « تبدى العقيلة » موضعها رفع بالعطف على جملة تذهل الواقعة نعتاً لغارة ، والعائد إلى الموصوف من الجملة المعطوفة محذوف ، تقديره : وتبدي العقيلة العذراء لها عن خدام ، أى لأجلها . والشعواء : المتفرقة . وحكى عن القاضى أبى سعيد السيرافى أنه قال : حضرت فى مجلس أبى بكر بن دُرَيْدٍ ولم أكن قبل ذلك رأيتهُ ، فجلست فى ذيله (٢) ، فأنشد أحدَ الحاضرين بيتين يُعزّيان إلى آدمَ عليه السلام ، قالهما لَمَّا قَتَلَ ابْنُهُ قَابِيلُ هَابِيلَ ، وهما :

تَغَيَّرَ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوْجُهُ الْأَرْضِ مَغْبَرٌ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي حُسْنٍ وَطَيِّبٍ وَقَلَّ بِشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحُ

فقال أبو بكر : هذا شعرٌ قد قيل فى صدر الدنيا وجاء فيه الإقواء . فقلت : إنَّ له وجهاً يُخرجه من الإقواء ، فقال : ما هو ؟ قلت : نصب بشاشة وحذف التنوين منها لالتقاء الساكنين لا للإضافة ، فتكون بهذا التقدير نكرة منتصبة على التمييز ، ثم رفع الوجه وصفته بإسناد قلَّ إليه ، فيصير اللفظ وَقَلَّ بِشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ . فقال : ارتفع . فرفعنى حتّى أقعدنى إلى جنبه . انتهى كلام ابن السجري .

(١) ديوان ابن قيس الرقيات ٩٥ . وانظر معجم الشواهد .

(٢) أى ذيل المجلس . وفى ش : « فى ذيل » .

أقول : وتوجيه السيرافي فيه تخلص من ضرورة إلى ضرورة .

وقد استشهد بالبيت الشاهد الزمخشري والبيضاوي ، عند قراءة الأعمش :
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ، بترك التنوين ونصب الموت .

وأورده الفراء قبلهما عند هذه الآية ^(١) قال : لو تَوْنَتْ ذَائِقَةُ ونصبت الموت كان صوابا . وأكثر ما يختار العرب التنوين والنصب في المستقبل ، فإذا كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة ، ويختارون أيضا التنوين إذا كان مع الجحد . من ذلك قولهم : ما هو بتارك حقه ، لا يكادون يتركون التنوين ، وتركه كثير جائز ، وينشدون قول أبي الأسود :

فألفيته غير مستعيب ولا ذاكر الله إلا قليلاً

فمن حذف النون ونصب قال : النية التنوين مع الجحد ، ولكنتي أسقطت النون للساكن وأعملت معناها . ومن خفض أضاف .

هذا كلامه ، وهو صريح في جوازه في الكلام . والصحيح مذهب سيبويه .

والبيت من أبيات لأبي الأسود الدئلي .

صاحب الشاهد

وروى الأصمباني (في كتاب الأغاني) بسنده عن أبي عوانة قال : كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة فيتحدث إليها ، وكانت جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك أن أتزوجك فأئني صناع الكف حسنة التدبير ، قاعة بالميسور ؟ قال : نعم . فجمعت أهلها وتزوجته ، فوجدها بخلاف ما قالت ، وأسرعته في ماله ، ومدت يدها إلى جبايته ^(٢) ، وأفشت سيرة . فغدا على من كان حضر تزويجه إياها فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا فقال لهم :

(١) الآية ٣٥ من سورة الأنبياء . وانظر معاني القرآن للفراء ٢ : ٢٠٢ .

(٢) في الأغاني ١١ : ١٠٧ : « إلى خيانتة » .

أَرَيْتَ امْرَأً كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ أَتَانِي فَقَالَ اتَّخِذْنِي خَلِيلًا
فَخَالَئْتُهُ ثُمَّ أَكْرَمْتُهُ فَلَمْ أَسْتَفِدْ مِنْ لَدِيهِ فَتَيْلًا
وَأَلْفَيْتُهُ حِينَ جَرَيْتُهُ كَذُوبَ الْحَدِيثِ سَرُوقًا بَخِيلًا
فَذَكَّرْتُهُ ثُمَّ عَاتَيْتُهُ عِتَابًا رَفِيقًا وَقَوْلًا جَمِيلًا (١)
فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكَرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا
أَلَسْتُ حَقِيقًا بِتَوْدِيعِهِ وَإِتْبَاعِ ذَلِكَ صُرْمًا طَوِيلًا

٥٥٧

فقالوا له : والله يا أبا الأسود . فقال : تلك صاحبكم ، وقد طَلَّقْتُهَا ، وأنا أحبُّ أن أَسْتُرَ ما أنكرتُه من أمرها . فانصرفتُ معهم . انتهى .

وقد أورد ابن السيرافي (في شرح أبيات الكتاب) سببا لهذه الأبيات لا يلائمها ، وتبعه ابن خلف وابن المستوفي وغيرهما ، وهو ممَّا لا يكاد يُقْضَى منه العجب ، قال :

سبب هذا الشعر أن رجلا من بنى سُلَيم يقال له نُسَيْب بن حُمَيْد ، كان يَغْشَى أبا الأسود ويُظهر له حُبَّةً شديدة ، ثم إنَّ نُسَيْبَا قال لأبي الأسود : قد أَصَبْتُ مُسْتَقَّةً أَصْبَهَانِيَّةً (٢) ، وهي جُبَّةٌ فَرَاءٍ طَوِيلَةُ الْكَمِّينَ ، فقال له أبو الأسود : أَرْسِلْ بِهَا إِلَيَّ حَتَّى أَنْظَرَ إِلَيْهَا . فَأَرْسَلَ بِهَا فَأَعْجَبْتُهُ فَقَالَ لِنُسَيْبٍ : بِعْنِيهَا

(١) رقيقا ، بالفاء بعد الراء في ط والأغاني ، وفيما سيورده البغدادى في الشرح . وفي ش : « رقيقا » وهي رواية أخرى . وانظر ديوان أبي الأسود ١٢٢ في الملحقات .

(٢) في اللسان : « أصلها بالفارسية : مُشْتَه » وكذا في المعرب للجواليقي ٣٠٨ . وقد روى كل منهما حديث أنس بن مالك : « أن ملك الروم أهدى إلى رسول الله ﷺ مُسْتَقَّةً من سندس ، فلبسها رسول الله ﷺ ، فكأنني أنظر إلى يديها تَذْبَذْبَان ، فبعث إلى جعفر ، فقال : ابعث بها إلى أخيك النجاشي » . والحديث رواه أحمد في مسنده ، كما رواه أبو داود في سننه . وانظر حواشي المعرب . فالكلمة معربة قديما ، وهي بضم التاء وفتحها .

بقيمتها . فقال لا بل أكسوكمها . فأبى أبو الأسود يقبلها ^(١) إلا بشراء ، فقال له : أراها لمن يُصيرها ثم هات قيمتها . فأراها أبو الأسود فقيل [له : هي ^(٢)] ثمن مائتي درهم . فذكر ذلك لنسيب فأبى أن يبيعه ^(٣) فزاده أبو الأسود حتى بلغ بالثمن مائتي درهم وخمسين درهما ، فأبى نسيب أن يبيعها ^(٤) وقال : خذها إذن هبةً . فيقول : ذكرته ما بيننا من المودة فألفيته ، أى وجدته ، غير مستعتب ، أى غير راجع بالعتاب عن قبيح ما يفعل . هذا كلامه .

وقوله « أَرَيْتَ امراً » إلخ سلك أبو الأسود بهذا الكلام طريق التعمية على مخاطبه ليم ما يريد ، ولو نسب هذه العيوب إليها مصرحاً بها لربما دافعوا عنها . وأَرَيْتَ بمعنى أخبرني ، وأصله الهمزة فيه للاستفهام ، ورَيْتَ أصله رأيت ، حُذِفَت الهمزة وهي عين الفعل تخفيفاً .

قال صاحب الصحاح : ورَّيما جاء ماضيه بلا همزة ، قال الشاعر :
صاح هل رَيْتَ أو سمعت براع ردّ في الضرع ما قرى في الحلاب ^(٥)
وكذلك قالوا في : أَرَأَيْتَ ، وأَرَأَيْتَكَ ، وأَرَأَيْتَكَ بلا همزة . قال أبو الأسود :

(١) كذا في النسختين بدخول الفعل على الفعل بتقدير حذف (أن) . انظر لهذا الضرائر لابن عصفور ٢٦٣ - ٢٦٥ . وفي شرح الأبيات لابن السيرافي ١ : ٩١ : « فأبى أبو الأسود أن يقبلها » .
(٢) الكلمة الأولى من هذه التكملة من شرح ابن السيرافي للأبيات ، والآخرة من شرح الأبيات .

(٣) وكذا عند السيرافي في هذا الموضع ، بتذكير الضمير . وفي الموضع التالي بالتأنيث . فالتذكير يجعل الضمير للمشتري ، وفي اللسان : « يقال باعه الشيء ، وباعه منه » ، يتعدى إلى اثنين بنفسه وبالحرف أيضا . وقد يكون تذكير الضمير لتأويله بالثوب ، أما التأنيث التالي فللفظ المستقة .

(٤) انظر الحاشية السابقة .

(٥) ويروى : « في الحلاب » . والبيت لإسماعيل بن يسار ، كما في معجم الشواهد . والعلاب : جمع غلبة ، وهي قدح من خشب يُحتلب فيه ، أو جفنة يحلب فيها . أما الحلاب بالحاء فهو الإناء يحلب فيه اللبن .

* أَرَيْتَ امْرَأً كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ * البيت

وقال الكرماني (في شرح البخاري) : أَرَيْتَ بمعنى أَخْبِرْنِي ، وفيه تجوُّز إطلاق الرؤية وإرادة الإخبار ، لأنَّ الرؤية سببُ الإخبار . وجُعِل الاستفهام بمعنى الأمر ، بجامع الطلب . انتهى .

والرؤية هنا منقولة من رؤية البصر ، ولهذا تعدَّت إلى مفعول واحد . وزعم ابن هشام (في المعنى) أنَّ أَرَيْتَكَ منقولٌ عن الرؤية العلمية ، فتقتضى مفعولين ، فيقدَّر الثاني إذا لم يوجد . وهو تكلفٌ . وأبْلُهُ من بلاه يبلوه بُلُوًّا ، إذا جرَّه واختبره . وخالته : اتَّخذته خليلاً . والفتيل : الشيء الحقيق ، وأصله ما يوجد في بطن النَّوَاة . والرَّفِيق من الرَّقَى : ضدَّ العنف .

وقوله : (فالفَيْتَه غير مُستعْتَبٍ) أَلْفَى بمعنى وجد ، يتعدَّى لمفعولين كما تقدَّم ، وعند بعضهم المفعول الثاني حال . ومستعْتَب : اسم فاعل الراجع بالإعتاب ^(١) . واستعْتَب وأعْتَب بمعنى ، وعْتَب عليه عَتْبًا من باى ضرب وقتل ، إذا لامه في تسخُّط . وأعْتَب : أزال الشُّكوى ، فالهمزة للسلب . واستعْتَب : طلب الإعتاب . والعُتْبَى اسمٌ للإعتاب . والمعنى ذكَّرتُه ما كان بيننا من العُهود ، وعاتبته على تركها ، فوجدته غير طالبٍ رضائي . وقوله (ولا ذاكر الله) روى بنصب ذاكر وجره ، فالنصب للعطف على غير . وقال بعض فضلاء العجم (في شرح أبيات المفصل) : نصب ذاكرًا على أنَّ لا بمعنى غير ، وقد تعذَّر فيها الأعراب فأعرب ما بعدها ، كما في نحو : جاءني رجلٌ لا عالمٌ ولا تناقل . انتهى .

(١) ط : « بالعتاب » ، صوابه ما في ش مع أثر تصحيح .

والجر للعطف على مستعتب ، ولا لتأكيد النفي المستفاد من غير . وعلى هذه الرواية اقتصر ابن الشجرى فقال : عطف نكرة على نكرة مجرورة بإضافة غير إليها ، وانتصاب غير على الحال . انتهى .

والتوديع ، هنا : الفراق . والصُّرم ، بالضم ^(١) : الهَجْر .

وترجمة أبى الأسود تقدمت فى الشاهد الأربعين من أوائل الكتاب ^(٢) .

(١) الحق أنه يقال بالضم وبالفتح أيضا .

(٢) الخزائن ١ : ٢٨١ - ٢٨٦ .

نون التوكيد

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٩٤٣ (أَفْبَعْدَ كِنْدَةٍ تَمْدَحَنَّ قَبِيلًا)

على أنه أكّد الفعل ، وهو تمدح بالنون ، لوقوعه بعد الاستفهام وهو الهمزة .

قال سيبويه : ومن مواضعها الأفعال غير الواجبة التي تكون بعد حروف الاستفهام ، وذلك لأنك تريد أعلمني إذا استفهمت . وهي أفعال غير واجبة ، فصارت بمنزلة أفعال الأمر والنهي ، فإن شئت أقحمت النون وإن شئت تركت ، كما فعلت ذلك في الأمر والنهي . وذلك قولك : هل تقولن ، وأتقولن ذاك ؟ وممكنن ؟ وانظر متى تفعلن . وكذلك جميع حروف الاستفهام . وقال الأعشى : فهل يمنعنني ارتيادى البلا د من حذر الموت أن يأتين (٢)

وقال :

فأقبل على رهطى ورهطك تبثت مساعينا حتى ترى كيف تفعل (٣)

فهذه الخفيفة . وقال :

(١) في كتابه ٢ : ١٥١ . وهو لامرئ القيس في ديوانه ٣٥٨ . وانظر التصريح ٢ : ٢٠٤ والجمع ٢ : ٧٨ والأشعري ٣ : ٢١٤ .

(٢) ديوان الأعشى ١٤ : وانظر معجم الشواهد .

(٣) هو الشاهد التالي .

* أْفَعْدَ كِنْدَةً تَمْدَحَنَّ قَبِيلًا (١) *

وقال :

* هَلْ تَحْلِفَنَّ يَا نُعْمَ لَا تَدِينُهَا (٢) *

هذه الخفيفة . انتهى .

قال الأعلم في البيت الأول : الشاهد فيه توكيد بمنعنى بالنون الثقيلة ، لأنه مستفهم عنه غير واجب كالأمر ، فيؤكد كما يؤكد الأمر . والارتداد : المجيء والذهاب ، أى لا يمنع من الموت التحول في آفاق الأرض حذراً منه ، ولا الإقامة في الديار تقربه قبل وقته . فاستعمال السفر أجمل ، لأن الموت بأجل .

وقال في الثالث : الشاهد في قوله تَمْدَحَنَّ بالنون الثقيلة . وكندة : قبيلة من اليمن من كهلان بن سبأ . والقبيل : الجماعة من قوم مختلفين . والقبيلة : بنو أب واحد . وأراد بالقبيل هنا القبيلة لتقارب المعنى فيهما . انتهى .

والبيت الرابع ساقط من روايته ، ورواه النحاس قال : قال أبو الحسن : نعم ترخيم نعمان . انتهى .

وبعد ظرف يتعلّق بتمدح محذوفاً لا بتمدحَنَّ ، لأن المؤكد بالنون لا يتقدّم معموله عليه . وقيل إذا كان ظرفاً يجوز . وقد علّقه به العيني .

وهذا الشعر من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يُعرف لها قائل . والله أعلم .

(١) ش : « تفعلًا » ، صوابه في ط و شرح أبيات الكتاب لابن السيرافي ٢ : ٢٥١ حيث نسبته إلى النابغة الجعدي . وليس في ديوانه .

(٢) ط : « تدنيها » ، صوابه في ش وسيبويه ١ : ٣٣٧ / ٢ : ١٥١ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٩٤٤ (وأقبل على رهطى ورهطك نبتحت

مَسَاعِينَا حَتَّى تَرَى كَيْفَ يَفْعَلَا (٢))

على أنه أكد الفعل وهو يفعل بالنون الخفيفة المنقلبة ألفاً للوقف ، لوقوعه بعد اسم استفهام ، وهو كيف . وتقدّم قبله نصٌ سيويّه . ٥٥٩

و (أقبل) بفتح الهمزة وكسر الموحدة : فعل أمرٌ من الإقبال . ورهط الرجل : قومه وقبيلته الأقربون . والرهط بالإضافة في تعيينه خلافٌ ، قيل هو ما دون عشرةٍ من الرجال ليس فيهم امرأةٌ ، وقيل من سبعة إلى عشرة ، وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر . وقال أبو زيد : الرهط والتّفر : ما دون العشرة من الرجال . وقال ثعلب : الرّهط ، والتّفر ، والقوم ، والمعشر ، والعشيرة معناهم الجمع ، لا واحد له من لفظه (٣) ، وهو للرجال دون النساء . وقال الأصمعي : الرّهط : ما فوق العشرة إلى الأربعين (٤) . كذا في المصباح .

وقوله (نبتحت) مجزوم في جواب الأمر ، وهو على نفتعل من البَحْث . قال الجوهري : بحثت عن الشيء وابتحثت عنه ، أى فتّشت عنه واستقصيت ، فيكون (مساعينا) منصوباً (٥) بنزع الخافض . والمساعي : جمع مَسَاعَةٍ ، والأصل

(١) في كتابه ٢ : ١٥١ . وقد سبق التعليق عليه في الشاهد السالف . وانظر العينى ٤ : ٣٢٥ والجمع ٢ : ٧٨ والأشئوني ٣ : ٢١٤ .

(٢) ط : « نفعلَا » ، صوابه في ش .

(٣) في المصباح : « لا واحد لهم من لفظهم » ..

(٤) الذى في المصباح : « قاله الأصمعي في كتاب الضاد والطاء » . وهو نص غريب .

(٥) ط : « منصوب » ، صوابه في ش .

مَسْعِيَّةٌ ، مفعلة من السَّعى . قال صاحب المصباح : أصل السعى التصرف في كل عمل . قال الحرَّاني (١) : السعى : الإسراع في الأمر حساً أو معنى . وفي المفردات : السَّعى : المشى السريع دون العَدْو ، ويستعمل للجِدِّ في الأمر خيراً كان أو شراً . وقال صاحب الصحاح : « المسعاة : واحدة المساعى في الكرم والجدود » . والمراد بها المناقب والمآثر التي حصَلَتْ بسعيهم . قال الشاعر :
 ولو قد رُتِ مسعاتكم يا بني الحنَّا على قابٍ شبر قصَّرت عن مدى الشَّيرِ (٢)
 وحَتَّى هنا بمعنى كى التعليلية . وترى بمعنى تنظر بالخطاب . وقال العيني : حَتَّى بمعنى إلى . وترى من رأى ، وهو الاجتهاد . انتهى . ويُفَعَّلُ بالمشاة التحتية (٣) كما يظهر من كلام الأعلام فإنه قال : يقول لمن فاخره : أقبل على ذكر مفاخر قومك ، وأقبل على مثل ذلك من مفاخر قومي ، ونبحث عن مساعيها حتَّى يتبيَّن فضل بعضهما على بعض ، وترى فعلى في مفاخرتك ، وفعلك في مفاخرتي . انتهى . وزعم ابن الطَّراوة أن النون في يفعلها هي نون الترم ، أُبدِلَتْ ألفاً في الوقف . ورُدَّ عليه أن نون الترم لا تغيِّر حركة ما قبلها ، وقد غيَّرت آخره هنا بالفتح . وهذا لا يكون إلَّا لِنُونِ التوكيد .
 وهذا البيت أيضاً من الأبيات الخمسين التي ما عُرف أصحابها . والله أعلم .

* * *

(١) في النسختين : « الحرائل » باللام ، صوابه ما أثبت إن شاء الله ، وفي اللغوين القدماء : أبو شعيب الحرَّاني ، ذكره الأزهري في مقدمة التهذيب ٢٣ . وروى عن أبي الفضل المنذرى قال : « سمعت الحرَّاني يقول : كتبت عن يعقوب بن السكيت من سنة خمس وعشرين إلى أن قتل » . وكان مقتل ابن السكيت سنة ٢٤٤ . وفي المشتبه للذهبي ١٥٧ : « وأبو شعيب عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحرَّاني ، وأبوه وجده » .

(٢) ط : « يا ابني الحنا » ، والوجه ما أثبت من ش .

(٣) هذا وهم من البغدادى رحمه الله ، حملة على ذلك قول الشنتمري : « حتَّى يتبيَّن فضل بعضهما على بعض » ، وفهم أن المقام مقام تنبية ، وفاته أن التنبية تقتضى نون الإعراب . وانظر ما سبق في الحواشي .

وأُنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٩٤٥ (فمهما تَشَأْ مِنْهُ فَزَارَةٌ تُعْطِيكُمْ ومهما تَشَأْ مِنْهُ فَزَارَةٌ تَمْنَعَا)

على أَنَّهُ يجوز أَن تدخل نون التوكيد اختياراً في جواب الشرط إذا كان الشرط مما يجوز دخولها فيه . وهو أَقلُّ من دخولها في الشرط ، وقوله « تمنعا » جواب الشرط ، وقد أَكَّد دون الشرط بالنون الخفيفة المنقلبة ألفاً للوقف .

وقوله : « إذا كان الشرط ممَّا يجوز » إلخ احترز به عما إذا كان الشرط ماضياً أو مضارعاً بمعنى الحال ، وحينئذ لا يؤكَّد جوابه .

وقوله : « اختياراً » مع قوله : « وهو أَقلُّ من دخولها في الشرط » مذهبُ ابن مالك ، وهو مخالفٌ لقول سيبويه : إِنَّه ضرورة .

قال سيبويه : وقد تدخل النون بغير ما في الجزاء ، وذلك قليلٌ في الشعر ، فشبَّهوه بالنهي حين كان مجزوماً غير واجب . وقال الشاعر :

* نَبْتُمْ نَبَاتَ الْخَيْزُرَانِيِّ (٢) * البيت .

٥٦٠

وقال ابن الخَرِّع :

* فمهما تَشَأْ مِنْهُ فَزَارَةٌ * البيت .

وقال :

* مَنْ يُثَقِّفَنَّ مِنْهُمْ فَلَيْسَ بِآيِبٍ (٣) * البيت .

(١) في كتابه ٢ : ١٥٢ . وانظر معاني الفراء ١ : ١٦٢ والضرائر ٣٠ والعيني ٤ : ٣٣٠ والتصريح ٢ : ١٠٦ والهمع ٢ : ٧٩ والأشْمُونِي ٢ : ٢٠٠ .

(٢) هو الشاهد التالي لشاهدنا هذا .

(٣) هو الشاهد ٩٤٧ الذي بعد الشاهد التالي . وتماهه :

مَنْ يُثَقِّفَنَّ مِنْهُمْ فَلَيْسَ بِآثِبٍ أَبْدَأُ وَقَتْلَ بَنِي قُتَيْبَةَ شَافِي

وقال :

* يحسبه الجاهل ما لم يعلم^(١) * البيت .

شبهه بالجزاء حيث كان مجزوماً وكان غير واجب . وهذا لا يجوز إلا في اضطرار ، وهي في الجزء أقوى . انتهى .

وكذا قال الفراء إنه ضرورة ، قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ﴾^(٢) ما نصه : فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَأْيُهَا النَّملُ ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم ﴾^(٣) المعنى والله أعلم : إن لم تدخلن حطمتن . وهو نهى محض ، لأنه لو كان جزاءً لم تدخله النون الشديدة ولا الخفيفة . ألا ترى أنك لا تقول : إن تضربني أضربتك ، إلا في ضرورة شعر ، كقوله :

* فمهما تشأ منه فزارة * البيت . انتهى .

وكذا (في المفصل) قال : فإن دخلت في الجزء بغير ما ففى الشعر ، تشبيهاً للجزاء بالنهى .

وكذا (في كتاب الضرائر لابن عصفور) .

وخالف ابن مالك فأجازه في الكلام ، قال (في التسهيل) : وقد تلحق جواب الشرط اختياريًا . وقال قبله : « وتلحق الشرط مجرّداً من ما » . وكذا قال (في الألفية) .

قال الشاطبي : فإذا قلت إن تقومن أكرمتك ، ومهما تطلبن أعطك ، ومهما تأتينني أكرمك ، وحيثما تكونن أذهب إليك ، وكذلك سائر أدوات الشرط ،

(١) هو الشاهد ٩٤٩ فيما سأتى .

(٢) الآية ٢٤٦ من سورة البقرة . وانظر معاني الفراء .

(٣) الآية ١٨ من سورة النمل .

فهو جائز ، ولكنه قليل . ويحتمل أن كلام الناظم أن أدوات الشرط مسوغة لدخول النون مطلقاً ، سواء أكان الفعل معها في جملة الشرط ، أو في جملة الجزاء . إذ لم يقيد ذلك بفعل الشرط . فيجوز على هذا أن تقول : إن تكرمَنني أكرمَنك . انتهى .

وقوله : (فَمَهْمَا تَشَأْ) إلخ قال الأعلم : أراد مهما تشأ فزارة إعطاءه تُعْطِكم ومهما تشأ منعه تمنعكم . فحذف الفعل لعلم السامع . وإدخال النون الخفيفة على تمنعا وهو جواب الشرط ضرورة ، وليس من مواضع النون ، لأنه خبر يجوز فيه الصدق والكذب ، إلا أن الشاعر إذا اضطرر أكّده بالنون تشبيهاً بالفعل في الاستفهام ، لأنه مستقبل مثله . انتهى .

والبيت غير موجود في ديوان ابن الخرع ^(١) وإنما هو من قصيدة للكميت بن ثعلبة ، أوردها أبو محمد الأعرابي (في ضالة الأديب) ، وهي :

(مَنْ مَبْلَغٌ عَلِيًّا مَعْدٍ وَطِيئاً وَكِندَةً مَنْ أَصْعَى لَهَا وَتَسْمَعَا
يَمَانِيَهُمْ مَنْ حَلَّ نَجْرَانٍ مِنْهُمْ وَمَنْ حَلَّ أَطْرَافَ الْغَطَاطِ فَلَعَلَعَا
أَلَمْ يَأْتَهُمْ أَنَّ الْفَزَارِيَّ قَدْ أَبَى وَإِنْ ظَلَمُوهُ أَنْ يُتَلَّ فَيُصْرَعَا
وَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ وَأَنَّ حَكِيَّ الْمَوْتِ أَدْرَكَ تُبْعَا
شَرَى نَفْسَهُ مَجْدَ الْحَيَاةِ بِضَرْبَةٍ لِيَرَحُضَ خِزْيَاً أَوْ لِيُطْلَعَ مَطْلَعَا ^(٢)
أَبَتْ أُمُّ دِينَارٍ فَأَصْبَحَ فَرْجُهَا حَصَانًا وَقَلَّدَتْ قَلَائِدَ بَوَزَعَا
فِيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبُلْعُنْ سُحَيْمًا وَأَبْلَغْ بَاعِثًا وَالْمَرْقَعَا
تُحْذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمْ الْعَقْلُ قَوْمَكُمْ وَكُونُوا كَمِ سَيْمِ الْهَوَانِ فَأَرْتَعَا

(١) ط : « أبى الخرع » ، صوابه في ش .

(٢) في اللسان أن المصدر الميمي لطلع يجوز فيه فتح اللام وهو القياس ، وكسرها وهو الأشهر .

ولا تُكثِّروا فيها الضَّجَّاج فَإِنَّهُ محَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعًا^(١)
وَأَقْبَلَ أَقْوَامٌ بَحَرَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَ أَقْوَامٌ بَلْطَمَةً أَسْفَعَا
فَمَهُمَا تَشَأْ مِنْهُ فِزَارَةٌ تُعْطِكُمْ وَمَهُمَا تَشَأْ مِنْهُ فِزَارَةٌ تَمْنَعَا
فِزَارَةٌ عَوْفٌ لَا عَزِيزَ بَارِضِهِ وَيَمْنَعُ عَوْفٌ مَا أَرَادَ لِيَمْنَعَا
فَإِنْ مَاتَ زِمْلٌ فَالِإِلَهِ حَسِيُّهُ وَإِنْ عَاشَ زِمْلٌ فَاسْقِيَاهُ الْمَشْعَشَعَا

٥٦١

قوله : « أَلَمْ يَأْتِهِمْ أَنَّ الْفَزَارِيَّ » إلخ أراد بالفزاريَّ هنا زُمَيْلَ بْنَ أَبِيير ، أحد
بنى عبد الله بن عبد مناف . ويقال لَأُمِّ زُمَيْل : أُمُّ دِينَار ، كان سالم بن دارة
الغطفاني هجاه ، بقصيدة منها :

بَلِّغْ فِزَارَةَ أُنْتَى لَنْ أَسَالِمَهَا حَتَّى يَنْيِكَ زَمِيلٌ أُمُّ دِينَارٍ

وهجا بنى فزارَةَ بقصائد تقدَّم بعضها في الشاهد الخامس بعد المائة^(٢) ،
وبعض آخر في الشاهد السابع بعد المائتين^(٣) .

فحلِفَ زَمِيلٌ أَنْ لَا يَأْكُلَ لَحْمًا ، وَلَا يَغْسِلَ رَأْسَهُ ، وَلَا يَأْتِيَ امْرَأَةً حَتَّى
يَقْتُلَهُ . ثم بعد مدَّة لقيه زُمَيْلُ فُضِرَ بِهِ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً كَانَتْ سَبَبَ مَوْتِهِ ، وَافْتَخَرَ
بِتَخْلُصِهِ مِنَ الْعَارِ بِقَتْلِهِ ، وَقَالَ :

أَنَا زَمِيلٌ قَاتِلُ ابْنِ دَارِهِ وَغَاسِلُ الْمَخْزَاةِ عَنْ فِزَارَةٍ

وتقدم شرحه في الشاهد الخامس بعد المائة^(٤) .

فحكى الكميت هذه الحكاية وتهكَّم بغطفان .

(١) الضجاج يفتح الضاد وضمها : الضجيج والصياح والمشاغبة والمجادلة . وهو مصدر ضج
يضج . ويقال أيضا ضاجه يضاجه مضاجه وضجاجا ، إذا شاغبه وشاره . ففى الضاد لغات ثلاث .

(٢) الخزائن ٢ : ١٣٩ - ١٥٠ .

(٣) الخزائن ٣ : ٢٦٦ .

(٤) الخزائن ٢ : ١٣٩ - ١٥٠ .

وقوله : « أَنْ يَتَلَّ فَيُصْرَعَا » كلاهما بالبناء للمفعول . والتَّلُّ : الإلقاء على الوجه . والصَّرْعُ : القتل .

وقوله : « وَإِنَّ حَكِيَّ الْمَوْتِ » بالحاء المهملة ، فَعِيل بمعنى مفعول ، من أَحْكَيْتِ الْعُقْدَةَ ، إِذَا قَوَّيْتَهَا وَشَدَّيْتَهَا .

وقوله : « شَرَى نَفْسَهُ » أى اشترى لنفسه مَجْدَ الْحَيَاةِ ، أى شرفها . وقوله : « لِيَرْحُضَ خِزْيَا » أى لِيَغْسِلَ عَاراً . وَالرَّحْضُ بِالرَّاءِ وَالْحَاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ وَالضَّادِ الْمَعْجَمَةِ ، هُوَ الْغَسْلُ . وَالْخِزْيُ بِالْكَسْرِ : الْمَذَلَّةُ وَالْعَارُ .

وَالْحَصَانُ بَفَتْحِ الْمَهْمَلَةِ : الْعَفِيفُ . وقوله « وَقُلْدُثُمُ » بالبناء للمفعول ، والخطاب لبنى غطفان . وَبَوَزَعُ بَفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَالزَّيْ ، قَالَ الْأَسْوَدُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ (فِي ضَالَّةِ الْأَدِيبِ) : بَوَزَعُ هِيَ أُمُّ زِيَادِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَهِيَ « ذَاتُ الْقَلَائِدِ » وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ نَصَبَتْ رَايَةً فِي بَنِي مُسْلِيَةَ ، وَفِيهَا تَضْرِبُ الْعَرَبُ الْأَمْثَالَ فِي قَوْلِهِمْ : « قَلَائِدُ بَوَزَعِ » . وَقَالَ مَوْءَلَةُ بْنُ الْحَارِثِ جَدُّ الْمُحْجَلِ بْنِ حَزْنِ بْنِ مَوْءَلَةَ : مِنْ تَكِ أُمُّهُ زَانَتْهُ يَوْمًا فَقَدْ شَانَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ عَجَوُزُكَ بَوَزَعُ كَسَبَتْكَ عَارًا فَلَيْسَ بِرَأْمٍ حَتَّى التَّنَادِي فَلَسْتُ إِلَى بَنِي عُلَّةِ بْنِ جَلْدٍ وَلَا سَعْدٍ وَلَا حَيٍّ مُرَادٍ وَقَالَ آخِرُ :

قَلَائِدُ بَوَزَعٍ جَرَّتْ عَلَيْكُمْ مَوَاسِمَ مِثْلِ أَطَوَاقِ الْحَمَامِ (١)
وَقَدْ أَخْطَأَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي هَذَا الشَّعْرِ مِنْ جِهَتَيْنِ : أَوَّلَاهُمَا أَنَّهُ نَسَبَ هَذَا الشَّعْرَ إِلَى الْكَمَيْتِ بْنِ مَعْرُوفٍ ، وَهُوَ لِلْكَمَيْتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ . وَالْكَمَيْتِ ابْنِ ثَعْلَبَةَ مُخْضَرَمٌ وَجَدُّ كَمَيْتِ بْنِ مَعْرُوفٍ .

(١) المَوَاسِمُ : جَمْعُ مَيْسَمٍ ، بِكَسْرِ الْمِيمِ ، وَهِيَ الْمَكْوَاةُ الَّتِي يُوسَمُ بِهَا الدُّوَابُ ، وَيُطْلَقُ الْمَيْسَمُ أَيْضًا عَلَى أَثَرِ الْوَسْمِ .

وأخراهما : أنه صحف في قوله بوزع بالباء ، فقال قوزع بالقاف وفسره على التخمين بالخزي والعار .

انتهى كلام أبي محمد ، وما ادّعاه من التحريف حق لا شبهة فيه . والأبيات التي أنشدها تشهد لما قاله من أن بوزع امرأة ، لكنّه لم يشرح قلائدها ولم يبين وجه كسبها للعار لابنها . وقد راجعت كتب الأمثال فلم أظفر فيها بشيء ، ولعلّ الله يُطلّعنِي على شرحها فألحقه هنا .

٥٦٢

وما نقله عن ابن الأعرابيّ موجودٌ (في نوادره) ، وقد نقله عنه أرباب اللغة خلف بعد سلف ، ولم يطلّعوا على ما قاله أبو محمد الأعرابي ، ولو اطلّعوا عليه لحكّوه . قال الصاغاني (في العباب) في فصل القاف من باب العين : قال ابن الأعرابيّ : يقال « قلّدت قلائد قوزع يا هذا ، ولأقلّدتك قلائد قوزع » ومعناه طوّقت أطواقاً لا تفارقكم أبداً . وأنشد :

قلائد قوزع جرّت عليكم مواسم مثل أطواق الحمام

وقال مرة « قلائد بوزع » ثم رجع إلى القاف . انتهى .

ولخصّ من هنا صاحبُ القاموس فقال : وقلّدت قلائد قوزع : طوّقت أطواقاً ^(١) لا تفارقكم أبداً .

ونقله العيني أيضاً .

وقال محمد بن المكرم في لسان العرب : قوزع اسمُ الخزي والعار ، عن ثعلب . وقال ابن الأعرابي : « قلّدت قلائد قوزع » ، يعني الفضائح . وأنشد للكُميت بن معروف :

(١) ط : « طوقا » ، صوابه في ش والقاموس .

أبت أم دينار فأصبح فرجها حصاناً وقُلتِم قلائد قوزعا

وقال مرةً : قلائد بوزع ، ثم رجع إلى الفاف (١) . انتهى .

ولو كان اسماً للخزى لكان مصروفاً ، ولا وجه لمنعه إلا أن يُدعى أنه علمٌ

جنس ، كزوبر علم للكلبة . انتهى .

ولم يتعرض الجوهرى لهذه الكلمة بشيء . وأوردها ابن برى (فى أماليه على

صحاحه) فقال : قوزع اسم الخزى ، عن ابن الأعرابى . وأنشد بيت الكميت .

وقوله : « فى راكبا إما عَرَضْتُ » أى أتيت العَرَض ، وهى مكة زادها الله

شرفاً . قال أبو محمد : سَحيم وباعث والمَرَقَع (٢) كلهم من بنى عبد الله بن

غَطَفان .

وقوله : « خذوا العقل إن أعطاكم العقل قومكم » هذا تهكم بهم . والعقل :

الدَّيَّة . وإِنَّمَا قال قومكم لأنّ فزارة هو ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان ،

وبنو عبد الله هم بنو عبد العزى بن غطفان . ولما وفد عبد الله على النبى ﷺ

فقال : من أنتم ؟ قالوا : بنو عبد العزى . قال : « أنتم بنو عبد الله » . فلزمهم هذا

الاسم .

وقوله : « وكونوا كمن سيم الهوان فأرتعا » سيم : مجهول سامه الشيء

يسومه سوما ، أى كلّفه إيّاه . والهوان : الدّل . وأرتعا من أرتع إبله ، وقومٌ مُرتعون

أى تَرْتَع إبلهم . يقال رَتَعَت الماشية تَرْتَعُ رتوعا ، أى أَكَلَت ما شاءت .

(١) هنا ينتهى نص ابن منظور ، وقد نص البغدادى على نهايته . أما النص بعده والتعليق عليه

علامة الانتهاء فليس مصدره واضحاً .

(٢) ط : « المرفع » صوابه بالقاف ، كما فى ش .

وقوله : « ولا تُكثروا فيها الضَّجَّاج » أى لا تكثروا فى هذه القضية ، وهى قتل سالم بن دارة . قال الجوهرى : وضاجُّه مضاجَّة وضِجَّاجاً : شاعبه وشاره ، والاسم الضَّجَّاج بالفتح ^(١) . وقوله : « محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا » أورده الزخشرى فى أمثاله ^(٢) قال : هو سالم بن دارة العَطَفَانى ، هجا بعض بنى فزارة بقوله :

أبلغ فزارة أننى لا أصالحها حتى ينيلك زُميلٌ أم دينار

فقتله زُميلُ الفزارى ، فقال الكميت ذلك ، يريد أن الفعل أفضل من القول ، وإنما قلت أنت وفعلنا نحن . يضرب للجبان يتوعَّد ولا يفعل . انتهى .

وقوله : « وأقبل أقوامٌ بحرَّ وجوههم » هم قوم زُميلُ الفزارى ، وما بعده قوم ابن دارة . وقوله : « بلطمة أسفعا » ، أى بلطمة خد أسفع ، أى لطموا على خدودهم حتى اسودَّت . والسُّفْعَة بالضم : سوادٌ يخالطه حمرة . والأسفع هو المتَّصف بالسُّفْعَة .

وقوله (فمهما تشأمنه فزارة) إلخ معناه : كلُّ شىء شاءت منه فزارة أعطت ، وكلُّ شىء شاءت منعت . مفعول تشأ محذوف كما تقدَّم ، ومنه متعلِّق بتعطِّكم ، ومنه الثانى متعلِّق بتمنع محذوفاً لا بالمذكور ، لأنَّ المؤكَّد بالنون لا يتقدَّم معموله عليه . ويجوز أن يتعلَّق به بناءً على أنَّه يُتوسَّع فى الظروف مالا يُتوسَّع فى غيرها . والضمير فى الموضعين راجعٌ إلى مهما ، وقال العينى : راجع إلى ابن دارة ، ومفعول تمنعا محذوف ، أى تمنعكم : يعنى إنَّ أرادت فزارة إعطاء شىء من الدِّية أعطت ، وإنَّ أرادت منعكم من الدِّية فعلت ، لأنكم أذلاءً معهم ،

٥٦٣

(١) انظر ما سبق فى الحواشى ص ٣٨٩ .

(٢) المستقصى ٢ : ٣٤١ - ٣٤٢ .

لا تقدِّرون على أخذ قَوْدَ ، ولا طَلَبَ دِيَّةَ . وقوله : « فزارة عَوْفٌ » مبتدأ وخبر ،
والعَوْفُ ، بالفتح : الأسد واسم الذئب أيضا . وعَوْفُ الثاني هو عَوْفُ بن هلال
ابن شَمَخ ، بفتح المعجمة وسكون الميم بعدها خاء معجمة ، ابن فزارة .

وقوله : « فَإِنْ مَاتَ زَيْلٌ » بكسر الزاى ، هو زُمَيْل قاتل ابن دارة ،
بالتصغير . والمشعشع : الشراب الممزوج بالماء . قال أبو محمد الأعرابي : كانت
هذه القضية في زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم حدث في زمن عبد الملك
شر بين بنى رِيَاب وبين بنى الكميت بن ثعلبة ، فقتل ذِيَالُ بن مقاعس الرِّيايُّ
عبيد الله بن صخر ، أخا المَيْدان ، فعرض ذِيَالُ الدية على بنى الكميت فقبلوا ،
فقال في ذلك عبد الرحمن بن دارة يعير آل الكميت :

ألم تر أن الله لا شيء بعده شَفَانِيَّ من آل الكُميت فأسرعا
وأصبح ذِيَالٌ يَذِيلُ وقد سَقَى بكفِّهِ صَدْرَ الرُّمَحِ حتَّى تَضْلَعَا (١)
تُخَذُوا العقل يا آل الكُميت وأقبلوا بأنفٍ وإنْ وافَى المواسمَ أجدعا
وترجمة الكميت بن ثعلبة تقدّمت في الشاهد السبعين بعد الخمسمائة (٢) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من
شواهد س (٣) :

٩٤٦ (تَبْتُمَ نَبَاتَ الْحَيْزُرَانِيِّ فِي الثَّرَى حَدِيثًا مَتَى مَا يَأْتِيكَ الْخَيْرُ يَنْفَعَا)

(١) ط : « يذيل » ، صوابه في ش . وذال الرجل يذيل ذيلًا : تبخر فجر ذيله . قال طرفة :

فذالت كما ذالت وليدة مجلس تُرى ربُّها أذِيال سحل ممدد

(٢) الخزائن ٧ : ٥٢٣ - ٥٢٤ .

(٣) في كتابه ٢ : ١٥٢ وشرح أبياته للسيرا في ٢ : ٣٠٨ والضرائر لابن عصفور ٣٠ والعينى ٣ :

٣٤٤ والممع ٢ : ٧٨ والأشمونى ٣ : ٢٢٠ . وانظر العقد ٥ : ٣٩١ .

لما تقدّم قبله من جواز دخول نون التوكيد اختياراً في جواب الشرط ، فإنّ
ينفعا جواب الشرط ، وقد أكّد بالنون المنقلبة ألفاً .

وتقدّم فيما قبله نقل كلام سيبويه ، وأنّه مخالف له .

وهذا البيت كذا رواه سيبويه ، وتبعه من جاء بعده ، ولم يذكر خدمة كتابه
تتمته ، ولا شرحه شرحاً وافياً بمعناه ، وإنّما قال الأعلام : هجا قوماً فوصفهم
بحدثان النعمة . والخيزراني : كل نبت ناعم ، وأراد بالخير المال .

هذا كلامه بحروفه . وقد رواه غير سيبويه بكسر العين من (ينفع) . على
أنّه جواب مجزوم . وكذا رواه الأصمعيّ بلفظ : « متى ما يدرك الخير ينفع » ،
وقال : يقول : نعيم نماء حسنا كما ينبت الخيزران في نعمة وليّنه ، أى وإن كنتم
نبتتم بأخرة فإنّ الخيزران متى يدرك ينفع . انتهى .

وهذا يقتضى أنّ الخير بمعنى الخيزران . وهذا غير معهود بهذا المعنى ، وأمّا
استعماله في المال فكثير ، قال تعالى : ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ^(١) ﴾ أى مالا . وقال
تعالى : ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ^(٢) ﴾ أى لا يفتر من طلب المال .
وإن كانت الرواية « متى يدرك الخير » بالزاي المعجمة لغة في الخيزران فما قاله
صحيح ، لكنّى لم أرها في كتب اللغة . ومن رواه كالأصمعيّ الجاحظ ^(٣) نقله
عنه ابن عبد ربّه قال (في كتابه العقد الفريد) في باب ما غلّط فيه على الشعراء :
وأكثر ما أدرك على الشعراء له مجاز وتوجيه حسن ، ولكنّ أصحاب اللغة
لا ينصفونهم ، وربما غلّطوا عليهم وتأوّلوا غير معانيهم التى ذهبوا إليها . فمن

(١) الآية ١٨٠ من سورة البقرة .

(٢) الآية ٤٩ من سورة فصلت .

(٣) وذلك في كتابه (فخر قحطان على عدنان) ، كما سيأتى .

ذلك قول سيبويه ، واستشهد بيت في كتابه في إعراب الشيء على المعنى لا على اللفظ ، وهو :

مُعَاوِي إِنْنَا بَشْرٌ فَأَسْجَحْ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدَا
كذا رواه بالنصب ، وزعم أنَّ اعرابه بالعطف على خبر ليس ، وإنَّما قاله الشاعر بالخفض ، والشعر كله مخفوض .

ونظير هذا البيت ما ذكره أيضاً في كتابه ، واحتجَّ به في باب النون الخفيفة :

نَبْتُمُ نَبَاتَ الْحَيْزُرَانِيِّ فِي الثَّرَى حَدِيثاً مَتَى مَا يَأْتِكَ الْخَيْرُ يَنْفَعَا
وهذا البيت للنَّجاشي ، وقد ذكره عمرو بن بحر الجاحظ (في فخر قحطان على عدنان) في شعرٍ كله مخفوضٌ ، وهو قوله :
يَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ بَنِي عَامِرٍ عَنِّي وَأَبْنَاءَ صَعْصَعِ
نَبْتُمُ نَبَاتَ الْحَيْزُرَانَةِ فِي الثَّرَى حَدِيثاً مَتَى مَا يَأْتِكَ الْخَيْرُ يَنْفَعُ^(١)
انتهى كلام ابن عبد ربه .

وقد تقدَّم في الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة ^(١) أن البيت الأول من أبيات منصوبة القوافي . وكذا يمكن أن يكون هذا البيت من أبيات منصوبة القوافي وإن جاء من أبياتٍ مجرورة القوافي ، كما جاء في ذلك البيت كذلك . ولهما نظائر أوردناها في مواضع من هذا الكتاب ، فإن البيت الواحد قد يجيء في شعرين لشاعرين في أحدهما مجرور ، وفي الآخر مرفوع أو منصوب ، كما تقدَّم في الشاهد الخامس بعد الخمسمائة من باب الظروف ^(٢) . وسيبويه إمام ثقة راوية ، لم يُورد

(١) في الخزائن ٢ : ٢٦٢ - ٢٦٤ .

(٢) الخزائن ٧ : ٢٥ - ٣٨ .

في كتابه شيئاً إلا ما يعرفه حَقَّ المعرفة ، ولكنَّا لقُصورنا ولعدم المساعدة قد لا نطلَّع على بعض ذلك . والله أعلم بحقائق الأمور .

وقوله : « إِمَّا عرضت » أى إن أتيت العَرُوض ، وهى مكة زادها الله شرفاً .
وصعصع : مرخم صعصعة للضرورة ، وعامر هو ابنه ، وإنما فصله عن أبنائه لشهرة مَنْ سواه من أولاده بالأبناء . قال ابن الأعرابي : الأبناء ولد صعصعة ما خلا عامراً ، وله ستة عشر ولداً ذكراً .

وقوله : (نبتُ نبات) إلخ نبت نبتاً من باب قتل ، والاسم النبات .
والمعنى : نبتُ كما ينبت الخيزرانى . والخيزران بفتح الخاء وضم الزاى ، قال الصاغاني (فى العباب) : هو شجرة وليس من نبات أرض العرب ، وإنما ينبت ببلاد الهند . وهو عروق ممتدة فى الأرض . وقد يقال لكل طري من النبت ناعم خيزران . انتهى . ولكونه عُروقاً قال (فى الثرى) . و (حديثاً) حال من الخيزرانى ، ومعناه القريب : يقال هو حديث عهد بكذا . والحديث أيضاً : ضد القديم . والحديث أيضاً : الحادث ، يقال حَدَثَ الشئ بعد أن لم يكن ، أى وُجد . والحديث أيضاً : الطري . وهذه المعانى كلها مناسبة . يقول : لستم بأربابِ نعمةٍ قديمة ، وإنما حدثت فيكم عن قرب ، فقد نَمَيْتُمْ كما ينمى الخيزران بنعومةٍ وطراوة ، فإنَّ المال متى ما جاء نفع . وعلى هذا طريقة إرسال المثل . وقال العينى : حديثاً منصوب بفعل محذوف ، تقديره : حَدَثَ حديثاً . هذا كلامه .

وتقدمت ترجمة النجاشى فى الشاهد الخامس والسبعين بعد الثمانمائة (١) .

* * *

٥٦٥

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٩٤٧ (مَنْ نَثَقَنْ مِنْهُمْ فَلَيْسَ بِآيِبٍ أَبَدًا ، وَقَتْلُ بَنَى قُتَيْبَةَ شَافِي)

على أنه ربمّا دخلت النون في الشرط بلا تقدّم ما الزائدة .

وتقدّم قبله أنّ هذا التوكيد عند سيبويه ضرورة . وكذا قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر) : إنّه ضرورة .

قال الأعلم : الشاهد في إدخال النون على فعل الشرط ، وليس من مواضعها إلا أن يوصل حرف الشرط بما المؤكدة . يقول : من ظفّرنا به من آل قتيبة بن مُسلم فليس بآيبٍ إلى أهله ، لما في قتلهم من شفاء النفوس . يصف قتله وانتقال دولته وإظهار الشّماتة به . انتهى .

وليس قتيبة ما ذكره ، ولو اطلع على الشعر ما قاله .

صاحب الشاهد

والبيت أحد أبيات ثلاثة لبنت مُرّة بن عاهان الحارثي ، رواها أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (في كتاب أشعار النساء) قال : كتب إليّ أحمد بن عبد العزيز ، قال : أخبرنا عمر بن شُبّة قال : قالت بنت مُرّة بن عاهان أبي الحُصَيْن ، لَمّا قتلته باهلة :

(إِنَّا وَبَاهِلَةٌ بِنَ أَعْصَرَ بَيْنَنَا دَاءُ الضَّرَائِرِ : بِغُضَّةٍ وَتَقَافِي
مَنْ نَثَقَنْ مِنْهُمْ فَلَيْسَ بِآيِبٍ أَبَدًا وَقَتْلُ بَنَى قُتَيْبَةَ شَافِي
ذَهَبَتْ قُتَيْبَةُ فِي اللَّقَاءِ بِفَارِسٍ لَا طَائِشٍ رَعِشٍ وَلَا وَقَافٍ)

(١) في كتابه ٢ : ١٥٢ . وانظر شرح أبياته للسيرافي ٢ : ٢٦٣ والمقتضب ٣ : ١٤ . والمقرب

٢ : ٧٤ والضرائر ٣٠ والعينى ٤ : ٣٣٠ والتصریح ٢ : ٢٠٥ والمجموع ٢ : ٧٩ والأشعرى ٢ : ٣/٣١٠ :

وحدثني أحمد بن محمد الجوهري قال : حدثنا العنزي قال : حدثنا التوزي قال : حدثنا أبو عبيدة قال : كان المنتشر بن وهب الباهلي يغاور أهل اليمن ، فقتل مرة بن عاهان الحارثي ، فقالت نائحته :

يا عينُ بكِّي لمرة بن عاهانا لو كان قاتله من غير مَنْ كانا (١)
لو كان قاتله قوماً ذوي حسب لكن قاتله بهلُ بن بهلانا

قال أبو عبيدة : ما هُجُوا بمثله ، لأنها صغرت بهم ، وإنما أرادت باهلة .

انتهى .

وكذا رواها الأسود أبو محمد الأعرابي (في فُرحة الأديب) .

قوله : « إنا وباهلة بن أعصر » أريد بباهلة القبيلة المنسوبة إليها ثم إلى أعصر ، لأن باهلة هي بنت صعب بن سعد العشيرة من مذحج ، تزوجها مالك ابن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ، فولدت باهلة من مالك سعد مائة . ثم تزوجها ابن زوجها معن بن مالك بن أعصر ، فولدت باهلة من معن أودًا ، وجثاوة (٢) . وكان لمعن بن مالك أولاد من غيرها ، وهم : شيان ، وزيد ، ووائل ، والحارث ، وحرب ، ووهيبة ، وعمرو ، وأمهم أرنب بنت شمخ بن فزارة . وقتيبة ، وقعب ، وأمهما سودة بنت عمرو بن تميم . فحضنت باهلة هؤلاء التسعة فغلبت عليهم ، فانتسبوا إليها .

فقتيبة في هذا الشعر هو ابن زوج باهلة ، وهو قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر . وما ذكره الأعلام باهلي أيضا ، وهو من ولد وائل ، فإنه قتيبة بن مسلم بن

(١) كذا ورد صدره مضطرب الوزن ، وهما من البحر البسيط .

(٢) في النسختين : « جعاوة » ، صوابه في الاشتقاق ٢٧١ ، ٢٧٤ والمعارف ٣٦ وجمهرة ابن

عمرو بن حُصَيْن بن ربيعة بن خالد بن أسيد الخير بن كعب بن قُضَاعِي بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل .

فانظر ما بينهما . ولكن حصل للأعلم اشتباه من تشارك الاسمين .

وكان قتيبة بن مسلم أمير خراسان لعبد الملك بن مروان ، والمنتشر بن وهب كان من ولد وائل أيضا ، فإنه ابن وهب بن عجلان بن سلمة بن كُرَّاثَة بن هلال المذكور .

وكان المنتشر ممن كان يعدو أشد من عدو الظبي ، هو وأوفى بن مطر المازني ، وسليك بن السلكة ، وتأبط شراً ، والشنفرى .

وقوله : « كان يُغاور أهل اليمن » أى يُغير عليهم . وبالأخرة قتله بنو الحارث ابن كعب ، كما تقدّم فى ترجمته فى الشاهد السابع والعشرين من أول الكتاب (١) .

والأصمعى العالم الراوية المشهور باهلى أيضا . وهو من ولد قتيبة بن معن ، واسمه : عبد الملك بن قُرَيْب ، بالتصغير ، ابن على بن أصمع بن مُظَهَّر (٢) بن رياح بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة .

وكان الأصمعى يقول : لست من باهلة ، لأنّ أمّ قتيبة بن معن تميمية ، ولكنّ حضنته فغلبت عليه . وإنما تبرأ منها لأنّ باهلة قبيلة مذمومة فى العرب .

وقوله : « بيننا داء الضرائر » جمع ضرة بالفتح . وضرّة المرأة : امرأة زوجها . وهذا الجمع نادر لا يكاد يُوجد له نظير ، فإنّ فعائل يكون جمع فعيلة لا فعلة . وداء الضرائر هو التباغض والتضارب ، وهو معروف ، فيكون قولها :

(١) الخزانة ١ : ١٨٨ - ١٨٩ .

(٢) ط : « مطهر » ، ضوابه فى ش ووفيات الأعيان والقاموس ، بالطاء المعجمة وكسر الهاء

المشددة .

« بَغْضَةً وَتَقَافٍ » تفسيراً للداء (١) . وبَغْضَةً إمَّا بَدَلٌ مِنْ دَاءٍ ، أَوْ خَبَرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ . والبَغْضَةُ بالكسر والبغضاء بالمدّ : شِدَّةُ البُغْضِ . والتَّقَافُ : تفاعلٌ مِنْ قَفَيْتِهِ أَقْفِيهِ قَفِيًّا ، إِذَا ضَرَبْتَ قَفَاهُ . وَرَوَى « نِقَافٌ » بِكسر النون ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ نَاقَفَهُ . قَالَ اللَّيْثُ : الْمُنَاقِفَةُ هِيَ الْمُضَارِبَةُ بِالسَّيْفِ عَلَى الرُّعُوسِ . وَعَلَى هَذَا يَكُونُ بَغْضَةُ بِالْجَرِّ بَدَلًا مِنَ الضَّرَائِرِ .

وقولها : (مِنْ تَتَقَفْنَ مِنْهُمْ) إِنْخِ بَنُونَ الْمُتَكَلِّمِ مَعَ الْغَيْرِ ، يُقَالُ تَقَفْتُ الرَّجُلَ فِي الْحَرْبِ : أَدْرَكْتَهُ . وَتَقَفْتُهُ : ظَفِرْتُ بِهِ . وَتَقَفْتُهُ : أَخَذْتُهُ . وَتَقَفْتُ الْحَدِيثَ : فَهَمُتُهُ بِسُرْعَةٍ . وَالْكَلُّ مِنْ بَابِ تَعَبٍ . وَ (آئِبٌ (٢)) : رَاجِعٌ ، مِنْ آبٍ مِنْ سَفَرِهِ ، يُؤُوبٌ أَوْبًا : رَجَعَ . وَالْإِيَابُ : اسْمٌ مِنْهُ ، أَيْ مِنْ نَظَرٍ بِهِ مِنْ بَاهِلَةٍ نَقَلْتُهُ وَلَا نَدْعُهُ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ سَالِمًا . فَمِنْ مَبْتَدَأٍ ، وَجُمْلَةُ الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ خَبَرُهُ ، وَجُمْلَةُ لَيْسَ بِآئِبٍ هُوَ الْجَزَاءُ ، وَاسْمٌ لَيْسَ ضَمِيرٌ مَنْ ، وَالبَاءُ زَائِدَةٌ فِي خَبَرِهَا . وَرَوَى : (مِنْ تَتَقَفْنَ مِنَّا) بِالْمُثَنَاءِ الْفَوْقِيَّةِ لِلتَّنَائِيثِ ، فَيَكُونُ فَاعِلُهُ ضَمِيرٌ بَاهِلَةٌ . وَرَوَى أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ (فِي فُرْحَةِ الْأَدِيبِ) : « مِنْ يَتَقَفُّوْا مِنَّا فَلَيْسَ بِوَائِلٍ » . وَالْوَائِلُ : الْمُلْتَجِئُ ، مِنْ وَالٍ يَثُلُ وَالًّا (٣) ، إِذَا لَجَأَ . وَالْمَوَائِلُ : الْمُلْجَأُ . وَلَا تَنَاسَبَ هَاتَانِ الرُّوَايَتَانِ مَا بَعْدَهُمَا وَلَا بِالْمَقَامِ (٤) .

وقولها : « ذَهَبَتْ قَتِيْبَةٌ فِي اللَّقَاءِ » ، هُوَ الْحَرْبُ . وَالطَّائِشُ : الْمُتَحَيِّرُ . وَالرَّعِيشُ : الْمُرْتَعِشُ مِنَ الْخَوْفِ . وَالْوَقَافُ : الَّذِي لَا يَبَارِزُ الْعَدُوَّ وَجُبْنَا .

(١) ط : « وَتَقَافٍ » ش : « وَتَقَافٍ فِي تَفْسِيرِ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ .

(٢) ش : « وَبَائِبٌ » .

(٣) يُقَالُ وَالٌ يَثُلُ وَالًا وَوَعُولًا وَوَيْلًا .

(٤) فِي النُّسخَتَيْنِ : « وَلَا بِالْمَقَامِ » .

وَمُرَّةُ بْنُ عَاهَانَ بْنِ الشَّيْطَانِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ بْنِ خَيْثَمَةَ بْنِ رِبِيعَةَ بْنِ كَعْبِ
ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ : أَحَدُ قَبَائِلِ الْيَمَنِ . وَكَانَ عَاهَانُ شَرِيفاً عَظِيماً بَيْنَهُمْ ، وَيُقَالُ
لَهُ هَاعَانُ أَيْضاً . وَهُوَ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ .
وَالْعَيْنِيُّ لَمْ يَأْتِ فِي شَرْحِ هَذَا الْبَيْتِ بِشَيْءٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

* * *

وَأُنْشَدَ بَعْدَهُ :

(وَمِنْ عِصَّةٍ مَا يَنْبُتُنْ شَكِيرُهَا)

عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ فِي الْاِخْتِيَارِ بِقَلَّةِ تَأْكِيدِ الْفِعْلِ الْمُسْتَقْبَلِ فِي غَيْرِ الشَّرْطِ ، إِذَا
كَانَ فِي أَوَّلِهِ مَا الزَّائِدَةُ .

قَالَ سَيَبَوِيهِ : وَمِنْ مَوَاضِعِهَا أَفْعَالُ غَيْرِ الْوَاجِبِ ، الَّتِي فِي قَوْلِكَ : بِجَهْدٍ
مَا تَبْلُغَنَّ ، وَأَشْبَاهِهِ . وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِمَكَانِ مَا . وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي مَثَلٍ :
* وَمِنْ عِصَّةٍ مَا يَنْبُتُنْ شَكِيرُهَا *

وَفِي مَثَلٍ آخَرَ : « بِالْمِ مَا تُحْتَنِنَنَّ » وَقَالُوا : « بَعِينَ مَا أُرَيْتُكَ » . فَمَا هَهُنَا
بِمَنْزِلَتِهَا فِي الْجُزْءِ . انْتَهَى .

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي الشَّاهِدِ الْحَادِي وَالْخَمْسِينَ بَعْدَ الْمَائَتَيْنِ ^(١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (١) :

٩٤٨ (رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شِمَالًا)

على أن توكيد ترفع بالنون الخفيفة ضرورة . وإنما حسن التوكيد زيادة ما في ربّ ، ووقوع ترفع في حيز رُبَّمَا .

قال سيبويه بعد إنشاد البيت للضرورة : وزعم يونس أنهم يقولون : رُبَّمَا تقولنّ ذاك ، وأكثر ما تقولنّ (٢) ذاك . انتهى .

صاحب الشاهد

والبيت من أبياتٍ لملك الحيرة جديمة الأبرش . قال الآمدي (في المؤلف والمختلف) : جديمة الأبرش الملك كان شاعراً ، وكان أبوه مالك بن فهم ملكاً على العرب بالعراق عشرين سنة ، وكان يقال لجديمة الأبرش: الوضّاح ، لبرصه كان به . وملّك بعد أبيه ستين سنة . وكان ينزل الأنبار ، وهو القائل :

رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شِمَالًا
فِي قُتُوِّ أَنَا كَالْتُّهُمُ فِي بَلَايَا عَوْرَةٍ بَاتُوا
ثُمَّ أَبْنَا غَانِمِينَ مَعًا وَأَنَاسُ بَعْدَنَا مَاتُوا
لَيْتَ شَعْرِي مَا أَمَاتَهُمُ نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَهُمْ بَاتُوا (

في أبيات . ولجديمة (في كتاب الأزدي) أشعار . انتهى .

(١) في كتابه ٢ : ١٥٣ . وانظر شرح أبياته للسيرافي ٢ : ٢٨١ ونوادير أبي زيد ٢١٠ والمقتضب ٢ : ١٥ والمؤتلف ٣٤ والأزمية ٩٢ ، ٢٧٥ وابن الشجرى ٢ : ٢٤٣ والمرحّل ٢٣٢ وابن يعيش ٩ : ٤٠ والمقرب ٢ : ٧٤ والضرائر ٢٩ ورصف المباني ٣٣٥ والمغنى ١٣٥ ، ١٣٧ ، ٣٠٩ والتصرّح ٢ : ٢٢ ، ٢٠٦ ، والهمع ٢ : ٣٨ ، ٧٨ والأشعْمُونِي ٢ : ٢٣١ / ٣ : ٢١٧ .
(٢) ط : « يقولن » ، صوابه في ش وكتاب سيبويه .

يصف سرّية أسرى بها ، أو انقطاعاً عرض له من جيشه في بعض مغازيه ، فكان ربيعة لهم ، ولم يكلّ ذلك إلى أحدٍ أخذًا بالحزم والثقة . قال الأعلام : وصف أنّه يحفظ أصحابه في رأس جبل إذا خافوا من عدوّ فيكون طليعةً لهم . والعرب تفخر بهذا ، لأنّه دالٌّ على شهامة النفس وحدّة النظر . والعلم : الجبل . والشّمالات : جمع الشّمال من الرياح ، وخصّصها لأنها تهبُّ بشدّة في أكثر أحوالها . وجعلها ترفع ثوبه لإشراق المرقبة التي يربأ فيها لأصحابه . انتهى كلامه .

وليس في أبياته ما يدلُّ على أنّ أصحابه في رأس جبل يخافون عدوّاً ، وهذا ذمٌّ . وإتما المعنى : أنا أنظر لهم وأصعد على موضع عال أرقبهم ، وأنظر من يأتيهم . وقوله : « لأنها تهب بشدّة » يكفى عنه قوله : ترفع ثوبه ، لإشراق المرقبة ، إذ الرّيح ولو أنّها الصّبا إذا هبت على ثوبٍ من مكانٍ عال رفعتّه . كذا قال ابن المستوفي . وفي الأوّل نظر .

و (أوفيت) على الشّيء : أشرفت عليه ، ففى بمعنى على ، ويجوز أن تكون بمعناها على تقدير أوفيت على مكانٍ عال في جبل . وقال ابن الأعرابي : يقال أوفيت رأس الجبل . قال ابن يسعون : فعلى هذا في البيت حذف مفعول تقديره ربّما أوفيت مرقبةً أو شرفاً في رأس علم . والعلم بفتحيتين : الجبل . والشّمال ، بالفتح ويجوز الكسر بقلّة ، وهى الرّيح التى تهبُّ من ناحية القطب . وفيها لغاتٌ : شَمَل بسكون الميم وفتحها ، وشَمَّال بالهمز كجعفر ، وقد يشدّد لامة ، وشَمَّل مقلوب منه ، وشَمِّل كصَيْقِل ، وشَمَّل كجواهر ، وشَمَّل كصبور ، وشَمِّل كأمر . وجمع الأوّل شِمالات وبه أنشده الجوهريّ . ويجمع على شمائل أيضاً بخلاف القياس .

وفي قوله : (ترفعن) إلخ إشارة إلى أنّ قميصه لا يلصق بجلده لحَمَصه . وهذا مدحٌ عندهم ، لا سِيما مَنْ كان مثله من أهل النّعمة . قال ابن المُلّا :

وجملة ترفعن إلتخ حال من تاء أوفيت ، أو صفة لعلم ، والعائد محذوف أى فيه .
واقصر العينى على الأخير . وفى الأول نظر ، فإنهم قالوا : يجب تجرّد الجملة
الحالية من علم الاستقبال ، ولهذا غلط من أعرب جملة (سيّهدين) حالاً من قوله
تعالى : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهِدِينَ ﴾ (١)

قال شارح أبيات الإيضاح للفارسي (٢) : ترفعن كلام منقطع مما قبله ،
كأنه استأنف الحديث . وليس فى موضع حال ، لأنّ هذه النون لا تدخل على
الحال . انتهى .

واستشهد به الفارسيّ (فى الإيضاح) على وقوع الماضى بعد ربّ إذا كُفّت
بما قال : وربّ موضوعة للإخبار عما مضى ، وهذا موضع التّكثير به أولى من
التّقليل ، لأنّه المناسب للمدح .

وكذا قال ابن هشام (فى المغنى) : إنّه مسوق للافتخار ، ولا يناسبه
التّقليل .

قال شارح أبيات الإيضاح : يحتمل بقاء ربّ على معناها من التّقليل ، لأنّ
جذيمة ملكّ جليل لا يحتاج مثله إلى أن يُتّذَل فى الطلائع ، لكنّه قد يطرأ على
الملوك خلاف العادة فيفخّرون بما ظهر منهم عند ذلك من الصّبر والجلادة .

وأورد على ابن هشام بأنّ الافتخار بالتّقليل قد يقع لا من حيث قلّته ، بل
من كونه عزيز النّال لا يُوصَل إليه إلّا بشقّ الأنفس ، فالظّفَر به مع هذه الحالة
يناسب الافتخار .

(١) الآية ٩٩ من سورة الصافات .

(٢) فى النسختين : « الفارسي » .

وأجيب بأنه لم يدَّع عدم مناسبة القليل ، بل التقليل ، وهو غير مناسب للافتخار ، وإن كان القليل قد يناسبه بغير جهة قلته .

وروى صاحب الأغاني البيت كذا « ترفع أثوابى شمالات » ، ورواه أيضا : ترفع الآثواب شمالات (١) .

وقوله : « فى فُتُوْ أنا كالثهم » فى متعلقة بأوفيت ، وفُتُوْ : جمع فُتَى ، وهى السخى الكريم ، والشاب أيضا ، جمع على فعول . وكالثهم : اسم فاعل من كلاه الله يكلؤه مهموز بفتحتين ، أى حفظه وحرسه . والبلايا : جمع بليّة . والعورة ، بفتح العين المهملة : موضع خليل يُتَخَوَّف منه فى ثغر أو حرب . وباتوا : ماضى يَبِيت مبيتا ومباتا . وله معنيان أشهرهما اختصاص ذلك الفعل بالليل ، كما اختصّ الفعل فى ظلّ بالنهار . فإذا قلت : بات يفعل كذا ، فمعناه فعّله بالليل ، ولا يكون إلا مع سهر الليل . والثانى بمعنى صار ، يقال بات بموضع كذا ، أى صار ، سواء كان بليل أو نهار . وعليه قوله صلى الله عليه وسلم : « فإنه لا يدرى أين بات يده » . والمعنيان هنا محتملان . وروى صاحب الأغاني هذا البيت كذا :
فى شبابِ أنا رابِثُهُمْ هُمْ لدى العورات صُمَاتُ

ورابى : اسم فاعل من ربات القوم بالهمزة رِبْثًا وارتبأتهم ، أى رقبتهن ، وذلك إذا كنتَ لهم طليعة فوق شرف . والربىء والريئة على فعيل وفعيلة : الطليعة . والمربأة على مفعلة ، وكذلك المربأ : المراقبة . والعورة تقدّم شرحها . وصُمَات : جمع صامت ، وصمّتهم للحراسة (٢) . وروى الجوهري :

(١) الذى فى الأغاني ١٤ : ٧٣ وهو الموضع الوحيد : « ترفعن ثوبى شمالات » ؛ فقد تكون تلك الروايات فى نسخ أخرى .

(٢) كذا أورد البغدادي شرحه وضبطه . وأراها صِمَات بكسر الميم ، جمع صِمة بالكسر ، وهو الرجل الشجاع ، ومنه تسمية دريد بن الصمة .

فِي فُتُوْ أَنَا رَابِثُهُمْ مِنْ كَلَالِ غَزْوَةٍ مَاتُوا

والكَلَال ، بالفتح : التعب . وهو مضاف إلى غزوة . والغَزْوَةُ بمعجمتين .
وجملة مَاتُوا صفة ثانية لَفُتُوْ . وأراد بالموت مقاساة الأهوال والشدائد .

وقوله : « ثُمَّ أُنَبَّا غَانِمِينَ » من آبِ يَتُوبُ ، إذا رجع . ورواه صاحب الأغاني
كذا :

ثُمَّ أُنَبَّا غَانِمِينَ وَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ قَبَلْنَا مَاتُوا (١)

وقوله : نحن أدلجنا ، يُقَالُ : أدلج إدلاجاً ، إذا سار الليل كله . وياتوا
بالموحدة . وروى صاحب الأغاني المصراع الأول كذا :
* لَيْتَ شَعْرَى مَا أَطَافَ بِهِمْ *

وروى غيره :

* لَيْتَ شَعْرَى مَا أَصَابَهُمْ *

٥٦٩

جذيمة الأبرش

وجذيمة الأبرش بفتح الجيم وكسر الذال المعجمة ، قال الجاحظ (في البيان
والتبيين) : عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، أن جذيمة الوضاح هو
الأبرش التنوخي الأزدي ، وهو آخر ملوك قضاة بالحيرة ، وهو أول من حذا
النعال وأخذ المنجنيق ووضعه على الحصون ، وأول من أدلج من الملوك ، وأول
من رُفِعَ له الشمع (٢) .

وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مغاراً ، وأشدّهم نكايه ،
وأظهرهم حَزْماً . وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق وضم إليه العرب ،
وغزا بالجيوش ، وكان به برص ، وكانت العرب تكنى عن أن تسميه به وتنسبه إليه ،

(١) الذي في الأغاني : « وَكَمْ كَرَّرَ نَاسٌ قَبْلَنَا » .

(٢) هنا ينتهي نص البيان والتبيين . أما بقية النص فقد أخذ البغدادى طرفاً منه من الأغاني .

إِعْظَاماً لَهُ فَقِيلَ لَهُ جَذِيمَةُ الْوَضَّاحِ ، وَجَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ . وَكَانَتْ مَنَازِلُهُ فِيمَا بَيْنَ الْحِجْرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَبَقَّةَ ، وَهَيْتَ وَنَاحِيَتَهَا ، وَعَيْنَ التَّمْرِ وَأَطْرَافَ الْبَرِّ ، وَتُجَبَّى إِلَيْهِ الْأُمُورُ وَتَفْعَدُ عَلَيْهِ الْوُفُودُ . وَكَانَ غَزَا طَسْماً وَجَدِيسَا فِي مَنَازِلِهِمَا مِنْ جَوِّ وَمَاحُولِهِ . وَجَوٌّ هِيَ الْبِجَامَةُ ، فَوَافِقُ خُيُولِ حَسَّانَ بْنِ أَسْعَدَ أَيْ كَرَبٍ قَدْ أَغَارَتْ عَلَى طَسْمٍ وَجَدِيسٍ ، فَانْكَفَأَ جَذِيمَةُ رَاجِعاً . انْتَهَى .

وتقدم ذكرُ مقتله في الشاهد الرابع والثلاثين بعد الخمسمائة (١) .

* * *

وَأُنْشِدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ التَّاسِعُ وَالْأَرْبَعُونَ بَعْدَ التَّسْعِمَائَةِ ، وَهُوَ مِنْ شَوَاهِدِ س (٢) :

٩٤٩ (يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا شَيْخاً عَلَى كُرْسِيِّهِ مُعَمَّمَا)
على أَنَّ نون التوكيد تدخل بعد لم تشبيهاً لها بلا النهي عند سيبويه . وَأُنْشِدَ
هذا الشعر .

وَتَقَدَّمَ نَقْلُ كَلَامِهِ قَبْلَ أَرْبَعَةِ أَبْيَاتٍ ، وَأَنَّهُ عِنْدَهُ ضَرُورَةٌ ، وَأَصْلُهُ مَا لَمْ
يَعْلَمَنَّ ، فَقَلَبْتَ النون ألفاً للوقف .

قال ابن الأنباري (في مسائل الخلاف) : يدلُّ على أَنَّ النون الخفيفة
ليست مخففة من الثقيلة أَنَّهَا تَتَغَيَّرُ فِي الْوَقْفِ ، وَيُوقَفُ عَلَيْهَا بِالْأَلْفِ ، قَالَ تَعَالَى :

(١) الخزائن ٧ : ٢٩٣ - ٢٩٥ .

(٢) في كتابه ٢ : ١٥٢ . وانظر نوادر أبي زيد ١٣ ومجالس ثعلب ٦٢٠ والأصول لابن السراج ١٧٩ : ٢٠٩ ، والاقضاب ٣٤٥ وابن الشجري ١ : ٣٨٤ والإنصاف ٦٥٣ وابن يعيش ٩ : ٤٢ والمقرَّب ٢ : ٧٤ والضرائر ٢٩ ، ٤٨ ورصف المباني ٣٣ ، ٣٣٥ والعيون الغامزة ٢٤١ ، ٢٤٢ والمغنى ٣٢٩ والعيني ٤ : ٣٢٩ والصريح ٢ : ٢٠٥ والهمع ٢ : ٧٨ والأشعوني ٣ : ٢١٨ والدمهري ٨٩ .

﴿ لنسفعاً بالثأسية ^(١) ﴾ وقال تعالى : ﴿ لِيُسْجَنَنَّ وَلِيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ^(٢) ﴾
أجمع القراء على أنَّ الوقف فيهما ^(٣) بالألف لا غير . وقال الشاعر :
* يحسبه الجاهل ما لم يعلم *

ولا يجوز أن يكون ههنا بالنون لمكان قوله « معمما » بالألف ، لأنَّ النون لا تكون وصلاً مع الألف في لغة مَنْ يجعلها وصلاً ، ولا رَوِيًّا مع الميم إلّا في الاكفاء ، وهو عيبٌ في قوافي الشعر . ولو جاز أن تقع رَوِيًّا معها لما جاز ههنا ، لأنَّ النون مقيدةٌ والميم مُطلقة ، فإنَّ اتَّيَّ بتتوين الإطلاق على لغة بعض العرب فقال مُعَمَّمَنْ جاز أن يقول : يعلمن ، لأنَّهم يجعلون في القافية مكان الألف والواو والياء تنويناً ، ولا فرق عندهم في ذلك بين أن تكون هذه الأحرف أصليةً أو منقلبةً أو زائدة ، في اسمٍ أو فعلٍ كقوله : « والعَتَابُنْ » ، و « لقد أصابن ^(٤) » ، ونحو ذلك . انتهى .

وهذا الشعر من قصيدة مَرَجَزَة ، أوردها الأسود أبو محمد الأعرابي (في ضالة الأديب) ، وهي :

صاحب الشاهد

(عَبْسِيَّةٌ لم تَرْعَ قُفًّا أَدْرَمَا	ولم تعجِّم عُفْطاً معجِّمًا
كَأَنَّ صَوْتَ شَحْبِهَا إِذَا هَمَى	بين أَكْفِ الحَالْبَيْنِ كُلِّمَا
شَدَا عَلَيْهِنَّ الْبَنَانُ الْمُحَكَّمَا	سَحِيفُ أَفْعَى فِي خَشْيِ أَعَشَمَا ^(٥)
وَقَدْ حَلَبْنِ حَيْثُ كَانَتْ قُيُومَا	مَشْنَى الْوُطَابِ وَالْوُطَابِ الزُّمَمَا

أبيات الشاهد

(١) الآية ١٥ من سورة العلق .

(٢) الآية ٣٢ من سورة يوسف .

(٣) أى في « لنسفعاً » و « ليكونا » .

(٤) انظر الشاهد الرابع من الخزانة ١ : ٦٩ . وهو لجرير .

(٥) ط : « شد » ، صوابه في ش . والضمير للحالبين . وفي ش : « سخيْفُ أفعى » ، صوابه

بالمهملة كما في ط والتفسير التالي .

٥٧٠. وقَمْعاً يُكْسَى ثِمَالاً قَشَعْمَا يَحْسُبُهُ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا
 شيخاً على كُرْسِيٍّ مُعَمَّمَا لو أَنَّهُ أَبَانَ أَوْ تَكَلَّمَا
 لكان إِيَّاهُ وَلَكِنْ أَعْجَمَا أَتَعْبَنَ ذَا ضُبْعِيَّةٍ مَلُومَا ^(١)
 عند كرامٍ لَمْ يَكُنْ مَكْرَمَا عَذَّبَهُ اللَّهُ بِهَا وَأَغْرَمَا
 وَلِيْدُ حَتَّى عَسَا وَاعْرَزَمَا قد سَالمَ الحَيَاثُ مِنْهُ الْقَدَمَا
 الْأَفْعُوَانُ وَالشُّجَاعُ الشَّجَعَمَا وذَاتَ قَرْنَيْنِ ضَرُوساً ضَرِزَمَا ^(٢)
 يَتَّبِعْنَ عِنْدَ عَقْبِيهِ جُثْمَا ^(٣) حَتَّى غَدُونَ وَغَدَا مَسْلَمَا
 يَتَّبِعُ مِنْهَا الدَّلَّحَاتِ الرُّومَا يَعْرِفَنَّ مِنْهُ الرِّزُّ وَالتَّكَلُّمَا (

قوله : « عبسية » أى هذه الإبل عبسية ، أو لنا إبل عبسية ، منسوبة إلى عبس ، أبو قبيلة . ولم ترع ، من الرعى . والقف ، بضم القاف وتشديد الفاء : ما ارتفع من الأرض وغلظ ولم يبلغ أن يكون جبلاً . وقفاً : ظرف لقوله : لم ترع . والأدرم ، فى القاموس ، هو المستوى . وقال العيني : الذى لا نبات فيه .

وقوله : « لم تعجم » بالتشديد ، من عجمت العود أعجمه بالضم عجمًا ، إذا عَضِضْتَهُ لتعرف صلابته من خوره . والمراد لم تمضع . والمعجم : المعضض . والعُرفط كقنفذ : شجرٌ من أشجار البادية . قال أبو حنيفة الدينورى (فى كتاب النبات) : العُرفط من العِضاه ، وهو مفترشٌ على الأرض لا يذهب فى السماء ، وله ورقة عريضة وشوكة حَجْناء ، وهو ما يلتحى لحاؤه ويُصنع منه الأرشية ، ويخرج فى برمه غُلْفَةٌ كأنه الباقلى ، تأكله الإبل والغنم . وهو خبيث الريح ، وبذلك يُخبث رِيحَ راعيته وأنفاسها ، حتى تتنحى عنها . وهو من أخبث المراعى . انتهى .

(١) ط : « مكوما » صوابه فى ش .

(٢) ط : « ضروس » ، صوابه فى ش .

(٣) ط : « جسما » ، صوابه فى ش .

وقال الأزهريّ : العُرْفُط : شجرة قصيرة متدانية الأغصان ، ذاتُ شوكٍ كثير ، تنبّت في الجبال . انتهى .

وقوله : « كَأَنَّ صَوْتَ شَجَبِهَا » وصف حَلَب الناقاة وشبه صوت دِرَّتِهَا بصوت أفاعٍ في خِشْيٍ . والشَّخْب ، بفتح الشين وسكون الخاء المعجمتين : مصدر شَخَب اللَّبَنُ يَشْخَبُ بفتحهما ، ويشْخَب بالضم ، إذا خرج من الضَّرْع . والأشخوب بالضم : صوت الدَّرَّة . وهَمَى يَهْمِي ، إذا سال .

وقوله : « شَدَا عَلَيْهِنَّ » إلخ شَدَا ، بالشين المعجمة والبدال المهملة ، بمعنى غَنَى ، وفاعله الشَّخْب ، والبنان مفعوله بتقدير اللام ، وضمير عليهنَّ للأكف . يقال شَدَا شعراً أو غِنَاءً ، إذا غَنَى به أو ترنَّم به ^(١) .

وقوله : « سَحِيفٌ أَفْعَى » هو خبر كَأَنَّ . والسَّحِيف بمهملتين ، كأَمِير : الصَّوْتُ ، جعله للأفْعَى ، وأصله صوت الشَّخْب . قال الصَّغَانِي : السحيف : صوت الشَّخْب . وقال أبو مالك : ناقةٌ أسحوف الأحاليل ، إذا كانت كثيرة اللَّبَن ، كأنه يسمع لصوت شخبها سَحْفَةً ، وهى سحيفها . وأنشد الأصمعيّ :
حَسِبْتُ أَنَّ شَجَبَهَا وَسَحَفَهُ أَفْعَى وَأَفْعَى طَافِيَا بِنَشَفِهِ

والنَّشْفَة : الحجارة المُحْرِقَة من حجارة الحرّة . ويقال أيضاً سمعت خفيف الرحي وسحيفها ، أى صوتها إذا طحنت . انتهى .

والأفْعَى : الحَيَّة ، والخَشْيُ بالخاء المعجمة والمهملة كأَمِير : الشيء اليابس . وفي القاموس : الخَشْيُ بالمعجمتين : يابس النبت . والأعشم ، بإهمال

(١) كذا أنشده البغدادى وفسره . وأنا أقرؤه : « شَدَا عَلَيْهِنَّ الْبَنَان » أى شد الحالبان على تلك الإبل البنان المحكم حينما يحتلبانها . أما السحيف في الشطر التالى فهو خبر كَأَنَّ ، شبه صوت الشخب بصوت سحيف الأفْعَى . وفي ط : « شد » في الموضعين السابقين ، صوابه في ش .

العين وإعجام الشين : اليابس من الحُمَاض ، ويقال العيشوم أيضا . وفي
القاموس : الأعشم : الشجر اليابس ، وكلُّ شجرة يابسها أكثر من رطبها . وروى
بدله :

* صوت الأفاعى فى خَشْيٍ أخشما *

[والأخشم^(١)] والأشخم : الذى ابيضَّ بعد خُضرته . ومثله قول الآخر :
كأنَّ صوتَ شَخْبِها المرفُضُ كشيشُ أفعى أجمعتْ لعض^(٢)
* فهى تحكُّ بعضها ببعض *

شبهه صوت شَخْبِها بكشيش الأفعى إذا همت^(٣) بأن تَثِبَ للعض .
والمرفُضُ : المتفرق لكثرة . وأجمعتْ : عزمت . وقوله « قِيَمَا » : جمع قائمة ،
والقياس قَوْم .

وقوله : « مثنى الوطاب » هو مفعول حَلَبن ، على حذف مضاف ، أى ملأ
مَثْنَى الوطاب . والمثنى هنا بمعنى المكررة ، كما فى قولهم : مَثْنَى الأيادى ، أى يُعيد
معروفه مرتين أو ثلاثا . قال أبو عبيدة : مثنى الأيادى : الأنصباء التى كانت
تفضل من الجزور فى الميسر ، فكان الرجل الجواد يشتريها فيطعمها الفقراء . وقال
أبو عمرو : هى أن يأخذ القسم مرة بعد مرة . والوطاب : جمع وَطَب ، وهو
سِقَاء اللَّبن خاصة . قال ابن السكيت : هو جلد الجَدَع فما فوقه ، وجمعه فى
الكثير أوطاب ، وفى القليل أوطَب . والزَّمَم : بضم الزاء وتشديد الميم : جمع زَمَ ،
من زَمَ . قال صاحب القاموس : زَمَ القرية : ملأها .

(١) التكملة من ش .

(٢) الرجز فى أدب الكاتب ١٣٥ والاقتضاب ٣٤٥ والجوالقى ٢٣٣ والمخصص ٨ : ١١٥

واللسان (كشسن) .

(٣) ط : « إذ همت » ، وأثبت ما فى ش .

وقوله : « وقِمَعَا » ، وروى بدله : « وقِصْعَا يُكْسَى » إلخ ، بكسر القاف وفتح الميم : آلة تُجَعَلُ في فم السقاء ونحوه ، وَيُصَبُّ فيها اللبن ونحوه . وقِمَعْتُ الوُطْبَ ، أى وضعتُ في رأسه القِمَعَ . والثُّمَالُ ، بضم المثناة ، قال صاحب العباب : هى الرُّغْوَةُ ، والقطعة ثُمَالَةٌ . قال أبو زيد (فى نوادره) : كلُّ شَيْءٍ يكون ضخماً فهو قَشْعَمٌ . وأنشد :

* وقِصْعَا تُكْسَى ثُمَالاً قَشْعَمًا ^(١) *

والثُّمَالُ : الرُّغْوَةُ . انتهى . ولم أر القشعم بهذا المعنى إلا فيها .

وقوله : « يحسبه » أى يحسب الثُّمَالُ . وما مصدرية ظرفية . ويعلم هنا بمعنى يَعْرِفُ ، ومفعوله محذوف ، وهو ضمير الثمال . و « شيخاً » هو المفعول الثانى ليحسبه ، وما بعده صفتان له . شبه الرُّغْوَةَ التى تعلقو القِمَعَ بشيخ معمم جالس على كرسي . وهذا تشبيهٌ ظريف جيد . ولم يصب الأعلام فى قوله : وصف جبلاً قد عمّه الخصب وحفّه النبات وعلاه ، فجعله كشيخ مزمل فى ثيابه ، معصّب بعمامته ، ونحّص الشيخ لوقارته فى مجلسه ^(٢) ، وحاجته إلى الاستكثار من الناس . هذا كلامه ، وكأنه لم يقف على هذه الأبيات .

وقوله : « لو أنه أبان » أى لو أن ذلك الثُّمَالُ الذى يشبه الشيخ . وأبان ، أى جاء بالبيان ، وهو الإفصاح عما فى الضمير . وقوله : « لكان إياه » ، أى لكان الثمال ذلك الشيخ . والأعجم : مَنْ لا يقدر على الكلام أصلاً . والأعجم أيضاً : الذى لا يفصح ولا يُبين كلامه ، وإن كان من العرب . والأعجم أيضاً : الذى فى لسانه عُجْمَةٌ وإن أفصح بالعجمية ، والمراد هنا الأول .

(١) ط : « إذ هت » ، وأثبت ما فى ش .

(٢) ش : « لوقاره » ، والوقارة والوقار سيان ، وكذلك القرة كعيدة ، وهى الحلم والرزانة

وقوله : « أَتَعَبَنَ ذَا ضُبْعِيَّةٍ » ، أى أتعبت هذه الإبل راعياً ذا ضُبْعِيَّةٍ ، أى ذا قوَّة ضُبْعِيَّةٍ ، نسبة إلى الضَّبْع بفتح الضاد المعجمة وسكون الموحدة ، وهو العضد . والمَلُومُ : الذى يُلام لوماً كثيراً ، لسوء ما يأتى .

وقوله : « عِنْدَ كَرَامٍ » ، بالنون ، وروى أيضاً : « عَبْدُ كَرَامٍ » ، بالموحدة .

وقوله : « عَذَّبَهُ اللَّهُ بِهَا » ، أى بخدمة هذه الإبل ، والجملة خبرية أو دعائية . وأَغْرِمَ من أَغْرَمَهُ اللَّهُ ، أى جعله الله ذا غَرَامٍ ، فهو مُغْرَمٌ . والغرام : الشرُّ الدائم .

وقوله : « وَلَيْدًا » إلخ هو مصغَّر وليد ، كأَمِير . صَغَرَهُ تَحْقِيرًا لَهُ . وَعَسَا هُنَا ٥٧٢ من عَسَا الشَّيْءُ يُعَسُو عُسُوًا ، أى يَيْسُ وَصُلْبٌ . قال الأخفش ^(١) : عَسَتْ يَدُهُ تَعْسُو : غَلِظَتْ مِنَ الْعَمَلِ . وَاِعْرَنْزِمَ ، بالعين والراء المهملتين بعدهما نون وزاى ، أى اجتمع واشتدَّ .

وقوله : « قَدْ سَالَمَ الْحَيَاتُ » إلخ أنشده سيبويه إلى قوله : « ضَمُوزَا ضَرْزَمَا » برفع الحيات ونصب الأفعوان وما بعده ، وقال : فَإِنَّمَا نَصَبَ الْأَفْعَوَانَ وَالشُّجَاعَ لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْقَدَمَ هُنَا مُسَالِمَةٌ كَمَا أَنَّهَا مُسَالِمَةٌ ، فَحَمَلَ الْكَلَامَ ، عَلَى أَنَّهَا مُسَالِمَةٌ . انتهى . فَيَكُونُ الْأَفْعَوَانُ وَمَا بَعْدَهُ مَنْصُوبًا بِإِضْمَارِ فَعَلَ ، كَأَنَّهُ قَالَ : وَسَالَمْتُ الْقَدَمُ الْأَفْعَوَانَ وَالشُّجَاعَ . فالمسالمة واقعة منهما . قال ابن السيد (فى أبيات المعانى ، وفى شرح أبيات الجمل) : كَانَ الْقِيَاسُ رَفَعَ الْأَفْعَوَانَ وَمَا بَعْدَهُ عَلَى الْبَدَلِ مِنَ الْحَيَاتِ ، لَكِنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى فَعَلَ مُضْمَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ سَالَمَ ، لِأَنَّ الْمَسَالِمَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنْ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا ، فَلَمَّا اضْطُرَّ إِلَى النَّصْبِ حَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْمَعْنَى . وقال الفراء : الحيات بالنصب مفعول بها ، والفاعل القدمان ، وهو مثنيٌ فحذف نونه للضرورة . انتهى .

وقال ابن هشام (في آخر المعنى) : نصبُ الحيات هو على الفاعليّة ، فإنّه قد يُنصب الفاعل عند أَمْنِ اللَّبْس . وأقول : الفراء إنّما رواه كسيبويه ، قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ ^(١) ، تَرَفَّعَ الْأَغْلَالُ وَالسَّلَاسِلُ ، ولو نصبت السلاسل تريد : يسحبون سلاسلهم في جهنّم . وذكر الكلبي عن [أبى صالح عن ^(٢)] ابن عباس أنّه قال : وهُم في السلاسل يُسْحَبُونَ ، فلا يجوز خفض السلاسل والخافض مضمر ، ولكن لو أنّ متوهماً قال : إنّما المعنى إذ أعناقهم في الأغلال وفي السلاسل يسحبون ، جاز خفض في السلاسل على هذا المذهب . ومثله مما رُدَّ إلى المعنى قول الشاعر :
قد سالم الحياتُ منه القدما الأفعوان إلخ

فنصب الشجاع ، والحيات قبل ذلك مرفوعة ، لأنّ المعنى قد سالت رجله الحيات وسالمتها ، فلما احتاج إلى نصب القافية جعل الفعل من القدم واقعاً [على الحيات ^(٣)] . انتهى كلامه .

وعز ابن جنى (في الخصائص) رواية نصب الحيات إلى الكوفيين ، ونسبها بعضهم إلى البغداديين . والله أعلم .

وقد رجّحه اللخمي (في شرح أبيات الجمل) قال : ويروى بنصب الحيات ، فتكون القدم فاعله . وأراد القدمان ، فحذف النون ضرورة . وما يدلّ على أن القدمين قد حُذف نونه للضرورة قوله بعد هذا :
هَمَمْنِ فِي رَجْلَيْهِ حَتَّى هَوَّماً ثَمَّ اغْتَدَيْنَ وَاغْتَدَى مُسَلِّماً

(١) الآية ٧١ من سورة غافر ، أو المؤمن . وانظر معاني الفراء ٣ : ١١ .

(٢) التكملة من ش بخط الشنقيطي ومعاني الفراء .

(٣) التكملة من ش بخط الشنقيطي ومعاني الفراء . وكتب الشنقيطي مع هذا : « لأنه تمام كلام

الفراء وانتهأه » .

فقوله : « هَمَمَنْ فِي رَجْلِيهِ » دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقَدَمَا تَتْنِيه . وقوله : « ثُمَّ اغْتَدَيْنِ » إِنْخَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بَعْضَهَا قَدْ سَالَمَ بَعْضًا . وقوله « وَاغْتَدَى » إِنْخَارٌ عَنْ صَاحِبِ الْقَدَمَيْنِ لَا عَنْ الْقَدَمِ ، لِأَنَّهُ إِذَا سَلِمَتْ قَدَمَاهُ فَهُوَ مُسَلَّمٌ . وَمَعْنَى هَمَمَنْ : دَبَّيْنِ . هَذَا كَلَامُهُ .

وَالْأَفْعَوَانُ بِالضَّمِّ : الذِّكْرُ مِنَ الْأَفَاعِي . وَالشُّجَاعُ : الذِّكْرُ مِنَ الْحَيَّاتِ . وَالشُّجْعَمُ : الْجَرِيُّ ، وَقِيلَ الطَّوِيلُ مَعَ عِظَمِ جِسْمٍ ، وَالْمِيمُ فِيهِ زَائِدَةٌ .

وقوله : « وَذَاتَ قَرْنَيْنِ » ، هِيَ الْأَفْعَى الْقَرْنَاءُ ، وَضُرِبَ مِنَ الْأَفَاعِي يَكُونُ لَهُ قُرُونٌ مِنْ جِلْدِهِ ، وَلَيْسَتْ كَالْقُرُونِ الْمَعْرُوفَةِ . قَالَ اللَّخْمِيُّ : ذَاتَ قَرْنَيْنِ : حَيَّةٌ لَهَا قَرْنَانِ ، وَهُمَا لَحْمَتَانِ فِي رَأْسِهَا مِنْ عَنِّ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ، وَقِيلَ يَعْنِي الْعَقْرَبَ . وَالضَّرُوسُ : فِعُولٌ مِنَ الضَّرْسِ ، وَهُوَ الْعَضُّ الشَّدِيدُ بِالْأَضْرَاسِ . وَرَوَى بِدَلِهِ : « الضَّمُوزُ » بِالْمَعْجَمَتَيْنِ ، كَصَبُورٍ ، وَهِيَ الْحَيَّةُ الْمَطْرُوقَةُ الَّتِي لَا تَصْفِرُ لِحُبُّثِهَا فَإِذَا عَرَّضَ لَهَا إِنْسَانٌ سَاوَرْتَهُ وَثْبًا . وَالضَّرَزَمُ ، بِكَسْرِ الْمَعْجَمَتَيْنِ بَيْنَهُمَا رَاءٌ مَهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ : الْحَيَّةُ الْمُسِنَّةُ ، وَهُوَ أَخْبَثُ لَهَا وَأَكْثَرُ لِسْمًا . وَقِيلَ : هِيَ الشَّدِيدَةُ النَّهْشُ . وَصَفَهُ بِغَلْظِ الْقَدَمَيْنِ وَصَلَابَتِهِمَا لَطُولِ الْحَفَى ، فَذَكَرَ أَنَّهُ يَطَأُ عَلَى الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ فَيَقْتُلُهَا ، فَقَدْ سَالَمَتْ قَدَمِيهِ فَمَا تُقَدِّمُ أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَهَا ، كَمَا سَالَمَتْ الْقَدَمَانِ الْحَيَّاتِ فَاغْتَدَيْنِ مُسَلَّمَاتٍ وَاغْتَدَى الرَّجُلُ سَالِمَ الْقَدَمَيْنِ .

وقوله : « يَتَنُّ عِنْدَ عَظْمِيهِ » ، أَيْ تَبَيَّتِ الْحَيَّاتُ عِنْدَ قَدَمِيهِ . وَرَوَى بِدَلِهِ : هَمَمَنْ فِي رَجْلِيهِ ثُمَّ هَوَّمَا ثُمَّ اغْتَدَيْنِ إِنْخَ

فِي الصَّحَاحِ : الِهْمِيمُ : الدَّيْبُ ، وَقَدْ هَمَمْتُ أَهَمَّ بِالْكَسْرِ ، هَمِيمًا . وَهَوَّمُ الرَّجُلُ ، إِذَا هَزَّ رَأْسَهُ مِنَ النَّعَاسِ .

وقوله : « يَتَبَعُ مِنْهَا » إِنْخَ . رَجَعَ إِلَى ذِكْرِ الْإِبِلِ . وَضَمِيرُ مِنْهَا لِلْإِبِلِ . وَدُلَّحَ : جَمْعُ دَالِحَةٍ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، مِنْ دَلَحَ الرَّجُلُ إِذَا مَشَى بِجِمْلِهِ غَيْرَ مُنْبَسِطٍ

الْحَطُّو^(١) لثقله عليه . والرُّومُ : جمع رائمة ، من رثمت الناقة ولدها رثمانا ، إذا أحبَّته . والرَّزَّ ، بكسر الراء المهملة وتشديد الزاى : الصوت . قال الجوهريّ : تقول سمعت رَزَّ الرَّعْدِ وغيره .

وقد تحرّفت هذه الكلمة على العيني فقال : الرَّرَّ بفتح الزاى المعجمة وتشديد الراء ، وهو العضّ . انتهى . وهذا لا وجه له هنا .

وقد روى الحُلوانيّ (فى كتاب الشعراء المنسوبين إلى أمّهاتهم) الأبيات الأخيرة ، من قوله :

صاحب الشاهد

* عَبْدُ كَرَامٍ لَمْ يَكُنْ مَكْرَمًا *

إلى آخرها باختلافٍ فى بعض الألفاظ ، ونسب الشعر إلى ابن جُبَابَةَ ، بضم الجيم وبعدها موحدتان خفيفتان . وهو شاعرٌ جاهليّ لص . قال : وهو من بنى سعد ، ثمّ بنى عوف بن سعد بن جُبَابَةَ ، وهى أمّه ، واسمُه المِغْوَار بن الأَعْنَق ، واسم الأَعْنَق حَيْدَةَ بن كعب ، وكان لصّاً . انتهى .

ونسب ابن السَّيِّد واللّخمى هذا الشعر إلى مُسَاوِرِ العَبْسِ ، ونسبه بعضهم إلى العجاج .

قال ابن السيرافى (فى شرح أبيات الغريب المصنّف) : للعجاج قصيدةٌ يشبه أن تكون هذه الأبيات منها ، والرواية تختلف ، وأبيات العجاج فى صفة فحل من فحول الإبل . انتهى .

وقال العيني : قال ابن هشام : هو لأبى حَيَّانِ الفقعسىّ . وقال السيرافى : قائله الذُّبَيْرى . وقال الصَّاعَانى : قائله عبد بنى عبس . انتهى .

(١) ط : « غير متبسط المشى » .

مساور بن هند
العبي

ومساور العبي هو مساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبي ،
شاعرٌ شريف فارس ، مخضرمٌ إسلامي ، ذكره ابن حجر (في الإصابة ، فيمن
أدرك النبي ﷺ ولم يجتمع به) ، وكان جدّه قيس مشهوراً في الجاهلية ، وهو
صاحب حرب داحس والغبراء . وروى الأصبغ عن أبي عمرو بن العلاء أنّه
قال : حدّثنى من رأى مُساور بنَ هند أنّه ولد في حرب داحس قبل الإسلام
بخمسين عاماً . وذكره المرزباني (في معجم الشعراء) ، وذكر له قصّة مع
عبد الملك ، وكان أعور . وهو من المتقدّمين في الإسلام ، وهو وأبوه وجده أشرافُ
شعراءُ فرسان . انتهى ما ذكره ابن حجر .

وقال ابن قتيبة (في كتاب الشعراء ^(١)) : مساور بن هند كنيته أبو
الصّمعاء ، وجدّه قيسٌ هو صاحب الحرب بين فزارة وعبس ، وهى حرب داحس
والغبراء . وكان المساور يهاجى المزار الفقعسي ، ويهجو بنى أسد ، قال :
ما سرّني أنّ أمّي من بنى أسدٍ وأنّ ربيّ يُنجيني من النارِ
وأنّهم زوّجوني من بناتِهِم وأنّ لي كلّ يوم ألف دينارٍ

٥٧٤

و [قال (٢)] المزار بحبيبه :

لستُ إلى الأمّ من عبي ومن أسدٍ وإنّما أنت دينارٌ بن دينارٍ
وإنّ تكن أنت من عبي وأمّهم فأُمّ عبيكم من جارة الجارِ

وفيه يقول الشاعر :

شقيتُ بنو أسد بشعرِ مساورٍ إنّ الشقيّ بكلّ جبلٍ يُخنقُ
وقال له الحجاج : لِمَ تقولُ الشعرَ بعدَ الكبر ؟ قال : أسقى به الماء ،
وأرعى به الكلأ ، وتُقضّى لي به الحاجة ، فإنّ كفيّتي ذلك تركته . انتهى .

(١) الشعر والشعراء ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٢) التكملة من ش . والذي في الشعراء : « فقال له المزار » .

وهو من المعمرين ، ولم يذكره أبو حاتم السجستاني (في المعمرين)

ومن هجوه لبنى أسد قوله :

زعمتم أن إخوانكم قريشٌ لهم إلفٌ وليس لكم إلفٌ (١)
أولئك أومئوا جوعاً وخوفاً وقد جاعت بنو أسد وخافوا

واستشهد بالبيت الأول لقراءة أبي جعفر : ﴿ لِإِلْفٍ قَرِيْشٌ ﴾ ، من أَلِفْ
يَأْلَفُ إلفا . والبيت قد جمع القراءتين (٢) .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد التسعمائة (٣) :

٩٥٠ (أَرَيْتَ إِنْ جِئْتُ بِهِ أُمْلُودَا مُرْجَلًا وَيَلْبِسُ الْبُرُودَا)
* أَقَاتِلُنَّ أَحْضِرِي الشُّهُودَا *

على أن نون التوكيد قد تلحق اسم الفاعل ضرورة ، تشبيها له بالمضارع .

قال ابن جنى (في باب الاستحسان من كتاب الخصائص) :
الاستحسان علتُه ضعيفة غير مستحكمة ، إلا أن فيه ضربا من الاتساع
والتصرف ، ومن ذلك :

* أَرَيْتَ إِنْ جِئْتُ بِهِ أُمْلُودَا * إلخ

(١) دلائل الإعجاز ١٥٥ ومعاهد التنصيص ٢ : ٩٥ والحماسة بشرح المرزوقي ١٤٤٩ واللسان
(ألف) وتفسير أبي حيان ٨ : ٥١٤ .

(٢) انظر كشاف الزمخشري ٢ : ٤٤٤ وتفسير أبي حيان وإتحاف فضلاء البشر ٤٤٤ .

(٣) المحتسب لابن جنى ١ : ١٩٣ والخصائص ١ : ١٣٦ والضرائر ٣١ والمغنى ٣٣٩ والعينى
١ : ١١٨ / ٣ / ٦٤٨ / ٤ : ٣٣٤ والتصريخ ١ : ٤٢ ويس ١ : ٤٢ وشرح السكري ٦٥١ وملحقات
ديوان رؤية ١٤٣ واللسان .

فألقى نون التوكيد اسمَ الفاعل تشبيهاً له بالفعل المضارع ، فهذا استحسانٌ لا عن قوّة علّة ، ولا عن استمرار عادة . الأتراك لا تقول : أقائمٌ يا زيدون ، ولا أمتطلقنٌ يا رجال (١) ، إنما تقول به حيث سمعته ، وتعتذر له ، وتُنسبُه إلى أنّه استحسانٌ منهم على ضعفٍ منه ، واحتمالٍ بالشبهة له . انتهى .

وقال أيضا (في سر الصناعة) : وشبّه بعض العرب اسمَ الفاعل بالفعل ، فألقه النونَ توكيداً ، فقال :

* أريتَ إن جئتُ به أملودا *

إلى آخر الشعر . يريد : أقائلون ، فأجراه مجرى أتقولون . وقال الآخر : ياليت شعري عنكمُ حنيفاً أشاهرُنَّ بعدنا السيُوفاً (٢) . انتهى

وهذا من رجز أورده السكّري في أشعار هذيل لرجلٍ منهم بلفظ : « أقائلون » ، قال : وقال رجلٌ من هذيل :

أريتَ إن جاءت به أملودا مُرجّلاً ويلبس البرودا

— أى إن جاءت به مَلِكاً أملوداً أملس —

* ولا ترى مالاً له معدودا *

— أى لا يُعدُّ ماله من جوده —

أقائلون أعجلى الشهودا فظَلَّت في شرٍّ من اللدِّ كيدا

* كاللّدِّ تزيّ صائداً فصيدا *

ويروى : « فاصطيدا » . تزيّ زُبيّة : حَفَرُ زُبيّة . واللّدُّ ، يريد الذى ، يقول : ٥٧٥

(١) ط : « أمتطلق يا رجال » ، صوابه في ش والخصائص .

(٢) لرؤبة في ملحقات ديوانه ١٧٩ وهو الشاهد التالى برقم ٩٥١ .

أرأيت إن ولدَتْ هذه المرأة رجلاً هذه صفته أيقال لها أقيمي البيّنة أنك لم تأتي^(١) به من غيره . انتهى .

وكذا أورده ابن دريد (في أماليه) بدون :

* ولا ترى مالاً له معدودا *

قال : أخبرنا أبو عثمان التَّوَزِيُّ عن أبي عُبيدة قال : أتى رجلٌ من العرب أمةً له ، فلما حَبِلَتْ جَحَدَهَا ، فانشأت تقول :

* أريت إن جاءت به (٢) * إلى آخره .

وعلى هذا فلم تلحق النون اسم الفاعل ، فلا ضرورة فيه . وعلى رواية النون فقلوه أقائلن جمع ، وأصله أقائلون ، كما ورد به الرواية ، وصرّح به ابن جنى . ويلزم منه أن تكون لامه مضمومة ، فلما أكّد وصار أقائلون حذف نون الجمع لتوالى الأمثال ، وحذفت الواو أيضاً لاجتماعها ساكنة مع نون التأكيد ، وبقيت الضمة دليلاً عليها . ولا يجوز أن يكون أصله : أقائل إنا ، لأنه مقام الخطاب لا مقام التكلم .

وبما نقلنا يُردُّ على الدماميني قوله (في الحاشية الهندية ، وفي شرح التسهيل) : ولقائل أن يقول : لا نسلم أن في قوله أقائلن توكيداً ، لاحتمال أن يكون أصله أقائل إنا فحذفت الهمزة اعتباطاً ، ثم أدغم التنوين في نون إنا على حدّ : ﴿ لَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ (٣) كما قيل فيه . انتهى .

وهو في هذا مسبوq بقول المراكشي : يمنع أنه تأكيد بجعل الأصل أقائل

(١) ط : « لم تأت به » ، صوابه في ش وشرح السكري ٦٥١ .

(٢) كذا في النسختين ، والوجه : « إن جئت » .

(٣) الآية ٣٨ من سورة الكهف .

إِنَّا ، فُفْعِلَ كما في قوله تعالى : ﴿ لَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ . وَرُدَّ عليه بأنَّه لو كان كذلك لكان البيت أَقَاتِلُونَا بألف بعد النون .

وقد ردَّ الشيخ خالد (في التصريح) على الدماميني بما ذكرنا وبهذا ، فقال :
وعليه اعتراضٌ من وجهين :

أحدهما : أنَّه يعتبر في المقيس أن يكون على وزن المقيس عليه ، وهنا ليس كذلك ، لأنَّ الألف الثانية في المقيس عليه مذكورةٌ ، وفي المقيس محذوفة .

والثاني : أنَّ هذا الاحتمال إنمَّا يتمشى حيث كان المعنى أَقَاتِلْ إِنَّا ، على التكلم ، إما إذا كان المعنى على الخطاب أى أنت قاتل ، كما تعطيه السوابق والالواحق فلا . انتهى .

واعترض على هذا الشَّنَوَانِي بأنَّ في إعطاء ما ذكر نظراً ، لجواز أنَّ المتكلم جَرَّدَ من نفسه نفساً خاطبها . انتهى .

ولا يخفى أن التجريد لا مساغ له هنا كما يعلم ممَّا نقلنا عن ابن دريد .
واعترض على الأوَّل أيضا بوجهين :

الأوَّل : أنَّه يعتبر في المقيس أن يكون على وزن المقيس عليه في علَّة الحكم لا في غيرها .

الثاني : سلمنا ما ذكره ، لكن نقول إنَّ الألف الثانية في المقيس عليه محذوفة ، في قراءة غير ابن عامر ؛ لأنَّ ابن عامر قرأ بإثبات الألف وصلاً ووقفاً ، والباقون بحذفها وصلاً وإثباتها وفقاً . وكفى ذلك في كون المقيس على وزن المقيس عليه . انتهى .

وفي كلٍّ منهما نظر ، أمَّا أوَّلاً فلأنَّ الألف الثانية إذا حذفت لم يبق دليل على أنَّ النون بقيَّة أنا حتَّى تقاس على غيرها في الإدغام . وأمَّا ثانياً فلأنَّ من قرأ

يحذف الألف من لكتنا وصلأ لا يحذفها خطأ ، والخط يدل عليها . ولو وقف الدماميني على رواية الشعر وعلى كلام سر الصناعة لم يقل ذاك ، ولا قوله : سمعت شيوخنا ينشدونه بضم اللام من أقائلن . ولم أقف عليه مضبوطا كذلك في كتاب معتمد . انتهى .

فإن ضم اللام من لازم جمعه بالواو والنون .

ثم قوله : « فإن ثبتت رواية الضم فيه علم أن العربي لا يبينه عند إلحاق هذه النون المتصلة به ، لكن يُسأل حينئذ : لم أُعرب مع قيام الشبه المقتضى للبناء » . انتهى .

٥٧٦

يريد بالشبه شبه اسم الفاعل المتصلة به النون بفعل الأمر ، كما صرح به .

وهذا السؤال وإِ جذا ناشئ عن غفلة ، فإن مشابهة الاسم للفعل إنما تقتضى منعه من الصرف لا بناءه . وتلك المشابهة إنما تكون في علتين من العلل التسع ، لا في مطلق المشابهة . والشبه المقتضى للبناء إنما يكون لمشابهته للحروف . على أن النون غير متصلة باللام للفصل بالواو ^(١) . والفعل المؤكد بها مع فصل ضمير بارز لا يبنى على الصحيح ، فكيف الاسم ؟

وأغرب من هذا قول الشيخ خالد بعد اعترافه بأن اللام مضمومة : يُسلَك بالوصف مع نون التوكيد مسلك الفعل ، من البناء على الفتح مع المفرد ، وعلى الضم مع جماعة الذكور . ولم أقف على نص في ذلك . انتهى . مع أن الدماميني صرح في أنه عند ضم اللام لا يكون مبنياً جزماً ، إلا أنه غفل من عدم اتصال النون باللام . وغاية ما أجاب الشُّمْنِي عن عدم البناء ، بأن النون إنما دخل

(١) ط : « للفصل بين الواو » ، صوابه في ش .

الوصف لشبهه بالمضارع لفظاً ومعنى ، والأصل في الأسماء الإعراب ، فيبقى على أصله ، مع أنه لا ضرورة في بنائه ، بل في لحاق النون به . هذا كلامه .

وقد اعترض الشنوائى على الشيخ خالد بأن بناء الفعل المؤكد بالنون على الضم مع واو الجماعة الذكور لم أقف على نصر في ذلك ، فإن الذى وقفنا عليه بناؤه مع نون التوكيد وإن لم تُباشره . وأما أن بناءه ^(١) على الضم مع الواو وعلى الكسر مع الياء ، فلم نره في شيء مما وقفنا عليه . فإن كان هو اطلع على نقل في ذلك فسمعاً وطاعة ، وإلا فهو محل توقف . انتهى .

وهذا نقد جيد ، وعلم معنى الشعر ممّا نقلناه ^(٢) عن ابن دُرَيْد ، وعن السكرى .

وقول الدمامينى في معناه : « يقول ^(٣) : أخبرنى إن جاءت هذه المرأة بشاب يتزوجها رجل الشعر ، حسن اللباس ، كالغصن الناعم ، أتأمر بإحضار الشهود لعقد نكاحها عليه ؟! ينكر وقوع ذلك منه » . اهـ شرح من عنده بالتخمين ، مخالف للمنقول . وقد تبعه عليه الشيخ خالد ، وابن الملا (في شرح المغنى) حتى قال الزرقانى (فيما كتبه على التصريح) : قوله : ينكر وقوع ذلك منه ، أى ينكر وقوع إحضار الشهود ، وذلك لأن الاستفهام في أقائلن إنكارى ، ووجه إنكار ذلك أن من كان على الصفة المذكورة كان من أهل الحضر ، وذلك لا يُصايرهم . قاله بعضُ شيوخنا . انتهى .

وقوله : (أريت) أصله أرايت ، بمعنى أخبرنى ، حذف الهمزة تخفيفاً . قال الشارح (في شرح الشافية) : تحذف الهمزة في أريت مع ألف الاستفهام ،

(١) ط : « بناؤه » ، صوابه في ش .

(٢) ط : « ما نقلناه » ، صوابه في ش .

(٣) ش : « تقول » .

فيقال أريت ، وهو قراءة الكسائي في جميع ما أوله همزة الاستفهام من رأى المتصل به التاء أو النون . وإنما كثر ذلك في رأيت وأخواته لكثرة الاستعمال . انتهى .

وقوله: (إن جئت) بالتكلم عن لسان المرأة ، وهى رواية ابن جنى (فى سر الصناعة ، والخصائص ، والمحتسب) . هذا إذا كان القائل غيرها ، فإن كانت هى القائلة فهو على مقتضى الظاهر . ورواه السكرى وابن دريد : « إن جاءت » فهو على رواية السكرى يكون على لسانها ، وعلى رواية ابن دريد يكون كلامها ، نزلت نفسها منزلة الغائب فأخبرت عنها . والأملود ، بالضم ، قال صاحب الصحاح : غصنٌ أملودٌ أى ناعم ، ورجل أملود وامرأة أملودة ، عن يعقوب . وشابٌ أملدٌ وجاريةٌ ملدء بينا الملد ، أى الثعومة . و (المرجل) بفتح الجيم المشددة : اسم مفعول من رَجَلَ شعره ترجيلاً ، أى سَرَّحه . وفى النهاية لابن الأثير : الترجل والترجيل : تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه . وفى المصباح : ورجلت الشعر ترجيلاً : سَرَّحته ، سواء كان شعرك أو شعر غيرك . وترجلت ، إذا كان شعر نفسك . وقال الدمامينى : المرجل : الذى شعره بين الجعودة والسبوبة . انتهى .

٥٧٧

ولا يخفى أن المستعمل بهذا المعنى إنما هو رَجَلَ الشعر رجلاً من تعب ، فهو رَجَلَ بالكسر ، والسكون تخفيف ، أى ليس شديد الجعودة ولا شديد السبوبة بل بينهما . كذا (فى العباب ، والنهاية ، والمصباح ، وغيرها) . وقال العينى : وضبطه بعضهم بالحاء المهملة ، وهو بُرْدٌ يصوَّر عليه الرجال . ويقال المرجل بالجيم : ثوبٌ فيه صُور الرجال ، والمرجل بالحاء : ثوب فيه صُور تشبه الرجال . انتهى .

وتبعه السيوطى وغيره .

وهذا الضبط بالاختلاف إنما أورده عند قول امرئ القيس فى معلقته :

* أذْيَالِ مِرْطٍ مَرَجَلٍ (١) *

وَأَمَّا مَا هُنَا فَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِمَّا نَقَلَهُ . وَسَيَأْقُهُ يَوْهَمُ أَنَّ هَذَا الْاِخْتِلَافَ هُنَا .
و (البرود) : جمع بُرد بالضم ، قال صاحب النهاية : البُرْدُ : نوعٌ من
الثياب معروف ، والجمع أبراد ، وبُرد . والبُرْدَة : الشَّمْلَة المَخْطُطَة ، وقيل : كساء
أسود مربّع فيه [خطوط (٢)] صُفْرٌ تلبسه الأعراب ، وجمعها بُرْدٌ .

وقوله : « ولا ترى مالا له معدودا » معناه عندى : لا يمكن عدُّ ماله
لكثرتِه ، وهذا كله على سبيل التفاضل .

وقوله : (أَقَاتِلْنِ) خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : أفأنتم قاتِلُنَّ . والجملة
جواب الشرط ، والخطاب لسيدها وَمَنْ يَقُولُ بقوله . وقوله : (أحضرى) خطاب
للمرأة ، أمرٌ من أحضره إحضارا . ورواه العيني : « أحضِرُوا » بواو الجمع ، ولا وجه
له ، كما لا وجه لنسبة الشعر إلى رؤية بن العجاج . والله أعلم .

وشرحُ بَقِيَّةِ الشعرِ تقدّم في الشاهد الحادى والعشرين بعد الأربعمئة (٣) .

وَأُنْشِدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الْحَادِى وَالْخَمْسُونَ بَعْدَ التَّسْعِمَائَةِ (٤) :

٩٥١ (يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكُمْ حَنِيفَا أَشَاهِرُنَّ بَعْدَنَا السُّيُوفَا)

(١) في قول امرئ القيس في معلقته :

خرجت بها أمشى تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرجل

(٢) هذه التكملة للشنقيطى بقلمه في نسخه .

(٣) الخزائن ٦ : ٥ - ٦ .

(٤) العيني ١ : ١٢٢ وجمهرة ابن دريد ٢ : ٢٩ وملحقات ديوان رؤية ١٧٩ .

لما تقدّم قبله ، وأصله : أشاهروئنّ ، ففعل به مثل ما تقدّم .

وهو من رجز أورده ابن دريد (في الجمهرة) كذا :

(يا ليت شعري عنكم حنيفاً وقد جدّعنا منكم الأنوفا
أتحملون بعدنا السيّوفا أم تغزّلون الخُرْفَع المندوفا)

قوله : (يا ليت شعري) إلخ يا الداخلة على ليت حرف تنبيه ، قال الشارح المحقق : والتّزيم حذف الخبر في ليت شعري مردّفاً باستفهام ، وهذا الاستفهام مفعول شعري ، أي ليت علمي بما يُسأل عنه بهذا الاستفهام حاصل . وعند ابن الحاجب : الاستفهام قائم مقام الخبر . وردّه الشارح .

و (عنكم) متعلق بشعري ، وعن بمعنى الباء ، لأنّه يقال شعرت به . و (حنيفاً) بلا تنوين : منادى مرتّم من حنيفة ، وحرف النداء محذوف ، والألف للأطلاق . وحنيفة : أبو قبيلة ، وهو حنيفة بن لجيم ، بضم اللام وفتح الجيم ، ابن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل .

وجملة « وقد جدّعنا » إلخ ، حال من شعري ، لأنّه مفعول في المعنى . وجدّع أنفه جدّعاً بالجيم والبدال المهملة ، من باب نفع ، أي قطعه . وكذا الأذن واليد والشّفة . والأنوف : جمع أنف . وجملة « أتحمّلون » إلخ في موضع المفعول لشعري . وكذا على رواية « أشاهروئنّ » بتقدير مبتدأ ، أي أنتم شاهروئنّ ، من شهر الرجل سيفه ، من باب نفع ، أي سلّه وأبرزه من غمده ، والخُرْفَع ، بضم الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة بعدها فاء مضمومة وعين مهملة ، قال ابن دريد : هو قُطن البرديّ . وقال صاحب العباب : هو القطن الذي يفسد في براعيه ، أي في أكمامه ، قبل أن تنفتق . وقال أبو مسحل : القطن يقال له الخُرْفَع بالكسر كزبرج . وقد أورد العيني هنا ما يُتّعجب منه ، قال : الحنيف هو المسلم ههنا ، وله معانٍ أخر . ويا في مثل هذا الموضع تكون لجرّد التنبيه ، وقد يقال إنّها على

أصلها . والمنادى محذوف تقديره : يا قوم ليت شعرى ، أى ليتنى أشعر ، فأشعر هو الخير ، وناب شعرى عن أشعر ، ونابت الياء عن اسم ليت . وأشعر فعل متعدي معلق عن العمل ، فيكون موضع الاستفهام وما بعده نصباً بالمصدر . وحنيفاً نصب على أنه مفعول المصدر المضاف إلى فاعله ، ومنكم فى محل نصب على أنه صفة لحنيفاً ، والتقدير : ليتنى أشعر حنيفاً كائناً منكم . وشاهرٌ : اسم فاعل فى معنى المستقبل ، لأنّ تقدير الكلام ليتنى أشعر حنيفاً مُسلماً منكم يشهر بعدنا السيوفاً .

هذا كلامه ، وليته لم يسطره .

وهذا الرجز لم أقف على قائله ، ونسبه العينى إلى رؤية بن العجاج . ولم أره فى ديوانه . والله أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

(وليس حامِلْنى إلاّ ابنُ حَمَّالٍ)

وتقدّم شرحه فى الشاهد الخامس والتسعين بعد المائتين (١) .

* * *

وأنشد بعده :

(لَيْعَلَمْ رِئى أَنَّ بَيْتىَ واسعٌ)

هو عجزٌ ، وصدرة :

(لئن تَلَكُ قد ضاقتُ عليكمُ يُيوثُكمُ)

(١) الخزائن ٤ : ٢٦٥ - ٢٦٩ .

على أن عدم توكيد ليعلم بالنون شاذ عند البصريين . وهذا يخالف ما ذكره في حروف القسم ، من أن المضارع إذا كان للحال يجب الاكتفاء باللام ، ولا تأتي بالنون . وأنشد هذا البيت هناك .

وأما الشذوذ ففي المضارع المستقبل إذا جاء باللام دون النون . فهذا الذي نقله عن البصريين هناك . وتقدم شرح البيت في الشاهد الرابع عشر بعد الثمانمائة (١) .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد التسعمائة ، وهو من شواهد س (٢) :

٩٥٢ (فإِذَا تَرَنَّى وَلِي لِمَةً فَإِنَّ الْحَوَادِثَ أَوْذَى بِهَا)

على أن إن الشرطيّة المقرونة بما الزائدة ، يلزم توكيد شرطها بالنون عند الرَّجَّاج . وترك توكيده جيّد عند غيره .

وهذا البيت يدلّ لغير الرَّجَّاج ، فإنه لم يؤكّد فعل الشرط فيه .

قال ابن الناظم : وأما الشرط بإِذَا فتوكيده بالنون جائز ، قال تعالى :

﴿ فَإِذَا تَتَفَفَّهُهُمْ فِي الْحَرْبِ ﴾ (٣) ، و ﴿ إِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً ﴾ (٤) . وقد تخلو

من التوكيد بها ، كما في قوله :

(١) الخزانة ١٠ : ٦٨ - ٧١ .

(٢) في كتابه ١ : ٢٣٩ . وانظر شرح أبياته للسيرافي ١ : ٤٧٧ والأصول ٢ : ٤٣٦ وابن الشجري ٢ : ٣٤٥ والإنصاف ٤٦٤ وابن يعيش ٥ : ٩٥ / ٩ ، ٦ : ٤١ ، ورصف المباني ١٠٣ ، ٣١٦ والعيني ٢ : ٤٦٦ / ٤ : ٣٢٧ والتصريح ١ : ٢٧٨ والأشعري ٢ : ٥٤ / ٣ : ١٦ وديوان الأعشى ١٢٠ برواية : « ألوى بها » .

(٣) الآية ٥٧ من سورة الأنفال .

(٤) الآية ٥٨ من سورة الأنفال .

* فإِذَا تَرَيْنِي وَلِي لَمَّةٌ * ... البيت .

وقول الآخر :

يا صاح إِمَّا تَجِدُنِي غَيْرَ ذِي جِدَّةٍ فما التَّخَلُّى عن الخُلَّانِ من شَيْمَى^(١)
انتهى .

٥٧٩

وقال ابن هشام (فى المغنى) : يقرب التوكيد من الوجوب بعد إِمَّا . وذكر
ابن جنى أَنَّهُ قُرِئَ^(٢) : ﴿ فَإِذَا تَرَيْنِ^(٣) ﴾ بِيَاءٍ ساكنة بعدها نون الرفع^(٤) على
حدِّ قوله :

* لم يُوفُونَ بالجار^(٥) *

ففيها شذوذان : ترك نون التوكيد ، وإثبات نون الرفع مع الجازم . انتهى .
وقد استشهد به سيبويه على حذف التاء من أودَتْ ، فإنَّ فاعله ضمير
الحوادث ، وفى مثله يجب التأنيث ، فتركه الشاعرُ لضرورة الشعر . قال الأَعلم :
دعاهُ إلى حذفها أنَّ القافية مُردَّفة بالألف ، وسوَّغَ له حذفها أنَّ تأنيث الحوادث
غير حقيقى ، وهى فى معنى الجِدَّان . وقال ابن خلف : ذَكَرَ أودى وفيه ضمير
الحوادث ، وهو يحتمل وجهين : أحدهما أنَّ يكون حمل الحوادث على معنى
الجِدَّان فذكر ، أو على حذف مضاف ، كأنَّه قال : فإنَّ مَرَّ الحوادثِ أودى

(١) العنى ٤ : ٣٣٩ والتصریح ٢ : ٢٠٤ والأشمونى ٣ : ٢١٦ .

(٢) ط : « قرأ » صوابه فى ش والمغنى ٣٣٩ .

(٣) الآية ٢٦ من سورة مريم .

(٤) هى قراءة طلحة كما فى المختص لابين جنى ٢ : ٤٢ . وذكر أبو حيان فى تفسيره ٦ : ١٨٥

أنها قراءة طلحة ، وأبى جعفر ، وشيبة .

(٥) البيت من شواهد الخزائن ٩ : ٣ . وانظر معجم الشواهد . وهو بتمامه :

لولا فوارس من ذهل وأسرتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

بها . والوجه الأول أجود في القياس . فإن قيل : فهلاً قال : أودت بها ؟ وما الضرورة إلى ذلك ؟ فالجواب أن القوافي مُرَدَّفة بالألف ، فلو قال أودت لذهب الرَّدْف وهو الألف ، وذهبت القافية . ورؤى أيضا :

* فَإِنْ تَنْكَرِي لَامْرِيءٍ لَمَّةٌ *

وروى :

* فَإِذَا تَرَى لِمَتِي بُدِّلَتْ *

وروى أيضا :

* فَإِنْ تَعْهَدِينِي وَلِي لَمَّةٌ *

يريد أن القافية مؤسَّسة . والتأسيس هو الألف الواقع قبل حرف الروي وهو الباء هنا .

و (اللَّمَّة) بالكسر : الشعر الذي يُلْمُ بالمنكب . و (الحوادث) : جمع حادثة . و (أودى بها) : ذهب بها ، والمراد ذهب بمعظمها ، لأنَّ قوله : « وَلِي لَمَّةٌ » حال من الباء ، ومحال أن تكون له لَمَّةٌ في حالٍ قد ذهب الحوادثُ جميعها . ومعنى (أودى بها) : ذهب بيهجتها وحُسْنها . ومعنى بُدِّلَتْ : ذهب بعضها بالصِّلَع وشاب بقيتها ، فإنَّ حوادث الدهر أهلكتها . يعنى أن مرور الدهر يغيِّر كلَّ شيء .

وقال العيني : لم يقل أودت لأنَّ تأنيث الحوادث مجازيٌّ لأنَّه جمع ، واسم الجمع واسم الجنس كُلُّها تأنيثها مجازيٌّ ، لأنَّهِنَّ في معنى الجماعة ، والجماعة مؤنَّث مجازيٌّ . ولأجل هذا جاز التأنيث في قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ^(١) ﴾ والتذكير أيضاً ، نحو : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ ^(٢) ﴾ . هذا كلامه ، وكأنَّه

(١) الآية ١٢ من سورة ص و ٥ من غافر و ١٢ من ق ، و ٩ من القمر .

(٢) الآية ٦٦ من سورة الأنعام .

لم يعرف الفرق بين الإسناد إلى مجازي التأنيث الظاهر ، وبين الإسناد إلى ضميره .
والرؤية هنا بصرية .

وقوله : و « ولى لمة » أى لمة مغيرة . وقوله : « فإن الحوادث » إلخ هذا علة
الجواب المحذوف ، والتقدير : فلا عجب ، فإن الحوادث إلخ .

والبيت من قصيدة للأعشى ميمون ، مدح بها أساقفة نجران ، وقبله :
صاحب الشاهد (ليجارتنا إذ رأيت لمتي تقول : لك الويل أنى بها ^(١))
بما قد ترى كجناح الغدا في تنزو الكعاب لإعجابها)
فأما ترينى . إلخ .

وجارة الرجل : زوجته . وقوله : « أنى بها » أى كيف صنعت بها حتى
تغيرت كذا .

وقوله : « بما قد ترى » إلخ الباء سببية متعلقة بتنزو ، وهى مكفوفة بما ،
وترى بالبناء للمفعول ، ونائب الفاعل ضمير اللمة . والغدا فبضم الغين
المعجمة : الغراب الأسود . وتنزو : نديم النظر . والكعاب ، بفتح الكاف : الجارية
التي نهذ ثديها وارتفع ، ويقال الكاعب أيضا . والإعجاب : مصدر أعجبه
الشيء ، أى استحسنته .

ومن أبياتها يخاطب ناقتة :

(فكعبة نجران حتم عليك حتى ثناخى بأبوابها
تنزورى يزيد وعبد المسيح وقيساً ، هم خير أربابها ^(٢))

٥٨٠

(١) قبله فى الديوان ١٢٠ ، وهو مطلع القصيدة :

ألم تنه نفسك عما بها بلى عاذاها بعض أطرافها

(٢) فى الأغاني ٦ : ٧٠ فى تفسير هذا البيت : « هؤلاء الذين ذكرهم أساقفة نجران ، وكان
يزورهم ويمدحهم ، ويمدح العاقب والسيد ، وهما ملكا نجران ، ويقم عندهما ما شاء ، يسقونه الخمر
ويسمعونه الغناء الرومى » .

وَكَعْبَةُ نَجْرَانٍ هِيَ ذُو الْخَلَصَةِ ، وَهَدَمَهَا جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : وَيَزِيدُ هُوَ ابْنُ عَبْدِ الْمَدَانِ الْحَارِثِيِّ . وَقَيْسٌ هُوَ ابْنُ مَعْدِيكَرَبِ الْكِنْدِيِّ .

وَمِنْ أَيْبَاتِهَا :

(وَكَأْسُ شَرِيتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
لَكِي يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّيْ أَمْرُؤُ أَتَيْتُ الْمَعِيشَةَ مِنْ بَابِهَا)

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ ابْتَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى ، وَأَخَذَهُ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ فَقَالَ :

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلٍ بَلِيلَى مِنَ الْهَوَى كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخَمْرِ بِالْخَمْرِ
وَأَخَذَهُ أَبُو نَوَاسٍ أَيْضًا فَأَحْسَنَ وَقَالَ :

دَغْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوِيٌّ بِالتِّي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ (١)

وَتَرْجُمَةُ الْأَعَشَى تَقَدَّمَتْ فِي الشَّاهِدِ الثَّالِثِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ أَوَائِلِ الْكِتَابِ (٢) .

* * *

وَأَنْشُدْ بَعْدَهُ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ الثَّالِثُ وَالْخَمْسُونَ بَعْدَ التَّسْعِمَائَةِ (٣) :

٩٥٣ (إِذَا قَالَ قَطْنِي قُلْتُ بِاللَّهِ حِلْفَةً لَتُغْنِيَنَّ عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعًا)

عَلَى أَنَّ الْفَرَاءَ نَقَلَ عَنْ طَيِّءٍ أَنَّهُمْ يَحْذِفُونَ الْيَاءَ الَّذِي هُوَ لَا مَّ فِي الْوَاحِدِ

الْمَذْكُورِ بَعْدَ الْكَسْرِ وَالْفَتْحِ ، فِي الْمَعْرَبِ وَالْمَبْنِيِّ .

(١) دِيوَانُ أُمِّي نَوَاسٍ ٢٣٤ .

(٢) الْخُرَازَنَةُ ١ : ١٧٥ - ١٧١ .

(٣) مَجَالِسُ ثَعْلَبٍ ٦٠٦ وَابْنُ يَعِيشَ ٣ : ٨ وَالْمَقْرَبُ ٢ : ٧٧ وَالْمَغْنَى ٢١٠ ، ٤٠٩ وَالْعَيْنُ ١ :

٣٥٤ / ٣ : ٣٦٠ وَالْمَعْمُوعُ ٤١ .

والمعرب هو المضارع ، وهو معربٌ قبل اتصال النون به . ويكون ما قبله الياء فيه مكسوراً ، نحو : لَيْرِمَنَّ زيد ، وكقول الشاعر :

* لتغنينَّ عني * ... البيت .

ومفتوحاً نحو : ليخشنَّ زيد . والأصل وهو الكثير الاستعمال ليرمينَّ ولتغنينَّ وليخشنَّ ، فحذفوا الياء وبقيت الكسرة والفتحة على حالهما .
والمبنى هو الأمر ، وكذلك يكون ما قبل الياء فيه مكسوراً نحو : ارمينَّ ، وكقول الشاعر :

وابكرنَّ عيشاً تقضى بعد جدته طابَتْ أَصائِلُهُ في ذلك البلد (١)
ومفتوحاً نحو : اخشنَّ يا زيد ، والأصل ارمينَّ ، وابكينَّ ، واخشينَّ ، فحذفت الياء كذلك .

وغير طيء يُيقون الياء أيضاً على حالها .
هذا تقرير كلامه . وأراد بفعل الواحد المذكّر أن لا يتّصل به ضمير مؤنث ، فيدخل فيه : لتخشنَّ الجماعة (٢) وإن أثّ بالتاء من أوله . ولم يستشهد لمفتوح الياء فيهما بشيء . وقد جاء في الحديث وهو قوله ﷺ : « لتؤدّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتّى يقادُ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء تنطحها » ، رواه أحمد في مسنده ، والبخارى في الأدب ، والترمذى (٣) .
قال الثوريشتى (٤) : هو على بناء المفعول ، والحقوق مرفوع . هذه هي

(١) المغنى ٢١١ والهمع ٢ : ٧٩ والسبع الطوال ٣٨٣ .

(٢) ط : « جماعة » ، صوابه في ش .

(٣) هو من حديث أبي هريرة ، كما في الجامع الصغير ٧٢٢٢ .

(٤) هو شهاب الدين أبو عبد الله ، فضل الله بن حسن الثوريشتى الحنفى المتوفى سنة ٦٦١ . وكتابه هو « الميسر » شرح مصابيح السنة للبعوى الشافعى حسين بن مسعود المتوفى سنة ٥١٦ . كشف الظنون في رسم (مصابيح السنة) ، و (مطلب الناسك) ، في علم الناسك) ، و (المعتمد في المعتقد) و (الميسر) . والكتب الثلاثة الأخيرة من تأليفه .

الرواية المعتدّ بها . ويزعم بعضهم ضم الدال ونصب الحقوق ، والفعل مسند إلى الجماعة الذين خوطبوا به . والصحيح الأوّل . قال الطيّب (١) : إن كان الرّد لأجل الرواية فلا مقال ، وإن كان بحسب الدّراية فإنّ باب التغليب واسع ، فيكون قد غلب العقلاء على غيرهم ، وجعل حتّى غايةً بحسب التغليب . انتهى .

وقد أنكر ابن مالك الرواية الأولى ، وقال : لا تصحّ في العربية ، وكان الواجب لتؤدّي الحقوق بإثبات الياء . وهو في هذا معذور ، فإنّ لغة طيّء في حذف الياء إذا كانت لام الفعل في الواحد المذكّر غير مشهورة ، ولم أر نقلها عن الفراء عنهم إلّا من الشارح المحقق ، وهو ثقةٌ فيما ينقله . وإنّما المشهور عن الفراء عنهم حذف ياء الضمير بعد الفتحة . قال ابن مالك (في التسهيل) : وحذف آخر الفعل إن كان ياءً لغةً فزاريةً . ثم قال : وحذف ياء الضمير بعد الفتحة طائفة .

٥٨١

قال شراحه في الأوّل : المشهور في لسان العرب فتح آخر الفعل صحيحاً كان أو معتلاً إلّا فزارة فإنّهم يحذفونها إذا تلت كسرةً ، فإنّهم يقولون : ارْمَنَّ وليرْمَنَّ زيد ، وغيرهم : ارْمِمْ وليرْمِمْ .

وقالوا في الثّاني : لغة العرب الياء بعد الفتحة تثبت متحرّكة بالكسر ولا تحذف ، فيقولون : هل تخشِنُ يا هند . ونقل الفراء عن طيّء أنّهم يحذفونها فيقولون اخشِنُ يا هند .

(١) هو شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد ، أو الحسين بن محمد بن عبد الله كما سمي نفسه . وهو من أهل توربشت من عراق العجم . ويحتمل أن تكون نسبته إلى بيع الطيب ، أو إلى بلدة بين واسط وخوزستان تسمى الطيب . وكتابه هو « شرح مشكاة المصابيح » . و « مشكاة المصابيح » تكملة لمصابيح السنة للبغوى ، والتكملة لأبى عبد الله الخطيب . فرغ من جمعها في رمضان سنة ٧٣٧ . الدرر الكامنة ٢ : ١٥٦ وكشف الظنون في (مصابيح السنة) .

قال السمين (في شرحه) : لم يتعرّض المصنف لحركة ما قبلها حين حذفها هل تبقى الفتحة أو تكسر دلالةً على الياء ؟ وهذا الذى ينبغى . انتهى .

وما نسبته ابن مالك إلى فزارة نسبته ثعلب ^(١) إلى طيء . قال ثعلب (في الجزء الحادى عشر من أماليه) بعد ما روى البيت « لَتُغْنِي » : ويروى : لَتُغْنِي ، وهذا إنَّما يكون للمرأة ، إلاَّ أنَّه فى لغة طيء جائز ، وفى لغة غيرهم : لَتُغْنِي ^(٢) واللام لام الأمر أدخلها فى المخاطبة ، والكلام : أُغْنِي عَنِّي . انتهى كلامه .

والرواية الأولى « لَتُغْنِي » بكسر اللام وآخره ياء مفتوحة . والثانية لَتُغْنِي بفتح اللام وكسر النون الأولى وتشديد الثانية . وقوله : وفى لغة غيرهم : لَتُغْنِي ^(٣) إلخ ، يعنى أنَّ الياء لا تحذف فى غير لغة طيء إلا إذا كان أمراً للأنثى ، وإذا كان أمراً لها فالفصيح أُغْنِي عَنِّي ، بصيغة الأمر لا بلام الأمر ، وذلك بفتح الهمزة ^(٤) وكسر النون الأولى وبعدها نون التوكيد .

وقد نقل أبو على الفارسيُّ كلام ثعلب برُمته (فى المسائل البصريّات) ، ونقله غيره أيضاً . وقد نقل أبو على (فى كتاب الشعر) أيضاً أنَّ ثعلبا روى لَتُغْنِي بفتح اللام وكسر النون الأولى . وكذا روى العسكريُّ (فى كتاب التصحيح) عن المعمرى عن ثعلب .

والبيت الثانى أيضاً خطابٌ للمذكّر ، بدليل ما قبله :
يا عَمْرُو أَحْسِنِ نَمَاكَ اللَّهُ بِالرَّشْدِ واقْرَأْ سَلَاماً عَلَى الْأَنْعَاءِ وَالنَّمَدِ

(١) ط : « فَنَسِبَهُ » ، صوابه فى ش .

(٢) فى النسختين : « لَتُغْنِي » ، صوابه فى مجالس ثعلب ٦٠٧ .

(٣) فى النسختين : « لَتُغْنِي » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) فى النسختين : « بضم الهمزة » ، والوجه ما أثبت .

كذا أنشد هما ابنُ الأنباري (في شرح المفضليات) . وبه يردُّ على الدَّمَاميني (في الحاشية الهندية) في زعمه أنَّ قوله وابكين خطاب لأمراة ، مع أنَّ سياق كلام المغنى ياباه ، فإنَّه بعد أن روى : لَتَغْنَنَّ ، قال : وذلك على لغة فزارة في حذف آخر الفعل لأجل النون ، إذا كان ياءً تلي كسرة . وأنشد البيت - فإنَّه إذا كان الخطاب به مع امرأة كان المحذوف ضميراً ، لا آخر الفعل . فإنَّك إذا قلت ابكي يا هند ^(١) ، كانت الياء ضمير المخاطبة ، وأما لام الكلمة فهو محذوف لالتقاء الساكنين وأصله تبكيين على وزن تَفْعَلِينَ تحرَّكت الياء الأولى وهي لام الفعل وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ، وحذفت لالتقاء الساكنين ^(٢) .

وأما الرواية الأولى لثعلب ، وهي « لَتَغْنَنَّ عَنِّي » بكسر اللام وفتح الياء بدون توكيد ، فقد نسبها الجمهور إلى أبي الحسن الأخفش ، منهم أبو علي (في كتاب الشعر وغيره) . واختلَف في لام كي ، فمنهم من أجاز أن يُتلقَى بها القسم ، ومنهم من منع .

قال ابن عصفور (في شرح الجمل) : زعم أبو الحسن أنَّ جواب القسم قد يكون لام كي مع الفعل ، نحو : تالله ليقوم زيد . قال : فعلى هذا يكون الجواب من قبيل المفرد ، لأنَّ لام كي إنمَّا تنصب بإضمار أنَّ ، وأنَّ وما بعدها يُتأَوَّل بالمصدر ، فكأنَّك قلت : تالله للقيام ^(٣) . إلَّا أنَّ العرب أجزت ذلك مجرى الجملة ، لجريان الجملة بالذكر بعد لام كي ، فوضعت لذلك لِتَفْعَلْ موضع لِتَفْعَلَنَّ .

٥٨٢

(١) في النسختين : « ابكين يا هند » ، تحريف .

(٢) كذا في النسختين . وإنما يصح هذا التصريف إذا كانت الكلمة : بكث ، وأصلها : بكَيْث .

وأما تصريف تبكين فإنَّ أصلها تبكيين ، استثقلت الكسرة على الياء فحذفت الكسرة والتقى ساكنان فحذفت الياء الأولى التي هي لام الفعل .

(٣) ش : « للقيام » ، تحريف .

وقال (في شرح الإيضاح) : زعم أبو الحسن أن العرب قد تتلقى القسم بلام كى ، وحمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ ^(١) ﴾ . واستدل أبو على (في العسكريات) على صحة ما ذهب إليه بقوله :

* لِتُغْنِيَّ عَنْيَ ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعَا *

قال أبو على : فإن قيل إنَّ المقسم به إنمَّا يكون جملة ، وليس هذا بجملة ، لأنَّ أن والفعل في تقدير اسم مفرد . قيل : إنَّ ذلك لا يمنع من وقوعه موقعَ الجملة التي يُقسم عليها وإنَّ كان مفردا ، وذلك أنَّ الفعل والفاعل اللذين جريا في الصلة يسُدَّان مسدَّ الجملة . لكن رجع أبو على عن ذلك (في التذكرة ، والبصريات) وقال : إنَّ ذلك لم يَرِدْ في كلام العرب . وأما قوله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ ﴾ الآية فاللام متعلِّقة بيحلفون ، وليس القسم بمرادٍ ، إنمَّا المراد الإخبار عنهم بأنهم يحلفون أنَّهم ما فعلوا ذلك ليَرْضوا بحلفهم المؤمنين . وكذا البيت يحتمل أن يكون لِتُغْنِيَّ متعلِّقا بآليت على ما رواه أبو على (في البصريات) ، ولم يَرِدِ القسم ، إنمَّا أراد أن يخبر مخاطبَه أنَّه قد آلى كى يشرب جميع ما في إنائه .

ورواه أبو على : « قلت بالله حلفة » ، ولا حجة فيه أيضاً ، لاحتمال أن يكون بالله متعلِّقا بفعل مضمَّر لا يراد به القسم ، بل الإخبار ، ويكون قوله لِتُغْنِيَّ عَنْيَ ، متعلِّقا به ، والتقدير : حلفت بالله حلفة كى تُغْنِيَّ عَنْيَ . ويجوز أيضاً أن يكون المقسم عليه محذوفاً لدلالة الحال عليه ، تقديره : لتَشْرَبَنَّ لِتُغْنِيَّ عَنْيَ . وعلى هذا حمَّله أبو على (في التذكرة) . انتهى كلام ابن عصفور .

وكأنَّ ابن هشام لم يطلع على كلام أبي على (في التذكرة والبصريات) على رجوعه ^(٢) عن موافقة الأخفش ، فحكى عنه القول الأوَّل (في المغنى) وقال :

(١) الآية ٦٢ من سورة التوبة .

(٢) ش : « عن رجوعه » .

أجاز أبو الحسن أن يُتلقى القسم بلام كى ، وجعل منه : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ ﴾ ، يقال : المعنى لِيَرْضُوكُمْ . قال أبو علي : وهذا عندى أولى من أن يكون متعلقاً بيحلفون والمقسم عليه محذوفاً . انتهى .

وفى : « لتغنى عني » رواية أخرى ، وهى فتح اللام والياء على إرادة النون الخفيفة ، ونسبها ابن يعيش (فى شرح المفصل) إلى الأخفش ، ولم أر مَنْ نسبها إليه غيره ، والمنسوبة إليه هى الرواية بكسر اللام وفتح الياء على المشهور . قال ابن يعيش : أنشده أبو الحسن بفتح اللام للقسم ، وفتح آخر الفعل على إرادة نون التوكيد وحذفها ضرورة . انتهى .

وكذا قال بعض أفاضل العجم (فى شرح أبيات المفصل) . وعلى هذه الرواية صدر كلامه السيّد (فى شرح المفتاح) ثم ذكر رواية كسر اللام .

وفى البيت شواهد آخر :

(أحدها) : قوله قَطَنِي وفى رواية « قدنى » ، وبه استشهد ابن النازم بنون الوقاية لحفظ السكون عند البصريين ، ومعناها عندهم حَسَب ، أو لأنّها اسم فعل عند الكوفيّين ومعناها يكفى .

(ثانيها) : أنّ ذا بمعنى صاحب ، وبه استشهد صاحب الكشف عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ^(١) ﴾ من سورة الملائكة على أنّ ذات مؤنث ذو ، وهو موضوع لمعنى الصُّحبة ، لأنّ اللَّبَن يصحب الإناث ، والمضمرات تصحب الصدور . قال : ذات الصدور : مضمراتها ، وهى تأنيث

٥٨٣

(١) الآية ٣٨ من سورة فاطر ، وهى التى تسمى أيضا « سورة الملائكة » كما سيأتى . وانظر الإتيان ١ : ١٥٧ . وانظر أيضا كشف الزمخشري حيث سماها « سورة الملائكة » ، واستشهد يقول أبى بكر وباليث الشاهد فى ٢ : ٢٤٥ .

ذو في نحو قول أبى بكر رضى الله عنه : « ذو بطن [بنت ^(١)] خارجة جارية » ، وقوله :

* لتغنى عنى ذا إنائك أجمعا *

المعنى ما فى بطنها من الحبل ، وما فى إنائك من الشراب ؛ لأنَّ الحبل والشراب يصحبان البطن والإناء . ألا ترى إلى قولهم : مَعَهَا حَبْلٌ . وكذلك المضمراتُ تصحب الصدور ، وهى معها . وذو موضوعٌ لمعنى الصلبة . انتهى . (ثالثها) : إضافة إناء إلى ضمير المخاطب للملابسة ، قال الزمخشري (فى المفصل) : ويضاف الشيء إلى غيره بأدنى ملابسته بينهما . وأنشد البيت وغيره . قال ابن يعيش : الشاهد فيه أنَّه اُضيف الإناء إلى المخاطب للملابسته إِيَّاه وقتَّ أَكْلِهِ مِنْهُ ، أو شُرْبِهِ ما فيه من اللبن . وذو الإناء : ما فيه من لبنٍ أو مأْكول . انتهى . وفيه تقصيرٌ حيث قصرَ الملابس على إضافة الإناء مع أنَّها جارية فى إضافة ذا أيضا . وقد نبّه عليهما السيّد (فى شرح المفتاح) قال : فيه استشهادان : أحدهما أنَّ الإناء للمُضيف وقد أضافه إلى الضيف للملابسته إِيَّاه فى شربه منه ، وفى جعل هذه الملابس بمنزلة الاختصاص المِلْكِيِّ مبالغةٌ فى إكرام الضيف واللُّطْف ^(٢) . والثانى : أنَّ ذا بمعنى صاحب ^(٣) وأريد به اللبن ، وأضيف إلى الإناء للملابسته إِيَّاه لكونه فيه . فهذه أيضا إضافةٌ لأدنى ملابسته . انتهى .

(١) التكملة من العثمانية للجاحظ ٨٧ - ٨٨ والحيوان ٦ : ٥١ حيث خبر أبى بكر إذ يقول : « إنه القى فى روعى أن ذا بطن بنت خارجة جارية » . وبنت خارجة هذه هى « حُبَيْبة » ، تزوجها أبو بكر فى الإسلام وتركها نَسْأً ، أى حاملا ، فولدت له بعد وفاته جارية سميت « أم كلثوم » . تاريخ الطبرى ٣ : ٤٢٦ والإصابة ٢٧١ من قسم النساء . وأبوها « خارجة بن زيد الأنصارى الخزرجى » ، شهد بدرًا والعقبة ، وقتل يوم أحد ، ويقال إنَّ النبى ﷺ آخى بينه وبين أبى بكر . الاشتقاق ٥٧ : الإصابة .

(٢) ش : « ولطف » .

(٣) ش : « الصاحب » .

(رابعها) : التأكيد بأجمع ، مع أنه لم يُسبق بكَل ، وهو تأكيد لقوله : ذا
إناء ، بمعنى اللبن .

وقوله : (إذا قال) فاعله ضمير الغلام القليعي ، وهو الضيف في بيت قبله
كما يأتي . وقوله : (قلت) المتكلم هو الشاعر ، وهو المضيف ^(١) وأورده جماعة :
« إذا قال قطنى قال » ، منهم الزمخشري (في المفصل) ، وتبعه السيد فقال : أى
إذا قال الضيف حسبي ما شربت قال المضيف . انتهى .

وهذا على أن الشاعر مخبرٌ حاكٍ عن شخصين ، فهو لا ضيف
ولا مضيف . وأورد بعض آخر : « إذا قلت قطنى » ، قال : فيكون الشاعر هو
الضيف . والصواب ما شرحناه أولاً كما يظهر من سياق القصيدة .

وقوله : (لتغنى عني) قال ابن يعيش : العرب تقول : أغنى عني وجهك ،
أى اجعله بحيث يكون غنياً عني لا يحتاج إلى رؤيتي . يقول له الضيف : حسبي
ما شربت ، فيقول له المضيف : اشرب جميع ما في الإناء ولا تردّه عليّ . وقال
السيد : أى لتبعدنّ ذا إنائك عني ، ولتجعلنّ في غنيّ متى ، كأنّ الطعام محتاجٌ
إلى من يطعمه .

وقد نقل العيني في شرح البيت جميع كلام ابن هشام من غير زيادةٍ عليه ،
ولم يعزّه إليه .

والبيت من قصيدة الحرث بن عتاب الطائي ، أوردها ثعلب (في أماليه) ،
وهي :

(عَوَى ثَمَّ نَادَى هَلْ أَحْسَنْتُمْ قَلَائِصاً وَسَمِنَ عَلَى الْأَفْخَادِ بِالْأَمْسِ أَرْبَعَا)
غلامٌ قَلِيعِيٌّ يَحْفُ سِبَالَهُ وَلَحِيَّتُهُ طَارَتْ شَعَاعاً مَقْرَعَا

صاحب الشاهد

غلامٌ أضلّتهُ النُّبُوحُ فلم يَجِدْ بما بين حَبَبِ فَالْهَبَاءِ أَجْمَعَا
 أناساً سوانا ، فاستمّانا فلم يُرَى أخوا دليج أهدى بليلى وأسمعا (١)
 فقلتُ أجراً ناقة الضَّيْفِ إننى جديرٌ بأنْ تَلْقَى إنائى مُترَعَا
 فما برحت سَحَواءَ حَتَّى كأنما تغادر بالزَّيزاءِ برساً مقطّعا (٢)
 كلا قَادِمِها يفضّل الكَفَّ نصفه كجلد الحُبّارى ريشه قد تزلّعا
 دفعت إليه رَسَلُ كوماء جِلْدَةٍ وأغضيتُ عنه الطَّرْفَ حَتَّى تضلّعا
 إذا قال قَطْنى قلت آليتُ حَلْفَةً لِتُغْنِي عَنّى ذا إنائك أَجْمَعَا
 يُدافِعُ حَيَوزِمْهِ سُخُنُ صرِيحها وحلقاً تراه للثُّمالة مُقْنَعَا
 إذا عمَّ خِرْشاءُ الثُّمالة أنفه تقاصرَ منّا للصَّرِيحِ وأقمعا
 هذا آخر ما أورده ثعلب .

٥٨٤

وقوله : « عوى ثم نادى » إلخ فاعل عوى هو غلامٌ فى أول البيت الذى بعده . يريد أن هذا الغلام شرذت له قلائصُ أربع ، فخرج فى طلبها حتّى أظلم عليه اللَّيْلُ فضلّ عن الطريق ، فعوى حتّى سمعت الكلابُ صوته فنبحته ، فاستدلّ بصوتها علينا ، فجاء فسأل عن قلائصه .

قال السيد المرتضى رحمه الله (فى أماليه (٣)) : إن العرب تزعم أن سارى اللَّيْلِ إذا أظلم عليه فلم يستبِنَ محجّة ، ولم يدر أين الحِلّة ، أى القوم النُّزول ، وضع وجهه مع الأرض وعوى غُواءَ الكلب ، لتسمع ذلك الصوت الكلابُ إن كان الحى قريباً منه ، فتجيبه فيقصد الأبيات . قال الفرزدق :

(١) مجالس ثعلب ٦٠٥ : « فلم نرى » بالنون .

(٢) سحواء ، كذا بالحاء المهملة فى النسختين ، وفيما على من الشرح حيث قيّدت بالحاء المهملة ، على حين قد وردت فى المجالس بالجيم وكذا فى اللسان (سجا ٩٢) حيث أنشد البيت . ولم أجد السحواء بالمهملة فى معجم .

(٣) أمالى المرتضى ٢ : ١١٤ - ١١٦ .

وداع بلحن الكلب يدعو ودونه من الليل سَجَفًا ظُلْمَةً وَغِيُومَهَا (١)
دعا وهو يرجو أن ينبّه إذ دعا فَنَى كَابِن لَيْلِي حِينَ غَارَتْ نَجُومُهَا
بَعَثَتْ لَهُ دِهْمَاءَ لَيْسَتْ بِلَقْحَةٍ تَدْرُ إِذَا مَا هَبَّ نَحْسًا عَقِيمُهَا

ابن ليلي هو أبو الفرزدق . ومعنى بعثت له دهماء ، أى رفعتها على أثافيتها .
ويعنى بالدهماء القِدر . واللّقحة : الناقة . أراد أن قدره تدرّ إذا هبت الريح عقيماً
لا مطر فيها . وما أحسن قول ابن هرمة :

وَمُسْتَنْبِحٌ يَسْتَكْشِطُ الرِّيحَ ثَوْبَهُ لَيْسَقُطَ عَنْهُ وَهُوَ بِالثَّوْبِ مُعَصِّمٌ (٢)
عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ ثَوْمٌ
فَجَاوِبُهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرِيِّ لَهُ مَعَ إِيَّانِ الْمُهَيَّبِينَ مَطْعَمٌ
يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلاً يَكْلُمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ

يقال : فزعت لفلان ، إذا أغثته . والمُهيَّبون : الموقظون له ولأهله ، وهم
الأضياف . وإنما كان له معهم مطعم لأنهم ينحروهم ما يُصيب منه . وأراد
بقوله : « يكلّمه من حُبِّه » إلخ بصبصته وتحريكه ذنبه . ومثله قوله أيضاً :

وَإِذَا أَتَانَا طَارِقٌ مَتَنَوْرٌ نَبَحَتْ فَدَلَّتْهُ عَلَى كَلَابِي (٣)
وَفَرَحْنُ إِذْ أَبْصَرْنَاهُ [فَلَقِينَهُ] يَضْرِبُنْهُ بِشَرَّاشِرِ الْأَذْنَابِ (٤)

يقال : شرشر الكلب ، إذا ضرب بذنبه وحركه للأنس . وأما قول الأخطل :

(١) ديوان الفرزدق ٨٠٣ . والبيت فيه برواية مخالفة .

(٢) ديوان ابن هرمة ٢٠٨ - ٢٠٩ والحماسة بشرح المرزوقي ٥٨٠ والتبريزي ٤ : ١٣٦ - ١٣٧
والحيوان ١ : ٣٧٧ والفاضل للمبرد ٣٧ - ٣٨ ، بدون عزو ، وسمط اللآلي ٥٠٠ وديوان المعاني ١ : ٣٣
والحماسة البصرية ٢ : ٢٤٤ .

(٣) ملحقات ديوان ابن هرمة ٢٥٧ والحماسة البصرية ٢ : ٢٤٤ والأغانى ٥ : ٤٧ والحيوان
٣٨٤ : ١ .

(٤) فلقينه ، ساقطة من ط وأثبتها الشنقيطي في نسخته . وانظر أساس البلاغة (شرر) وبقيّة المراجع .

دعاني بصوتني واحد فأجابه منادٍ بلا صوتٍ وآخر صيَّ (١)

فمعناه أن ضيفاً عوى بالليل والصدى من الجبل يُجيبه ، فذلك معنى قوله : « بصوتني واحد (٢) » . وقوله : « فأجابه منادٍ بلا صوت » أى نازراً رفعها له فرأى سناها فقصدّها . والآخر الصيَّ : الكلب ، لأنه أجاب عواءه (٣) .

وقوله : « هل أحسَّتم قلائص » قال ثعلب : يريد أحسَّستم . انتهى . قال الجوهري : وربما قالوا : ما أحسَّت منهم أحداً ، فألقوا أحد السنين استثقلاً ، وهو من شواذ التخفيف . انتهى . وهو من أحسَّ الرجل الشيء إحساساً : علم به ، يتعدى بنفسه مع الألف ، وربما زيدت الباء فقليل : أحسَّ به ، على معنى شعر به . كذا في المصباح .

والقلائص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة . وجملة « وسمن على الأنخاذ » صفة قلائص ، من الوسم ، وهو العلامة بكى حديدة مُحماة . وأربعا : صفة ثانية لقلائص .

وقوله : « غلام قُلَيْعِي » الغلام يطلق على الرجل مجازاً باسم ما كان عليه ، كما يقال للصغير شيخ مجازاً باسم ما يؤول إليه . كذا في المصباح . وقُلَيْعِي منسوب إلى قُلَيْع بضم القاف وفتح اللام ، وهى قبيلة ، أو هو منسوب إلى القُلَيْعة مصغر قلعة ، وهى موضع في طرف الحجاز ، واسم مواضع أخر . وقوله : « يحفُّ سبأله » بالحاء المهملة ، يقال حفَّ الرجل شاربَه حَفًّا من باب قتل ، إذا أحفاه ، أى بالغ

(١) البيت لم يرد في ديوان الأخطل ، ولا في التكملة لشعر الأخطل . وفي أمالي المرتضى ٢ : ١١٥ : « دعاني بصوت واحد » ، لكن تعليق المرتضى على الشعر يقتضى رواية : « بصوتني واحد » . (٢) هذا هو الصواب ، لكن في نص المرتضى : « بصوت واحد » ، وهذا تحريف . (٣) في أمالي المرتضى : « أجاب دعواه » . هذا . وقد فات البغدادى أن ينبه على أن هذا هو نهاية نقله عن الأمالي كعادته .

في قصه . والسبب ، بالكسر : الشارب . والشعاع ، بالفتح : المتفرق ، يستوى فيه المذكّر والمؤنث . والمقزّع ، بالقاف وفتح الزاي المشددة : المفتول . يعني أنّ لحيته من الهواء والبرد تفرقت وصارت كالفتائل . وهو من القزّع بفتحتين . قال الأزهري : وكلّ شيء يكون قطعاً متفرقة فهو قزّع . ونهى عن القزّع ، وهو حلق بعض الرأس دون بعض .

وقوله : « غلام أضلّته التُّبُوح » أى هو غلام . وأضلّته : أضاعته . والتُّبُوح بضم النون والموحدة وحاء مهملة : ضجّة الحى وأصوات كلابهم : وخبّت ، بفتح الحاء المعجمة وسكون الموحدة : اسم ماءٍ لكلب ، وقيل لكِنْدَة ، وموضع آخر . والهباء ، بفتح الهاء الموحدة وبالمَدّ : موضعٌ في أطراف الرّبذة خارج المدينة المنورة ، وكانت فيه حربٌ من حروبٍ داحسٍ لعيس على ذبيان .

وقوله : « أناساً » هو مفعول قوله « فلم يَجِدْ » ، وسوانا : صفته ، أى غيرنا . وقوله : « فاستأنا » قال ثعلب : أى تصيّدنا . والمُستَمِي : المتصيّد . والمِسْمَاة : جوربٌ يلبسه الصائد في الحرّ . انتهى . يريد أنّه ظفّر بنا كما يظفر بالصيّد . وهذا تمثيلٌ لشدة احتياجه من هول ما قاساه في الليل من الظلام ، والبرد والضلال ، فلمّا وجدنا فكأنما ظفر بخزائن قارون . وهو من السُّمُو ، وهو العلوّ والرفعة . قال الصحاح : والسُّمَاة : الصيَّادون ، مثل الرُّماة . وقد سَمَوْا واستَمَوْا ، إذا خرجوا للصيد . وقوله « فلم يُرى » هذه الألف نشأت من إشباع فتحة الراء ، وهو بالبناء للمفعول بمعنى يُعلم ، والضّمير فيه للغلام . وأخا بمعنى صاحب مفعوله الثانى . والدَّلَج بفتحتين : اسم مصدرٍ من أدلج إدلاجاً ، كأكرم إكراماً ، أى سار الليل كلّهُ . فإن خرج آخر الليل فقد أدلج بتشديد الدال . كذا في المصباح . وأهدى : أفعل تفضيل من الاهتداء إلى الطريق . قال صاحب الصحاح : هدى واهتدى بمعنى . وكذا أسمع : أفعل تفضيل ، والمفضل عليه محذوف ، أى منه .

وقوله : « فقلت أجراً » هذا خطابٌ لحادَمِيهِ . وأجراً بفتح الهمزة وكسر الجيم : أمرٌ من أجرته رَسَنَهُ ، إذا تركته يصنع ما شاء . يعنى خذُوا رَسَنَهَا ودَعُوها تأكل ما شئت . وناقاة الضَّيْف : الناقة التى جاء راكباً عليها . وهذا من أخلاق الكرام ، فإنَّ إكرامَ دابة الضيف غايةُ الإكرام عند الضَّيْف . وقوله : « إئننى جدير » إلخ قال ثعلب : أى من عادقنى هذا . انتهى . وفاعل تلقى ضمير ناقاة الضيف ، و « إئننى » بالمدِّ والإضافة إلى الياء . والإِنَاء : الوعاء . ومُتَرَّع من تَرَّعت الإِنَاء بالتشديد ، وأترعته ، أى ملأته . وهذا كنايةٌ عن الخصب والكثرة .

وقوله : « فما برحت » أى ناقاة الضيف . وسَحَوَاء بالنصب خبر برح ، وسَحَوَاء بالمهملتين والمدِّ ، قال ثعلب : أى ساكنةٌ عند الحلب ^(١) . وتُغَادِر تترك . والزَّيْزَاء بكسر الزاى الأولى والمدِّ : الموضع الصُّلب من الأرض . والبِرْس بكسر الموحدة ^(٢) واهمال الراء والسين : القُطن ، شبه ما سقط من اللبَن به . انتهى . يعنى ما زالت ناقاة الضيف ترعى وتأكل ما تشاء ، حتَّى كثر اللبَن فى ضُرُوعها ، فصار ما تقاطر من لبنها فى الأراضى الصُّلبة التى لم تتشرب النَّداوة ، كالقُطن المندوف .

وقوله : « كلا قَادِمِيْهَا يَفْضُلُ الكَفَّ » مفعول مقدّم ، نصفه فاعل مؤخّر . والقادمان والقادمتان : الخلفان المتقدمان من أخلاف الناقة اللذان يليان السُرَّة . يعنى أنَّ خِلْفًا من قادميها يَفْضُلُ الكف ولا يسعه ، لحفله باللبن .

وقوله : « كجلد الحُبَارَى » بضم المهملة بعدها موحدة وبالقصر : طائرٌ على شكل الإوزة ، برأسه وبطنه غُبرة ، ولون ظهره وجناحيه كلون السَّمائى غالباً . كذا فى المصباح . وقوله « تَزَلُّعا » بالزاي واللام ، قال ثعلب : تَزَلَّع : تَقَلَّع . انتهى .

(١) انظر ما أسلفت من القول على كلمة « سَحَوَاء » فى ص ٤٤٣ .

(٢) هو بكسر الباء ، ويضمها أيضا كما فى اللسان والقاموس .

وفي الصحاح : تَزَلَّعت يَدُهُ : تَشَقَّقَتْ . يريد أن جلد ضرعها تشقق من حَفَل اللبن ، كجلد الحبارى إذا تساقطَ ريشه . وَخَصَّ الحُبَارَى لَأَنَّ اللون يجمعهما . وقوله : « دَفَعْتُ إِلَيْهِ » إلخ أى إلى الغلام الضيف . ذكر إكرام ناقته أَوَّلًا ، ثم ذكر إكرامه . والرَّمْلُ ، بكسر الراء قال ثعلب : هو اللَّبَن . انتهى . والكوماء ، بفتح الكاف والمد : الناقة العظيمة السَّنام . والجَلْدَةُ ، بفتح الجيم وسكون اللام قال صاحب الصحاح : هى أدسم الإبل لبنًا ، والجمع الجِلاَد بالكسر . وقوله : « وَأَغْضَيْتُ » يقال أَغْضَى الرجل عينه ، أى قارب بين جفنيها . يقول : أَغْمَضْتُ عَيْنِي عِنْد شربه لثلاث يستحى أن يشرب رِيًا . وهذا أيضاً من أخلاق الكرام . والطَّرْف : العين . ونَضَّلَع ، قال ثعلب : أى امتلأ ما بين أضلاعه .

وقوله : (إذا قال قَطْنِي) إلخ قال ثعلب : قَطْنِي : حَسْبِي ، أى قلت قد حلفت أن تشرب جميع ما فى إنائك . انتهى .

وقوله : « يَدافع حَيَزُومِيَه » قال ثعلب : حَيَزُومَاهُ : ما اكتنف حُلُقومه من جانبي الصدر . انتهى . والسُّخْن : الحارّ . والصَّرِيح : اللبن الذى ذهبَتْ رِغوته . والثَّالِة بضم المثلثة ، قال ثعلب : هى رِغوة اللَّبَن . يريد أنه يرفع حَلَقَه لاستيفاء اللبن . انتهى . ومُقَنَع : اسم مفعول من أَقْنَعَ رأسه ، إذا رفعه . كذا فى الصحاح . وقوله : « إذا عَمَّ خِرْشَاءٌ » إلخ الخِرْشَاء بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة بعدها شين معجمة . قال صاحب الصحاح : الخِرْشَاء كالجِرَاء : كُلُّ شَيْءٍ فيه انتفاخٌ وتفتُّقٌ وخروق ^(١) . قال مزْرَد :

إذا مَسَّ خِرْشَاءُ الثَّمَالَةِ أَنْفَهُ ثَنَى مِشْفَرِيَه لِلصَّرِيحِ فَأَقْنَعَا ^(٢)

(١) نص الصحاح : « والخِرْشَاء ، مثل الجِرَاء : جلد الحية ، وقشرة البيضة العليا بعد أن تكسر ويخرج ما فيها ، ثم يشبه به كل شَيْءٍ فيه انتفاخ وتفتُّق وخروق » .

(٢) ديوان مزرد ٨٠ عن أمالى القالى ١ : ١٨ واللسان (ثمل) . قلت : وانظر أيضاً اللسان (خرش) .

يعنى بها الرغوة . انتهى . وكذا فى العباب . فإنَّ صَحَّ أنَّ هذا البيت لمُزرد
يكون ابنُ عَنَاب الطائى أخذه منه .

ولم يتعرَّض له ابنُ بَرِّى ولا الصَّفَّدى (فيما كتبه على الصحاح) بشئٍ .
والله أعلم .

و « عَمَّ » بمعنى شَمِل . وخرشأ فاعل ، وأنفه مفعول . و « تقاصرَ منها
للصَّرِيح » : أى تراجع من الثألة إلى الصَّرِيح فشربَه كَلَه . يقال أقمَعْتُ ما فى
السَّقاء ، أى شربته كَلَه . كذا فى العباب عن الأموى .

وأقنعا فى بيت مزرد بمعنى رفع رأسه كما تقدَّم . والمِشفران : الشفتان .
وثنى : عطف .

هذا وحُرِّث بن عَنَاب بضم الحاء المهملة وآخره ثاء مثله . وعَنَاب بفتح
العين المهملة وتشديد النون ، كذا ضبطه العسكرى (فى كتاب التصحيف ^(١))
عن المَعمرى ^(٢) عن ثعلب ، والجوهري (فى الصحاح) ، والصَّاغانى (فى العباب) .
قال الأصفهاني فى الأغاني ^(٣) : هو حُرِّث بن عَنَاب النَّبْهاني ، وهو نَبْهَان بن
عمرو بن العَوث بن طيٍّ ، وهو شاعر إسلاميٍّ من شعراء الدَّولة الأمويَّة . وليس
بمذكورٍ فى الشعراء ، لأنَّه كان بدويًّا مقلًّا غير متصدِّ بشعرٍ للنَّاس فى مدحٍ ولا هجاء ،
ولا كان يعدو بشعره أمرَ ما لا يخصُّه . ثم أوردَ له أشعاراً وحكايات .

* * *

(١) التصحيف للعسكرى ٤٠١ . وانظر أيضا ٣٨٦ .

(٢) الذى ذكره فى تلاميذ ثعلب هو « المعبدى » ، لكن كذا ورد فى التصحيف فى هذا الموضع ،
وكذا فى ص ٣٣٩ ، ٣٦٩ يقول فى جميعها : « أنشدنى المعمرى . ونجد أيضا رواية السكرى عنه فى أمالى
القالى ٣ : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ . والمعبدى هذا هو أحمد بن عبد الله النحوى ، من ولد معبد بن عباس بن
عبد المطلب . انظر ترجمته ومراجعتها فى إنباه الرواة ١ : ٨٣ .

(٣) الأغاني ١٣ : ٩٨ - ١٠٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد التسعمائة (١)

٩٥٤ (لا تُهينَ الفقيرَ علَّكَ أنْ تركَعَ يوماً والدَّهرُ قد رَفَعَهُ)

على أن نون التوكيد الخفيفة تحذف لالتقاء الساكنين ، والأصل : لا تهينُ الفقير فحذفت النون وبقيت الفتحة دليلاً عليها ، لكونها مع المفرد المذكور (٢) .
فإن لم تلاقِ النون ساكناً فلا تحذفُ إلّا للضرورة .

ورواه الجاحظ (في البيان) : « لا تحقرنَّ الفقير » ورواه غيره : « ولا تعادِ الفقير » ، فلا شاهد فيه .

قال ابن عصفور (في كتاب الضرائر) : وذلك نحو ما أنشده أبو زيد (في نوادره) :

اضربَ عنك الهمومَ طارقَهما ضَرْبَكَ بالسَّيفِ قونسَ الفرسِ (٣)

قال ابن خروف : إنَّما جاز ذلك على التقديم والتأخير ، فتوهُم اتَّصال النون من اضربن بالساكن بعده . والصَّحيح أنَّه حذفها تخفيفاً لَمَّا كان حذفُها لا يُخلُّ بالمعنى ، وكانت الفتحة التي في الحرف قبلها دليلاً عليها . ويدل على صحَّة ذلك قولُ الشاعر ، أنشده الجاحظ (في البيان له) :

(١) البيان ٣ : ٣٤١ والمعمرين ٨ والشعراء ٣٨٣ والأغاني ١٦ : ١٥٤ والقال ١ : ١٠٨ وابن الشجري ١ : ٣٨٥ وحماسه ١٣٧ والإنصاف ٢٢١ والحماسة البصرية ٢ : ٣ وابن يعيش ٩ : ٤٣ ، ٤٤ والمقرب ٢ : ١٨ والخزانة ٤ : ٥٨٨ وشرح شواهد الشافعية ٩٦٠ ووصف المبانى ٩٦٠ والمغنى ١٥٥ ، ٦٤٢ والعينى ٤ : ٣٣٤ والتصريح ٢ : ٢٠٨ والهمع ١ : ١٣٤ ، ٧٩ والأشئوني ٣ : ٢٢٥ وشرح الحماسة للمرزوق ١١٥١ .

(٢) الكلام بعده إلى « للضرورة » موضعه في ط بعد عبارة « فلا شاهد فيه » . وهو خلل في ترتيب الكلام ، صوابه في ش .

(٣) نوادر أبن زيد ١٣ . والبيت لطرفة وليس في ديوانه . وانظر تخريجيه في معجم الشواهد

خلافًا لقولي من فَيَالِهَ رأيُه كما قيل قَبْلَ اليوم خالفَ تُذَكِّرُ^(١)

يريد : خالِفَنَ . وقول الآخر ، أنشده الفارسي :

إِنَّ ابنَ أَحوصَ مغرورٌ فَبَلَّغُهُ في ساعديه إذا رام العُلاَ قِصْرُ^(٢)

يريد : فَبَلَّغُهُ . وقول الآخر :

ياراكِباً بَلَّغَ إِخْوَانُنَا مَنْ كان من كندةٍ أو وائِلِ^(٣)

يريد : بَلَّغَنَ إِخْوَانَنَا . ألا ترى أَنَّ النونَ مِن خالِفَنَ وبَلَّغَنَ وبَلَّغَنَ لا يمكن

أن يقال إِنِّها حُذِفَتْ على تَوْهُمِ اتِّصَالِها بِساكن . ومثل ذلك ما أنشده أبو زيد (في نوادره) :

في أَيِّ يَوْمِي مِنَ المَوْتِ أَفَرُّ أَيُّومَ لم يُقَدَّرَ أم يَوْمَ قُدِرَ^(٤)

يريد : لم يُقَدَّرَنَّ ، ودخلت النون على الفعل المنفى بلم كما دخلت عليه في

قول الآخر :

* يَحْسَبُه الجاهِلُ ما لم يعلمَا^(٥) *

(١) البيان ٣ : ١٨٧ والحيوان ٧ : ٨٤ والضرائر ١١١ والعيني ٤ : ٣٤٥ والأشموني ٣ : ٢٢٧

ورواية « خالفَ تذكرا » هي رواية كتب النحو . وأما رواية الجاحظ فهي في أصل الحيوان « خالف تذكرا » بدون ألف بعد الراء . وفي البيان في نسخة واحدة : « خالف لتذكرا » وفي سائر نسخه « خالف فتذكرا » ، وهي الرواية التي أقيمت عليها في البيان والحيوان . وانظر المثل : « خالف تذكرا » عند الميداني . والفيالة ، بالفتح : ضعف الرأي .

(٢) المختسب ١ : ١٩٦ برواية : « معروفا فَبَلَّغُهُ » وقال : أراد فَبَلَّغُهُ ثم نقل الضمة من الهاء إلى الغين فصار بَلَّغُهُ ، ثم حرك الهاء بالضم وأقر ضمة الغين عليها بحالها فقال « فَبَلَّغُهُ » . وعلى هذا القول يكون الشاهد لأمر آخر .

(٣) لامرئ القيس في ديوانه ٢٥٨ والضرائر ١١٢ .

(٤) لعل بن أبي طالب في ديوانه ٥٤ . وانظر نوادر أبي زيد ١٣ وحامسة البحتری ٨٥ والعقد ١ :

١٠٥ والخصائص ٣ : ٩٤ ، ٢٢١ والمختسب ٢ : ٣٦٦ وسر الصناعة ١ : ٨٥ والضرائر ١١٢ .

(٥) هو الشاهد ٩٤٩ . وقد سبق في ص ٤٠٩ .

ولا يجوز مثل هذا في سعة الكلام إلا شاذًا ، نحو قراءة أبي جعفر المنصور :
﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ بفتح الحاء .

صاحب الشاهد

والبيت من أبيات الأَضْبَطِ بن قُرَيْع السَّعْدِيِّ ، أوردها القالي (في أماليه)
عن ابن دُرَيْد عن ابن الأنباري عن ثعلب . قال ثعلب : بلغني أنها قيلت قبل
الإسلام بدهرٍ طويل (١) . وهى :

(لِكُلِّ هَمٍّ مِنْ الْهُمُومِ سَعَةٌ	وَالْمُسْنَى وَالصُّبْحُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ
مَا بَالُ مِنْ سَرٍّ مَصَابُكُ لَوْ	يَمْلِكُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ وَزَعَهُ (٢)
أَذُوذُ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي	يَا قَوْمَ مَنْ عَاذِرِي مِنَ الْخُدَعَةِ (٣)
حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَتْ عَمَائِيَّتُهُ	أَقْبَلَ يَلْحَى ، وَغِيَّهُ فَجَعَهُ
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالَ غَيْرُ آكِلِهِ	وَيَأْكُلُ الْمَالَ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ
فَاقْبَلْ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ	مَنْ قَرَّ عَيْنًا بَعِيشِهِ نَفَعَهُ
وَصِلْ حِبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ	حَبْلٌ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ
وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عِلَّاكَ أَنْ	تَرْكَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ (٤)) انتهى

ورواها أيضا ابن الأعرابي ، والجاحظ ، وصاحب الحماسة البصرية ،
والشريف (في حماسته) ، وابن قتيبة (في كتاب الشعراء) ، وصاحب الأغاني
وغيرهم ، بتقديم بعضها على بعض وطرح أبياتٍ منها .

(١) في مجالس ثعلب ٤٨٠ بعد إنشاد البيت الثالث والسابع من المقطوعة التالية : « هكذا سمعت
هذا البيت . قال - يعنى الأصمعي - : وكان بين هؤلاء وبين الإسلام أربعمئة سنة . قال : وكان امرؤ
القيس بعد هؤلاء بكثير » .

(٢) في الأمالي : « لا يملك » .

(٣) الخدعة هنا : بطن من تميم ، كما سيأتى في الشرح .

(٤) وكذا عند القالي وابن الشجري . وفي الأغاني : « لا تحقرن الفقير » ، وفي الحماسة البصرية :

« فلا تهين الكريم » ، وفي سائر المراجع : « ولا تهين الفقير » .

قال الجوهري : المُسْنَى بضم الميم وكسرهما وسكون السين : اسمٌ من الإمساء . والصُّبْح : اسمٌ من الإصباح . وأنشد هذا البيت . والفلاح : البقاء . وروى به أيضاً ^(١) .

وقوله : « ما بال من سرَّه مصائبك » إلخ المصاب بالضم : المصيبة . وروى أيضاً : « ما بال من غيَّه مُصَيِّبك » . والغَيّ : الحَيَّة والحِرمان . يقال غَوَى من باب رمى . قال المرقش :

فمن يلقَ خيراً يحمَدُ الناسُ أمرَهُ ومن يَغوَ لا يَعدَمُ على الغيِّ لائماً (٢)

وجملة « لو يملك » من الشرط والجزاء حالَّة . ويروى « لا » موضع « لو » وهو غير صحيح . ووزعه يَزْعُه وَزَعَا : كَفَّه ومنَعَه ، بالزاي المعجمة . يقول : ما بال من تتألم لخبيته وفقره ، فإذا وجد شيئاً من الخير كفَّه عنك .

وقوله : « أذود عن حوضه » هذا مثلٌ للحماية ودفع المكروه عنه . والخُدعة ، بضم الخاء المعجمة وفتح الدال : بطن من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهم قومه . قاله صاحب الأغاني وغيره .

والعمامة ، بفتح العين المهملة : الشُّدَّة التي تلبس منها الأمور . يقال عَمِيَ عليه الأمر ، إذا التبس . وأقبل : شرع . ويلحى : يلوم . وغَيَّه : ضلَّاه . وفجعه : أصابه بمكروه .

وقوله : « وصلَّ حبالَ البعيد » ، يعني تقرب إلى البعيد من التَّسبب إذا طلب قُرْبَكَ ، واهجر القريبَ من نَسَبِكَ إذا هَجَرَكَ . وما قاله تمثيلاً لما قلنا .

(١) هي رواية الحماسة البصرية : « لا بقاء معه » .

(٢) من المفضلية ٥٦ للمرقش الأصغر ٢٤٧ .

وقوله : (لَا تُهَيِّنَ الْفَقِيرَ) إلخ ، الإهانة الإيقاع في الهون بالضم ، والهوان بالفتح ، وهما بمعنى الذلّ والحقارة . و (عَلَّ) بفتح اللام وكسرهما : لغة في لَعَلَّ ، وهى هنا بمعنى عسى . ومثله في المعنى قول الآخر :

عسى سائل ذو حاجة إن منعتَه من اليوم سؤلاً أن يكونَ له غدٌ^(١)

واستشهد بهذا البيت في التفسير عند قوله تعالى : ﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٢) على أن الركوع هو الخضوع والانقياد ، كما في البيت .

وجملة (والدهر قد رفعه) حال من ضمير ترفع . وقال العيني : الركوع : الانحناء والميل ، من ركعت النخلة إذا انحنَتْ ومالت . أراد به الانحطاط من المرتبة ، والسقوط من المنزلة . انتهى .

ونقل الشيخ خالد في التصريح أن هذا الشعر قيل قبل الإسلام بخمسائة عام (٣) .

وكان سبب هذا الشعر على ما في الأغاني عن أبي محلم ، أن أم الأضبط كانت عجيبة (٤) بنت دارم بن مالك بن حنظلة ، وخالته الطموح (٥) بنت دارم ، فحارب بنو الطموح (٦) قوما من بنى سعد ، فجعل الأضبط يدسُّ إليهم الخيل والسلاح ولا يصرِّح بنصرهم ، خوفاً من أن يتحزَّب قومه حزين معه وعليه ،

(١) وكذا ورد بدون نسبة في الحماسة ١١٥١ بشرح المرزوقي .

(٢) الآية ٤٣ من سورة البقرة .

(٣) انظر ما سبق في الحواشي ص ٤٥٢ .

(٤) كذا في النسختين . وفي الأغاني ١٦ : ١٥٤ : « عجيبة » .

(٥) في الأغاني : « الطم » .

(٦) في الأغاني : « بنو الطم » .

وكان يشير عليهم بالرأى فإذا أبرمه نقضوه^(١) وخالفوا عليه ، وأروّه مع ذلك أنّهم على رأيه ، فقال فى ذلك هذه الأبيات .

وهو الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الأضبط بن قريع وقريع بضم القاف وفتح الراء ، هو أبو جعفر ، الملقب بأنف الناقة أيضا . ٥٩١

قال ابن قتيبة (فى كتاب الشعراء) : الأضبط بن قريع السعدى هو من عوف بن كعب بن سعد رهط الزبيرقان بن بدر ، ورهط بنى أنف الناقة . وكان قومه أساءوا مجاورته ، فانتقل منهم إلى غيرهم ، فأساءوا مجاورته أيضاً ، فرجع إلى قومه وقال : « بكلّ وإد بنو سعد » . وهو جاهل قديم . وكان أغار على بنى الحارث ابن كعب فقتل منهم وأسّر وجذع وخصى ، ثم بنى أطماً ، وبنت الملوك حول ذلك الأطم مدينه صنعاء ، فهى اليوم قصبتها . وهو القائل :

* يا قوم من عاذرى من الخدعة *

وأول الشعر :

* لكل ضيق من الأمور سعه *

مع أربعة أبياتٍ آخر . انتهى .

وزعم خضر الموصلى أنّ أول هذا الشعر عند ابن قتيبة هو المصراع المتقدم . وليس كذلك كما ترى .

قال صاحب الأغاني : كان الأضبط بن قريع مفركاً ، بتشديد الراء المفتوحة ، وهو الذى تُبغضه زوجته . وكان فى الحرب يتقدم أمام الصف ويقول : أنا الفتى تفركه حلائله ألا فتى معشّق أنازله

(١) وكذا فى الأغاني . لكن فى ش : « وكان لما يشير عليهم بالرأى نقضوه » ، نقص وتحريف .

واجتمع نساؤه ليلةً يتسامرن ، فتعاقدن على أن يصدّقن الخبر عن فَرْك الأَضْبَط ، فأجمعن أنّ ذلك لَأَنَّهُ بارد الكَمَرَة ، فقالت لإحدهنّ خالُتها : أفتعِجُزُ إحداكنّ إذا كانت ليلُتها أن تسخّن كمرته بشيء من دُهن . فلمّا سمع قولُها صاح : يا آل عوفٍ ! فثار الناس وظنّوا أَنَّهُ قد أُتِيَ ^(١) فتسارعوا إليه ، فقالوا : ما بالُك ؟ فقال : أوصيكم أن تسخّنوا الكَمَر ، فَإِنَّهُ لا حُظوةَ لبارد الكَمَرَة . فانصرفوا ضاحكين ، وقالوا : تَبًّا لك ، ألهذا دعوتنا . انتهى .

ونقل السيوطي (في شرح أبيات المغني) عن (الحماسة البصرية) أنّ الأَضْبَط بن قُرَيْع السعديّ من شعراء الدولة الأمويّة . ولم يتعقّبهُ بشيء . وهذا عجيبٌ منه .

والأَضْبَط معناه في اللغة : الذي يعمل بكِلتا يديه . والمرأة ضَبْطاء . يقال ضَبِطَ الرَّجُلُ بالكسر ، يَضْبُطُ بالفتح ضَبْطًا بالسكون .

* * *

وأنشد بعده :

(وحاتم الطائي وهَّابُ المِثي)

وتقدّم شرحه في الشاهد الرابع والأربعين بعد الخمسمائة ^(٢) وفي غيره أيضا .

٥٩٢

(١) وكذا في الأغاني . لكن في ش : « أن قد أثوا » .

(٢) الخزائن ٧ : ٣٧٥ - ٣٧٩ .

هاء السكت

أنشد فيه ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد التسعمائة (١) :

٩٥٥ (يا مَرْحَبَاهُ بِحِمَارٍ عَفْرَاءَ)

على أن هاء السكت فيه قد روى بالوجهين بالضم والكسر .

وظاهر كلامه أن تحريكها بما ذكر في إثباتها وصلاً بعد الألف لغة . وتقدم منه في باب الندبة أن ثبوتها في الوصل مكسورة أو مضمومة ضرورة عند البصريين ، وجائز عند الكوفيين . وزاد هنا أنها بعد الواو أيضاً تكسر وتضم ، وأنها بعد الألف تفتح أيضاً .

وذكر في باب العلم أن جواز تحريكها بالضم والكسر في السعة إنما هو في : يا هناء وأخواته . فوجب أن يُحمَل ما هنا على ما تقدم من كلامه ليوافق كلامه في جميع المواضع مذهب البصريين . وكان ينبغي أن يقدم الكسر على الضم فإنه الأصل في التخلص من التقاء الساكنين ، وأما التحريك بالضم تشبيهاً بهاء الضمير فهو أزدأ الوجهين . وتقدم في الشاهد السابع والأربعين بعد المائة (٢) توجيه تحريكها في الوصل (من الخصائص لابن جني) ، بأنه منزلة بين منزلتي الوقف والوصل .

وذهب ابن جني في بعض كتبه (وهو شرح ديوان المتنبي) [إلى (٣)] أن

(١) إصلاح المنطق ١٠٥ والنصف ٣ : ١٤٢ ونظام الغريب ١٦٢ وابن يعيش ٩ : ٤٦ والضرائر ٥١ . وروايته في نظام الغريب : « عفرا » ، « بما شا » ، « والملا » بالقصر في القوافي كلها .

(٢) الخزانة ٢ : ٣٨٨ .

(٣) التكملة من ش .

تحريكها شاذٌ ضعيف عند البصريين ، لا يُثبتونه في الرواية ، ولا يحفظونه في القياس ، من جهة أنه لا يخلو من أن تجرى الكلمة على حدّ الوقف أو على حدّ الوصل . فإن أجزاها على حدّ الوصل فسيبيله أن يحذف الهاء وصللاً لاستغنائها عنها . وإن كان على حدّ الوقف فقد خالف ذلك بإثباته إيّاها متحرّكة ، وهي في الوقف بلا خلافٍ ساكنة ، ولا يعلم هنا منزلة بين الوصل والوقف يُرجع إليها ، وتُجرى هذه الكلمة عليها . فلهذا كان إثبات الهاء متحرّكة خطأً عندنا . انتهى .

وقد رجع عن هذا (في الخصائص) كما نقلناه هناك .

وقوله : « إثبات الهاء متحرّكة خطأ » ، تبعه فيه الزمخشري (في المفصل) ، قال : وتحريكها لحن .

٥٩٣

وكذا قال صاحب اللّباب . وهذا ممّا لا ينبغي ، فإنّ العرب معصومون عن الخطأ واللحن في الألفاظ ، حتّى قيل : إنّ البدوي لا يطأه لسانه في ذلك . والبيت الشاهد لعروة بن حزام العذريّ ، وهو من صميم العرب في صدر الإسلام . ومن شعره أيضاً قوله :

صاحب الشاهد

ياربّ يا ربّاهُ إيّاكَ أسلّ عَفراء يا ربّاهُ من قبلِ الأجلِ (١)

وكذا قال المجنون قيسُ العامريّ ، وهو من اللّسان بمكان :
فقلت أيا ربّاهُ أوّل سؤلتي لنفسي ليلى ، ثم أنتَ حسيّها
ومثل هذا ممّا يقع نظماً لا نثراً ضرورةً .

(١) معاني الفراء ٢ : ٤٢٢ وإصلاح المنطق ٩٢ وابن يعيش ٩ : ٤٧ وشرح شواهد الشافية

٢٢٨ . وقد سبق الشاهد في ٧ : ٢٧٠ - ٢٧٤ .

(٢) ديوان المجنون ٦٧٠ وجمع الهوامع ٢ : ١٥٧ .

وقوله :

* يا مرحباً بحمار عفراء *

بعده :

إذا أتى قَرِيْبُهُ لما شاء من الشَّعير والحشيش والماء

عفراء هي محبوبَةُ عروة بن حزام العُدْرِيّ . قال عيسى بن إبراهيم الرُّبَعي ^(١) (في نظام الغريب ^(٢)) ، وهو تأليفٌ قديم في اللغة : ولَدُ الظبية ، سَمِيَ بذلك لأنَّ لونه لون العَفَر ، وهو التراب ، ولذلك قيل : ظبيُّ أَعْفَر ، وظبيَّة عفراء ، وبه سَمِيت المرأة عفراء . وأنشد هذه الأبيات الثلاثة .

وقال ابن يعيش : كان عُرْوَة يحبُّ عفراء ، وفيها يقول :

* يا رَبِّ يا رَبَّاهُ إِيَّاكَ أَسَلُ *

ثم خرج فلقيَ حماراً عليه امرأة فقيل له : هذا حمار عفراء . فقال :

* يا مرحباً بحمار عفراء * إلخ

فرحَّب بحمارها لمحَبَّتِه لها ، وأعدَّله الشعير والحشيش والماء . ونظير معناه

قول الآخر :

أُحِبُّ لِحَبَّها السُّودانَ حتَّى أُحِبُّ لِحَبَّها سوَدَ الكِلاب ^(٣) انتهى .

(١) أبو محمد عيسى بن إبراهيم الرُبَعي لغوى كان عليه المعول في اليمن . توفي سنة ٤٠٨ . بغية الوعاة ٣٦٨ .

(٢) نشره المستشرق بولس برونله في مطبعة هندية سنة ١٩١٣ . وانظر المستشرقون ٢ : ٨٠١ . والنص التالي في نظام الغريب ١٦٢ .

(٣) جمل الزجاجي ١٩٥ وابن يعيش ٩ : ٤٧ وعيون الأخبار ٤ : ٣٣ . وقد سبق في ٧ :

ولم أجذ هذا الرجز في ديوان عروة ، ولعلّه ثابت فيه من رواية أخرى .
وتقدّمت ترجمته في الشاهد السادس والتسعين بعد المائة (١) .

وقالوا في هذه الأبيات : يجوز أن تروى بالمد والقصر ، فإذا مُدّت كانت من
الضرب الخامس من السريع المشطور المخبون الموقوف : فعولان أو مفاعيل . ومثله :
يَمْتَسِكُونَ مِنْ جِذَارِ الْإِلْقَاءِ بَتَلَعَاتٍ كَجَذْوَعِ الصَّيْصَاءِ (٢)
وإذا قُصِرت كانت من الضرب السادس من مشطور السريع المخبون .
وأما قوله :

* يَا رَبِّ يَا رَبَّاهُ إِيَّاكَ أَسْلُ *

فقد تقدّم شرحه في الشاهد الثاني والثلاثين بعد الخمسمائة (٣) . وأما قول
الآخر :

يَا مَرْجَاهُ بِحِمَارٍ نَاجِيَهُ إِذَا دَنَا قُرْبَتَهُ لِلْسَّانِيهِ

فقد تقدّم شرحه في الشاهد السابع والأربعين بعد المائة (٤) .

(١) الخزانة ٣ : ٢١٥ - ٢١٨ .

(٢) الرجز في الخصائص ١ : ٢٨٠ والمنصف ٢ : ١٧١ والأشباه والنظائر ٣ : ١٦٨ .

(٣) الخزانة ٧ : ٢٧٠ - ٢٧٤ .

(٤) الخزانة ٢ : ٣٨٧ - ٣٨٩ .

شين الكشكشة

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد التسعمائة (١) :

٥٩٤

٩٥٦ (تَضَحَّكَ مَنَّى أَنْ رَأَيْتُنِي أَحْتَرِشُ وَلَوْ حَرَشْتِ لَكَشَفْتِ عَنْ حِرْشِ)
على أَنَّ ناساً من تميم ومن أسد يجعلون مكان الكاف المؤنث شيئاً في
الوقف ، كما في حِرْش ، وأصله حِرْكُ .

قال المبرد (في الكامل (٢)) : بنو عمرو بن تميم إذا ذَكَرَتْ كاف المؤنث
فوقفت عليها أبدَلَتْ منه شيئاً ، لقرب الشين من الكاف في المخرج ، فإنَّها
مهموسةٌ مثلها ، فأرادوا البيان في الوقف ، لأنَّ في الشين تَفْشِيّاً ، فيقولون للمرأة :
جعل الله البركة في دارِش . والتي يُدْرِجونها يَدْعونها كافاً . انتهى .

وربَّما فعلوا هذا في الكاف الأصلية المكسورة ، أنشد ثعلبُ (في أماليه)
عن ابن الأعرابي (٣) :

علىَّ فيما أَبْتَغِي أَبْغِيشَ بيضاء تُرْضِينِي وَلَا تُرْضِيشَ
وتَطْلِبِي وَدَّ بَنِي أَبِيشَ إِذَا دَنَوْتُ جَعَلْتَ تُنْشِيشَ
وَإِنْ نَأَيْتَ جَعَلْتَ تُدْنِيشَ وَإِنْ تَكَلَّمْتَ حَثَّتْ فِي فِيشَ
* حَتَّى تَنْقِي كَنْقِيكَ الدِّيشَ *

قال ثعلب : يجعلون مكان الكاف الشين ، وربَّما جعلوا بعد الكاف

(١) شرح شواهد الشافية ٤١٩ وملحقات أمالي الزجاجي ٢٣٥ .

(٢) الكامل ٣٦٥ في نص مهذب .

(٣) مجالس ثعلب ١٤١ . وانظر كذلك مجالس ثعلب ص ١٠٠ .

الشين والسين ، يقولون : إتكش وإتكس ، وهى الكاف المكسورة لا غير ، يفعلون هذا توكيداً لكسر الكاف بالشين والسين ، كما يقولون : ضربتيه وضربته ، لقرب مخرجها منها . انتهى .

والشاهد فى قوله : « كنفق الدّيش » ، فإنّ أصله الدّيك ، وكافه أصلية ، وفى جميع ما عداه الشين بدل من كاف المخاطبة .

والبيت الشاهد أنشده ابن الأعرابي (فى نوادره) كما هنا .

وقوله : (أن رأتنى) إلخ بدل اشتمال من الياء المجرورة بمن . والاحتراش : صيد الضبّ خاصة ، والعرب تأكله . قال صاحب العباب : احترش الضبّ : اصطاده . وعن ثابت بن زيد ^(١) الأنصارى ، أنّه أتى النّبىّ ﷺ رجل بضباب قد احترشها فقال : « أمة مسيحت من بنى إسرائيل دواب » . فقال : « لا أدري أىّ الدواب هي ؟ » ، فلم يأكلها ولم ينه عنها . انتهى .

ويقال أيضا : حرش الضب يحرشه حرشاً ، من باب ضرب ، أى صاده ، فهو حارش الضباب . وهو أن يحرك يده على جحر ليظنه حية ، فيخرج ذنبه ليضربها ، فيأخذها .

وقال المفضل بن سلّمة (فى كتاب الفاخر ^(٢)) : الحرش أن يؤتى إلى باب جحر الضبّ بأسود الحيات ، فيحرّك عند فم الجحر ، فإذا سمع الضبّ حسّ الأسود خرج إليه ليقاتله ، فيصاد . انتهى .

(١) هو ثابت بن زيد ، أو ابن يزيد ، بن وداعة . انظر الإصابة ٨٨٣ ، ٩١٢ . والحديث أخرجه أبو داود فى (الأطمعة) ، والنسائى وابن ماجه فى (الصيد) .

(٢) الفاخر للمفضل ٢٤٢ ، ٢٨٩ .

والمشهور الأول . وما تحكى العرب عن الضبّ من أكاذيبهم ، أنّه إذا
وُلد للضبّ ولدٌ قال : يا بنى أتّى الحرش . قال : وما الحرش ؟ قال : إذا سمعت
حركةً بباب الجحر فلا تخرج . فسميع يوماً صوتَ فأس يُحفر به جحرهما ،
فقال : يا أبت أهذا الحرش ؟ فقال : « هذا أجّل من الحرش » ، فصار مثلاً
يُضرب لمن يخاف شيئاً فيقع في أشدّ منه . ٥٩٥

وإنّما ضحكت منه استخفافاً به لمّا رآته يصيد الضب ، لأنّه صيدُ
العَجْزة والضُعفاء .

ورواه الزجاجي (في أماليه الوسطى) كذا :

* تعجّبت لمّا رأتنى أحترش *

وقوله : (ولو حرشت) التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب . يعنى لو كنت
تصيدن الضبّ لأدخلته في فرجك دون فمك إعجاباً به ، وإعظاماً للذّته .
والجرُّ بالكسر للمهملة : فرج المرأة ، وأصله جرح بسكون الراء ، فحذفت الحاء
الآخيرة منه ، واستعمل استعمالاً يَد ودم.. ويدلُّ على أصله تصغيره وجمعه ، فإنّه
يقال حُرّيج وأحراح . وقد يعوّض من المحذوف راء فيقال ، جرّ بتشديد الراء .
ولم أقف على قائله ولا على تتمته . [والله أعلم ^(١)] .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد التسعمائة ، وهو آخر
الشواهد (٢) :

(١) التكملة من ش .

(٢) الكامل ٥٠٩ والقال ٦٣ : ٣ والخصائص ٤٦٠ : ٢ وسر الصناعة ٢١٦ : ١ ودرة الغواص

١١٠ وابن عيش ٨ : ٧٩ / ٩ : ٤٨ / ١٠ : ٨ والمقرب ١٨٢ : ٢ والمتع ٤١١ وديوان المجنون ٢٠٧ .

٩٥٧ (فعينا ش عيناها وجيدش جيدها سيوى أن عظم الساق منش دقيق)
على أنه كان القياس في هذه الشين المبدلة من كاف المخاطبة أن تحذف في
الدرج ، لكنها أجريت في حالة الوصل مجرى حالة الوقف .

قال ابن جنى (في سر الصناعة) : ومن العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف
شيئاً ، حرصاً على البيان ، لأن الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقف ،
فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شيئاً فقالوا : عَلِيشْ ، وَمِنْشْ ، ومررت بشْ . وتحذف في
الوصل . ومنهم من يجرى الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضاً . وأنشدوا للمجنون :
* فعينا ش عيناها وجيدش جيدها *

..... البيت . انتهى .

قال القالى^(١) (في شرح اللباب) : وإنما سُميت هذه اللغة أعنى إلحاق الشين
بالكاف الكَشِكْشَة لاجتماع الكاف والشين فيها . وإنما كسرت الكافان في لفظ
الكَشِكْشَة لحكاية الكسر ، لكون الكاف للمؤنث . ومنهم من يفتحهما على حدّ
قولهم في التعبير عن بسم الله بالبَسْمَلَة . وكذلك الكَشِكْشَة بالوجهين .

قال المبرد (في الكامل^(٢)) : حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَحْصَى مِنْ أَصْحَابِنَا ، عَنْ
الْأَصْمَعِيِّ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : قَالَ معاوية يوماً : مَنْ أَفْصَحُ النَّاسِ ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ
السَّمَّاطِ فَقَالَ : قَوْمٌ تَبَاعَدُوا عَنْ فُرَاتِيَّةِ الْعِرَاقِ ، وَتَيَامَنُوا عَنْ كَشْكَشَةِ تِمِيمٍ ، وَتَيَاسَرُوا عَنْ
كَسْكَسَةِ بَكْرِ ، لَيْسَ فِيهِمْ غَمْغَمَةٌ قَضَاعَةٌ ، وَلَا طُمْطُمَانِيَّةٌ حِمِيرٍ . فَقَالَ لَهُ معاوية : مَنْ
أَوْلَئِكَ ؟ فَقَالَ : قَوْمُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ معاوية : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ مِنْ جَرَمٍ .
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : وَجَرَمٌ مِنْ فَصَحَاءِ النَّاسِ . قَوْلُهُ : « تَيَامَنُوا عَنْ كَشْكَشَةِ تِمِيمٍ » ، فَإِنَّ بَنِي

(١) في النسختين : « القالى » بالقاف ، وهو تحريف نهبت عليه في أكثر من موضع .

(٢) الكامل للمبرد ٣٦٤ - ٣٦٥ .

عمرو بن تميم إذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شيئا ، لقرب الشين من الكاف في الخرج ، وأنها مهموسة مثلها ، فأرادوا البيان في الوقف ، لأنّ في الشين تفشياً . فيقولون للمرأة : جعلَ الله لك البركة في دارِشْ ، وويحك مألشْ . فالتى يدرجونها يدعونها كافاً ، والتى يقفون عليها يبدلونها شيناً . وأمّا بكر فتختلف في الكسكسة ، فقوم منهم يبدلون من الكاف سيناً كما فعل التميميون ^(١) ٥٩٦ في الشين ، وهم أقلّهم . وقومٌ يبيّنون حركة كاف المؤنث في الوقف بالشين ^(٢) فيزيدونها بعدها ، فيقولون : أعطيتكِشْ ^(٣) . وأمّا الغمغة فقد تكون من الكلام وغيره ، لأنّه صوتٌ لا يفهم تقطيعُ حروفه . والطُّمطة : أن يكون الكلام مُشبهاً لكلام العجم . انتهى .

وكذا أورده الزمخشري (في المفصل) .

والسُّمّاط بالكسر : الصف من الناس ، والجانبُ .

قال ابن يعيش ، قال : جرّم بطنان من العرب : أحدهما في قضاة ، وهي جرّم بن زَبان . والآخر في طييء ، يوصفون بالفصاحة . والفرائيّة : لغة أهل الفرات الذي هو نهر أهل الكوفة . والفراتان : الفرات ودُجَيل . ويروى : « لخلخانيّة العراق » واللّخلخانيّة : العُجمة في المنطق ، يقال رجلٌ لخلخانيٌّ إذا كان لا يُفصح . والغمغة : أن لا يتبيّن الكلام ، وأصله أصوات الثيران عند الدُّعر ، وأصواتُ الأبطال عند القتال . وقُضاة : أبو حيٍّ من اليمن ، وهو قضاة ابن مالك بن سبأ . والطُّمطمانيّة بضم الطاءين : أن يكون الكلام مشبهاً لكلام

(١) الكامل : « كما يفعل التميميون » .

(٢) ش : « بالسّين » صوابه في ط والكامل وسر الصناعة ١ : ٢١٤ .

(٣) ش : « أعطيتكِس » بالسّين ، صوابه في ط والكامل .

العجم^(١) ، يقال رجل طِمِطٌ بكسر الطاءين ، أى فى لسانه عُجْمَةٌ لا يفصح .
والطُّمِطمانىُّ مثله . وَجَمِيرٌ : أبو قبيلةٍ ، وهو جَمِير بن سبأ بن يشْجُب بن
يَعْرُب بن قحطان . ومنهم كانت الملوك الأولى . وصف هذا الجرْمى قومه
بالفصاحة وعدم اللُكنة ، والتباعدِ عن هذه اللغات المستهجنة . انتهى .

وأورد الحريرى (فى درة الغواص) هذا الخبر عن الأصمعى كذا فقال : قومٌ
تباعدا عن عننة تميم ، وتلتله بهراء ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة بكر ؛ ليس فيهم
غمجمة قُضاعة إلخ .

قال : وأراد بعننة تميم أنَّ تميما يبدلون من الهمزة عينا ، كما قال ذو الرمة :
* أَعْنُ تَرَسَّمت من خرقاء منزلةً^(٢) *

يريد : أنَّ تَرَسَّمت . وأما تلتله بهراء فيكسرون حروف المضارعة فيقولون :
أنتِ تَعْلَم . وحدثنى أحدُ شيوخى أنَّ ليلى الأخيلىَّة مَعْن كانت تتكلم بهذه
اللغة ، وأنها استأذنت ذات يوم على عبد الملك بن مروان وبحضرة الشعبى فقال
له : أتأذنُ لى يأمر المؤمنين فى أن أضْحِكَك منها^(٣) ؟ قال : افعلْ . فلما استقرَّ
بها المجلس قال لها الشعبى : يا ليلى ما بال قومِك لا يكتنون ؟ فقالت له : ويحك
أما نِكْتُنِي ؟ فقال : لا والله ، ولو فعلتُ لاغتسلتُ . فحجَلْتُ عند ذلك
واستغربَ عبد الملك فى الضَّحْك . انتهى المقصود منه .

ورأيت (فى أمالى ثعلب^(٤)) : ارتفعت قريشٌ فى الفصاحة عن عننة

(١) ش : « بكلام العجم » .

(٢) تمامه كما فى ديوان ذى الرمة ٥٦٧ والخزانة ١٠ : ٢٩٢ :

« ماء الصبابة من عينيك مسجوم » .

(٣) فى درة الغواص ١١٥ : « أن أضحك منها » .

(٤) مجالس ثعلب ١٠٠ .

تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجّع قيس ، وعجرفيّة ضبة . فأما
عننة تميم فإنّ تميما تقول في موضع أنّ : عنّ ، تقول : عنّ عبد الله قائم .
وأما تلتلة بهراء فإنّها تقول : تعلمون وتفعّلون وتصنعون بكسر أوائل الحروف .
انتهى .

رجعنا إلى البيت الشاهد . قال المبرد (في الكامل ^(١)) . عين الإنسان

مشبهة بعين البقرة ، في كلامهم المنثور ، وشعرهم المنظوم . قال المجنون : ٥٩٧

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولكنّ عظم السّاق منك دقيق ^(٢)

وقال الآخر ^(٣) :

فلم تر عيني مثل سرب رأيتهُ خرجن علينا من زقاق ابن واقف
طلعن بأعناق الظباء وأعين الـ حجا ذر وامتدت هن الروادف ^(٤) انتهى .

فروى البيت على الأصل من غير إبدال ، وهو المشهور في الرواية . وكذا
القالى (في ذيل أماليه) بسنده ، قال : كان مجنون بنى عامر في بعض مجالسه ،
وكان يكثر الوحدة والتوخش ، فمرّ به أخوه وابن عمّه قد قنصا ظبيّة فهي معهما ،
فقال :

يا أخوى اللذين [اليوم] قد أخذنا شبيها لليلي بجبل ثم غلاها ^(٥)

(١) كامل المبرد ٥٠٩ - ٥١٠ .

(٢) ط : « رقيق » ، صوابه في ش وسائر المراجع .

(٣) هو عمر بن أبى ربيعة كما في الكامل ٩١ وملحقات ديوان عمر ٤٨٨ .

(٤) في الكامل ٥١٠ : « بين الروادف » . وفي البيت إقواء .

(٥) سقطت كلمة « اليوم » من النسختين فصار البيت غير مستقيم الوزن ، وتنبه لذلك محقق طبعة

بولاق ، وكتب : « هذا الشعر غير مستقيم الوزن فليحرر » . وقد أثبت هذه الكلمة الشنقيطى غفر الله له في
حواشئ نسخته ، وهي ثابتة أيضا في ذيل الأمالي ٣ : ٦٣ . غلاها : وضعا عليها الغل ، بالضم ، وهو القيد .

إِنِّي أرى اليومَ في أعطافِ شاتِكِما مَشَابَهًا أَشْبَهْتُ ليلي فَحُلَاهَا (١)

فامتنعَا بها منه ، فهمَّ بهما ، وكانَ جَلْدًا قَبْلَ ما أُصِيبَ به (٢) ، فخافاه
فَدَفَعَاهَا إِلَيْهِ ، فَأَرْسَلَهَا فَوَلَّتْ تَفَرَّ ثمَّ أَقْبَلْتُ تَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ :

أَيَا شَيْهَ لَيْلَى لَا تُرَاعِي فَإِنِّي لَكَ الْيَوْمَ مِنْ وَحْشِيَّةٍ لَصْدِيقُ
تَفَرُّ وَقَدْ أَطْلَقْتُهَا مِنْ وَثَاقِهَا فَأَنْتِ لِلَّيْلِ إِنْ شَكَرْتَ طَلِيقُ (٣)
فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيدُكِ جِيدُهَا وَلَكِنْ عَظَمَ السَّاقِ مِنْكَ دَقِيقُ (٤) أَنْتَهَى .

وقربُ منه قول ذى الرمة :

أَرَى فِيكَ مِنْ خِرْقَاءِ يَا ظَبِيَّةَ اللَّوَى مَشَابَهَ جُنْبِ اعْتِلَاقِ الْحَبَائِلِ (٥)

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَلَوْ أَنَّكَ لَوْنُهَا وَجِيدُكِ ، إِلَّا أَنَّهَا غَيْرُ عَاطِلِ (٦)

وتقدمت ترجمة المجنون في الشاهد التسعين بعد المائتين (٧) .

* * *

وهذا آخر الكلام على شرح الشواهد ، الغزيرة الفوائد ، والناظم للنكت
الفرائد ، والحاوى للطارف والتالد ، والجامع بين الشوارد والأوبد ، والحمد لله من
البدء إلى الختام ، على توفيق هذا النظام ، والتيسير إلى الإتمام ، والبلوغ إلى
المَرَامِ . وأفضلُ الصَّلَاةِ والسَّلَامِ ، على محمدٍ خيرِ الأنام ، وأفضلِ الرسل

(١) أى فكأ عنها القيد ودعاها طليقاً .

(٢) أى بالجنون والهيام . وفي الأملى : « وكان نَجْدًا قَبْلَ ما أُصِيبَ » .

(٣) فى الأملى : « فَأَنْتِ لِلَّيْلِ مَا حَيَّيتِ عَتِيقُ » .

(٤) ط فقط : « رقيق » ، والوجه ما أثبت من ش وسائر المراجع .

(٥) ديوان ذى الرمة ٤٩٥ من قصيدته التى أولها :

خليلي عوجا من صدور الرواحل بجمهور حُزْوَى فابكيا فى المنازل

(٦) العاطل : التى لا حلى عليها .

(٧) الخزانة ٤ : ٢٢٩ - ٢٣٣ .

الكرام ، وآله السادة الأعلام ، وصحبه قادة الإسلام على تعاقب الليالي والأيام ، وترادف الشهور والأعوام .

وكان ابتداء التأليف بمصر المحروسة في غرة شعبان من سنة ثلاث وسبعين وألف ، وانتهاه في ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعين ، فيكون مدة التأليف ست سنين مع [ما ^(١)] تخلل في أثنائها من العطلة بالرحلة ؛ فإنني لما وصلت إلى شرح الشاهد التاسع والستين بعد الستائة ٥٩٨ سافرت إلى قسطنطينية ، في الثامن عشر من ذي القعدة من سنة سبع وسبعين ، ولم يتفق لي أن أشرح شيئاً إلى أن دخلت مصر المحروسة ، في اليوم السابع من ربيع الأول من العام القابل ، ثم شرعت في ربيع الآخر وقد يسر الله التمام ، وحسن الختام .

فله الحمد والمِنَّة ، وأسأله أن ينفع به ، وأن يختم عملي بكل خير ، ويذراً عنى كل ضير ، وأن يفعل كذلك بجميع أحبائي ، وسائر أودائي ، إته على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

قاله بفمه ، وزيره بقلمه ، مؤلفه الفقير إلى الله في جميع أحواله :

عبد القادر بن عمر البغدادي ، لطف الله به

وبأسلافه ، وأولاده وأحبائه ،

وجميع المسلمين .

أمين

* * *

ويقول محقق الخزانة بعد سجوده شكراً لله وحمداً له على جزيل نعمائه :

(١) التكملة من ش . وهذه خاتمة التعليقات .

وكان الفراغ من تحقيقى للخزانة ، وفَسَّر غوامضها ، ورَبَّط أطرافها ،
وإلباسها حُلَّة هذا العصر ، فى تمام الساعة الثامنة من صباح الجمعة المباركة بمنزل
فى مصر الجديدة ، فى الخامس عشر من ذى القعدة سنة ١٤٠٢ وهو الثالث من
سبتمبر سنة ١٩٨٢ .

كما كان البدء فى تحقيقها لأول مرة فى سنة ١٣٤٧ الهجرية الموافقة لسنة
١٩٢٨ الميلادية قبيل التحاقى بدار العلوم . حيث أصدرت أربع مجلدات منها بتاريخ
تخرجى فى الدار سنة ١٣٥١ الموافقة لسنة ١٩٣٢ .

أما هذه الطبعة الثانية لى فقد بدأت بعد ذلك فى سنة ١٣٨٧ الهجرية
الموافقة لسنة ١٩٦٧ الميلادية . واستغرق إخراجها وطبعها نحو خمس عشرة سنة فى
كفاح بالغ ، ومغالبية لعقبات النشر ، التى عاوننى فى التغلب عليها ولدى البار
المخلص السيد / محمد أمين الخانجى مدير مكتبة الخانجى ، كتب الله له التوفيق
وألهمه دوام السداد .

والحمد لله كلَّ الحمد على ما أنعم ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى
الأمى وعلى آله وصحبه وسلَّم .

عبد السلام محمد هارون

الفهارس

(أ) فهرس التراجم

(ب) فهرس الشواهد

١ - فهرس التراجم

٧٣	أبو محمد اليزيدى
٨٤	المنقب العبدى
١٠٧	لقمان بن عاد
١١٨	دريد بن الصمة
١٥١	أفنون التغلبى
١٦٥	ابن سينا
٣٦٦	قُطَيْبَةُ بنت الحارث
٤٠٣	مُرَّة بنت عاهان
٤٠٤	جَذِيمَةُ الأبرش
٤١٨	مُساوِر العيسى
٤٤٩	حريث بن عَنَاب
٤٥٥	الأضبط بن قُريع

(ب) فهرس الشواهد

ب - فهرس الشواهد الحروف العاطفة

رقم الشاهد

الصفحة

- ٨٨٦ أغلي السبَاء بكل أدكن عاتق
٨٨٧ قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل
فتوضيح فالمعرة لم يعف رسمها
٨٨٨ أيا دار سلمى بالحرورية اسلمى
أقامت به البردين ثم تذكرت
ومسكنها بين الفرات إلى اللوى
٨٨٩ يا دار رمية بالعلياء فالسند
٨٩٠ إن من ساد ثم ساد أبوه
٨٩١ فلما أجزنا ساحة الحى وانتحى
٨٩٢ ولما رأى الرحمن أن ليس فيهم
وصب عليهم تغلب ابنة وائل
٨٩٣ فإذا وذلك يا كبيشة لم يكن
٨٩٤ يا دهر أم ما كان مشى رقصا
٨٩٥ بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى
٨٩٦ تمنى ابتسأ أن يعيش أبوهما
٨٩٧ سيان كسر رغيه
٨٩٨ ثلثم بدار قد تقدم عهدنا
٨٩٩ فإما أن تكون أخى بحق
والأ فاطر خنى واتخذنى
- أو جونة قدحت وفضر ختامها ٣
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
لما نسجتها من جنوب وشمال ٦
إلى جانب الصنمان فالتلثم
منازلها بين الدخول فجرثم
إلى شعب ترعى بهن فعهم ٢٥
أقوت وطال عليها سالف الأمد ٣٣
ثم ساد قبل ذلك جدّه ٣٧
بنا بطن خبت ذى قفاف عققل ٤٣
رشيد ولا ناه أخاه عن الغدر
فكانوا عليهم مثل راغية البكر ٥٤
إلا كلمه حالم بخيال ٥٨
بل قد تكون مشيتي توقصا ٦٢
وصورتها أو أنت فى العين أملح ٦٥
وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر ٦٨
أو كسر عظم من عظامه ٧١
وإما بأموات ألم خيالها ٧٦
فأعرف منك غنى أو سمينى
عدوا اتقيك وتقينى ٨٠

- ٩٠٠ يا ليتما أَمَّا شالت نَعَامُهَا
 ٩٠١ سَفَتْهُ الرُّوَاعِدُ من صَيِّفٍ
 ٩٠٢ لقد كَذَّبْتَكَ نَفْسُكَ فَاكْذِبْنَهَا
 ٩٠٣ لَعَمْرِي لا أَدْرِي وإن كُنْتُ دَارِيَا
 ٩٠٤ لَعَمْرُكَ ما أَدْرِي وإن كُنْتُ دَارِيَا
 ٩٠٥ كَذَّبْتَكَ نَفْسُكَ أم رَأَيْتَ بَوَاسِطِ
 ٩٠٦ أم كَيْفَ يَنْفَعُ ما تُعْطَى الْعُلُوقُ به
 ٩٠٧ سَوَاءٌ عَلَيْكَ الْيَوْمَ أَنْصَاعَتِ النَّوَى
 ٩٠٨ ما أَبَالِي أَنْتَبَّ بِالْحَزَنِ تَيْسُ
 ٩٠٩ سَيِّانٍ عِنْدِي إنْ بَرُّوا وإنْ فَجَرُوا
 ٩١٠ وَلَسْتُ أَبَالِي بعدَ مَوْتِ مُطَرِّفٍ
 ٩١١ إذا ما انْتَهَى عِلْمِي تَنَاهَيْتُ عِنْدَهُ
 ٩١٢ كَانَ دِثَاراً خَلَقْتَ بِلَبُونِهِ
- أَمَّا إِلَى جَنَّةٍ أَمَّا إِلَى نَارٍ ٨٦
 وَإِنْ مِنْ خَرِيفٍ فَلَنْ يَعْدَمَا ٩٣
 فَإِنْ جَزَعًا وَإِنْ إِجْمَالًا صَبِرَ ١٠٩
 بِسَبْعِ رَمَيْنَ الْجَمْرَ أم بِشَمَانٍ ١٢٢
 شُعَيْثُ ابْنُ سَهْمٍ أم شُعَيْثُ ابْنُ مِنْقَرٍ ١٢٨
 غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خَيَالًا ١٣١
 رَثْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّبَنِ ١٣٩
 بِخَرْقَاءٍ أم أَنْحَى لَكَ السَّيْفُ ذَابِحُ ١٥٢
 أم لَحَانِي بظَهْرِ غَيْبٍ لَيْسَ ١٥٥
 فَلَيْسَ يَجْرِي عَلَى أَمْثَالِهِمْ قَلَمُ ١٦٠
 حُتُوفَ الْمَنَايَا أَكْثَرَتْ أَوْ أَقَلَّتْ ١٦٩
 أَطَالَ فَأَمَلِي أَوْ تَنَاهَى فَأَقْصَرَا ١٧٣
 عُقَابُ تُثَوِّفِي لا عُقَابُ الْقَوَاعِلِ ١٧٧

حروف الإيجاب

- ٩١٣ أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أمْ عَمِرُو
 نَعَمْ وَتَرَى الْهَلَالَ كَمَا أَرَاهُ
 ٩١٤ وَقَدْ بَعُدْتُ بِالْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
 ٩١٥ وَيَقْلُنَّ : شَيْبٌ قَدْ عَلَا
- وَأَيَّانَا فَذَاكَ بِنَا تَدَانِي
 وَيَعْلُوها النَّهَارُ كَمَا عَلَانِي ٢٠١
 بَلَى إِنَّ مَنْ زَارَ الْقُبُورَ لِيُعْدا ٢١٠
 كَ وَقَدْ كَبُرَتْ فَقَلْتُ : إِنَّهُ ٢١٣

حروف الزيادة

- ٩١٦ ما إنْ جَزَعْتُ ولا هَلَفْتُ
 ٩١٧ لا وَأَبِيكَ ابْنَةَ الْعَامِرِ
- تُ ولا يَرُدُّ بُكَائِي زَنْدًا ٢١٨
 يَ لا يَدْعِي الْقَوْمُ أَتَى أَفَرَّ ٢٢١

حرفا التفسير

٩١٨ وَتَرْمِيَنِي بِالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِيَنِي لَكِنَّ إِيَّاكَ لَا أَقْلِي ٢٢٥

حروف المصدر

٩١٩ أَعْلَاقَةٌ أُمُّ الْوُلْدِ بَعْدَ مَا أَفْنَأَ رَأْسِكَ كَالثَّغَامِ الْمُخْلِسِ ٢٣٢

٩٢٠ تَجَاوَزْتَ أَحْرَاساً إِلَيْهَا وَمَعَشِراً عَلَى حِرَاصاً لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي ٢٣٨

حروف التحضيض

٩٢١ أَلَا زَعَمْتَ أَسْمَاءُ أَنْ لَا أَحِبُّهَا فَقُلْتُ : بَلَى لَوْلَا يُنَازِعُنِي شُعْلِي ٢٤٦

حرف التوقع

٩٢١ قَدْ أَتْرَكْتُ الْقِرْنَ مَصْفِراً أَنَامِلُهُ كَانَ أَثْوَابَهُ مُجَّتْ بِفِرْصَادِ ٢٥٣

حرفا الاستفهام

٩٢٣ أَهْلٌ عَرَفَتْ الدَّارَ بِالْغَرِيِّينَ ٢٦١

٩٢٤ أَطَرَبَا وَأَنْتَ قِنْسَرِي ٢٧٤

٩٢٥ وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَدَ غَزِيَّةٌ أَرَشِدُ ٢٧٨

٩٢٦ أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بَكَى لَمْ يَقْضِ عِبْرَتَهُ إِثْرَ الْأَحْبَةِ يَوْمَ الْبَيْنِ مَشْكُومٌ ٢٨٦

٩٢٧ هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومٌ أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْرُومٌ

أَمْ هَلْ كَبِيرٌ بَكَى لَمْ يَقْضِ عِبْرَتَهُ إِثْرَ الْأَحْبَةِ يَوْمَ الْبَيْنِ مَشْكُومٌ ٢٩٤

حروف الشرط

٩٢٨ لَوْ يَشَأُ طَارَ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ لَاحِقُ الْآطَالِ نَهْدٌ ذُو خُصْلٍ ٢٩٨

٩٢٩ هَا خَيَّانِي كُلُّ غَنِيمَةٍ وَأَهْلَكْتُهُمْ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ نَافِعٌ ٣٠٣

- ٩٣٠ أَكْرِمَ بِهَا حُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ مَوْعُودَهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولٌ ٣٠٨
 ٩٣١ تَمَدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَلْوِيهَا وَتَشْتَكِي لَوْ أَنَّهَا تُشْكِيهَا ٣١٦
 ٩٣٢ وَاللَّهِ لَوْلَا شَيْخُنَا عَبَّادُ لَكَمْ رَوْنَا الْيَوْمَ أَوْ لَكَادُوا ٣١٧
 ٩٣٣ لَعَنَ مُنِيَّتَ بِنَا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ لَا تُلْفِنَا عَنْ دِمَاءِ الْقَوْمِ نَنْتَقِلُ ٣٢٧
 ٩٣٤ لَعَنَ كَانَ مَا حَدَّثْتَهُ الْيَوْمَ صَادِقًا أَصُمُّ فِي نَهَارِ الْقَيْظِ لِلشَّمْسِ بَادِيَا ٣٣٦
 ٩٣٥ حَلَفْتُ لَهُ إِنْ تُدْلِجَ اللَّيْلُ لَا يَزِلُّ أَمَامَكَ بَيْتٌ مِنْ يُبُوتَى سَائِرُ ٣٤١
 ٩٣٦ فَإِنْ يَكُ مِنْ جِنِّ لِأَبْرَحَ طَارِقًا وَإِنْ يَكُ إِنْسًا مَا كَهَا الْإِنْسُ تَفْعَلُ ٣٤٣
 ٩٣٧ فَإِنْ تَبْتِئُ بِالشَّنْفَرَى أَمْ قَسْطِلِ لَمَّا اغْتَبَطْتُ بِالشَّنْفَرَى قَبْلُ أَطُولُ ٣٤٩
 ٩٣٨ إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لَا نَعَالُ لَنَا إِنَّا كَذَلِكَ قَدْ نَحْفَى وَنَنْتَعِلُ ٣٥١
 ٩٣٩ فَإِنْ عَثَرْتُ بَعْدَهَا إِنْ وَالَّتِ نَفْسِي مِنْ هَاتَا فَقُولَا : لَا لَعَا ٣٥٨
 ٩٤٠ فَأَمَّا الصُّدُورُ لَا صُدُورَ لَجَعْفَرٍ وَلَكِنْ أَعْجَازًا شَدِيدًا ضَرِيرُهَا ٣٦٤
 ٩٤١ رَأَتْ رَجُلًا أَيَّمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى وَأَيَّمَا بِالْعَشَى فَيُخْصِرُ ٣٦٧

التوين

- ٩٤٢ فَالْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا ذَاكَرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلًا ٣٧٥

نون التوكيد

- ٩٤٣ أَفْبَعْدَ كِنْدَةٍ تَمْدَحَنَّ قَبِيلًا ٣٨٣
 ٩٤٤ وَأَقْبَلَ عَلَى رَهْطِي وَرَهْطِكَ نَبْتَحُ مَسَاعِينَا حَتَّى تَرَى كَيْفَ يَفْعَلَا ٣٨٥
 ٩٤٥ فَهَمَّا تَشَأُ مِنْهُ فَرَارَةٌ تُعْطِيكُمْ وَمَهْمَا تَشَأُ مِنْهُ فَرَارَةٌ تَمْنَعَا ٣٨٧
 ٩٤٦ نَبْتُمُ نَبَاتَ الْخَيْرَانِي فِي الثَّرَى حَدِيثًا مَتَى مَا يَأْتِكَ الْخَيْرُ يَنْفَعَا ٣٩٥
 ٩٤٧ مَنْ تَنْقَفَنَ مِنْهُمْ فَلَيْسَ بَأَيِّ أَبَدًا وَقَتْلُ بَنِي قُتَيْبَةَ شَافِي ٣٩٩
 ٩٤٨ رُبَّمَا أَوْفَيْتُ فِي عَلَمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شِمَالًا ٤٠٤

- ٩٤٩ يَحْسِبُهُ الْجَاهِلُ مَا لَمْ يَغْلَمَا شَيْخاً عَلَى كُرْسِيِّهِ مُعَمَّمَا ٤٠٩
 ٩٥٠ أَرَيْتَ إِنْ جَاءَتْ بِهِ أُمْلُودَا مُرَجَّلاً وَيَلْبَسُ الْبُرُودَا
 ٤٢٠ أَقَاتِلَنَّ أَحْضِرِي الشُّهُودَا
 ٩٥١ يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنْكُمْ حَنِيفَا أَشَاهِرُنَّ بَعْدَنَا السُّيُوفَا ٤٢٧
 ٩٥٢ فَايَّمَا تَرْنِي وَلِي لِمَّةً فَإِنَّ الْحَوَادِثَ أَوْدَى بِهَا ٤٣٠
 ٩٥٣ إِذَا قَالَ قَطْنِي قُلْتُ بِاللَّهِ حِلْفَةً لَتُغْنِنَنَّ عَنِّي ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعَا ٤٣٤
 ٩٥٤ لَا تُهَيِّنَ الْفَقِيرَ عِلَّكَ أَنْ تَرْكَعَ يَوْماً وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ ٤٥٠

هَاءُ السَّكْتِ

- ٩٥٥ يَا مَرْحَبَاهُ بِحِمَارِ عَفْرَاءَ ٤٥٧

شِينُ الْكَشْكَشَةِ

- ٩٥٦ تَضَحَكُ مِنِّي أَنْ رَأَيْتَنِي أَحْتَرِشَ وَلَوْ حَرَشْتَ لَكَشَفْتَ عَن جِرْشِ ٤٦١
 ٩٥٧ فَعَيْنَاشَ عَيْنَاهَا وَجِيدُشَ جِيدُهَا سِوَى أَنْ عَظَّمَ السَّاقِ مِنْشَ دَقِيقُ ٤٦٤